دار الرشيد للنشر

منشورات وزارة الثقافة والأعلام - الجمهورية العراقية

١٩٨١ سلسلة الكتب المترجمة ( ١٠٢ )

# الرحالة الروس

في

## الشرق الأوسط

تأليف

ب . م . دانتسيغ

ترجمة وتعليق

الدكتور معروف خزنه دار

## معلومات عن الطبعة الروسية

БОРИС ДАНЦИГ
РУССКИЕ ПУТЕШЕ ТВЕННИКИ
НА БЛИЖНЕМ ВОСТОКЕ
ИЗДАТЕЛЬСТВО " МЫСЛЬ"
МОСКВА - I965 .
272 с.
Тираж I2000
цена 65 коп.

بوريس دانتسيغ
الرحالة الروس في الشرق الأوسط
دار النشر « الفكر »
موسكو - ١٩٦٥
عدد الصفحات ( ٢٧٢ )
الكمية المطبوعة ( ١٢٠٠٠ ) نسحة
السعر ( ٦٥ ) كوبيك

# كلمة المترجم

إن هذا الكتاب « الرحالة الروس في الشرق الأوسط » الذي نضعه بين أيدي قراء اللغة العربية من الكتب النادرة من نوعه ، وهو يؤلف مكتبة كاملة من الصعوبة جردها واستيعاب مضامين كتبها ومحتويات وثائقها إلاَّ من له المقدرة والكفاءة والطاقة العالية من أمثال العالم السوفياتي المعاصر بوريس دانتسيغ . وهو كتاب فريد ليس لنا فحسب وإنما للقراء الروس أنفسهم أيضاً كما يقول المؤلف . والكتاب بلا شك من الأسفار التي تضع خطاً فاصلاً بين المادة والمرجع والمصدر وبين المصنف ، فهو ينقل كلام الأوائل بنصه لأنه يريد المحافظة على أصواتهم ، وهي في الحقيقة محافظة على الأصالة ، ثم يستنتج هو آراءه من الأقوال المنقولة .

ولاتجاه المؤلف الفكري والايديولوجي أثره الواضح في نقل آراء الأقدمين ، فهو يقتبس الآراء والمشاعر التي تتفق مع تلك الايديولوجية ، لذلك يظهر المؤلف كمدافع عن الشعوب المستضعفة ، وهي في الواقع جميع الشعوب غير التركية التي كانت تخضع للأمبراطورية العثمانية . ثم يطرح الشعب التركي من طبقاته الحاكمة ويدخله في صفوف الشعوب المستعبدة ، ويصب جام غضبه على السلطان والطبقات الحاكمة التركية . وتدفعه « الوطنية الروسية » ـ وهو على حق ـ أن ينحاز إلى القيصرية الروسية المسيحية ضد الأمبراطورية العثمانية الإسلامية بمفهوم ذلك الزمان خصوصاً في الحروب المستمرة بين الدولتين منذ تأسيس الدولة العثمانية وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، غير أن المؤلف لا يحيد عن الحقيقة . ولا يُلام إذا ما كانت درجة حبه لبعض من تلك الشعوب المستعبدة أعلى من غيرها كتعلقه بالعرب والشعوب المسيحية من البلقان أكثر من غيرها . ولعل أبرز ما عنده هو إخلاصه في

طرح الجوانب الإيجابية من آراء الرحالة الذين زاروا الشرق الأوسط خلال هذه الحقبة الطويلة .

*****

أما عن هذه الترجمة العربية التي نضعها بين أيدي القراء فمن الضروري أن نوضح بعض الأشياء :

١ ـ لقد حاولنا المحافظة على معنى النص ، سواء كان للمؤلف أم النص المنقول من كتب الرحالة والسياح والمسافرين ، وقد أتعبتنا هذه النصوص القديمة حقاً ، لأن لغتها قديمة ، وأسلوبها مندثر ، وأحياناً ركيكة ، لذلك يأتي بعض العبارات عندنا ركيكة أيضاً ، وهناك إعادة لبعض من المعلومات والجمل والعبارات ، وهناك تطويل واقتضاب وأطناب لا مبرر لها خصوصاً في الكلام المنقول من أصل كتب ووثائق الرحالة ، غير أننا لم نجد أي مبرر للتصرف بالنص ، وعملنا جهدنا المحافظة عليه مهما كان .

٢ ـ حاولنا بقدر الإمكان نقل الأسماء الجغرافية بالصيغة العربية ، إلاَّ أننا أحياناً لم نستطع العثور على الصيغة العربية لأسماء بعض الأماكن القديمة أو غير المعروفة لذلك نقلناها من الصيغة الروسية .

٣ ـ ونقلنا أسماء الأعلام ـ وهي في الغالب روسية ـ كما تلفظ في الأصل ، وهذا هو الصحيح على ما نعتقد .

٤ ـ الهوامش المرقمة الواردة في صفحات الكتاب هي للمؤلف ، أما الهوامش المؤشرة بعلامة ( * ) فهي من تعليقاتنا .

٥ ـ ولقد ترجمنا جميع هوامش المؤلف الروسية إلى اللغة العربية ، ولكننا أبقينا الهوامش الأخرى باللغات الأوروبية على حالها .

٦ ـ حاولنا أن نصحح جملة من الأخطاء البسيطة الطفيفة التي وقع فيها المؤلف وخصوصاً من المصادر والمراجع والأسماء الجغرافية . وقد تكون هذه الأخطاء من

المنفذ التكنيكي للكتاب وليس من المؤلف على ما نتصور .

٧ ـ هناك في اللغة الروسية مصطلحات كثيرة تستعمل كمعاني قريبة لمصطلح « الشرق الأوسط » منها « الشرق الأدنى » و« الشرق القريب » ، « وآسيا الأدنى » و« آسيا القريبة » ، وغير ذلك من المصطلحات التي تكاد أن تكون معانيها متشابهة ومتقاربة ، غير أن مصطلح « الشرق الأوسط » قد تغلب في الوقت الحاضر على بقية المصطلحات ليس في اللغة الروسية فحسب وإنما في اللغات العالمية الأخرى ، وعندنا في الشرق أيضاً .

٨ ـ يبدأ المؤلف كتابة معلوماته عن كل رحال يتناوله بحروف طباعية مميزة يشير بها إلى المبحث الذي يسرد فيه أخبار ذلك الرحال أو السائح ، وقد فضلنا أن نجعل تلك المباحث عناوين فرعية تعين الباحث والقارىء على الإفادة من كتابنا هذا بشكل أوسع .

وختاماً ، لا نشك في أن هذه الصفحات سوف تكون هدية ثمينة ونفيسة من مؤلفه إلينا ، وهدية متواضعة منا إلى المكتبة العربية والباحثين والدارسين والقراء أجمعين .

هوالعالمی کتب

**بغداد : ٢١ آذار ١٩٨٠**

**كلية الآداب ـ جامعة بغداد**

**معروف خزنه دار**

# تعريف بالسيرة العلمية للمؤلف

* بوريس مويسييفيـج ـ دانتسيغ .
* ولد في ١٦ (٢٨) نيسان سنة ١٨٩٦ من مدينة نيژنى من أسرة متوسطة ، وكان والـده موظفـاً حكومياً .
* أنهى دراسته الجامعية الأولية في كلية الحقوق بجامعة كـييف في سنة ١٩١٩ ، ثم أنهى دراسته العليا في ٢١ مايس سنة ١٩٣٩ .
* رقى إلى مرتبة الباحث العلمي الأقدم في ١٤ مايس سنة ١٩٤٦ .
* مدرس في معهد الدراسات الشرقية في موسكـو ( ١٩٢٦ ـ ١٩٣٦ ) و( ١٩٥١ ـ ١٩٥٤ ) .
* مدرس في أكاديمية العمال والفلاحـين والجيش الأحمـر ، المدرسـة الخاصـة في القيادة العامـة ( ١٩٣٦ ـ ١٩٤٥ ) .
* مدرس المدرسة الديبلومـاسية العليا التابعـة لوزارة الشـؤ ون الخـارجية في الاتحـاد السوڤياتـي ( ١٩٤٥ ـ ١٩٥١ ) .
* مدرس في معهد العلاقات الدولية التابع لوزارة الشؤ ون الخارجية في الاتحاد السوڤياتي ( ١٩٥٤ ـ ١٩٥٧ ) .
* باحث علمي في معهد الاقتصاد العالمي والسياسة الدولية ( قبل سنة ١٩٤٨ ) .
* باحث علمي في معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم السوڤياتية في موسكـو ( منذ سنة ١٩٥٥ ) .
* نشر أكثر من ( ١٣٠ ) عملاً علمياً .
* توفي في موسكـو في ١٦ آب سنة ١٩٧٣ .
* أهم أعماله العلمية هي :

ـ العراق ، من منشورات الأكاديمية الحربية للعمال والفلاحين والجيش الأحمر ، ١٩٤٠ .
ـ سوريا ، من منشورات الأكاديمية الحربية للعمال والفلاحين والجيش الأحمر ، ١٩٤٠ .
ـ العراق ( مدخل جغرافي موجز ) ، موسكـو ، ١٩٥٥
ـ رحلة بـيريزين في القفقـاس ، وإيران ، والشرق الأوسـط ، « نشرة موجـزة لمعهـد الدراسـات الشرقية » ، الكتاب ٢٢ ، موسكـو ، ١٩٥٦ .
ـ عرب العراق ، من كتاب « شعوب آسيا الغربية » ، موسكو ، ١٩٥٧ .
ـ شارك في تأليف كتاب « بلدان جنوب غربي آسيا وأفـريقيا الشمالية » ، موسكو ، ١٩٦٠ ، كتب المقدمة والفصول المخصصة للعراق ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب .
ـ العراق في الماضي والحاضر ، موسكـو ، ١٩٦٠ .

# مقدمة المؤلف

ترجع العلاقات الاقتصادية والثقافية بين بلادنا وبلدان الشرق الأوسط إلى الماضي البعيد . وتشهد المدونات والأسفار التاريخية ، والملاحم الشعرية الروسية ، والحكايات من مختلف الأنواع بصورة مقنعة على أن الروس ومنذ عصر الدولة الروسية الكييفية كانوا يعرفون بلدان الشرق الأوسط ليس فقط عن طريق التواتر والسماع ، وإنما قام عدد كبير منهم بزيارتها والإقامة فيها لمدد متباينة . ومنذ القرنين السادس والسابع الميلاديين عرف السلافيون طريقهم إلى الشرق الأوسط . وتظهر من المصادر البيزنطية ، والأرمنية ، والعربية على أن الفصائل العسكرية الروسية كانت تقاتل في صفوف الجيش البيزنطي في ماكدونيا وسوريا في نهاية القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر الميلاديين . ومما لا شك فيه أن العلاقات التجارية كانت موجودة في ذلك الزمان بين روسيا وبلدان الشرق الأوسط .

وكان لاعتناق الروس الدين المسيحي أثره البالغ في تقوية العلاقات مع الشرق الأوسط . وكان هناك عدد كبير من الحجيج وهم مدفوعون بعاطفة دينية ، يسلكون طريقاً طويلاً وشاقاً للوصول إلى فلسطين ، ويزورون أثناء مسيرتهم القسطنطينية ، وآسيا الصغرى ، ومصر ، وسوريا . وكان ممثلو الكنيسة الروسية الأرثوذوكسية يتوجهون إلى القسطنطينية أيضاً .

إن « مسيرة » الحجيج إلى « الأرض المقدسة » في روسيا ما قبل بطرس الأكبر(*) ، وكذلك خلال القرن الثامن عشر وجدت لنفسها إنعكاساً واضحاً جداً في

(*) إن مصطلح « روسيا ما قبل بطرس الأكبر » يعني في الثقافة الروسية ، الدولة الروسية قبل حكم بطرس الأكبر ، أي التاريخ الروسي منذ أقدم الأزمنة وحتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي ( المترجم ) .

أدبياتنا المدونة . فقام عدد كبير من العلماء ، والديبلوماسيين ، ورجال الجيش بالسفر إلى الشرق الأوسط في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . منها رحلة گريگوروڤيچ- بارسكي ، م . ڤ . كوكوڤتسوڤ وهو أول روسي مختص بالدراسات الأفريقية ، وتقارير الديبلوماسيين المشهورين أمثال ى .إ . أوكراينتسيڤ ، پ .أ . تولستوي ، إ .إ . نيپليوييڤ ، أ .م . أوبريسكوڤ ، ي .إ . بولگاكوڤ ، ومعلومات علماء ورحالة بارزين أمثال و .إ . سينكوڤسكي ، أ .أ . رافالوڤيچ ، ى . پ . كوڤاليڤسكي ، م . پ . ڤرونچينكو ، ب .أ . چيخاچيڤ ، أ .ڤ . يليسييڤ ، وكذلك كتابات العلماء المستشرقين المعاصرين أمثال ڤ .أ . گوردليڤسكي ، إ .ى . كراچكوڤسكي ، ى .أ . أوربيلي وآخرين كثيرين .

ومع ذلك تفتقر أدبياتنا حتى الوقت الحاضر إلى نشرة كاملة من المواد عن الرحالة الروس في الشرق الأوسط في الوقت الذي فيه أصبح الجانب الكبير من أعمالهم منسياً أو من النوادر البيبليوغرافية .

لذلك وضع المؤلف في خطة تأليفاته تحقيق مهمة متواضعة تنحصر في تقديم عرض عام وموجز للمواد المنشورة عن الرحلات الروسية في الشرق الأوسط ، وإظهار الجوانب المتعددة لاهتمام الروس لدى دراستهم بلدان الشرق .

ويشتمل الإطار الزمني للكتاب الفترة من القرن الثاني عشر ( « مسيرة » دانييل ) حتى بداية الحرب العالمية الأولى .

وأما الإطار الجغرافي فهو ينحصر في حدود وأصقاع مناطق الشرق الأوسط ، وبعبارة أخرى الآستانة ، وفراكيا الشرقية ، وآسيا الصغرى ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، والأردن ، وبلاد ما بين النهرين ، وشبه جزيرة سيناء ، ومصر ، وأرخبيل اليونان ، وقبرص .

ويحتوي العمل على معلومات عن أسفار ورحلات المواطنين الروس إلى الشرق الأوسط في روسيا قبل عهد بطرس الأكبر ، وفي القرن الثامن عشر ، والقرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين . وإن مثل هذا التصنيف للمراحل في نظرنا عمل

مشروع . ففي روسيا لما قبل بطرس الأكبر وردت في « مسيرة » الحجيج والتجار ، وإلى حد ما الديبلوماسيين ملاحظات وإنطباعات ساذجة وبسيطة عن حياة شعوب الشرق الأوسط . ومن الصعوبة بمكان هنا التكلم عن دراسة منهجية منتظمة للموضوع ، ولكن مع ذلك لا يمكن غض النظر عن الواقع الذي يشير إلى أن الرحالة الروس قد أضافوا بمعلوماتهم الصحيحة والدقيقة عن بلدان الشرق الأوسط مصادر قيمة على الأدبيات وبذلك أسهموا إسهاماً كبيراً في دراسة تلك البلدان .

وبالرغم من وجود نواقص في دراسة الشرق الأوسط في القرن الثامن عشر من حيث تنسيقها في ضوء التدرج المرحلي إلاّ أنها كانت إلى درجة ما موجهة لأغراض معينة .

ومنذ نهاية القرن الثامن عشر يمكن العثور على بحوث علمية أصيلة للمواطنين الروس عن مناطق معينة في ساحة الشرق الأوسط .

وفي القرن الثامن عشر بدأ تدريس اللغات الشرقية في روسيا ، وتأسست المطبعة الأولى التي دخل الألفباء العربي في مجموعات حروفها .

وقد نالت دراسة الشرق في روسيا في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نجاحات كبيرة إلى حد بعيد .

وهناك دور كبير لبلادنا ليس فقط في دراسة اللغات الشرقية ، والتاريخ ، والآداب ، والآثار ، وعلم المسكوكات للشرق الأوسط ، وإنما في معرفة البلدان والشعوب التي تقطن المنطقة بصورة عامة ، من حيث الجغرافيا الطبيعية والاقتصادية ، والأوضاع السياسية ، والاتنوغرافيا ، وأسلوب الحياة ، وواقع المعيشة .

أما عن هذا العمل ، فقد تمت تهيئته في ضوء المواد والمصادر التي تتألف من الكتب ، والمذكرات ، والمقالات ، وتقارير الحجيج ، والرحالة ، والضباط ، والديبلوماسيين ، والعلماء ، والفنانين ، والكتاب الروس الذين وصلوا إلى الشرق الأوسط وقاموا بزيارته . ومن جملة ذلك العدد الهائل من الكتب والمقالات المنشورة في المجلات ، والجرائد ، والوثائق المحفوظة في الأرشيف يوجه المؤلف عناية القراء

بصورة خاصة إلى تلك المصادر التي تحتفظ لحد الآن بقيمتها العلمية والتي من شأنها أن توسع معارفنا عن بلدان الشرق الأوسط ، وعن أوضاع جماهير الكادحين ، وعن حياتها وطرق معيشتها في الأزمنة الغابرة .

ويظن المؤلف بأنه من المفيد الإشارة إلى عدد كبير من المقتطفات الغنية بمضامينها ، وأحياناً أصيلة جداً من اليوميات ، والمذكرات والملاحظات ، والكتب ، والتقارير ، والمذكرات التي ورثناها من مواطنينا الذين سبقونا في الحياة .

وكان بالإمكان ، وبدون شك ، عرض معلومات غزيرة بأسلوب صاحب هذا الكتاب ، إلاّ أن المؤلف يعتقد إعتقاداً جازماً ، بأن طرح الكلام الحقيقي ( يقصد طرح النصوص التي كتبها المؤلفون كما هي ـ م .خ . )للأشخاص الذين زاروا الشرق الأوسط في حينه ، يؤدي إلى سماع أصوات الماضي ، وبذلك يكون كما لو أنه يعرف القارىء على هؤلاء الأشخاص الذين شاهدوا الشرق بأم أعينهم . والمقتبسات هذه تتضمن مواد ومعلومات مهمة ومعينة توسع آفاق معارفنا في جغرافيا ، وتاريخ ، واتنوغرافيا شعوب الشرق الأوسط .

ونعتقد بأن العمل الذي نعرضه الآن ليس له أهمية في مجال العلم والمعرفة فقط ، وإنما له أهمية إجتماعية ـ سياسية خطيرة وجادة في نفس الوقت . فهو يتعرض إلى العلاقات الإنسانية والمواقف الودية بين مواطني بلادنا وشعوب الشرق مستنداً على مواد ومصادر ومراجع موضوعية وواسعة . وتجدر الإشارة هنا إلى أن سكان بلدان الشرق الأوسط كانوا يقابلون الرحالة الروس بالود ، والعطف ، والاحترام ، وكانوا يميزونهم عن العملاء البغيضين للدول الاستعمارية الغربية .

وإن كافة المقتبسات والمقتطفات المعروضة في هذا الكتاب تشهد على أن لصداقة الروس مع شعور الشرق جذور تاريخية عميقة .

وسيكون المؤلف سعيداً جداً ، إذا ما أدى هذا العمل المتواضع إلى توطيد وتعميق علاقات الصداقة في المستقبل بين شعوب بلادنا وشعوب الشرق الأوسط .

وفي الختام نرى من الضروري أن نلحق بعملنا هذا قول س . پونوماريوف : « لقد جرى إنجاز هذا العمل المتواضع بشغف واستغرق ذلك مدة طويلة ، غير اننا لا

نشك بأنه من الممكن العثور فيه على نواقص متنوعة سوف يشير إليها المتضلعون . إننا نرجو منهم أن لا ينسوا كلاماً مأثوراً بسيطاً قديماً : « أسهل عليك أن تكرر ما سبقك إليه الآخرون من أن تكون الفاعل الأول »[1] .

ويرى المؤلف من الضروري أن يقدم الشكر العميق ، ويعرب عما في نفسه من الود الصادق والاحترام العظيم والتقدير الجميل وهي نابعة من شعور فياض إلى الأصدقاء الذي قدموا له المساعدات اللازمة بنصائحهم الصميمة وتمنياتهم الصادقة بثبات وبشكل دائم وخلال سنوات طويلة ، وإلى الأصدقاء الذين رحلوا وهم غير موجودين بين ظهرانينا منهم پروفيسور العلوم الجغرافية في معهد التربية في مدينة قازان ، العضو المراسل في أكاديمية العلوم التربوية ڤاديم اليكساندروڤيچ كونداكوڤ ، وإلى المؤرخين السوڤياتيين المستعربين العظيمين ڤلاديمير بوريسوڤيچ لوتسكي ، ويڤگيني اليكساندروڤيچ بيلياييڤ .

وكان الدكتور في العلوم التاريخية يڤگيني اليكساندروڤيچ بيلياييڤ قد قرأ قبل وفاته بقليل ( أيلول سنة ١٩٦٤ ) هذا الكتاب وقدم جملة من الملاحظات المهمة ثم أوصى بطبعه . وإننا واثقون بأن مساعداته لا تقدر بثمن ، والشكر الذي يقدم له ليس له حدود .

مكتبة الإسكندرية

(١) س . پونوماريوڤ ، مدينة القدس وفلسطين في الآداب والعلوم وفنون الرسم والترجمات الروسية ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٧ ، ص ٧ ـ ٨ ، ملحق المجلد (٣٠) ، « مجلة أكاديمية العلوم الأمبراطورية » ، العدد (١) .

## الفصل الأول

# روسيا ما قبل بطرس الأكبر

عرف أبناء الشعب الروسي الشرق الأوسط وسكانه منذ زمن بعيد ولقد كانت لديهم معلومات لا عن المستعمرات الإغريقية القريبة أمثال سوروژ وخيرسونيس فقط وإنما ، عن مناطق وبلدان بعيدة نسبياً كبيزنطية ، وسواحل آسيا الصغرى ، وأرمينيا ، وبلاد ما بين النهرين ( العراق ) ، وسوريا ، وربما عن مصر كذلك .

وترجع الفترة التي عرف فيها أبناء الشعب الروسي الشرق الأوسط إلى ما قبل القرن الثاني عشر الميلادي بزمن طويل ، حيث وصل إلينا أول مرجع مدون عن رحلة رئيس الدير دانييل .

ومن الواضح أن السلاڤيين كانوا يعرفون الطريق المؤدي إلى الشرق الأوسط في القرنين السادس والسابع الميلاديين ، يقول الأكاديمي ب . گريكوف في هذا الصدد : « لقد كان الأولچيون والثيڤرسيون(*) على إتصال مستمر مع بيزنطية سواء كان ذلك عن طريق الخدمة العسكرية في الجيش البيزنطي أو باشتراكهم مع السلاڤ

(*)الأولچيون هم واحدة من المجموعات القبلية التي كان يتألف منها السلاڤ الشرقيون ؛ وأما التيڤرسيون فهم إتحاد قبلي من إتحادات السلاڤ الشرقيين أيضاً كان يقطن على طول نهر الدنيستر وحتى البحر الأسود ( المترجم ) .

في الغارات التي كانوا يشنونها على الأمبراطورية »[1] . ثم يستطرد قائلاً : « وفي هذه الحقبة بالذات كان الروس القدامى على اتصال مباشر مع بيزنطية والشعوب الشرقية ، ولهم علاقات وثيقة بهم »[2] .

وكان المقاتلون والجنود الروس قد وصلوا في منتصف القرن التاسع الميلادي في سنة ٨٤٢ إلى السواحل الجنوبية من البحر الأسود إلى أماستريد[3] . وفي الستينيات والسبعينيات من القرن التاسع الميلادي كتب الجغرافي العربي ابن خرداذبه : « فأما مسلك تجار الروس وهم جنس من الصقالبة فإنهم يحملون جلود الخز وجلود الثعالب السود والسيوف من أقصى صقلية إلى البحر الرومي [ البحر الأبيض المتوسط ] فيعشرهم صاحب الروم [ قيصر بيزنطية ] وإن ساروا في تنيس [ القولغا ] نهر الصقالبة مرّوا بخليج مدينة الخزر] مدينة إيتيل بالقرب من مصب القولغا ] فيعشرهم صاحبها ثم يصيرون إلى بحر جرجان [ بحر قزوين أو الخزر ] فيخرجون في أنّى سواحله أحبوا وقطر هذا البحر خمس مائة فرسخ وربما حملوا تجاراتهم من جرجان على الإبل إلى بغداد ويترجم عنهم الخدم الصقالبة ويدعون أنهم نصارى فيؤدون الجزية »[4]

وهناك مجموعة كبيرة من المصادر البيزنطية ، والعربية ، والأرمنية تشير إلى أن الفرق العسكرية الروسية كانت قد قاتلت في صفوف الجيش البيزنطي في ماكدونيا ، وأرمينيا ، وسوريا في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الميلاديين[5] . وأما

---

(١) ب . د . گريكوف ، ثقافة روسيا الكييفية ، موسكو ، ١٩٤٤ ، ص ٢٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٣) ف . ك . ڤاسيلييڤسكي ، دراسات روسية ـ بيزنطية ، المجلد ٣ ، سانت بيترسبورغ ، ١٩١٥ ؛ پ . پوگودين ، عن حملة أبناء الروس على سوروژ ، « نشرة جمعية التاريخ والتاريخ القديم في أوديسا » ، المجلد ١ ، أوديسا ، ١٨٤٤ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ ، والمقالة الأخيرة كما يذكر ف . گ . فاسيلييڤسكي من تأليف أ . ف . گورسكي .

(٤) إ . إ . سريوزنيڤسكي ، معالم معرفة أبناء الشعب الروسي القديمة بآسيا الجنوبية ، ترجمة أ . ك . كاظم بك عن العربية ، « بشير الجمعية الجغرافية الروسية » ، القسم ١٠ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٥٤ ، ص ٥٢ ـ ٥٣ ، النص مقتبس من ( ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، طبعة بريل ، ١٨٨٩ ، ص ١٥٤ ـ المترجم ) .

(٥) ف . گ . ڤاسيلييڤسكي ، دراسات روسية ـ بيزنطية ، المجلد ٣ ، سانت بيترسبورغ ،

أول المصادر المدونة عن تجارة الروس مع البيزنطيين عن طريق البحر الأسود ، ومع البلدان الإسلامية عن طريق بحر قزوين فهي ترجع إلى أربعينيات القرن التاسع الميلادي . غير أن العلاقات التجارية كانت موجودة بدون شك قبل هذه الفترة بمدة طويلة جداً .

ووردت معلومات عن العلاقات الوثيقة المباشرة لأبناء الشعب الروسي بالشرق الأوسط في الأثر النفيس « حكايات السنين المنقضية » . وإن هذه المدونة التاريخية تحتوي على معلومات وأخبار كثيرة جداً ذات طابع جغرافي واتنوغرافي أيضاً[1]، وهي تعتبر أول نشرة روسية في المعارف الجغرافية . ولا تقتصر معرفة المؤلف على جغرافية بلاده فقط ، بل إن عدد البلدان التي يذكرها ويتطرق إليها كبيرٌ جداً . وكان على علم بجميع بلدان شبه جزيرة البلقان ، والشرق الأوسط ، وسواحل أوروبا الغربية ، والبحر الأبيض المتوسط ، والمجرى الأدنى لنهر النيل ، وبحر قزوين تقريباً .

وهناك أخبار ومعلومات عن البلدان والممالك البعيدة في أساطير الكتاب المقدس وعن تقسيم العالم بعد الطوفان بين أبناء نوح : سام ، وحام ، ويافث . وترد في الأسطورة أسماء عدد كبير من البلدان والممالك ومناطق معينة في الأمبراطورية البيزنطية . وهكذا وعلى سبيل المثال ورد بأن « نصيب سام » أي تركة وميراث سام تشمل ممالك « سوريا ، وميديا على امتداد نهر الفرات ، وبابل ، وبلاد ما بين النهرين ( العراق ) ، والجزيرة العربية ، وفينيقيا » وأراضي أخرى . أما حام فقد حصل على مصر ، وليبيا ، ومجموعة من مقاطعات آسيا الصغرى أمثال « كيليكيا ، وفريكيا ، وليكيا ، وكاريا ، وكذلك نهر گيون المسمى بنهر النيل » . فيما حصل يافت على ميديا ، وأرمينيا ، وعلى جزء من مقاطعات آسيا الصغرى ، والحوض

---

١٩١٥ ، ص ١٤٣ ؛ المجلد ٢ ، ص ٦٣ ، المجلد ١ ، ص ٩١ ، ٢٠١ ـ ٢٠٣ ؛ ف . ر . روزين ، الأمبراطور قاسيلي بولگاروبوتيسا ، مقتطفات من مؤلفات يحيى الإنطاكي ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٨٣ ، ص ٤٠ ، والهوامش من ص ٣١٢ ـ ٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ؛ ن . م . كارامزين ، تاريخ الدولة الروسية ، المجلد ١ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨١٦ ، ص ١٢٩ ـ ١٦٩ .

(١) م . و . كوسڤين ، من تاريخ الاتنوغرافيا الروسية القديمة ، « الاتنوغرافيا السوڤياتية » ، العدد ٤ ، ١٩٥٢ .

الواقع « بين ميديا وبابل من نهر دجله »[١] .

ومنذ زمن بعيد يعلم الباحثون بأن مصدر الأخبار والمعلومات عن بلدان وممالك الشرق والغرب للمؤلف هو مدونات ومصنفات وسجلات جورج أمارتول ، وجوهان مالالا ، وبالبي ، وسيرة كيريل وميفودي التي كتبها بانون ، وكذلك الكتاب المقدس ، والوثائق الرسمية ، والمعاهدات ، وما شابه ذلك[٢] . ولا يوجد أدنى شك على الإطلاق بأن المصنف كان على علم بالمصادر والمراجع التي سبق ذكرها ، غير أن الأهم في الموضوع هو الإشارة إلى أنه عندما استقى معلوماته من تلك المصادر لم يعدد ويذكر أسماء البلدان والممالك فقط وإنما كان يصفها أيضاً معتمداً على تقارير وحكايات الشهود الذين نزلوا إلى تلك البقاع في حينه .

ومنذ أكثر من مائة سنة عندما حلل الأكاديمي إ . إ . سريوزنيفسكي ما ورد في الكتاب عن إمكانية السفر من روسيا إلى « ممالك سام » ومضارب قبائل « أجيال حام » بطريق الأنهار والبحار توصل إلى استنتاج صحيح : « بهذه الصورة قدم مؤلفنا القديم الطرق المائية للفترة التي عاش فيها ، وكذلك لأزمنة قديمة جداً ، فذكر الطرق التي كانت تقرب روسيا إلى أصقاع الغرب والشرق البعيدة ، وعند عرضه لهذه المعلومات كان اعتماده طبعاً على التواتر وليس على الخرائط ، والباحث سمع عن أناس شهدوا الأحداث والأصقاع »[٣]

وبالإضافة إلى ذلك ، كان إ . إ . سريوزنيفسكي قد ذكر بأنه « بقيت من بين الآثار الروسية القديمة العتيقة معلومات ومذكرات نفيسة ومهمة جداً عن تساريگراد ( القسطنطينية ) ، يتميز القسم الأكبر من تلك المعلومات بطابع العصر الحديث »[٤] .

---

(١) ( المجموعة الكاملة للمدونات الروسية ) ، « حكايات السنين المنقضية » ، المجلد ١ ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٥٠ ، ص ٩ - ١٠ .

(٢) م . س . بودنارسكي ، دراسات في تاريخ الزراعة الروسية ، موسكو ، ١٩٤٧ ، ص ٦ .

(٣) إ . إ . سريوزنيفسكي ، معالم معرفة أبناء الشعب الروسي القديمة بآسيا الوسطى ، « بشير الجمعية الجغرافية الروسية » ، القسم ١٠ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٥٤ ، ص ٥٢ - ٥٣

(٤) إ . إ . سريوزنيفسكي ، رواية عن تساريكراد ، مطالعات الأكاديمي سريوزنيفسكي » ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٥٥ ، ص ٣ .

ووردت معلومات في « حكايات السنين المنقضية » عن طريق يمتد من ڤارياگ حتى بلاد الإغريق ، كما وعرف المؤلف طريقين من البلطيق أحدهما إلى البحر الأبيض المتوسط حول أوروبا والآخر إلى البحر الأسود بطريق الأنهار . ويذكر المصنف روما والقسطنطينية[1] ، وبحر « پونيتسكى ( قد يكون البحر الأبيض المتوسط ـ م.خ) ، وكذلك البحر المسمى بالروسي ( قد يكون البحر الأسود ـ م .خ . ) » . وهو يرجع الحملة الأولى التي قام بها كي الأسطوري على القسطنطينية إلى سنة ٨٥٤ الميلادية ، ويتكلم عن حملة أسكولد ، ودير « في بلاد الإغريق » في سنة ٨٦٦ الميلادية ، وعن حملة أوليگ في سنة ٩٠٧ الميلادية ، وعن سفارته في سنة ٩١١ الميلادية إلى بيزنطية لعقد معاهدة بين روسيا وبين الإغريق . وأما معلوماته عن حملة إيگور في سنة ٩٤١ الميلادية فهي شيقة وممتعة خصوصاً عندما تتطرق إلى العمليات الحربية التي حدثت في مشارف القسطنطينية ، وفي ڤيفنيا وپافلاگونيا ، أي في السواحل الجنوبية من البحر الأسود . وترد فيما بعد معلومات عن معاهدة سنة ٩٤٤ الميلادية المعقودة بين إيگور والإغريقيين ، ثم عن تعميد أوليگ في سنة ٩٥٧ الميلادية في القسطنطينية ، وعن وصول سفارة الأمير الكبير ڤلاديمير إلى القسطنطينية لـ « اختيار العقيدة أو الإيمان بالدين » . وأخيراً هناك في الكتاب أخبار ومعلومات مهمة عن حملة ڤلاديمير ابن باروسلاڤ في سنة ١٠٤٣ الميلادية . حدث في ذلك الوقت ونتيجة لكارثة أصابت السفن أن وقع قسم من المحاربين الروس وعلى رأسهم القائد ڤيشاتا[*] في الأسر ، وبعد معركة حامية سملت عيونهم . ولم يعد القائد ڤيشاتا إلى روسيا إلاّ بعد ثلاث سُنوات[2] .

هذه هي معلومات المصنفات والمدونات التاريخية حول زيارة الروس

---

(١) القسطنطينية : هي عاصمة البيزنطيين منذ القرن الرابع وحتى القرن الخامس عشر الميلادي . كانت المدينة في روسيا تسمى « تساريگراد » منذ العهود القديمة وحتى القرن السابع عشر الميلادي في الوثائق الرسمية ، والآثار الأدبية ، والفولكلور . ( ولفظة تساريگراد تعني مدينة القيصر ، أو مدينة القياصرة باللغة الروسية ـ المترجم ) .

(*) يستعمل المؤلف لفظة « فويفودا » وهي مصطلح كان يستعمل لقائد الجيش ، والمحافظ ، والوالي ، وحاكم المنطقة في روسيا القديمة ، فارتأينا هنا ترجمته بكلمة « قائد » . ( المترجم ) .

(٢) ( المجموعة الكاملة للمدونات الروسية ) « مضيف لاڤرنتييڤسكي » ، المجلد ١ ، ص ٦٦ ـ ٦٧ ؛ « حكايات السنين المنقضية » ، المجلد ١ ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

للقسطنطينية ، والسواحل الشمالية والجنوبية من البحر الأسود المتعلقة بالفترة التي سبقت « تعميد الروس » ( دخولهم في الدين المسيحي - م .خ . ) ، أي قبل سنة ٩٨٨ الميلادية .

وإن الكتاب لا يعكس العلاقات التجارية النشطة لهذه الحقبة بين روسيا والبلدان العربية . غير أن معلومات وأخبار الجغرافيين العرب عن التجارة مع روسيا تؤكدها اللقط التي تم العثور عليها في روسيا وهي عبارة عن مجموعة كبيرة من كنوز النقود الشرقية ( العربية ) في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين . وهذا يدل على أن العرب والسماسرة الذين كانوا يتعاونون معهم من البولگار الذين كانوا يعيشون في منطقة الفولغا كانوا يزورون روسيا ، وفي الوقت ذاته كان الروس أنفسهم يزورون البلدان العربية .

وبعد قبول المسيحية ديناً في سنة ٩٨٨ الميلادية ترسخت علاقات روسيا بالشرق بشكل أقوى . وبالإضافة إلى الأشخاص المحاربين والتجار كان يسافر إليه ممثلو الكنيسة الروسية أيضاً . وكانت إقامة نظام تعيين المطران في كييڤ من قبل بيزنطية قد أردت إلى سفر عدد كبير من الوجوه الدينية من القسطنطينية إلى روسيا ، ومن روسيا إلى القسطنطينية ، وعلاوة على ذلك لم يقتصر الحج إلى الأماكن المقدسة» على رجال الدين فقط ، وإنما شرع بعض الناس البسطاء الإعتياديين القيام بالحج . وهناك في العديد من المصادر المدونة بما في ذلك الأسفار التاريخية معلومات عن رحلات الحجيج ( پالومنيك ) أو المشردين وهم عادة من المغنين الشعبيين العميان ( كاليك )[1] . ومع ذلك لا توجد عن غالبية هذه الرحلات أية معلومات ذات فائدة ، على الرغم من أنه من الواضح تماماً بأن الرحلات لا تؤدي إلى توسيع أفق مدارك الرحالة أنفسهم فقط وإنما تصبح المعلومات عن الشرق عند عودتهم معروفة أيضاً لعدد لا يستهان به من الأشخاص الآخرين .

ترجع الوثيقة الأولى التي وصلت إلينا من الآثار المدونة عن رحلة رئيس الدير

(١) إن لفظة « پالومنيك » هي من لفظة « بالموڤايا » بمعنى ( النخلي ، نسبة إلى النخل ) . كان المتدينون المتجولون يحملون أغصان النخل من « الأماكن المقدسة » إلى روسيا . أما لفظة « كاليكا » فهي من الاسم اللاتيني لنوع من الأحذية «caliga » وهي جزمة من اللباد كان يرتديها المتدينون المتجولون .

دانييل إلى بداية القرن الثاني عشر الميلادي . وهناك بالإضافة إلى ذلك ، وإلى خد ما إشارات في المصنفات والمدونات الروسية إلى عدد من الرحلات إلى بيزنطية وفلسطين ، وكذلك إلى أيون ترجع إلى القرن الحادي عشر الميلادي .

وتحتفظ الأشعار الروسية الشعبية الملحمية الشهيرة المسماة « أدوار ڤلاديمير » بمعلومات عن عدد كبير من الحجيج الروس في فلسطين الذين زاروا الأماكن المقدسة في عهد ڤلاديمير ، أي في الربع الأخير من القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الميلاديين . فالأشعار تلك تشير إلى أن مراسيم الحج كانت تتم بشكل فصائل كبيرة من المتطوعين ، وكانت الفصيلة الواحدة تضم على أكثر تقدير بضع عشرات من الرجال ( « أربعين من المتدينين البسطاء » ) . فعلى سبيل المثال وردت في القصيدة الشعبية المنسوبة إلى مدينة نوڤگورود عن ڤاسيلي بوسلاييڤ معلومات عن كيفية وصوله مع رفاقه « إلى تابوت المسيح ( يقصد كنيسة القيامة ـ م .خ . ) للانحناء ، والتقبيل ، والتبرك ، ثم القيام بالتعميد في نهر الأردن » . أما القصيدة الشعبية « الأربعون من المتدينين البسطاء » فتصف رحلتهم إلى مدينة القدس .

وبالإضافة إلى ذلك يمكن العثور في القصائد الشعبية على بعض الأخبار والمعلومات عن التجارة مع البلدان العربية أيضاً ، ويرد ذكر الذهب ، والنحاس « العربي » والأحجار البيضاء الناعمة الثمينة .

## رحلة دانييل

لم يعرف الأدب الروسي حتى بداية القرن الثاني عشر الميلادي الحجيج من الأدباء والكتاب قبل « مسيرة » رئيس الدير دانييل . وكانت « مسيرة » دانييل وبقية « المسيرات » التي تبعتها إلى الشرق معروفة بصورة جيدة في تاريخ الأدب الروسي . فالمدونات ، والسجلات ، والكشوفات المنتشرة باتساع في حينه تشكل وثائق رائعة كتبها الرحالة والسياح ، والزائرون بأنفسهم ، وأهميتها لا تنحصر في كونها أثراً أدبياً فحسب ، وإنما كمصادر قديمة جداً في تاريخ العلم الجغرافي والاتنوغرافي الروسي[1]

(١) أ . إ . بيرشيتس ، معلومات أتنوغرافية عن العرب في « المسيرات » الروسية في القرون الثاني عشر ـ السابع عشر ، مجلة « الاتنوغرافيا السوڤياتية » العدد ٤ ، ١٩٥١ .

لتاريخ دراسة الشرق الأوسط . « ويضم الأدب الروسي القديم مجموعة ممتازة من المعلومات الجغرافية عن المناطق الشرقية من البحر الأبيض المتوسط ، وفلسطين ، وسوريا ، وقد كتبه رئيس الدير الروسي دانييل الذي سافر إلى مدينة القدس في عهد إمارة سڤياتوپولك إزيا سلافيچ »[1] .

زار دانييل رئيس أحد أديرة روسيا الجنوبية، ومن المحتمل أن يكون دير منطقة چيرنيگوفسكي ( في أوكرانيا ) فلسطين في السنوات ١١٠٦ ـ ١١٠٨ الميلادية وإذا كان من الواضح أنه قد توفى في سنة ١١١٤ ، فيعود وصف رحلته إلى سنوات ١١٠٩ ـ ١١١٣[2] . وصل دانييل إلى مدينة القدس بعد احتلال الصليبيين لها بوقت قصير . ولا شك بأن عدداً كبيراً من المعابد ، والأديرة ، والبنايات البارزة قد تهدمت في مدينة القدس فيما بعد ، لذلك تكون المعلومات والإحصائيات التي يعرضها دانييل عن أبعادها ومسافاتها أهمية كبيرة جداً : « وضع الآثاريون المختصون بفلسطين في الوقت الحاضر شهادته [ شهادة دانييل ] فوق آراء جميع « المسافرين » الغربيين والشرقيين لتلك الفترة نظراً لدقتها ، ورصانتها ، وصدقها . وكانت القيمة العلمية العالية لكتاب دانييل قد حفزت الوسط العلمي إلى ترجمته إلى اللغات الفرنسية ، والألمانية ، واليونانية للاستفادة منه للأغراض العلمية »[3] .

ويجد المرء في « مسيرة » دانييل[4]، وفي بقية « مسيرات » الحجيج أيضاً مكاناً بارزاً لوصف جانب كبير من « المقدسات » و« المعجزات » الواردة في أساطير الكتاب المقدس . وبالإضافة إلى ذلك يشير دانييل بصورة مستمرة إلى الأماكن التي زارها ، أو مرّ بها ، أو أقام فيها ابتداءً من تساريگراد ( القسطنطينية ) . غير أنه لا يقدم وصفاً مفصلاً لها على الأقل من الناحية الظاهرية ، ولكن مع ذلك يشير إلى بعض الظواهر

---

(١) إ . د . بيلياييڤ ، حول الأخبار الجغرافية في روسيا القديمة ، « نشرة الجمعية الجغرافية الروسية » ، الكتاب ٦ ، ١٨٥٢ ، ص ٢٢ .

(٢) « تاريخ المقامات ( الدرجات ) الكهنوتية في روسيا » ، مجموعة الراهب أمڤروسي ، القسم ١ ، موسكو ، ١٨٠٧ ، ص ٢٢٣ .

(٣) « تاريخ الأدب الروسي » ، المجلد ١ ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤١ ، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ .

(٤) « حياة وسيرة دانييل رئيس دير الأرض الروسية » مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد م . ڤ . ڤينيڤيتينوف ، النشرة ٣ و٩ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٨٣ و١٨٨٥ .

التي جلبت اهتمامه في حياة الناس من الناحية الاقتصادية . وهكذا يذكر بأنه في جزيرة خيوس ( جزيرة في القسم الشرقي من الأرخبيل اليوناني ـ م . خ . ) : « توجد مادة الماستيكا ، والشراب الطيب ، وأنواع الخضار » . ويقول فيما بعد بأن مدينة إڤيس تبعد عن البحر بمقدار أربعة فراسخ « وفيها كميات كبيرة من جميع أنواع السلع والبضائع الجيدة » .

وانتهت الرحلة البحرية لدانييل عند يافا . ومن الطبيعي بأن السائح قد اهتم بشكل خاص بفلسطين ، ومدينة القدس . أما وصفه للمنظر الخارجي لمدينة القدس فهو مهم جداً : « القدس مدينة عظيمة ، أسوارها قوية ودائرية ، مبنية[1] على أربع زوايا في هيئة صليب ، وفيها حقول واسعة للأدغال ، وحولها جبال صخرية . وهذا المكان بلا ماء ، أي أنه لا يوجد فيه نهر ، ولا عين ماء ، ولا بئر بالقرب من مدينة القدس ، غير أنه يوجد مكان واحد يمكن التبرك بمائه وهو سيلوعام(*) ؛ فالناس جميعهم والمواشي أيضاً يعيشون على مياه الأمطار في تلك المدينة » .

ويتكلم دانييل عن الوضع الاقتصادي للبلاد : « تنبت الحبوب والغلال بوفرة حول مدينة القدس في الأراضي الصحراوية بدون أمطار . . . ويزرع القمح والشعير بكميات كبيرة . . . وأما ثمر الكروم والأعناب فهو غزير حول مدينة القدس ، وهناك شجيرات الخضار وافرة الانتاج . وفيها أشجار التين ، والتوت ، والزيتون ، والجودار ؛ وتنتشر في تلك الأراضي أشجار وأحراج مختلفة ومتنوعة لا تعد ولا تحصى »[2]

ويصف دانييل بصورة مفصلة الطريق الذي سلكه من مدينة القدس حتى نهر الأردن . كما ويرسم لوحة زاهية عندما يصف البحر الميت ، بالرغم من أنه لم يزر البحر بالذات وإنما يتكلم عنه بلسان الآخرين : « أما البحر الميت فإنه ميت ، ولا يعيش فيه أي كائن حي بأي شكل من الأشكال ، لا يوجد فيه السمك ، ولا حيوان

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(*) سيلوعام Silo'am: اسم لحوض ، ويسمى الحوض بين الجدارين أيضاً : يأتيه الماء من منابع في جوف الأرض ، ويقع في القسم الجنوبي الشرقي من مدينة القدس ، ولا زالت آثاره باقية ( المترجم )

(٢) المصدر السابق ، ص ٤١ .

السرطان ، ولا ما يشبههما مطلقاً ؛ وهم عادة يأتون بالأسماك إلى البحر من مجرى نهر الأردن غير أنها لا تستطيع أن تعيش حتى أقل من ساعة وتموت بسرعة . ويخرج من أعماق البحر القطران الأسود »[1].

والظاهر أن السائح دانييل لم يقم برحلته لوحده . وهو يذكر رفاقه وأصدقاءه ، ويتكلم عن الروس الذين التقى بهم في «الأرض المقدسة»: «لقد ساعدني الرب أنا الضعيف . . . هناك مرقد السيد المسيح المقدس ، ويعيش فيه أبناء الروس المتطوعون ، وكان بينهم في ذلك الوقت أشخاص من نوڤگورود وكييان : سيديسلاڤ إيڤانوڤ ، وگورودیسلاڤ ميخائيلوڤيچ ، وكاشكيچاچا ، وآخرين كثيرين ، التقيت بهم وتكلم بعضنا مع البعض ، أنا الضعيف »[2].

وتشهد رحلة دانييل بدون شك على تزايد الاهتمام بالبلدان البعيدة في روسيا القديمة . وذكرياته الشخصية ترمز إلى الروح الوطنية التي كان يتحلى بها . ففي البلدان والأقطار النائية كان يحس في أعماق قلبه بأنه ممثل الأرض الروسية جميعها . وحصيلة هذا الإحساس كما ذكر هو نفسه تتجلى في أن العرب والصليبيين كانوا يهتمون به ويرعونه بشكل خاص .

وإننا لا نعلم عن أية رحلة إلى الشرق خلال القرن الثاني عشر بأجمعه عدا « مسيرة » دانييل ، ومع ذلك لقد قام المواطنون الروس برحلات مشابهة أكثر من مرة ، فهناك إشارات ومعلومات عن تلك الرحلات في مجموعة من الكتب ، والمصنفات ، والمدونات ، والسجلات القديمة .

## رحلة دوبرينيا يادرييكوڤيچ ( أنتوني )

كانت لقصة زيارة دوبرينيا يادرييكوڤيچ وهو من مدينة نوڤگورود إلى القسطنطينية أهمية كبيرة للغاية ، وهي محفوظة في مجموعة من الكتب والمصنفات

(١) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

الروسية . إن دوبرينيا يادرييكوڤيچ الذي أصبح فيما بعد رئيس أساقفة نوڤگورود وحمل اسم أنتوني قد عاش في القسطنطينية منذ سنة ١٢٠٠ وحتى سنة ١٢٠٤ الميلادية . ثم كتب عن رحلته بعد دخوله في الرهبنة وانتخابه رئيساً للأساقفة في سنة ١٢١٢[١] .

لم يكتب المؤلف أي شيء عن الطريق الذي سلكه إلى القسطنطينية ، إلاّ أن المرء يجد في « كتاب الحجيج » وصفاً للمدينة ، أو بعبارة أدق وصفاً للأماكن المقدسة ، والكنائس فيها في الفترة التي سبقت احتلال الصليبيين للمدينة في نيسان سنة ١٢٠٤ . أما المعلومات التي يوردها المؤلف وهو شاهد عيان عن معبد صوفيا وكنوزه فهي قيمة جداً ، خصوصاً لأن الصليبيين قد نهبوا المدينة بعد ذلك . وكانت المعلومات المفصلة والوصف المقتضب للمدينة قد جلبت انتباه الآثاريين ودفعتهم إلى ترجمة الكتاب إلى اللغتين الفرنسية واللاتينية .

أما المظاهر التي أذهلت السائح في المدينة بصورة خاصة فهي ميدان سباق الخيل ، والحمامات ، وقنوات المياه : « وحمام البطارقة ، والمياه التي تجري في القنوات ، والمياه الأخرى التي تستحصل من المطر »[٢] . ويشير دوبرينيا أيضاً إلى « سوق الخيول » أي ساحة قسطنطين ، ويذكر مدينتي خريسوپول وكاليپول ( غاليبولي أو چناق قلعه ) عدة مرات ، غير أنه من الصعب التأكد من أنه زار المدينتين بنفسه أو انه يصف الأماكن المقدسة فيهما عن لسان الآخرين .

ولا شك أن رحلة دوبرينيا يادرييكوڤيچ ممتعة ومهمة من حيث التفاصيل والجزئيات ، وهي إضافة جيدة على المعلومات القديمة الأولى عن العلاقات بين روسيا القديمة وبيزنطية . وإنه يقول بأنه شاهد في كاتدرائية صوفيا أواني وصحوناً من الذهب وهي مهداة من الأميرة أولگا إلى المعبد الذي تم فيه تعميدها ، ويتكلم عن الأشخاص الذين التقى بهم وهم يعملون في سفارة الروس في عهد الأمير الكبير

---

(١) « كتاب الحجيج ـ ذكر الأماكن المقدسة في تساريگراد من قبل أنتوني ، رئيس أساقفة نوڤگورود في سنة ١٢٠٠ الميلادية » ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد خ . م . لوباريڤ ، المجلد ١٧ ، النشرة ٣ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٩٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣ .

رومان ( گاليتسكي ) في القسطنطينية[1]. وعن السفارة نفسها في عهد رومان مستيسلاڤوڤيچ گاليتسكي التي كانت تدافع عن الأمبراطورية الإغريقية من هجمات البولوڤتسيين[*] في فراكيا في سنة ١٢٠٣ . لا وجود لمثل هذه المعلومات الفريدة في أي مصدر آخر .

## فترة ركود الرحلات

وصل إلينا أثر مدون آخر في الربع الأول من القرن الثالث عشر ، وهو عبارة عن وصف لرحلة أسقف منطقة كييڤ ـ پيچيرسكي دوسيفي إلى أيون[2]

ولا وجود لأية أخبار في المصادر المدونة عن رحلات قام بها الروس إلى الشرق خلال القرن ونصف القرن القادم . وكانت هذه الفترة حقبة قاسية حيث كان الغزو المغولي ـ التاتاري ضد روسيا القديمة في أوجه ، وكان الصليبيون قد احتلوا بيزنطية ، وبرغم ذلك وردت في المصنفات والمدونات التاريخية لتلك الفترة معلومات وحقائق تشهد على قيام طائفة من رجال الدين برحلات إلى الشرق أكثر من مرة .

وفيما عدا رحلات رجال الكنيسة فقد توجه بعض الناس إلى « الأرض المقدسة » من غير رجال الدين .

## رحلة گريگوري وستيفان

كان الكاهن گريكوري من بين حجاج الفترة الواقعة بين نهاية القرن الثالث عشر ، وبداية القرن الرابع عشر ، وقد عين فيما بعد رئيساً لأساقفة نوفگورود واشتهر باسم ڤاسيلي[3]. وهناك شخص آخر وهو من نوفگورود أيضاً

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣ .

(*) البولوڤتسيون : شعب قديم من أصل تركي ، كانت قبائله تحط رحالها في المناطق الجنوبية الشرقية لأوروپا في القرن الحادي عشر وحتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ( المترجم ) .

(٢) « تاريخ الكنيسة الروسية لرئيس أساقفة خاركوڤ ماكاري » ، المجلد ٣ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٦٨ ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٣ .

(٣) ل. مايكوڤ ، مصادر ومراجعات في الأدب الروسي القديم ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٩٠ ، ص ٤٢ .

اسمه ستيفان زار القسطنطينية مع سبعة من رفاقه في سنة ١٣٥٠ الميلادية تقريباً[١] . ولم يكن اهتمام ستيفان بالأماكن المقدرسة كبيراً بخلاف الحجاج الذين سبقوه ، في حين كانت الآثار الفنية ، والحمامات ، والأسواق التجارية ، وميادين المدينة قد جلبت إنتباهه أكثر من أي شيء آخر .

ويبدأ ستيفان وصفه لمدينة القسطنطينية من نصب جوستينيان ومعبد صوفيا . ويذكر بأنه التقى برئيس الأساقفة إيسيدور وتحدث معه ، وقد قال له رئيس الأساقفة بأنه « يحب الروس كثيراً » . وكان للميناء تأثيره الكبير على ستيفان النوڤگورودي ، وكذلك الأسطول البيزنطي : « تقف هناك بوابة عجيبة كبيرة حديدية متشابكة وعظيمة جداً ، ومن خلال تلك البوابة يتوغل البحر إلى داخل المدينة ، وإذا ما حدث وهاج البحر فإن عدداً من السفن الكاتارخ يصل عددها إلى الثلاثمائة تتجمع فيه ، وهناك سفن يصل عدد مجاديفها إلى ماءتي مجداف وأخرى ثلاثمائة مجاديف ، وتسير العساكر في البحر بوساطة تلك السفن ، وعندما تهب الرياح فإنها لا تستطيع الهرب لأن الرياح ستجرفها ، لذلك تعمد السفن إلى انتظار الطقس الملائم »[٢] .

وإننا نجد في « رحلة » ستيفان أخباراً ومعلومات جديرة بالاهتمام تشير إلى أنهم كانوا يرسلون من دير ستودي كتباً كثيرة ومتنوعة إلى روسيا . وعندما يتكلم عن لقائه في الدير مع أبناء بلده من مدينة نوڤگورود إيڤان ودوبريلا يقول السائح أنهم : « يعيشون في الوقت الحاضر هناك ، يقومون باستنساخ الكتاب المقدس في دير ستودي ، وهم كتّاب ماهرون في تحرير واستنساخ الكتب » ولا نشك بأن استنساخ الكتب ، ومن المحتمل ترجمتها إلى اللغة الروسية أيضاً ، قد بدأ في القسطنطينية في وقت مبكر جداً وقبل تلك الفترة .

## رحلة أگريفيني

ترجع « رحلة » أرشمندريت ( رئيس أساقفة ) سمولينسك أگريفيني

---

(١) إ . ساخاروڤ ، قصص وأساطير الشعب الروسي ، المجلد ٢ ، الكتاب ٨ « رحلة ستيفان النوڤگورودي » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٩ ، ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

( أوگريفيني ) إلى النصف الثاني من القرن الرابع عشر ( على ما يبدو في السبعينيات)[1] . بدأ أگريفيني رحلته من موسكو وخلال مدينة تڤير وصل إلى مدينة أكيرمان ( بيلگورود ) بعد مضي وقت قصير ، ثم دخل القسطنطينية . ولقد زار الرحال الاسكندرية ، والقاهرة ، ودمشق ، ومدينة القدس ، وانطاكيا . فهو لا يصف المدن ، غير أنه يدلي بمعلومات عن الزراعة ، فعلى سبيل المثال يذكر بأنه في جزيرة ستيخيا ( خيوس ) « يوجد المستكي ، وأما في جزيرة قبرص فهناك سكر كثير . ويقول عن الرملة بأنها « قرية كبيرة ، والتجارة فيها مزدهرة » ، أما في الجليل « يزرعون الحنطة والشعير في بساتين أشجار الزيتون واللوز » ، ويذكر وادي الأردن فيقول : « تزرع أنواع كثيرة من الخضار ، وتفاح الجنة ، والبطيخ ، والنارنج ، والشوندر » وبالقرب من حبرون ( مدينة الخليل ) في فلسطين يقوم العرب بصناعة الأنواع المختلفة من الزجاج .

## رحلة ميتياي وپيمين

تشير المصنفات والمدونات والسجلات إلى أنه كان قد تقرر قيام رجال الدين برحلة إلى الشرق في الفترة الواقعة بين سنة ١٣٧٦ وسنة ١٣٨٩ الميلاديتين بعد موت المطران اليكسي لغرض حل قضية الترشيح لمطرانية موسكو .

توجه ميتياي إلى القسطنطينية في سنة ١٣٧٩[2] ، غير أنه توفي في الطريق بين كافا وعاصمة البيزنطيين . وكان يصحبه پيمين الذي عين فيما بعد ( سنة ١٣٨٣ الميلادية ) مطراناً لموسكو . وقد سافر پيمين إلى القسطنطينية مرتين أخريين ، في سنة ١٣٨٥ وسنة ١٣٨٩[3] . إلاّ أنه توفي في أثناء رحلته الأخيرة ، والشيء الذي يتصل

---

(١) « رحلة الأرشمندريت » ( رئيس الأساقفة ) أگريفيني حوالي سنة ١٣٧٠ الميلادية » ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد رئيس الأساقفة ليونيد ، المجلد ١٦ ، النشرة ٣ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٩٦ .

(٢) « المجموعة الكاملة للمدونات الروسية » ( مدونات البعث والنشر ) ، المجلد ٨ ، ص ٣٠ - ٣٢ . كان ترشيح ميتياي للقيام بهذه الرحلة قد تم بمساندة الأمير الكبير ، وصاحبته حاشية كبيرة تتألف من مجموعة من المطارنة ورؤساء الأديرة ، وكذلك جميع العاملين في كاتدرائية ڤلاديميرسك وعدد كبير من الخدم .

(٣) « المجموعة الكاملة للمدونات الروسية » ( المدونة النوڤگورودية الرابعة ) ، المجلد ٤ ، ص ٩١ و٩٦ .

برحلته ويميزه عن الآخرين هو أثره المسمى « مسيرة پيمين » ، وهي مشهورة جداً في الأدبيات ، وقد ألفه أحد رجال سفارة پيمين ايگناتي الملقب بالسمولني ( السمولينسكي ) ، وقد وصف الرحلة إلى بيزنطية ، وكتب عن زيارته وحجه لمدينة القدس .

## رحلة ايگناتي ( سمولنيانين )

تشتمل مذكرات ايگناتي السمولينسكي[1] على عدة فصول منها : مذكرات مسافر من موسكو إلى القسطنطينية ، وحكاية عن أمورات ( التي لم تذكر في كل القوائم والتي لا تعود على ما يبدو إلى إيگناتي ) ، وصف مراسيم تتويج الأمبراطور مانوئيل ، ومعلومات عن الرحلة إلى « الأرض المقدسة » .

كانت البعثة قد خرجت من موسكو في ١٣ نيسان سنة ١٣٨٩ . وسلكت طريق نهري أوكا ودون ، فوصل المسافرون إلى آزوف ، ثم دخلوا القسطنطينية في ٢٩ حزيران . وعندما كانوا في البحر الأسود هبت عاصفة قوية فاضطرت السفينة أن تدخل ميناء سينوپ ( إنجه بُرون ـ م.خ. ) للتخلص من مفعول العواصف : « وهبت كذلك في اليوم الخامس ، وكان يوم الخميس الرياح الشديدة بوجهنا ، فدفعتنا في البحر إلى الجانب الأيسر حيث مدينة سينوپ ، ودفعتنا مرة أخرى إلى اليمين بالقرب من سينوپ . . . إستقبلنا الناس في مدينة سينوپ ، وقاموا بزيارتنا ، وقدموا لنا الأطعمة والخمر الطيب ، وقد بقينا هناك مدة يومين »[2] .

وهكذا لأول مرة يصف سائح روسي سواحل آسيا الصغرى .

وسلك المسافرون بعد ذلك الطريق بمحاذاة الساحل في أسفارهم . وكانت سلسلة جبال طوروس تمتد في الجانب الأيسر منهم وفي الجهة الجنوبية ، فيقول عنها إيگناتي : « كانت هناك جبال عالية جداً ، وكان نصفها مغطى بالغيوم التي كانت

(١) إ . ساخاروڤ ، قصص وأساطير الشعب الروسي ، المجلد ٦ ، الكتاب ٨ ، « رحلة الشماس الإنجيلي ايگناتي إلى تساريگراد ( القسطنطينية ) ومدينة القدس » سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٨ .

تسبح في الفضاء »[1] . فاضطر المسافرون في طريقهم من سينوپ أن يقيموا خمسة عشر يوماً في پانديراكلي ( ايركلي أو زونگل داغ ) بسبب هبوب الرياح والعواصف ، وأخيراً وبعد توقف قصير في مصب نهر سقاريا وصلوا إلى استراڤيا بالقرب من البوسفور . ومن أستراڤيا استمروا في السفر بمحاذاة ريڤ وفيلي حتى دخلوا البوسفور . ثم يصف إيگناتي زيارته لتساريگورود ( القسطنطينية ) . ويتحدث قبل كل شيء عن لقائه بالروس الذين كانوا يعيشون هناك : « . . . إستقبلنا الروس الذين يعيشون هناك ، وقاموا بزيارتنا ، فكان هذا اللقاء مبعثاً لسعادة كبيرة للجانبين »[2] . يقول الأكاديمي م . ن . تيخوميروڤ عن هذا اللقاء : « كانت الجالية الروسية في القرن الرابع عشر الميلادي كما اعتقد تسكن في القسم الشمالي من القسطنطينية بالقرب من القرن الذهبي »[3] .

ومن المرجع أن هذا اللقاء مع الضيوف الموسكوبيين لم ينظمه رجال الدين ، وإنما الرجال الاعتياديين الآخرين ، ومن الممكن أن التجار هم الذين نظموا هذا اللقاء أولئك الذين لم يقطعوا علاقاتهم مع الوطن في ذلك الحين .

وقد ذكر إيكناتي بعض المعلومات عن الأحداث التي جرت في عاصمة البيزنطيين في ذلك الوقت ، وبصورة خاصة عن الصدامات التي حدثت بين جهتين متخاصمتين : الأمبراطور يوآن وابنه مانوئيل . ولم يغب عن باله أن يذكر بأن يوآن ( وهو يسميه كولوآن ابن أندرونيك ) « بدأ بالبحث عن الملك في تساريگورد ( القسطنطينية ) بمساعدة الترك » . وإن هذه شهادة قيمة جداً تجسد الوضع في بيزنطية عندما كانت بعض الطوائف تحاول الاعتماد على الترك .

ووصف إيگناتي بصورة مفصلة مراسيم احتفال تتويج مانوئيل في معبد صوفيا ، وهو يذكر بأن النساء في المعبد كن مجتمعات لوحدهن وبعيدات عن الرجال ، ويتحدث بشكل مفصل ودقيق عن ملابس البيزنطيين والأجانب الذين

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(٣) م . ن . تيخوميروڤ ، بيزنطية وروسيا الموسكوبية ، « المجلة التاريخية » ، العدد ١ ـ ٢ ، ١٩٤٥ ، ص ٩ .

حضروا مراسيم التتويج ، وعن موكب الملك الذي دام ثلاث ساعات . . الخ .

هذا وأما عن رحلته إلى مدينة القدس فلم يتحدث إيگناتي عنها بشيء من التفصيل ، ووصفه للمعالم والآثار الدينية ليس له أية أهمية تذكر .

## العلاقات بين الأمراء الروس وبيزنطية

كان الناس في القرن الرابع عشر الميلادي في روسيا يعرفون أشياء كثيرة ولهم إطلاع واسع عن البلدان الشرقية ليس عن طريق السماع والحكاية فحسب وإنما كانوا يلتقطون المعلومات من أحاديث الرحالة والمسافرين أنفسهم الذين زاروا تلك الأصقاع . وكان أمراء موسكو على علم بالوضع السيء الذي كان يعيشه الأباطرة البيزنطيون الذين لم تعد سلطتهم الموهومة حتى نهاية القرن الرابع تشمل في واقع الأمر إلاّ مدينة القسطنطينية فقط . أما الحصار الذي ضربه بايزيد على بيزنطية فكان معروفاً لدى الجميع . وفي هذه الفترة القاسية لبيزنطية بعث الأمير الكبير ديمتري ايڤانوڤيچ في سنة ١٣٩٨ بصحبة الراهب رووديون أوسليبياتيا مقادير كبيرة من الفضة ( يقصد النقود والعملات الفضية ـ م.خ.) إلى الأمبراطور . كما وبعث إليه أمير مدينة تڤير ميخائيل اليكساندروڤيچ النقود مع الراهب الأقدم دانييل[1] .

وترجع « حكاية » ييپيغاني عن الرحلة إلى مدينة القدس[2] إلى نهاية القرن الرابع عشر أو بداية القرن الخامس عشر .

## زواج ملكي

وردت في أحد المصنفات أخبار عن هزيمة الترك بيد تيمور في مشارف أنقره في

---

(١) « المجموعة الكاملة للمدونات الروسية » ( مدونة صوفيا الثانية ) ، المجلد ٦ ، ص ١٣٠ . ( ان هذا الراهب هو غير رئيس الدير الرحال دانييل الذي مر ذكره ـ المترجم )

(٢) يتطرق س . بونوماريوڤ إلى هذه القصة في مقال له في مجموعة قسم اللغة الروسية وآدابها ، المجلد ١٧ ، العدد ٢ ، من منشورات أكاديمية العلوم ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٧ ، ص ٥ .

سنة ١٤٠٢ الميلادية : « وفي نفس السنة (٦٩٠٩) أرسل الملك تيمور أكساك ابنه للقتال إلى تساريگراد ( القسطنطينية ) ، وقد قاتل الترك ثم رجع إلى بلاده »[١] .

وكانت الحروب التي استغرقت خمسين سنة في مشارف أنقرة قد أرجأت في الواقع سقوط بيزنطية ، ومع ذلك ظل وضعها صعباً للغاية . لذلك كان توثيق العلاقات بين روسيا والأباطرة البيزنطيين من القضايا الملحة . وكان أحد مظاهر توثيق هذه العلاقة كما يقول مصنف المذكرات زواج الأمير إيڤان مانوييلوڤيچ ابن الأمبراطور مانوييل پاليولوگ بابنة الأمير الكبير ڤاسيلي ديميتريڤيچ المسماة آنّا : « قدّم الأمير الكبير ڤاسيلي ديميتريڤيچ ابنته آنّا من تساريگراد إلى ابن القيصر إيڤان مانوييلوڤيچ »[٢] . ويعيد ن.م. كارامزين في ضوء الأخبار والمعلومات البيزنطية تاريخ هذا الزواج إلى سنة ١٤١٤ الميلادية[٣] .

## رحلة زوسيما

كان راهب دير ترويتسه ـ سيرگييڤسكي المدعو زوسيما ضمن الحاشية المرافقة لآنّا إلى القسطنطينية . وكان الرجل يقوم برحلته الأولى إلى الشرق ، أما رحلته الثانية[٤] فكانت في سنتي ١٤١٩ ـ ١٤٢٠ الميلاديتين ، وقد تم الاحتفاظ بأخبارها فيما بعد .

والطريق الذي سلكه زوسيما يبدأ من موسكو إلى كييڤ ، ثم إلى أكيرمان ، وعن طريق البحر وصل إلى القسطنطينية . ثم توجه زوسيما بعد ذلك إلى أيون ، وزار خيوس ، وپاتموس ، وفي نيسان سنة ١٤٢٠ الميلادية وصل إلى مدينة القدس . وبعد سنة عاد إلى القسطنطينية ثانية ، وأقام فيها بضعة أشهر . والجدير بالملاحظة هو أن

---

(١) « المجموعة الكاملة للمدونات الروسية » ( مدونة صوفيا الثانية ) ، المجلد ٦ ، ص ١٣١ .

(٢) « المجموعة الكاملة للمدونات الروسية » ( مدونة نوڤگورود ) ، المجلد ٤ ، ص ١١٣ .

(٣) ن.م. كارافرين ، تاريخ الدولة الروسية ، ص ٥ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨١٧ ، ص ٢١٧ ، ٤٩٣ ( الهامش ٢٣١ ) .

(٤) « مسيرة الراهب زوسيما » ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد خ.م. لوباريڤ ، المجلد ٨ ، النشرة ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٩ .

الرحال زوسيما هو السائح الروسي الأخير الذي ترك وصفاً للقسطنطينية في فترة حكم الأباطرة البيزنطيين .

والسائح زوسيما لا يصف « الأماكن المقدسة » فحسب ، وإنما يصف مظاهر كثيرة أخرى من آثار ومعالم تساريگورود ( القسطنطينية ) : يتكلم عن نصب جوستينيان وهو في هيئة فارس ، وعن ميدان سباق الخيل ، والنصب الحلزوني النحاسي ذو رؤوس تجسد شكل الأفاعي . ويشير إلى أن : « تساريگورد تتكون من ثلاث زوايا ، ومن سورين في جانب البحر ، والثالث في الجانب الغربي ، وهي مدرجة ومتينة »[1] . وفي الجهة المقابلة « مكان يسمى بأسكودار » يقع فيه سوق تجاري « يأتي إليه الأتراك وأناس من أقطار أخرى كاليونانيين والفريازوفيين ويتاجرون بعضهم مع البعض الآخر »[2] . فالإشارة الأخيرة تشهد على وجود العلاقات التجارية بين سكان بيزنطية والأتراك ، وعلى أن البيزنطيين كانوا يتجنبون السماح للترك بالدخول إلى القسطنطينية للمتاجرة .

ويصف زوسيما جزيرة مرمرة في طريقه إلى أيون : « يحصل أهالي تساريگراد ( القسطنطينية ) على المرمر في تلك الجزيرة ، ثم يقطعونه ويشذبونه ، ويزينون به أرضيه الكنائس والقصور في تساريگراد »[3] .

ومن بين الأسماء التي يعددها يذكر اسم اثنين وعشرين ديراً في أيون ، ومن بينها دير روسي باسم پانتپلييموس المقدس . وبعد زيارة زوسيما لسالونيك توجه إلى مدينة القدس .

عانى السائح صعوبات كبيرة في سيره من سواحل فلسطين إلى مدينة القدس ، وتعرض لغارات العرب أكثر من مرة . ثم سافر زوسيما من مدينة القدس إلى يافا ، وتوجه من هناك عن طريق البحر إلى قبرص ، وكانت عاصمتها « مدينة كبيرة وهي

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٣) من المعلوم أن وجود المرمر ( الرخام ) الأبيض منذ أقدم الأزمنة في جزيرة مرمرة قد منح الاسم إلى الجزيرة وإلى البحر في آن واحد .

العاصمة ليڤكوسيا ( يقصد نيكوسيا ـ م.خ ) » . كان يدير الجزيرة « أمير كاثوليكي أجنبي » .

وتعرضت السفينة التي كان على متنها زوسيما إلى هجوم القراصنة في طريقها إلى جزيرة ليسبوس . ونهبوا زوسيما نفسه « وقد بقي في ملابسه الداخلية فقط » . ومن ليسبوس توجه إلى تساريگراد ، ومن هناك عاد إلى الوطن . ولم يذكر شيئاً عن المرحلة الأخيرة من رحلته .

وتوضح « مسيرة » زوسيما الاهتمامات المتنوعة والمختلفة للرحال الروسي . فهو يتكلم عن جمع الضرائب على الحدود ، ويذكر أخباراً ومعلومات ذات طابع تاريخي ، ويتوقف عند مناسك وطقوس الديانة المسيحية ، فيقول بهذا الصدد : « لقد شاهدنا أرضاً وجبالاً لم نسمع عنها من الناس ، ولم توصف في الكتب ، ومررنا بسواحل بحار كثيرة » . ويمكن للمرء أن يستنتج من هذا بأن الطريق إلى فلسطين في القرن الخامس عشر كان معروفاً لأجدادنا عن طريق الكتب . وفي أثناء الرحلة كانوا يحاولون زيارة الأماكن التي قرأوا عنها في الكتب ، واهتموا بجغرافية تلك الأصقاع التي كانت تتصل بالأساطير المتعلقة بحياة المسيح في الأرض[1] . وكان قد سافر مع زوسيما جماعة من التجار من كييڤ عن طريق نهر بوگ ودنيستر إلى ڤالاكيا ، ثم إلى البحر الأسود . وقد استمرت الرحلات بعد ذلك إلى القسطنطينية وكانت كثيرة جداً لأمور تتعلق بالمطرانية ، ولم تتوقف إلاّ في الوقت الذي سيطر فيه الترك على المدينة .

## رحلة ڤاسيلي

وردت أخبار احتلال مدينة تساريگراد ( القسطنطينية ) بصورة وافية ومفصلة في كتاب نيستور اسكندر المسمى « قصة الاستيلاء على تساريگراد » ، وقد كتبه بدون شك شاهد عيان[2] . ومن المؤكد أن استيلاء الترك على القسطنطينية لم

---

(١) إ.د . بيلياييڤ ، حول المعلومات والأخبار الجغرافية في روسيا القديمة ، « نشرة الجمعية الجغرافية الروسية » ، الكتاب ٦ ، ١٨٥٢ ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٢) « المجموعة الكاملة للمدونات الروسية » ( مدونات البعث والنشر ) ، المجلد ٨ ، ص ١٢٨ ـ ١٤٤ ؛ آثار الكتابات القديمة والفن . « قصة عن تساريگراد ( قصة تأسيسها واستيلاء الترك عليها في سنة

يضعف وإنما دفع موسكو إلى الاهتمام بالشرق بصورة أكثر ، وأدرك الروس بشكل واضح وجلي مدى المخاطر التي يشكلها عدوان الدولة التركية على روسيا . وقد حدث هذا الأمر فعلاً حينما ضمت تركيا القرم إلى أراضيها وأخضعتها لسلطتها في سنة ١٤٧٥ .

ولم يقتصر الاهتمام بالشرق على موسكو الرسمية ، وإنما أبدت الأوساط الدينية ورجال المال والتجار الاهتمام نفسه أيضاً . وهكذا كان الروس يسافرون إلى تركيا قبل مدة طويلة من إقامة العلاقات الديبلوماسية . ولقد وصلنا وصف رحلة الزائر ڤاسيلي وهو دليل على وجود تجارة مزدهرة مع المناطق الداخلية لآسيا الصغرى . وكان الزائر ڤاسيلي[1] قد توجه إلى تساريگراد ( القسطنطينية ) ، وبروسة في سنتي ١٤٦٥ - ١٤٦١ ومرّ بآسيا الصغرى ، وفلسطين ، فوصل إلى القاهرة بعد مائة يوم من خروجه من بروسه[2].

وتوجه من القاهرة إلى مدينة القدس ، ثم عاد إلى بروسة ثانية ؛ ومرّ في طريقه بحلب ، وانطاكيا ، وأدنه ، وايريگلي ، وقونيه ، وآق شهر ، وقره حصار ، والطريق الذي سلكه فاسيلي لم يكن معروفاً لأي رحال روسي من قبل . وبهذا الشكل وخلال ثمانية أشهر من التجوال والاسفار زار وأقام ڤاسيلي في جميع مدن آسيا الصغرى تقريباً . وقد وصف مواقعها ، وأنهارها ، وشبكات قنوات الري فيها ، وحماماتها ، وأسواقها التجارية ، وخاناتها ( كاروان سراي ) . وكانت تحصينات المدن من أكثر المظاهر التي جلبت اهتمامه ، منها : الأسوار ، والبوابات الحديدية ، وساحات الرمي ، والخنادق وما شابه ذلك . . . ويشير ڤاسيلي إلى سكان المدن التي مرّ بها كذلك . وهكذا وعلى سبيل المثال يذكر بأنه يعيش في مدينتي طرطوس وميرزوڤان

---

١٤٥٣ ) نيستور اسكندر في القرن الخامس عشر » ، من أخبار أرشمندريت ( رئيس الأساقفة ) ليونيد ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٦ .

(١) « مسيرة الزائر ڤاسيلي ١٤٦٥ - ١٤٦٦ » ، مجموعة فلسطين الأرثوذكسية ، إعداد رئيس الأساقفة ليونيد ، المجلد ٢ ، النشرة ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٤ .

(٢) امتد طريقه خلال المدن : بروسة ، ويني شهر ، وبولا ، وتوسيا ،وعثيانعيك ، وميرزوڤان ، وأماسيا ، وتورخال ، وتوكات ، وسيواس ، وعينتاب ، وحلب ، وحماة ، وحمص ، ودمشق ، والرملة ، وغزة ، والقاهرة .

عدد كبير من الأرمن وقليل من الترك . أما في سيواس « فيعيش المسيحيون[1] والأرمن ، غير أن عدد الترك قليل . . . وأما في مدينة حماة فعدد المسيحيين كبير . . . وفي مدينة حمص يعيش عدد قليل من العرب في حين يكثر عدد المسيحيين فيها » .

ويصف ڤاسيلي بأسلوب معبر بهيج المنظر الخارجي للمدن : « تقع مدينة أماسيا على الجبال ، وهي جبال عالية جداً ، فيها سبع مدن متحدة تؤلف مدينة واحدة ، وحول الجبال هنالك سبع مدن أخرى ، وهذه المدن كبيرة جداً ، فيها نهر كبير يجري بمحاذاة السور ، وتحصل بيوت المدينة كلها على الماء من ذلك النهر الذي تدور الدواليب عليه وهي توزع الماء . . . »[2] .

ثم يقول ڤاسيلي عن مدينة عينتاب : « تقع هذه المدينة في أرض سهلة منبسطة ، وتنتصب الجبال العالية حولها كالحائط المبني من الصخور ، وفيها ثلاث بوابات حديدية ، وتتركز التحصينات فيها على الجدران الضخمة ، أما أحياء المدينة وقطاعاتها فهي كبيرة ، والقصور والحمامات كثيرة وجيدة ، والتجارة واسعة ومزدهرة »[3] . وأما مدينة حلب فهي كبيرة إلى حد كانت تُرى على بعد مسيرة ثلاثة أيام .

وعندما يصف الشام ( دمشق ) يخطأ الرحال في تسمية النهر الذي يجري داخل المدينة ، ولا يسميه بردى وإنما الفرات : « إن نهر الفرات نهر عظيم وهو يجري أمام جميع الدور ، والمنازل ، والحوانيت ، وكذلك أمام الشوارع ، والخانات ، وهو يجري بالقرب من القرى والحقول . وهناك في المدينة حوانيت كثيرة ، وحمامات جمة ، والتجارة فيها مزدهرة »[4] .

وقد أدهشت مدينة القاهرة فاسيلي بضخامتها وكبرها : « إن مصر ( القاهرة ) مدينة كبيرة جداً ، فيها ١٤ ألف شارع ، وفي كل شارع بوابتان ، وميدانان للرماية ،

---

(١) نعتقد بأن الرحال ڤاسيلي يقصد بالمسيحيين الإغريق الأرثوذوكسيين .

(٢) « مسيرة الزائر ڤاسيلي ١٤٦٥ ـ ١٤٦٦ » ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية » إعداد رئيس الأساقفة ليونيد ، المجلد ٢ ، النشرة ٣ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٨٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣ ـ ٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٦ .

وكذلك حارسان يشعلان زيت القناديل ، وفي بعض الشوارع يقدر عدد المنازل بخمسة عشر ألف منزل ، وفي شوارع أخرى يبلغ العدد ثمانية عشر ألف دار ، وفي كل شارع سوق تجاري كبير ، والشوارع منعزلة بعضها على البعض الآخر ، ولا يعرف شارع عما يجاوره شيئاً »[1] .

ولرحلة ڤاسيلي أهمية كبيرة لأن السائح مرّ بجميع أنحاء آسيا الصغرى ، ووصف بإيجاز المناظر الخارجية لكافة المدن التي قام بزيارتها أو أقام فيها ، غير أنه تطرق إلى التركيب الداخلي للمدن بدرجة أقل . ويتناول أيضاً الحياة الاجتماعية ، والحالة الاقتصادية للمدن التي مرّ بها .

## رحلة ڤارسونوفي

قام الراهب ڤارسونوفي في منتصف القرن الخامس عشر برحلتين إلى الشرق ( في سنة ١٤٥٦ ، وفي سنتي ١٤٦١ - ١٤٦٢ ) . فقد زار القسطنطينية ، وفلسطين ، ومصر ، وجبل سيناء[2] .

وكان اهتمام ڤارسونوفي بصورة أساسية بالمواقع التي لها صلة بالأساطير المسيحية . فهو يبحث ويدرس طوبوغرافية مدينة القدس والقاهرة ، ويتناول أحياناً عالم الطبيعة ، وعالم الحيوان بالوصف . وهكذا وعلى سبيل المثال يقول عن شجرة النخيل : « رأيت أشجاراً تثمر شيئاً عذباً عجيباً ، كما ورأيت أشجاراً أخرى لم أتمكن من معرفة أسمائها » . ويتكلم عن « حيوان ليوت » الذي شاهده بنفسه ( كان هذا الحيوان هو التمساح على ما نظن ) .

خرج ڤارسونوفي في رحلته الأولى من كييڤ وعن طريق بيلگورود ( دنيستروڤسكي ) فوصل إلى تساريگراد ، ثم توجه إلى كريت ، ورودوس ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨ .

(٢) « مسيرة الراهب ڤارسونوفي إلى المدينة المقدسة أورشليم في ١٤٥٦ و١٤٦١ - ١٤٦٢ » ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد س . و . دولگوف ، المجلد ١٥ ، النشرة ٣ ، موسكو ، ١٨٩٦ .

وقبرص ، ولاوديكيا ، وطرابلس ، وبيروت ، ودمشق . ومن دمشق سافر إلى مدينة القدس ، واللد ، والرملة « حيث يعيش فيها عدد كبير من الناس : السريان ، والمسيحيين ، والآثوريين ، والإغريق الأرثوذوكس ، والمسلمين » . أقام ڤارسونوفي في مدينة القدس مدة شهرين .

وبعد مرور خمس سنوات قام ڤارسونوفي برحلته الثانية إلى الشرق . وعن طريق بيلگورود ، وتساريگراد ، وغاليبولي ، وكريت ، ورودوس ، وقبرص وصل ڤارسونوفي إلى مدينة دمياط ، ثم صعد مع مجرى النيل حتى وصل إلى القاهرة حيث عاش فيها ستة أسابيع : « ان مدينة مصر الكبيرة تقع على أرض منبسطة بالقرب من جبل ، وإن عرض المدينة ميلان ، وطولها ١٢ ميلاً . ويجري فيها نهر هو من أنهار الجنة ، النيل الذهبي ، وللنهر اسم آخر هو گيون »[1] . ثم توجه ڤارسونوفي من القاهرة إلى سيناء .

ويعتبر ڤارسونوفي أول سائح روسي يدخل سيناء . ويصف طريقه من القاهرة إلى سيناء على النحو التالي : « وعند مسالك جبل سيناء ، كان المرء يشاهد مجموعة كبيرة من القوافل تقدر بعشرة آلاف جمل ، وناساً كثيرين . وقد استغرقت المسيرة خمسة عشر يوماً » . والملاحظ أن ڤارسونوفي لا يبالغ في عدد القوافل ، فقد ذكرت طائفة كبيرة من الرحالة والسياح الغربيين مثل هذه الأعداد الضخمة للقوافل أيضاً .

## رحلة أفاناسي نيكيتين

زار القسم الشمالي الشرقي من آسيا الصغرى أفاناسي نيكيتين وهو من مدينة تڤير . قام برحلته الشهيرة المعروفة باسم « مسيرة في ما وراء البحار الثلاثة » ، ففي طريق عودته من الهند عرج على مدينة تبريز . وكانت المدينة في ذلك الوقت مركزاً قديماً لالتقاء طرق القوافل وأكبر مركز لتجارة القوافل في الشرق الأدنى ، وكانت تبريز في ذلك الوقت من ممتلكات أوزون حسن ، أو حسن بك رئيس القبائل التركمانية آق قوينلو . ويذكر أفاناسي نيكيتين بأنه توجه من تبريز إلى أورطة ( مركز دولة ـ م.خ. )

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٩ ( بالأرقام الرومانية ) .

حسن بك ، وذلك لأنه لم يكن هناك طريق آخر ، و« قد أرسل حسن بك على سلطان الترك من عساكره أربعين ألفاً فاستولوا على مدينة سيواس ، وكذلك سيطروا على توكات وأحرقوها ، واستولوا على أماسيا ونهبوا فيها قرى كثيرة » . ثم خرج من الأورطة ، وعن طريق أرزنجان توجه أفاناسي نيكيتين إلى طرابزون[1] وهي تقع تحت سلطة الترك العثمانيين الذين كانوا في عداء وخصام مع القبائل التركمانية آق قونيلو . ثم توجه السائح من طرابزون عن طريق البحر إلى كافا ، وبعد خمسة أيام من الإبحار بلغ رأس ڤاناد ، غير أن العواصف الشديدة أرغمته على العودة إلى پالاتان حيث مكث فيها خمسة عشر يوماً .

وهكذا نلاحظ أن الروس زاروا حتى نهاية القرن الخامس عشر الكثير من بلدان الشرق الأدنى ، فجمعوا عنها معلومات وأخباراً لا يستهان بها . غير أن معلوماتهم عن آسيا الصغرى ، وسوريا ، وإلى درجة ما عن مصر كانت معروفة وغزيرة جداً .

## أمين صندوق أمير پسكوف

زار مصر في نهاية القرن الخامس عشر في سنة ١٤٩٣ أمين صندوق الأمير الكبير ميخائيل گريگورييڤ الذي عين فيما بعد في منصب الكاتب الأول للإمارة الكبيرة في مدينة پسكوف في سنوات ( ١٥١٠ ـ ١٥٢٨ ) ، وكان أحد الأكثر ثقافة من بين الناس المثقفين في روسيا الموسكوبية[2] .

---

(١) أفاناسي نيكيتين ، « مسيرة في ما وراء البحار الثلاثة » ، إعداد الأكاديمي ب . د . كريكوڤ والعضو المراسل في أكاديمية العلوم السوڤياتية ڤ . پ . أدريانوڤ ـ بيرينتس ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٨ . يكتب أفاناسي نيكيتين بأنه توجه من الاورطة إلى آرتستسين ( أرزنجان ) ثم إلى طرابزون . إلاّ أنه من المعروف أن الطريق القديم إلى طرابزون المسمى بطريق « جنوه » ـ الطريق الجنوبي هو ليس خلال أزرنجان وإنما خلال أرضروم . وقد اختار نيكيتين على أغلب الظن الطريق الآخر ، ومن الجائز وردت عن طريق الخطأ تسمية أرضروم بأرزنجان .

(٢) إ . ى . كراچكوڤسكي ، مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٥٠ ، ص ١٨ .

# سفارة پـليشييڤ

قام ممثلو الهيئات الرسمية والديبلوماسية وطائفة من السعاة والرسل بشكل منفصل برحلات إلى بلدان الشرق الأوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، بجانب رحلات رجال الدين والناس الاعتياديين التي كانت مستمرة . وخلال هذه الفترة توجهت إلى تركيا لأغراض مختلفة ٣٩ بعثة . وكانت البعثات تُكلّف بالإضافة إلى إنجاز الشؤ ون الرسمية للدولة القيام بجمع المعلومات المختلفة والمتنوعة عن البلدان بموجب « التعليمات » الصادرة في موسكو . وهكذا منذ هذا الوقت أصبحت الوثائق الرسمية الكثيرة في روسيا الموسكوبية من المصادر المهمة والرئيسية لدراسة الأمبراطورية العثمانية ، إلاّ أنه لم ينشر لحد الآن سوى الجزء القليل من هذه الوثائق ، وإننا نجد من بين تلك المصادر التي لها أهمية كبيرة تلك المسماة « كشوف إحصائية » فالوثائق هذه تعرفنا بمغزى السياسة الخارجية الروسية مع تركيا ، وكذلك بالأحداث الداخلية لحياة الناس فيها ، وواقعها الاجتماعي . فالكشوف الإحصائية تحتوي على بعض المواد والمعلومات المتعلقة باقتصاد وجغرافية تركيا [1].

ترجع السفارة الروسية الأولى إلى القرم وتركيا إلى السنوات ١٤٩٦ ـ ١٤٩٨ وهي سفارة م . أ . پـليشييڤ [2] الذي ترك نشاطه أثراً بارزاً في تاريخ العلاقات بين روسيا وتركيا . توجه پـليشييڤ في شباط سنة ١٤٩٧ عن طريق نهر دون وبحر آزوڤ إلى كافا ، لأن الطريق عبر ليتوانيا كان مسدوداً . وقد حمل پـليشييڤ أوراق اعتماده إلى السلطان ، وردت فيها عن رغبة الحكومة الروسية في إقامة الصداقة وحسن الجوار مع تركيا وتنسيق التبادل الديبلوماسي بشكل دائم . وفي الأمر المقدم إلى پـليشييڤ

---

(١) تحفظ في أرشيف الدولة المركزي للوثائق القديمة في الاتحاد السوڤياتي وثائق وهي تتألف من أوامر السفارة عن العلاقات الديبلوماسية بين روسيا والأمبراطورية العثمانية .

(٢) ن .م . كارامزين ، تاريخ الدولة الروسية ، المجلد ٦ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨١٧ ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ . آثار العلاقات الديبلوماسية لروسيا القديمة مع الدول الأجنبية ، مجموعة الجمعية التاريخية الروسية ، المجلد ٤١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٤ ، ص ٢٣١ ـ ٢٣٦ ، ٢٤١ ـ ٢٤٩ ؛ أ . نيكليودوڤ ، بداية العلاقات بين روسيا وتركيا . سفير يوآن الثالث پـليشييڤ ، مجموعة الأرشيف الرئيسي لوزارة الشؤ ون الخارجية ، النشرة ٣ ، موسكو ، ١٨٨٣ .

استدراك عن سلوك وتصرفات السفير في بلاط السلطان : « أن ينحني وهو واقف ، وأن لا ينحني على ركبتيه » وينبغي أن يتكلم مع السلطان وحده ، وليس مع پاشواته . نفذ پليشييڤ الأمر بدقة ، وتصرف باستقلال مقرون بالعزة والكرامة ، وحاول أن لا يهين بأي شكل من الأشكال كرامة الأمير الموسكوبي الكبير . وقد امتنع عن الزيارة التمهيدية للپاشا ، وقبول هداياه وصرح بحزم : « ليس لي أي كلام مع الپاشوات ، أنا لا ألبس ملابس الپاشوات ولا أريد نقودهم ، ومن الضروري لي أن أتكلم مع السلطان وحده ، ولا مكان لرجل آخر بيننا نحن الأباطرة » . وامتنع كذلك من تنفيذ المتطلبات التي من شأنها أن تقلل من قيمته كالانحناء على الركبة أمام السلطان . ولا شك بأن تصرف پليشييڤ لم يكن إعتيادياً في ذلك الزمان . ومن الواضح أن سفراء بقية الدول كانوا ينفذون جميع المتطلبات التي كان الترك يرغبون في تنفيذها وهي تقلل من شأنهم . فقد كتب كارل ماركس عن سفارة پليشييڤ في « الديبلوماسية السرية » : « إن السلطان بايزيد الذي كانت أوروبا ترتعش أمامه ، سمع بنفسه لأول مرة كلاماً متغطرساً من أحد الموسكوبيين »[1] .

## سفارة گولوخڤاستوڤ
## ( اليكساندر وبوريس )

لا نبغي الوقوف عند العلاقات السياسية والاقتصادية بين روسيا الموسكوبية وتركيا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر . غير أن تثبيت السلطة التركية في القرم ، وآزوڤ ، واقتراب الترك من القفقاس الشمالية جعلت من تركيا جارة لروسيا الموسكوبية ، جارة معتدية وخطرة . وكانت هذه الجيرة مبعثاً للاحتكاك والتصادم بين روسيا الموسكوبية والأمبراطورية العثمانية ؛ وبرغم ذلك كانت هناك علاقات تجارية بين البلدين ، إلاّ أنه مما يؤسف له هو عدم وجود معلومات وأخبار عن نشاط التجار الروس في كافا ، وآزوڤ ، وبروسة ، والقسطنطينية ، ولكن زياراتهم لتلك الأماكن أصبحت من الأمور الواضحة في الأمثلة والنماذج الواردة في « مسيرة » التاجر ڤاسيلي على الأقل .

(١) « القاموس الديبلوماسي » ، المجلد ٢ ، العمود ٤١٦ ، موسكو ، ١٩٥٠ .

وتوجهت إلى تركيا سفارة اليكساندر گـولوخفاستوڤ في سنة ١٤٩٩ . وسافر بصحبة السفير تجار حملوا معهم بضائعهم ، وكانت سلعهم وبضائعهم تتألف من عُدد الفروسية ، والسروج ، والفرو ، والجنفاص . أما مهمة السفارة فكانت تتعلق بحل القضايا التجارية بين البلدين . ثـم توجهت إلى هناك في سنة ١٥١٥ سفارة بوريس گـولوخفاستوڤ كذلك .

## سفارة كورو بوڤ

كانت قد صدرت أوامر خاصة إلى سفير آخر هو ڤاسيلي أندرييڤيـچ كورو بوڤ ( ١٥١٥ ـ ١٥١٦ ) للقيام بدراسة الوضع السياسي لتركيا : « يجب على ڤاسيلي في آزوڤ أن يحاول معرفة الأشخاص المقربين من سلطان الترك ، أين هو الآن ، وما هي علاقته بالقزلباش ، وهل هو خالي البال وسعيد على أرضه أم لا . وكل ما يشاهده ڤاسيلي من القضايا والمشاكل هناك ، وينبغي عليه أن يكتب عنها وعن كل شيء إلى الأمير الكبير بشكل خاص »[١] . كانت توجه مثل هذه الأوامر إلى السفراء الآخرين أيضاً . وقد دونت وحفظت جميع المعلومات التي كان السفراء يحصلون عليها بشكل دقيق ومتقن في مصلحة السفارة في موسكو . وإن عدداً كبيراً من السفارات « كانت لها الدور الواضح في توسيع الأفـق الجغـرافي للـروس الـذين كانـوا يعيشـون في ذلك العصر ، وكانت شهوداً على الاهتمام الزائد بكثير من الأشياء الواقعة على الحـدود أو التي تحدث بالقرب من إقليم موسـكو »[٢] . ووردت أيضـاً معلومـات وأخبـار عن البلدان الشرقية من رجال الدين الذين كانوا يقدمون إلى روسيا لجمع « الصدقات » لأديرة أيون ، ومدينة القدس ، والقسطنطينية ، وكذلك من التجار الذين يقدمون إليها من الشرق .

---

(١) آثار العلاقات الديبلوماسية ، منتخبات الجمعية التاريخية الروسية ، المجلد ٩٥ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٩٥ ، ص ١٠٩ ، ١١٢ .

(٢) د . م . ليبيديڤ ، الجغرافيا في روسيا في القرن السابع عشر ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٩ ، ص ١٧٥ .

## حجاج إلى القدس

وردت في المصنفات ، والمدونات ، والسجلات النوڤگورودية بأنه في ٢٤ تموز سنة ١٥٥٨ خرج من موسكو إلى تساريگراد ( القسطنطينية ) القس گينادي مع الزائرين موستوخا ، وأندريه ، وياكوڤ ، وقد امتد طريق بعثة گينادي خلال سمولينسك ، وليتوانيا و« أرض ڤولينسكي » إلى تساريگراد ( القسطنطينية ) . وكان من المقرر أن يتوجه المسافرون من تساريگراد إلى مدينة القدس ، ومصر ، ثم إلى أيون وذلك لتوزيع صدقات القيصر على الأديرة ، والقيام بوصف جميع ما يشاهدونه في تلك البلدان »[١]. وكان ضمن حاشية گينادي التاجر ڤاسيلي پوزنياكوڤ وابنه ، وهو تاجر من سمولينسك كان يرتبط بعلاقة تجارية مع موسكو ، وترك فيما بعد وصفاً لرحلته[٢].

## رحلة پوزنياكوڤ

قام ڤاسيلي پوزنياكوڤ برحلته المقبلة بصحبة ابنه وشيخين كبيرين في السن ، والمترجم موسى . فقد توجه من القسطنطينية إلى الاسكندرية ، ثم وصل القاهرة في تشرين الأول سنة ١٥٥٩ ، وزار سيناء ، ثم عاد إلى الإسكندرية ، وفي كانون الأول سنة ١٥٥٩ توجه عن طريق البحر إلى فلسطين فأقام فيها ثلاثة أشهر . وعاد إلى موسكو في نيسان سنة ١٥٦١ عن طريق القسطنطينية . ولقد وضع تقريراً عن رحلته بين يدي إيڤان الرابع ، غير أن التقرير لم يصلنا . وإن هذا التقرير كان يتضمن أحاديث عن حياة وواقع شعوب البلدان التي زارها ڤاسيلي وقد كتب بناء على طلب القيصر .

هناك في « مسيرة » پوزنياكوڤ وصف شيق للسفرة من القاهرة إلى جبال سيناء

---

(١) « المجموعة الكاملة للمدونات الروسية » ، ( مدونة نوڤگورود الثانية ) ، المجلد ٣ ، ص ١٥٩

(٢) « مسيرة التاجر ڤاسيلي پوزنياكوڤ إلى الأماكن المقدسة في الشرق » ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد خ .م . لوپاريڤ ، المجلد ٦ ، النشرة ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٧ .

خلال الصحراء : « الطريق من مصر حتى جبال سيناء عبارة عن صحراء . والصحراء هناك لا تشبه صحارى بلادنا . لا وجود للغابات في صحاراهم ، ولا الأعشاب ، ولا الناس ، ولا الماء . سرنا ثلاثة أيام في الصحراء ، ولا يوجد أي شيء هناك غير الرمال والصخور »[1] . ومما يجلب الانتباه أيضاً هو أسلوب السفر والرحلة في الصحراء العربية : « يمكن السفر على ظهور الإبل حتى جبال سيناء . . . يجلس شخصان على جمل واحد جنباً إلى جنب ، ويحملون غذاءهم معهم ، ويحفظون الماء في القرب الجلدية على ظهور الإبل ، والحمل يزن أكثر من عشرة أرطال(*) ، ويحملون معهم من الخبز المجفف بمقدار قنطار واحد للشخص ، والقنطار يزن ثلاثة أرطال بحسابنا . ويقدم العرب الفول المجفف غذاءً للإبل ، ولا يسقونها بالماء لمدة ثلاثة أيام »[2] .

كان بوزنياكوف مراقباً رقيقاً ودقيقاً . يحدثنا على سبيل المثال بأن البواخر القادمة من الهند إلى مرفأ رايف على البحر الأسود « مصنوعة بدون مسامير حديدية ، وقد خيطت بحبال من سعف النخيل ، وطليت بالقطران الساخن »[3] . واهتم في مدينة القدس بأساليب تزويد المدن بماء الشرب : « تمطر الأمطار في مدينة القدس من موسم الحرث والبذر ( الخريف ) حتى ميلاد المسيح ، أما في الربيع والصيف فلا وجود للمطر . ينزل المطر على مبانيهم ، والمباني والبيوت عندهم متلاصقة ، وسطوحها منحنية إلى الأسفل ، وفي فناء كل دار هناك بئر ، والبئر حفرة في الأرض ، والأرض صخرية . وهناك في تلك الآبار مياه طوال أيام السنة ، وهي لا تفسد ، وتتجمع من الأمطار »[4] .

---

(١) كان الروس في القرن السادس عشر يقصدون بلفظة « بوستينيا » وهي الصحراء ( الأديرة ، والمناسك ، والمنازل المنعزلة ) ، وكلمة « بوستين » تعني ( الدير والمنسك ) .

(*) الرطل هنا ، وبالروسية « بود » هو وحدة وزن زنتها ( ١٦,٣٨ ) كيلوغراماً ( المترجم ) .

(٢) « مسيرة التاجر قاسيلي بوزنياكوف إلى الأماكن المقدسة في الشرق » ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، المجلد ٦ ، ص ١٧ - ١٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٩ - ٣٠ . إن هذه المعلومات القيمة تؤكد بدون شك على أن في الخمسينيات والستينيات من القرن السادس عشر كانت هناك علاقات تجارية بين الهند والموانىء العربية في البحر الأحمر . ويمكن الاستنتاج بأنه كان بإمكان السفن العربية والسفن الهندية كذلك أن تتحدى سيطرة وزعامة الأسطول البرتغالي في البحر العربي .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٧ .

## سفارة نوڤوسيلتسوڤ

وردت معلومات مهمة عن الأوضاع في تركيا ذكرها نوڤوسيلتسوڤ في فترة سفارته حينما بعثه إيڤان الرابع إلى السلطان سليم بمناسبة حملة الترك ، وتاتار القرم على أستراخان في سنة ١٥٦٩ [١] . ويشير ثوفوسيلتسوڤ إلى أن أخبار المحاولة غير الناجحة لاحتلال أستراخان أصبحت معروفة في مدن فريان : « ان الفريانيين أصبحوا مسرورين ، وأخذوا يقولون فيما بينهم : إذا ما وقف أي كان ضد أمير موسكو الكبير ، إن الله يحفظه من الكفار » [٢] .

هكذا كان رد الفعل على هزيمة الترك في الانتصار الأول الذي أحرزه الروس .

ولم تكن الرحلات مقتصرة على السفراء والديبلوماسيين فقط في عهد إيڤان الرابع إلى تركيا . بل هناك أخبار ومعلومات عن رحلات التجار سيميون بارزونوڤ ، وتريفون كوروبيينيكوڤ وهي مشهورة ومعروفة [٣] . وكان إيڤان الرابع قد بعث مع يورى گريك ، والخبير في الشؤون الدينية تريفون كوروبيينيكوڤ المال لتوزيعه « كصدقات باسم ابنه » في القسطنطينية ، والاسكندرية ، ومدينة القدس . وتتصل بسفرة هذا التاجر عملية انتحال وهي معروفة بصورة جيدة في الأدب الروسي [٤] . فقد تم ببساطة تحوير « مسيرة » ڤاسيلي پوزنياكوڤ فانتشرت بشكل واسع باسم تريفون كوروبيينيكوڤ [٥] أكثر من ثلاثمائة سنة .

---

(١) ن . م . كارامزين ، تاريخ الدولة الروسية ، المجلد ٩ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٢١ ، ص ١٧٨ .

(٢) ن . أ . سميرنوڤ ، روسيا وتركيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، المجلد ١ ، موسكو ، ١٩٤٦ ، ص ١٧

(٣) « المجموعة الكاملة للمدونات الروسية » ، ( مدونة نوڤگورود الثالثة ) ، المجلد ٣ ، ص ٢٦٣ .

(٤) إ . زابيلين ، مسيرة پوزنياكوڤ ، المقدمة ، ص ٣ ـ ١٠ ؛ إ . ى . كراچكوفسكى ، مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٥٠ ، ص ١٧ .

(٥) « مسيرة تريفون كوروبيينيكوڤ » ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، النشرة ٢٧ ( المجلد ٩ ، النشرة ٣ ) ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٣ ؛ « قراءات في الجمعية الأمبراطورية للتاريخ والتاريخ القديم الروسي في جامعة موسكو » الكتاب ١ ، ١٨٨٤ ( كانون الثاني ـ آذار ) ، القسم ٢ .

## رحلة ميشينين وسامسونوڤ

بعث إيڤان الرابع في وقت متأخر إيڤان ميشينين إلى أيون لأجراء مراسيم الصلاة والدعاء « لصحة ابنه » . وأما في سنة ١٥٨٤ فقد توجه التاجر مارك سامسونوڤ إلى القسطنطينية وأيون وكان قد أرسل معه « ثلاثون روبلاً للتلاميذ في تساريگراد ( القسطنطينية ) ، وكان المطلوب منهم أن يستمروا في الدراسة وأن لا يخرجوا من إرادة القيصر وطاعته » . الكلام هنا عن الطلاب الذين أرسلهم إيڤان الرابع إلى البطريارك لتعلم اللغة الإغريقية .

## رحلة ناشوكين

كان السفراء الروس في نهاية القرن السادس عشر الميلادي على اطلاع كبير في شؤون الحياة السياسية الداخلية في تركيا . فالسفير ناشوكين الذي سافر من موسكو في سنة ١٥٩٢ على سبيل المثال قد رسم لوحة واضحة عن الوضع السياسي في البلد : « لقد تغيّر كل شيء في الوقت الحاضر في تركيا ، فالسلطان والپاشوات يفكرون في مصالحهم ومنافعهم فقط ، وهم يضاعفون مبالغ الخزينة ويهتمون بها قبل أي شيء آخر ، أما إذا قلنا لماذا ، فالجواب غير معروف ، وهم يخفون الذهب في الصناديق ، ولا يمنحون الرواتب للجيش ، الذي تمرد مؤخراً وزحف على القصر ، وطالب برأس الدفترداد أو أمين الصندوق . . ولا استقرار في البلاد ، وأما الحقيقة والصدق فهما شيئان مفقودان في الدولة . والسلطان ينهب الموظفين ، والموظفون ينهبون الشعب ؛ وهكذا هناك السلب ، والنهب ، والموت ، والقتل في كل مكان ؛ ولا يأتمن الرحالة والسياح على حياتهم في الطرق ، ولا التجار في تجارتهم . وخلت الديار من الناس من جراء الحروب الإيرانية والعنف الموجود في كل مكان ، وعلى وجه الخصوص في مولدافيا ، وڤولوشيا يتم تبديل الحكام والقائمين بولاية الأمر بالرشوة وبشكل مستمر . والإغريق في إضطهاد مخيف ؛ وهم في فقر مدقع ، ليس لهم أي أمل في مستقبل حياتهم »[1] .

(١) ن . م . كارامزين ، تاريخ الدولة الروسية ، المجلد ١٠ ، ١٨٢٤ ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

# رحلة كوروبينيكوف

أُرسل الكاتب تريفون كوروبينيكوف للمرة الثانية إلى تساريگراد ( القسطنطينية ) وجبل أيون في سنة ١٥٩٣ يحمل معه « صدقات الصحة والعافية » . وكان بصحبته ميخائيل أوگاركوڤ . ولقد أصبحت هذه الرحلة معروفة بفضل الكشف الإحصائي الذي أشير فيه إلى أسماء الأشخاص الذين وزعت عليهم الصدقات أثناء الرحلة[1] . وإن هذه الوثيقة تختلف عن الوثائق الأخرى لأنها لا تتضمن معلومات وأخباراً عن « الأماكن المقدسة » ، وبخلاف ذلك أنها تحتوي على وصف للطريق الذي يؤدي إلى القسطنطينية ، ووردت فيه معلومات عن المسافات بين المدن ، وعن المناظر الخارجية لها . وبالإضافة إلى ذلك يرد فيه وصف للخانات وهو يتميز ببعض الأهمية .

« أقيمت هناك خيام واسعة للناس القادمين من المسافرين ، وتسع كل خيمة لخمسين شخصاً مع دوابهم وحيواناتهم ؛ ويقدمون لهم الطعام مرتين في اليوم ، ففي الصباح يتناول كل أربعة أشخاص صحناً من الدبس ، وتقدم لكل رجل رغيفاً من الخبز ، وفي المساء يقدمون عصيدة الطحين فيها لكل شخص قطعة من اللحم ، أو صحناً من عصيدة الرشتة مطبوخة بدهن البقر ؛ وكانوا يقدمون الشعير للدواب بقدر ما تحتاج إليه . وتكثر عندهم مساكن صغيرة وخانات للنزلاء ، وتوجد في الحارات والطرقات منازل أكثر تناسقاً وتنظيماً ، ويهيىء الپاشوات والناس الآخرون في أماكن أخرى مثل هذه المنازل ويؤجرونها للمسافرين ودوابهم ، ويقدمون لهم الأطعمة لمدة ثلاثة أيام كذلك . وأما إذا مكث أحدهم في مكان معين أكثر من ثلاثة أيام فعندئذ لا يقدمون إليه أي شيء » .

وعند تقديم الإجمالية العامة من المعلومات عن بلدان الشرق خلال الفترة من القرن الثاني عشر وحتى القرن السادس عشر ، من الضروري الإشارة إلى أن الرحالة الروس اهتموا اهتماماً كبيراً بالمدن ، ومواقعها ، ومرافقها العامة ، وأسباب الراحة فيها ، وتوزيع المياه على منازلها . وكانت غايتهم الأولى التعرف على قضايا المعيشة

---

(١) « المكتبة الروسية القديمة » ، المجلد ١٢ ، الطبعة ٢ ، موسكو ، ١٧٩١ ، ص ٤٢٥ ـ ٤٤٩ .

اليومية ، وظروف الحياة ، وأعمال وحرف السكان .

وتتصف المرحلة الجديدة من التاريخ الروسي التي تبدأ من القرن السابع عشر تقريباً كما يقول ڤ . إ . لينين[1] بنهضة الثقافة الروسية . ولا شك أن النهضة الثقافية العامة ساعدت على نمو وتطور المعلومات والمعارف الجغرافية : « وقام الروس بأعمال متنوعة ، ومثمرة ، وتطبيقية في حقل الدراسات الجغرافية كروسيا وبعض البلدان الشرقية المجاورة لها »[2] . فكانت بلدان الشرق الأوسط ضمن تلك المناطق .

## رحلة سولوڤييف ـ پروتاسييف

كانت العلاقات الديبلوماسية قد انقطعت بين تركيا وروسيا في بداية القرن السابع عشر في فترة حرب الفلاحين ، والتدخل البولوني والسويدي في شؤون روسيا . وقد استؤنفت العلاقات في سنة ١٦١٣ حينما توجهت إلى تركيا سفارة سولوڤييف ـ پروتاسييف وهي تحمل معها خبر ارتقاء ميخائيل رومانوف العرش . ثم توالت سفارات أخرى بعد هذه السفارة . واستمرت السفارة الجديدة لپيترمانسوروڤ ، والكاتب سامسونوف في السنوات ١٦١٥ ـ ١٦١٧ في المفاوضات التي كانت سفارة سولوڤييف ـ پروتاسييف قد بدأت بها . ثم وصلت إلى القسطنطينية سفارة البويارين[*] كوندير ييف ، والپوڤياچي[**] تورموسوف في سنة ١٦٢٢ . كانت هذه الفترة في الواقع حقبة تمرد الانكشارية ، والانقلابات الداخلية في البلاط بين الأمراء وأفراد الأسرة المالكة . وكان الانكشاريون قد قتلوا عثمان الثاني ، فاعتلى العرش عمه مصطفى ، ثم نصب مراد الرابع سلطاناً يحكم الدولة في سنة ١٦٢٣ .

---

(١) ڤ. إ. لينين ، مجموعة الأعمال الكاملة ، المجلد ١ ، ص ١٥٣ .

(٢) د. م. ليبيديڤ ، الجغرافيا في روسيا في القرن السابع عشر ، ١٩٤٩ ، ص ٦ .

(*) بويارين : الإقطاعي الذي يملك العقارات الواسعة وينتمي إلى الأوساط العليا في الطبقة الحاكمة في الدولة الروسية القديمة ( المترجم ) .

(**) پوڤياچي : مساعد الكاتب ، ومدير المكتب في روسيا القديمة ( المترجم ) .

## رحلة كوتوف

لقد وجه التجار الروس أيضاً اهتمامهم إلى تركيا ، ففي سنة ١٦٢٣ كتب التاجر الموسكوبي فيودور أفاناسييڤيـچ كوتوف العائد من الشرق بأنه « من الممكن السفر من أردبيل إلى تركيا عن طريق تبريز ، أما إذا أراد المرء الوصول إليها من قزوين فيجب عليه أن يسافر إلى بغداد ؛ وهناك طريق واحد فقط من شماخي إلى گنجه ، وراڤان ( أريڤان أو يريڤان ) .

وتشرف على نفس مدينة راڤان من الجهة الجنوبية جبال عالية وضخمة جداً ، قممها تشبه القلنسوة . . . ولا يوجد أي منفذ للوصول إلى تلك القمم ، فقد استقر فلك نوح على ذلك الجبل . . . وعندنا يسمون الجبل بآرارات »[١] .

## رحلة گـاگـارا

ذكر التاجر القازانـي ڤاسيلي ياكوڤليڤيـچ گـاگـارا[٢] الـذي كان يقـوم بأعمال تجارية في الشرق ملاحظات طريفة ومهمة كثيرة عن البلدان الشرقية . فقد سافر من روسيا في سنة ١٦٣٤ وعاد إليها في آذار سنة ١٦٣٧ . فجلب معه معلومات مهمة عن الشؤ ون الشرقية إلى موسكو ، وتكريماً لما قدمه من معلومات مفيدة أُنعم عليه بلقب ضيف موسكو . ويذكر گـاگـارا بأن السبب لقيامـه بزيارة مدينـة القـدس هو أداء الصلاة وطلب الرحمة والعفو والغفران عن ذنوبه وخطاياه . غير أنه يبدو أن الأمر لم يكن كما ذكره هو تماماً . فقد اهتم بالقضايا التجارية أيضاً . ولم يسـلك السائـح

---

(١) « عن الرحلة إلى شاهنشاهية إيران ، ومن إيران إلى أرض تركيا وإلى الهند ، وإلى هرمز حيث تحل فيها السفن » ، مجلة جمعية التاريخ والتاريخ القـديم الروسي في موسـكو ، الكتـاب (١٥) ، موسـكو ، ١٨٥٢ . إعداد النصوص والمقدمة : إ.د. بيلياييڤ .

(٢) « حياة وسيرة ڤاسيلي ياكوڤليڤيـچ گـاگـارا القازاني ( ١٦٣٤ ـ ١٦٣٧ ) في أورشليم ( القدس ) ومصر » ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد س. أو . دولـگـوف ، النشرة ٣٣ ( المجلد ١١ ، النشرة ٣ ) ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩١ . يراجـع : « تـاريخ الأدب الـروسي » ، المجلـد ٢ ، القسـم ٢ ، موسكو ـ لينينغراد ، طبعة أكاديمية العلوم السوڤياتية ، ١٩٤٨ ، ص ١٢٤ ـ ١٢٦ .

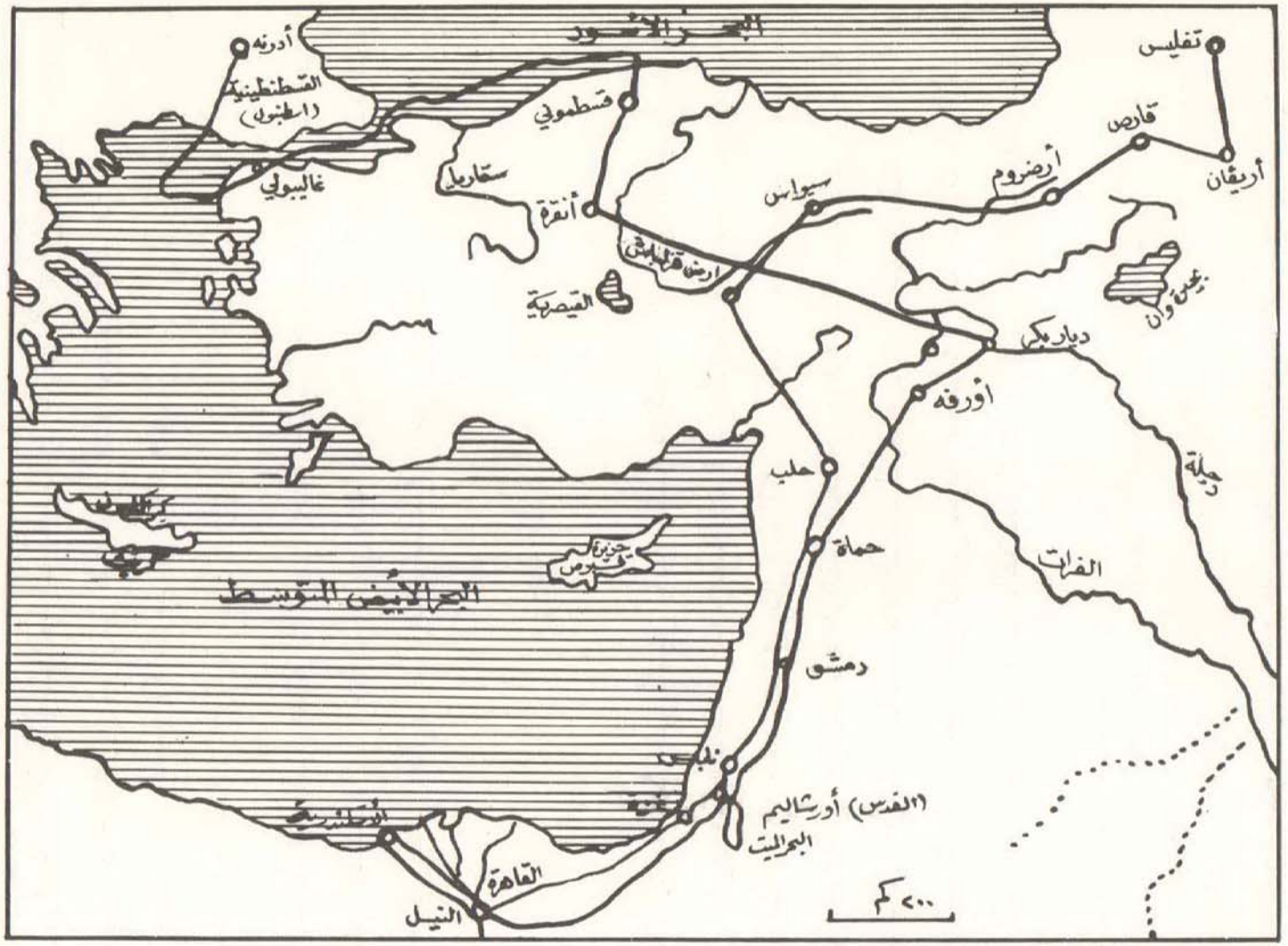


خارطة طريق گاگارا

خط و رسم خالد الخالدي

الطريق المباشر المؤدي إلى مدينة القدس ، وإنما انعطف وخرج في جولاته أكثر من مرة من ذلك الطريق ، لذلك دخل « الأماكن المقدسة » بعد سنة كاملة فقط .

وصل گاگارا إلى مدينة القدس عن طريق إقليم القفقاس ، وآسيا الصغرى ، وسوريا ، ثم توجه إلى مصر ، فزار القاهرة ، والاسكندرية ، وسيناء ، وعاد إلى مدينة القدس ثانية . أما طريق عودته فكان خلال السامرة ، ودمشق ، وبيرجك ، وأورفه ، وديار بكر ، وأنقره ، وقسطمونه ، وسينوپ . وهكذا عرج على الغرب متتبعاً البحر حتى وصل غاليبولي ، ثم عاد إلى موسكو عن طريق ڤالاكيا ، ومولداڤيا ، وبولونيا ، وكييڤ . والجدير بالذكر في هذا المجال هو أنه لم يزر أي رحال أو سائح روسي قبله هذه الأصقاع والأراضي الواسعة .

ويصف ڤاسيلي گاگارا بصورة مفصلة ودقيقة مدينة تفليس ، وجورجيا في ذلك الحين ، ويذكر أساطير عن يأجوج ومأجوج الذين حبسهم الاسكندر المكدوني في جبل بالقرب من تفليس . ومن الجدير بالملاحظة هو أن گاگارا يعتبر أول من زود أدبياتنا بوصف لحمامات تفليس : « يستعمل المسيحيون والمسلمون في تلك الآبار الحارة وهي بمثابة الحمامات الليف وليست المكانس(*) لأنهم لا يعرفونها » .

وسافر گاگارا من تفليس إلى يريڤان ، وإلى جبال آرارات الواقعة على بعد مسيرة يومين من المدينة . ويؤكد گاگارا ان هذه الجبال تقع « في حدود الأرض التركية ، وأرض قزلباش ، وجبال آرارات هي اثنتان ، السلسلة الأولى جبل عال ، والثانية جبل واطىء ، وتبرز حوالي تلك الجبال سلاسل أخرى أقل ارتباعاً من نصف تلك الجبال » .

ثم توجه ڤاسيلي گاگارا عن طريق أردهان ، وقارص ، وأرضروم إلى سيواس : « تقع سيواس أيضاً بالقرب من الجبال ، وهي رهيبة وضخمة جداً ، عليها ثلوج لا تغيب صيفاً وشتاءً » . وعن أميدونيا يقول : « يجري فيها نهر كبير جداً ؛ وأما السدة فهي مبنية من الأحجار ، وعلى تلك السدة طاحونة ، ومن الطاحونة تؤخذ المياه

(*) يستعمل الروس نوعاً من أوراق الشجر وهي طيبة الرائحة في غسل أجسادهم حيث يشد عدد من الأغصان بعضه بالبعض ، ويكون على هيئة مكنسة تقوم مقام الليفة ( المترجم ) .

بالدواليب وهي على علو ١٢ ساژين(*) من سطح الماء ، ثم يجري الماء من ذلك الدولاب إلى ميزاب حجري ، ومن الميزاب تجلب المياه عن طريق القنوات إلى جميع أنحاء المدينة وضواحيها . وتقع المدينة على جبل عال جميل جداً ، وحوله خندق من الأحجار والصخور ، تجري فيه المياه وعمقه ١٦ سازين » . وأما إعجابه بمدينة دمشق فلا حدود له : « أما دمشق فهي أيضاً مدينة تشتمل على ٣٠ ميداناً أو أكثر ، فيها بساتين واسعة ، ومؤسسات جميلة ، وخضراوات غزيرة ، وأشياء أخرى كثيرة لا وجود لها في جميع أنحاء المعمورة ، لا توجد في أي مكان آخر مثل هذه المدينة ، ومثل هذه البساتين . . . » .

أقام گاگارا في مدينة القدس ثلاثة أيام فقط . وحينما علم المطران وطائفة الإغريق بقدوم ڤاسيلي من أرض موسكو كان سرورهم عظيماً بهذا الحدث ، لأن أي مسيحي آخر لم يزرهم بعد تريفون كوروبيينيكوڤ من مثل هذه الدولة البعيدة .

وصادف گاگارا مصاعب جمة في طريقه من مدينة القدس إلى مصر : « أما الطريق إلى مصر [ القاهرة ] فهو وعر جداً ، على المرء أن يسير بالقرب من البحر ، وليس بالإمكان السفر على الدواب ، ويستطيع الإنسان أن يسير على أقدامه ، أو على ظهور الإبل ؛ وإن ذلك الطريق يشبه بحراً من الرمال ؛ والعواصف الشديدة تخلق المصاعب من جراء أمواج الرمال ، ولا وجود للماء في هذا الطريق ، لذلك يجلبون معهم الماء في قرب جلدية يحملونها على ظهور الإبل لاستعمالهم الخاص » . وحينما اقترب من القاهرة ، كان إعجابه شديداً للغاية لكثرة المنائر « وعندما تقترب من مصر تظهر لك غابة مظلمة تشمخ فيها قباب مساجد المسلمين . ولا تنبت في مصر أية خضرة عدا قصب السكر ، والنخيل ؛ ولا وجود للبساتين ، ولا الحدائق ، وذلك بسبب الحرارة التي لا حدود لها » .

ويقول گاگارا بأن سوراً حجرياً يحيط بالقاهرة من الخارج ، ومثل هذا السور موجود داخل المدينة أيضاً . يعيش الپاشا التركي داخل هذا السور على الجبل

---

(*) ساژين : مقياس للطول يساوي ( متر واحد و١٣ سم ) ( المترجم ) .

( يقصد بالجبل القلعة ـ م .خ . ) ، وقد جلبت المياه إلى الجبل حيث يعيش الـپـاشا من نهر النيل : « لقد جلبت من ذلك النهـر گـيون ( النيل ) المياه إلى الجبـل حيث يعيش الـپـاشا داخل السور الحجري ، وهناك في السور مزراب ، ومن خلال ذلك المزراب يجري الماء من النهر ، ويوجد برج في نهاية السور ، يرتفع الماء إلى ذلك البرج بمعاونة دولاب ، ويدار ذلك الدولاب بالجواميس ، ويبلغ عدد تلك الجواميس خمسة عشر » .

وقد جلبت أجهزة التفريغ البدائية اهتمام گـاگـارا إلى حد بعيد : « في مصر ، وبالأخص في القرى يبنون أرضية من الطين ( دكة ) فوقها مواقد ، وفي كل دكة اثني عشر موقداً . وفي كل موقد صندوق ، وتوضع ٦٠٠٠ بيضة في ذلك الصندوق الذي على الموقد . . . ثم يحمون الموقد بروث الدواب . . . فتولد من هذه العملية أفراخ بدون أم . . . » .

كان إعجـاب السائـح شديداً بخصوبـة وادي النيل : « يُزرع القمـح ، والشعير ، والدخن بكثـرة ، لأن نهـر گـيون ( النيل ) يجـري في المروج وكذلك في الحقول المزروعة ، ويتوقف وقتاً كثيراً ويرطب الأرض » . وإن طريقة زرع قصب السكر تثير الفضول عند السائح : « ويزرع في مصر القصب الذي يستخـرج منـه السكر ؛ وهو يغرس بجذوره ، ويذرون عليه دمان الحمام » . أما عن عالم الحيوان فلا يتكلم گـاگـارا أي شيء تقريباً عدا إشارة عابرة إلى أنه شاهد في نهر النيل « حيواناً بحرياً . . . اسم ذلك الحيوان هو التمساح » .

لم يعر گـاگـارا أي اهتمام إلى عادات وتقاليد السكان المحليين ، ولا يذكر عنها إلاَّ الشيء القليل جداً . ولعل بعض الطرافة تكمن في وصفه لقدوم الـپـاشا التركي الجديد إلى القاهرة ، فيذكر بهذا الصدد بأنه عند استقبال الـپـاشا يفرشون الطريق بقماش مطرز بالذهب بدءاً ببوابة المدينة وحتى منزل الـپـاشا . ويكون هذا القماش في أكثر من ثلاثمائة قطعة . فيسير على هذا الطريق الـپـاشا وحاشيته ، ثم يرفعون القماش بعد مرورهم عليه . وعن فترات استراحة الـپـاشا واستجمامه يقول : « وإن

إقامته في ذلك البستان تستغرق ثلاثة أيام وثلاث ليالي ، وفي تلك الأيام الثلاثة يقوم الخدم والعبيد بارتداء المعاطف من فرو السمور ، والوشق ، ويشتري الپاشا تلك المعاطف من الإغريق ، غير أنه لا يدفع الثمن بل يبقى ديناً عليه » .

عاش گاگارا أكثر من سنتين في مصر ، ثم عاد إلى فلسطين ؛ أما عن وصفه لفلسطين فقد ورد بأسلوب الحجيج الاعتيادي المتداول .

ولم يسلك گاگارا في طريق عودته سبيله عبر الأراضي الإيرانية بسبب الحرب التركية ـ الإيرانية . فقد توجه إلى أنقرة ، ثم عن طريق ساحل البحر الأسود عاد إلى الغرب إلى غاليبولي ، ثم عبر المياه خلال الدردنيل إلى الساحل الأوروپي .

وأخيراً عاد إلى موسكو بسلام بعد أن مرّ بأدريانوپول ( أدرنه ) ، وماچين ، وياسي ، وكامينيتس ـ پادولسك ، وكييڤ . وكان السائح في جميع مراحل جولاته مهتماً بالعلاقات بين القرم وتركيا ، وبين تركيا وموسكو ، وبالأوضاع في إمارات الدانوب . وقد جلبت انتباهه مجالات معينة في النشاط الاقتصادي للناس ، وبالقرب من أنقرة أثارت إعجابه منتجات شعر الماعز الأنغورى« ان ذلك الصوف يشبه الحرير » .

## رحلة سوخانوڤ

سافر إلى الشرق في سنة ١٦٤٩ باني دير بوگوياڤلينسكي آرسيني سوخانوڤ . وكان عليه أن يقوم بدراسة العادات والتقاليد الدينية الشرقية ، ويقوم بانجاز واجبات ذات طابع سياسي ، وهي القضايا المتعلقة بالشؤ ون الپولونية ـ القوزاقية ، والأوكرانية ـ الروسية . وبسبب بدء المفاوضات بين سوخانوڤ والگيتمان(*) بوگدان خميلينيتسكي في چيگيرين فقد اضطر أن يعود إلى موسكو ثلاث مرات ، لذلك لم يتمكن من الوصول إلى مدينة القدس إلاّ بعد مرور سنتين .

---

(*) گيتمان : هو رئيس فرق القوزاق والحاكم العام في أوكرانيا القديمة ، أما في پولونيا القديمة فهو القائد العام ( المترجم ) .

فقد دخل مدينة القدس عن طريق القسطنطينية ، والبحر الأبيض المتوسط ، ومصر ، فبقي فيها حتى شهر نيسان من سنة ١٦٥٢ . وفي طريق عودته عرج على سوريا ، وشرق الأناضول ، والقفقاس فوصل موسكو في ٧ تموز سنة ١٦٥٣[١] . وتوجه في سنة ١٦٥٤ للمرة الثانية إلى الشرق ، مرّ بياسي ، وأيون ، والقسطنطينية . وقد حمل معه من الشرق حوالي الخمسمائة من المخطوطات والكتب الثمينة قدمها فيما بعد إلى دار طباعة موسكو .

وزود آرسيني موسكو بالأخبار والمعلومات عن الوضع السياسي والأحداث في الجنوب . ولم يكن مضمون « الرحلة » مقتصراً على ملاحظات عن الحجيج وشؤ ون الحج فقط ، وإنما قدم فيه وصفاً للطبيعة ، والمدن ، والوضع الاقتصادي ، ونمط حياة السكان ، والعادات والتقاليد ، والإدارة والحكم . وكان سوخانوف سائحاً ذكياً ، قوي الملاحظة ومثقفاً ، وأما « الرحلة » فهي في الواقع أثر كبير من أهم آثار الرحلات إلى الشرق في القرن السابع عشر .

يصف آرسيني القسطنطينية بشكل مدهش وبهيج : « تقع تساريگراد ( القسطنطينية ) على ساحل البحر تماماً ، تغمر مياه البحر أطرافها الثلاثة ، والبر فيها من طرف واحد فقط . والخليج كبير وواسع جداً من جانب البحر الأسود والأبيض[٢] ، يبلغ طوله الفرسخين أو أكثر ، ونصبت المدافع في أطرافه » .

ومن جهتي خليج القرن الذهبي : « تقف السفن ، الكبيرة والصغيرة ، والقوارب ، ومراكب صغيرة متنوعة ، لا يجد المرء مكاناً ملائماً يستطيع الوقوف فيه ؛ والشاطىء مزدحم جداً إعتباراً من البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود وحتى الأقسام العليا من الخليج » . وقد جلبت المساجد ، والشوارع ، والبنايات اهتمام سوخانوف : « المساجد كبيرة وعالية ، واسعة ورحبة ، بناياتها مزخرفة بالمرمر الثمين

---

(١) « رحلة آرسيني سوخانوف » ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد ن . إ. إيڤانوڤسكي ، النشرة ٢١ ( المجلد ٧ ، النشرة ٣ ) ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٩ ؛ س. بيلوكوروڤ ، آرسيني سوخانوف ، « قراءات في الجمعية الأمبراطورية للتاريخ والتاريخ القديم الروسي في جامعة موسكو » ، الكتاب ١ ، ١٨٩١ ، ص ١٥٦ ، الكتاب ٢ ، ١٨٩٤ ، ص ١٦٩ .

(٢) يسمى الترك والعرب البحر المتوسط بالبحر الأبيض .

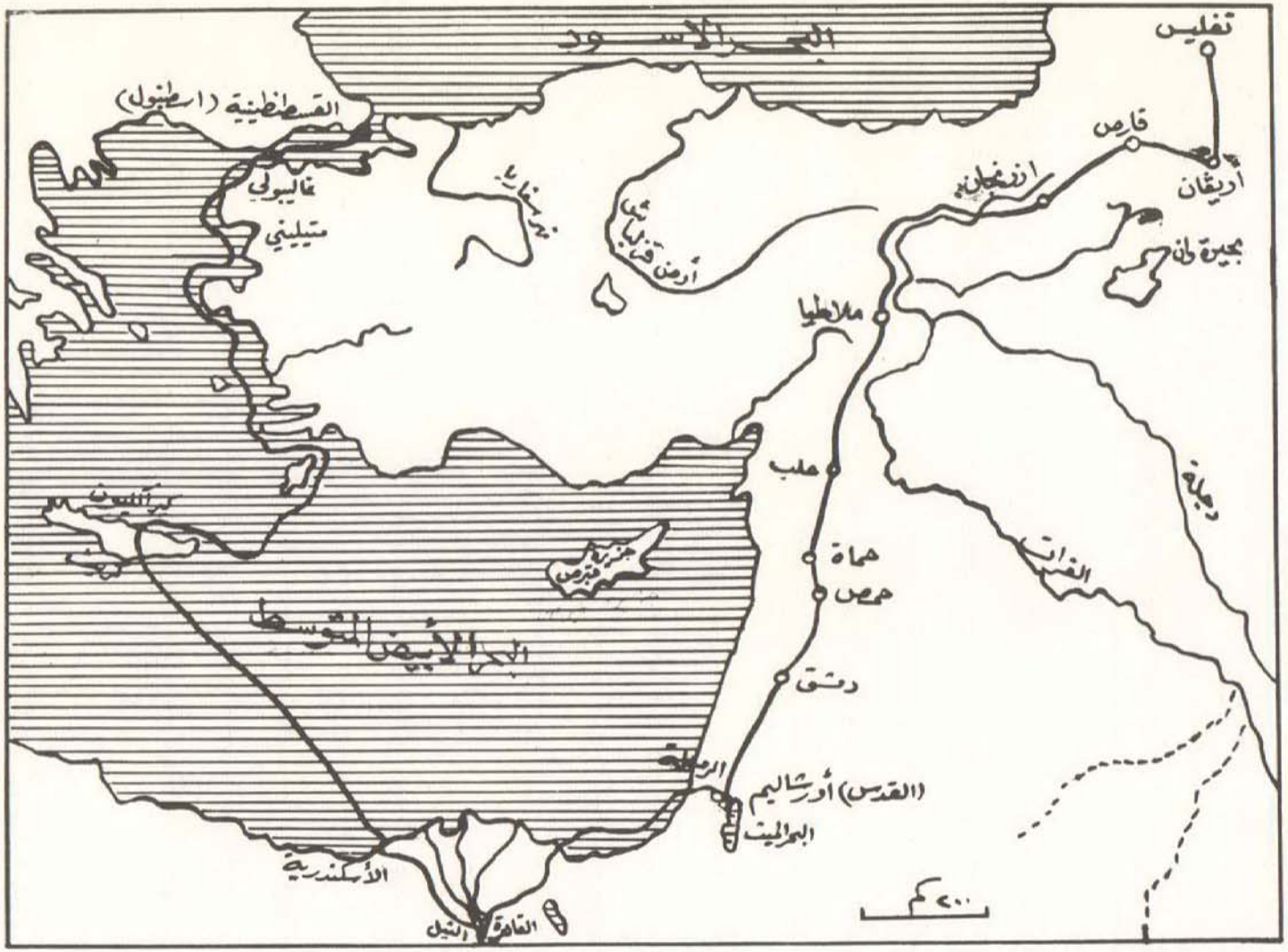


خارطة طريق أ . سوخانوف

خط و رسم خالد الخالدي

المتنوع »[1] . ثم يشير إلى الشوارع ، ويقول بأنها ضيقة جداً ، لا وجود لعربات النقل ، فالناس يسيرون على الأقدام ، ونادراً ما يشاهد المرء شخصاً يمر وهو يمتطي دابة . وتتراءى البنايات والمؤسسات في تساريگراد كأنها مبنية من الحجر ، غير أنها في الحقيقة هي من الأخشاب ، لذلك من الصعوبة إخماد الحرائق التي يكثر حدوثها[2] .

ويصف سوخانوف طريقه من القسطنطينية إلى مصر ، ويشير إلى الأماكن والمواقع التي شاهدها من ظهر السفينة : مضيق الدردنيل ، وبحر إيجة ، وجزيرة خيوس ، وساموس ، ورودوس . كما ويشير إلى حياة الأديرة الإغريقية الفريدة في خيوس حيث يملك عدد كبير من « الشيوخ » بساتين واسعة للفواكه والكروم ، وهم يتاجرون بانتاج البساتين للحصول « على النقود التي تؤمن احتياجاتهم » ، أما القمح فالدير هو الذي يقدمه لهم ، وقبل موتهم يوصون بساتينهم إلى الأقارب والأصدقاء . ويشير سوخانوف إلى أنه كانت توجد في الجزيرة علاقات بضائعية ـ نقدية متطورة . وقد فقدت الاختلافات في الدين والحياة الاجتماعية والعادات تأثيرها بين السكان المحليين الذين كانت تتألف غالبيتهم من اليونانيين والفرنجة ( الفرانكيين )[*] ، ولقد ساعد على ذلك إلى حد كبير التزاوج بين اليونانيين والفرنجة[3] .

وعند اجتيازه القسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، لاحظ سوخانوف ميزة المنطقة المناخية : «بعد خروجنا من تساريگراد (القسطنطينية) واستقرارنا في البحر ، لم يكن أي أثر للأمطار في الجزر ، ولا أي ظل للغيوم ، وكانت السماء صافية بصورة دائمة ؛ فقد قالوا لنا أيضاً بأن السماء صافية حتى في فصل الشتاء في الأقسام الجنوبية والشرقية » . يعتقد سوخانوف ، بأن ظاهرة السماء الصافية بشكل

---

(١) « رحلة آرسيني سوخانوف» ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، ١٨٨٩ ، ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق .

(*) فرانك والفرانكيون : جيل من القبائل الجرمنية كان يسكن منذ بداية التاريخ المسيحي في الأقسام السفلى من نهر الراين ( المترجم ) .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٠ ـ ٢٤ .

دائم كانت من أسباب نشوء « علم النجوم القديم » الذي أخذه الهيلينيون الذين كانوا يعيشون على ساحل البحر الأبيض المتوسط . ولهذا السبب بالذات « لا يمكن وجود ذلك العلم في البلدان الشمالية ، لأن المرء قلما يجد السماء صافية ، بل العكس ، فالمطر ، والضباب ، والغيوم دائمية »[1] .

ويذكر سوخانوف من المدن المصرية مدينة أبو قير ، ويصف الاسكندرية بتفصيل . ومن المعلوم أن الترك كانوا قد احتلوا مدينة الاسكندرية في سنة ١٥١٧ ، وقد أصابها الهدم والتخريب حتى غدت مهجورة تماماً . وفي نهاية القرن الثامن عشر ، أي بعد مرور أكثر من مائة سنة على زيارة سوخانوف لها ، لم يتجاوز عدد سكان المدينة ستة آلاف شخص . ويكتب سوخانوف عن هذا الهدم والتخريب أيضاً : « تمتاز الاسكندرية ببناياتها الفاخرة ، لا توجد مثل هذه المدينة مطلقاً ، كانت سابقاً جميلة ، أما الآن فهي خالية ، هناك عدد قليل من الناس يعيشون عند البوابات حول المدينة ، أما وسط المدينة فهو خال ، والقصور مهدمة ، وقد كانت كبيرة وضخمة كالجبال مبنية بالطابوق الأحمر ولكنها تهدمت ، والخرائب والأطلال لا زالت قائمة وهي تشهد على عظمتها السابقة »[2]

وقد انصب اهتمام سوخانوف على « نصب عجيب منحوت من قطعة واحدة من الحجر مربعة ، وعليه كتابات في جميع جوانبه » . كان هذا « نصب كليوباترا » .

أما عن تجهيز الاسكندرية بالمياه فيقول سوخانوف : « تنقل قنوات خاصة مياه الفيضان من النيل إلى الاسكندرية ، وتوزع المياه في المدينة من تلك القنوات بأنابيب خاصة إلى آبار محفورة في الأرض فتملأها وتبقى المياه في تلك الآبار سنة كاملة » .

ويقدم السائح معلومات قيمة عندما يصف الطريق من الرشيد إلى مصر ( القاهرة ) : « يحصلون على المياه في ضفتي النهر بوساطة عجلات تدار بالثيران ، ويسقون بها الصحارى والبساتين كلها ، ومزارع القمح . . . أما القرى فهي كثيرة ومتعددة ، ومبنية باللبن . . . وقطعان الماشية كثيرة على جانبي النهر منها الجواميس ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

والأبقار ، والنعاج »[1] . ويشير إلى دور النيل في البلاد : « تفيض المياه على جانبي النهر ، ويبدأون بزرع الكرنب ، وفي أيلول ينضج الليمون والتمر ، والخوخ موجود أيضاً . . . مرت الأيام الطيبة وقد كانت كثيرة » . في كلمات قليلة يرسم صورة مفصلة ومستفيضة تقريباً عن الزراعة في البلد .

وشاهد سوخانوف وراء النيل وهو في طريقه إلى القاهرة « أبراج » الفراعنة ، أي الأهرام . وكان إعجاب السائح بمدينة القاهرة شديداً . وهو يقارن القاهرة مع تساريگراد ( القسطنطينية ) من حيث السعة وكثافة السكان .

« الحرارة في مصر بلا حدود ، ولا وجود للمطر . يفقس البيض في مصر من شدة الحر ، وتقدم الفرخ بدون دجاج . . . وهناك في نهر النيل حيوان وهو حيوان التمساح القاسي العنيف ، يشبه الخرذون وهو ضخم وقوي جداً . . . وهناك في مصر عدد كبير من الببغاوات الصغيرة ، أما البضائع الهندية فهي كثيرة ومختلفة لا تعد ولا تحصى . . . »[2]

ووصف سوخانوف مدينة القاهرة بتفصيل ، ويسميها بمصر كبقية الرحالة والسياح في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وفي نفس الوقت يقف عند المدن الأخرى أيضاً . أما مدينة القدس فقد خصص لها فصلاً خاصاً . والوصف الذي يقدمه الرحال لأرضروم يثير الاهتمام : « الجبال التي تحيط بأرضروم مغطاة بالثلوج ، فهي لا تذوب حتى في أيام الصيف . . . فالأماكن الواطئة باردة بسبب ثلوج الجبال والتجمد ، ولا يمكن السفر بدون ارتداء المعاطف حتى في الصيف ، وغالباً ما يسقط المطر بسبب الجبال والثلوج . وتتكاثف الغيوم فتهب المطر ، ومن جراءه تنتشر الخضرة في كل مكان »[3] .

ويصف سوخانوف الجبال بشيء من الإيجاز والاختصار ، وقلّما يسمى الجبال بأسمائها الحقيقية ، وإنما يلتجىء في الغالب إلى الأسماء الواردة في الكتاب المقدس

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

( بالنسبة لفلسطين ) ويسمى آرارات باسمه التركي «آگرى داغ»(*)، واسمه الأرمني ( ماسيس ) . ومن الأنهار يشير عدا الدانوب ، والنيل إلى اسم الفرات ، ومرادسو ، وآراكس ( آراس ) ، وآرپاچاي .

وأخيراً بامكاننا أن نشير بكل ثقة إلى أن المعلومات التي أوردها سوخانوف عن الطبيعة ، والسكان ، والاقتصاد ، والمدن قد وسعت بشكل محسوس معارفنا عن جغرافية البلدان الشرقية المجاورة . فهو يصف غابات الزيتون ، ونخيل الرطب ، والكروم ، وبساتين الحمضيات . وقد اهتم بشكل خاص بنظام الري . وشاهد لأول مرة النعامة ، والتمساح ، والببغاء ، والقرود . والكلام عن هذه الظواهر يشغل عنده مكاناً كبيراً بارزاً أكثر من وصفه لأرضروم على سبيل المثال .

## رحلة يونا مالينكي

لقد قدم يونا مالينكي وهو أحد مرافقي سوخانوف وصفاً أقل أهمية لبلدان الشرق الأدنى[1] ، وهو آخر المشاهير من الحجيج عندنا في روسيا ما قبل بطرس الأكبر . وكان سفره من موسكو بصحبة سوخانوف ، ولكنهما افترقا في ياسى حيث عاش فيها سنتين ، ثم توجه إلى القسطنطينية . وبعد ذلك وصل عن طريق البحر إلى مصر ، ثم خلال نهر النيل دخل مدينة الرشيد ، وعلى ظهور الجمال زار دمياط ، وعن طريق البحر وصل إلى يافا . وإذا استثنينا بعضاً من المعلومات والأخبار عن النشاط الاقتصادي للسكان ، ووصف مضائق البحر الأسود ، فليست لكتابات هذا الحاج أية أهمية تذكر لأن القسم الأكبر مما كتبه مخصص للأساطير الدينية والكنائسية .

---

(*) إن اسم الجبل « آگري داغ » مركب من كلمتين الأولى « آگر » وتعني النار باللغة الكردية ، و« داغ » وتعني الجبل باللغة التركية ، فهو « الجبل الناري » لأنه تكثر فيه الحمم البركانية ( المترجم ) .

(١) « قصص وحكايات عن الرحلة إلى أورشليم ( مدينة القدس ) وتساريگراد ( القسطنطينية ) للشماس الانجيلي يونا الملقب والمعروف بمالينكي ( ١٦٤٩ - ١٦٥٢ ) » ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد س. أو . دولگوف ، المجلد ١٤ ، النشرة ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٥ .

# السائح المجهول
# في القرن السابع عشر

إن أهم وأروع أثر من آثار النصف الثاني للقرن السابع عشر هو « وصف الأمبراطورية التركية » لمؤلفه الروسي الذي كان أسيراً لدى الترك[1]، وهو غير معروف . لا نستبعد أن يكون هذا المؤلف ابن الاقطاعي فيودور دوروخين ، وهو في الأصل « الجندي الفارس » من مدينة يلتس ، وقع في أسر تاتار القرم . ثم بيع فيما بعد في تركيا ، وقد خدم في الجيش التركي وعاد إلى روسيا في سنة ١٦٧٤ .

يخبرنا المؤلف بأنه طاف تركيا لمدة ٦٢ شهراً و٢٠ عشرين يوماً ( أي مدة ٥ سنوات وشهرين وعشرين يوماً ) . ولا شك أن هذه المدة تتضمن كما يظهر جميع أسفاره ، ورحلاته في تلك البلاد ، وليست المدة التي أقام فيها فقط . ففي تجواله زار أقصى وأبعد أجزاء الأمبراطورية[2]، فقد ورد في المقدمة التي كتبها پ . إ . سيركو لكتاب « وصف الأمبراطورية التركية » : « لم يقطع أي أوروپي في تلك الفترة هذا القدر من مناطق الأمبراطورية التركية ، ولم يشاهد هذا القدر من زواياها ، ولم يسجل هذا القدر من الأخبار والحوادث بقدر ما فعله مؤلفنا هذا » .

لا يذكر المؤلف بخلاف كتابات الرحالة ، والسياح ، والمسافرين الآخرين « الأماكن المقدسة » ، والشؤون الكنائسية ، وما يتعلق بالدين ( عدا مدينة

---

(١) « وصف الأمبراطورية التركية ، ألفه الروسي الذي وقع في أسر الترك في النصف الثاني من القرن السابع عشر » ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد : پ . إ . سيركو ، المجلد ١٠ ، النشرة ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٠ . أما الاسم الأصلي للكتاب فهو « كتاب عن الأسرار والخفايا كتبته أنا الأسير عندما كنت في الأسر » .

(٢) يبدأ بوصف رحلته من أورشليم ( مدينة القدس ) ثم يعقبها بالمدن ، بيت لحم ، وحبرون ( الخليل ) ، والقاهرة ، ودمياط ، والرشيد ، والاسكندرية ، وأبوقير ، وطرابلس ، وتونس ، وبون ( اسم خليج وميناء في الجزائر على البحر الأبيض المتوسط ) ؛ ثم عاد ثانية إلى القاهرة ، وفلسطين ، ودمشق ، وبيروت ، وطرابلس ، وحلب ، والاسكندرونة ، وديار بكر ، وماردين ، والموصل ، وكركوك ، وبغداد ، وعاد مرة أخرى إلى دمشق ثم إلى مجموعة من مدن آسيا الصغرى : توكات ، أماسيا ، وأنقرة ، والقسطنطينية ، ومودانيا ، وبروسه ، وأزمير ؛ ثم جزر الأرخبيل ، وأدريانوپول ( أدرنة ) ، وفيليپوپول ، وصوفيا ، وبلغراد ( في بلاد الصرب ) ، وبودابست . . .

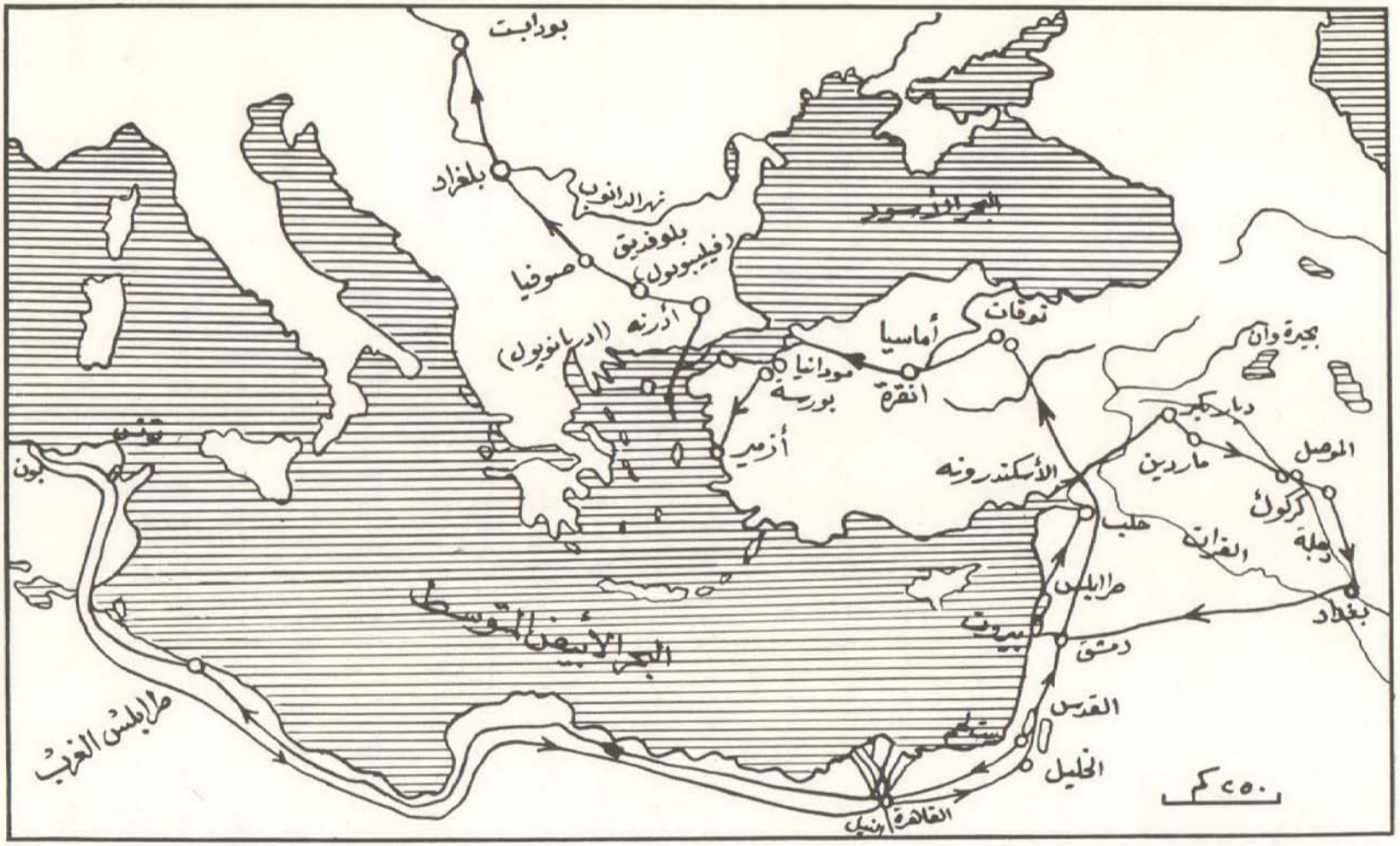


خارطة طريق السائح المجهول

خط ورسم خالد الخالدي

القدس ) . وهو يهتم بذكر المعلومات الجغرافية ، وأحياناً الاتنوغرافية عن أماكن مختلفة أكثر من أي شيء آخر ؛ فهو يصف موقع هذه الأماكن بالنسبة للجبال ، أو بالنسبة للأنهار أو البحار ، ويصف أسوار المدن والقلاع ،وتحصيناتها الأخرى كالخنادق ، والبوابات ، والمدافع ، وما إلى ذلك .

وقد وصف القسطنطينية بتفصيل أكثر . ويذكر بأن المدافع تصنع في المدينة في « طوبخانه » . وعلى ضفتي البوسفور عدد لا يحصى من « المدن » الصغيرة . « وإلى الأعلى من تلك المدن الصغيرة وبمحاذاة المجرى عند أبواب البحر الأسود تنتصب من الجانبين مدينتان صغيرتان أخريان ، وتشتهران بقلعتيهما القويتين المتينتين ، وفيهما عدد هائل من المدافع الكبيرة والصغيرة » .

ومما يجلب اهتمام المؤلف كذلك هو عدم وجود احتياطي الخبز في القسطنطينية وسالونيك ، غير أنه عموماً لا يهتم بالشؤون الاقتصادية ، وهو يشير إلى قلة كثافة السكان في بعض المناطق ، وفي نفس الوقت لا تغيب عن باله الإشارة إلى الذين يسكنون في هذه المنطقة أو تلك ، ويعدد في هذه الحالة تقريباً جميع الشعوب في أرجاء الأمبراطورية الواسعة ذات القوميات المتعددة . ويقول بهذا الصدد بأنه في الأمبراطورية العثمانية كثير من الأسرى الروس الذين تم بيعهم كعبيد : « هناك خلق كثير من الروس وهم عبيد في الأسر على أراضيهم ، وبحارهم ، ومعتقلاتهم ، يقومون بالأشغال الشاقة ، وعدد كثير لا يحصى » . وكان المؤلف يهتم بالخصائص العسكرية والحربية للناس من ذوي القوميات المختلفة ، وأساليب إداراتهم للحرب ، وصلاحيات الجنود للأمور العسكرية . أما عن لياقة الترك في الشؤون الحربية فلم تكن لديه وجهة نظر مقبولة وإيجابية . وكان يعتقد بأن الانكشاريين قد دربوا ووجهوا للقضايا الحربية بشكل غير جيد . وأشار إلى أن العرب يخافون الأسلحة النارية ، رغم أن لهم مهارة فائقة في حرب الخيالة . وكانت نظرته عالية للياقة الحربية التي يتمتع بها أهل البوسنة والألبانيين ( الأرناووط ) .

ويقول الأكاديمي إ.ى. كراچكوڤسكي ، بأن الأسير في سنوات أسره كان قد « زار وأقام في مناطق مختلفة وكثيرة في تركيا ، وكان لتجوله في ذلك الوقت في أقاصي

تلك الأقاليم الواسعة الأثر الكبير في مشاهدة مناطق كثيرة من البلدان العربية التابعة لها . . . وإنه يذكر عدداً كبيراً من المدن العربية ، يكاد لا يستطيع أي حاج أن يذكره . . . ولكون المؤلف مختصاً في الشؤ ون العسكرية ركز اهتمامه بالتأكيد على جوانب من الحياة كانت خارج آفاق الحج والحجيج بدون شك »[١] .

وكان الأسير الآخر ڤاسيلي پولوزوف الذي هرب من أسر الترك ، قد كتب بشكل موجز عن رحلته في الأراضي التركية بطلب خاص وجهه إلى القيصر فيودور اليكسييڤيچ[٢] .

## رحلة چيريكوف وڤوزنيتسين

توجهت سفارة چيريكوف و پ . ب ڤوزنيتسين إلى تركيا في سنة ١٦٨١ . وقد مات چيريكوڤ في الطريق . واستقرت سفينة ڤوزنيتسين بسبب العواصف في أماسرا ، وبقيت فيها مدة ثمانية أيام . وعند خروجها إلى البحر مرة أخرى ، هبت العواصف الشديدة ثانية ، فاضطرت أن تعود إلى مستقرها . ثم سلك ڤوزنيفسين في رحلته طريقاً غير مألوف للسفراء الروس ، وهو الطريق الذي يمتد من أماسرا عبر شمالي الأناضول : « سافرنا من أماسرا ، كانت الجبال عالية جداً ، كان الطريق ضيقاً ، وصعباً ، وشاقاً » . وفي القرى المتناثرة في الطريق كان الناس يستقبلون السفير كضيف شرف ، ويقدمون له الأطعمة ، ويفرشون بيوت القرية بالسجاجيد ، ويضعون حوله جداراً من الوسائد . ثم توقفت البعثة في بول وأسكودار . ولأول مرة في التاريخ يصل سفير روسي إلى عاصمة الأمبراطورية العثمانية من جهة الشاطىء الآسيوي[٣] .

---

(١) إ . ى . كراچكوڤسكي ، مقالات عن تاريخ الاستعراب الروسي ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٥٠ ، ص ١٩ .

(٢) نشر تقرير پولوزوڤ الذي قدمه إلى القيصر كملحق لـ« وصف الأمبراطورية العثمانية » ، ص ٤٦ ـ ٥٠ .

(٣) إ . زابيلين ، رحلة السفراء إلى تركيا في القرن السابع عشر ، نشرة « عهود الروس القديمة » ، ١٧٨٨ ، أيلول ، ص ١٨ .

## فترة ركود

كانت حرب الدول ضد تركيا التي اشتركت فيها روسيا أيضاً ، وكذلك حملتين قام بهما بطرس الأول على آزوف في سنتي ١٦٩٥ و١٦٩٦ أدت إلى قطع تبادل السفراء بعض الوقت بين الدولتين الروسية والعثمانية .

وكانت عودة العلاقات الديبلوماسية في سنة ١٦٩٩ حيث بعثت الدولة الروسية سفارة برئاسة مستشار الدوما ييميليان أوكراينتسيڤ إلى تركيا ، فتركت هذه السفارة أثراً كبيراً في تاريخ الديبلوماسية الروسية بيد أن مصادر ومواد هذه السفارة تعود إلى المرحلة الجديدة ، وهي عصر بطرس الأكبر .

***

زار الرحالة ، والسياح ، والمسافرون الروس وأقاموا خلال ستة قرون في كثير من بلدان الشرق الأوسط ، وسلكوا طرقاً وسبلاً مختلفة ومتنوعة للوصول إلى تلك البلدان . زاروا القسطنطينية ، وجزر الأرخبيل اليوناني ، وسوريا ، وفلسطين ، ومصر ، وسيناء ، وأحياناً وصلوا إلى بلاد ما بين النهرين ( العراق ) ، وقطعوا آسيا الصغرى من الشمال حتى الجنوب ، ومن الغرب حتى الشرق . وكانوا يعرفون عن الطرق البرية إلى الشرق عبر پولونيا ، ومولداڤيا ، والدانوب ، أو خلال القفقاس وإيران ، وكذلك كانوا يعرفون عن الطرق البحرية ، من آزوڤ وكافا حتى القسطنطينية .

لا شك أن مذكرات الرحالة بالإضافة إلى المصادر الأخرى تشكل مادة مهمة لتاريخ ، وجغرافيا ، واقتصاد بلدان الشرق الأوسط . وهي تشهد على الاهتمام الكبير في روسيا في فترة ما قبل بطرس الأكبر بكثير من الدول المجاورة أو القريبة من موسكو ، وقد وسعت هذه المذكرات المدارك الجغرافية للروس[١] .

(١) « الأرشيف التاريخي » ، المجلد ٥ ، موسكو ـ لينينغراد ، من منشورات أكاديمية العلوم السوڤياتية ، ١٩٥٠ ، ص ٧٤ ـ ٩٣ ، مقالة ڤ .أ . پيتروڤ ، الدليل الجغرافي للقرن السابع عشر .

وكان التعرف على بلدان الشرق الأوسط يتجاوب مع نمو المعارف الجغرافية في روسيا في القرن السابع عشر ، ووجد انعكاسه في الكتاب المؤلف في سنة ١٦٦٢ وهو « كتاب المقاييس » ، وردت فيه معلومات عن ٥٤ مدينة كبيرة في الدول الخارجية مع الإشارة إلى المسافات بينها وبين مدينة موسكو ، والطرق التي تؤدي إليها .

وهناك معلومات في الكتاب الآخر المؤلف في القرن السابع عشر المسمى « كتاب التصميم الأعظم » ( ١٦٢٧ ) عن بعض المناطق والمواقع في الشرق الأوسط[١] .

وفي ضوء المصادر والمواد المحفوظة عندنا من الممكن التأكيد بثقة بأن في روسيا في عصر ما قبل بطرس الأكبر كانت تصرف جهود مستقلة ، ومثابرة ، ومثمرة في دراسة أقاليم روسيا الخاصة ، بالإضافة إلى بلدان كثيرة في الشرق الأوسط ، وبأن المعلومات الجغرافية في ذلك الوقت كانت تتميز بالدقة والأصالة .

وقد أدخل الرحالة ، والسياح ، والمسافرون الروس بمعلوماتهم الصحيحة والرصينة عن بلدان الشرق الأوسط إضافات ثمينة من تاريخ معرفته .

---

(١) « كتاب التصميم الأعظم » ، موسكو ـ لينينغراد ، من منشورات أكاديمية العلوم السوفياتية ، ١٩٥٠ ، ص ٩٦ .

## الفصل الثاني

# الربع الأول من القرن الثامن عشر

لم تكن دراسة الشرق الأوسط في روسيا في الربع الأول من القرن الثامن عشر متناسقة ومنتظمة إلى الحد المطلوب، غير أنها كانت ذات طابع موجه لأغراض معينة .

ويجد هذا التوجيه قبل كل شيء إنعكاسه في تطور العلاقات التجارية والديبلوماسية مع بلدان الشرق . وقد لعبت الحروب الروسية مع تركيا وإيران في عهد بطرس الأول دوراً ليس بقليل . وكان غرض روسيا في الخوض في تلك الحروب هو رغبتها العارمة في الوصول إلى البحر الأسود وبحر البلطيق[1] . « كانت إحدى المهمات الأساسية في السياسة الخارجية لروسيا في القرنين السابع عشر والثامن عشر تنحصر في الكفاح في سبيل الأراضي الجنوبية ، والوصول إلى بحر آزوف والبحر الأسود ، والنضال ضد التاتار والترك »[2] .

## سفارة أوكراينتسيف

كانت حملات آزوف في سنتي ١٦٩٥ ـ ١٦٩٦ هي العلاقة البارزة لتحقيق هذه الرغبة ، وهي الهدف الأساسي في سياسة الدولة . ويقول ماركس بهذا الشأن بأن

---

(١) « مقالات في تاريخ الاتحاد السوفياتي في المرحلة الإقطاعية . روسيا في الربع الأول من القرن التاسع عشر . إصلاحات بطرس الأول » ، موسكو ، ١٩٥٤ ، ص ٤٣٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٣٥ .

روسيا لم تستطع أن تترك مصبات أنهار دون ، ودنيستر ، وبوگ ، ومضيق كيرچينسكي في أيدي الشقاة وقطاع الطرق من التاتار الرحالة[1] . ففي ١٨ تموز سنة ١٦٩٦ تم الاستيلاء على آزوف . ثم وقعت في مؤتمر كارلوڤيتس اتفاقية هدنة بين روسيا وتركيا في ١٤ كانون الثاني سنة ١٦٩٩ ، وبموجبها احتفظت روسيا بآزوف . وقد بعثت في نفس السنة سفارة برئاسة يميليان ايگنا تيڤيچ أوكراينتسيف لعقد معاهدة صلح إلى تركيا . ويتعلق حدث مهم بهذه البعثة وهو إبحار الباخرة الحربية « كريپوست » في البحر الأسود لأول مرة في تاريخ الأسطول الروسي حيث كانت السفينة « چايكا » تبحر في البحر الأسود سابقاً وهي من أسطول زاپوروري .

يشتهر نشاط مستشار الدوما ى . إ . أوكراينتسيڤ في الأدبيات والمصادر التاريخية الروسية بصورة جيدة ، غير أن الجانب الآخر من نشاطه لم يتوضح وهو ملاحظاته وانطباعاته الجغرافية والتوبوغرافية .

سجل أوكراينتسيڤ في تقرير من تقاريره الأولى الموجه إلى بطرس في ١٧ تشرين الأول سنة ١٦٩٩ حول وصولها الى « مرفأ تساريگورود ( القسطنطينية ) » : « وصلنا في الساعة الثامنة نهاراً إلى مرفأ تساريگورود ، ودخلنا في منتصفه بدون مرشد أو دليل من الترك . يقف في نهاية المرفأ من الجانبين المطلين على البحر فوق الجبال برجان عاليان ، يستقر فيهما قنديلان ، ويضعون في الليالي فيهما شمعتين كبيرتين لإنارة المرفأ ، ولكن لا يمكن التعرف عليهما بسهولة حتى في النهار ، وإن عرض المرفأ بدءاً بمدينة تساريگراد ( القسطنطينية ) هو ميل ألماني واحد . ويبعد البرجان القائمان أحدهما عن الآخر بثلاثة أو أربعة أميال إيطالية أو المانية[2] . ولا وجود لأي نوع من الدافع حولهما . وتقع في جانبي المرفأ ، وعلى بعد فرسخين أو ثلاثة فراسخ مدن صغيرة تطل على المياه نفسها ، يعيش فيها الانكشاريون ؛ ونصبت حول هذه المدن مدافع ليست كبيرة ، وهي في حدود العشرة مدافع ؛ وهناك مدينة

---

(١) ك . ماركس ، التاريخ السري للديبلوماسية في القرن الثامن عشر ، لندن ، ١٨٩٩ .

(٢) من الصعوبة بمكان تحديد الميل الذي يقصده أوكراينتسيڤ بالضبط. فالميل الإيطالي يرد في معنيين مختلفين وهما : الميل الروماني ويساوي ٤٨٩و١ كم ، والميل الفينيسي ويساوي ١,٧٣٩ كم ، وورد الميل الألماني أيضاً في معاني مختلفة ، أما الميل الإيطالي في روسيا في ذلك الحين فكان يساوي $1\frac{3}{4}$ فرسخاً تقريباً .

صغيرة في الجانب الأيسر من المياه ، ثم يليها جبل تقوم عليه مدينة حجرية فيها منازل خشبية أيضاً ، ويعيش السكان بين الجبال في البساتين خلال أشجار السرو الغزيرة ، وعند مصب النهر الصغير تقف مجموعة كبيرة من چايكا وگالياسا[1] . وأما عمق المرفأ في منتصفه فيتراوح بين عشرين وثلاثين وأربعين ساژين ، والمياه تجري بسرعة من البحر الأسود إلى البحر الأبيض . . . أما طول المرفأ بأجمعه حتى تساريگراد ( القسطنطينية ) فيبلغ ١٨ ميلاً إيطالياً . . . »[2] .

وتتضمن الفصول المشابهة الأخرى للتقارير التي كتبها أوكراينتسيف معلومات عن أوضاع الجيش ، والأسطول ، والمالية ، وصناعة السفن : « يصنع الترك سفنهم بشكل رقيق وخفيف ، غير أنها جيدة وقوية ، وإنهم يصنعون القوارب ، والمراكب ، والزوارق بشكل أمتن »[3] . وقد بدأت روسيا في نفس هذه الفترة بتأسيس أسطول البحر الأسود . وكان لنشاط طاقم السفينة « كريپوست » الدور الكبير في هذا الصدد .

ويشير أوكرانسيڤ بالإضافة إلى ذلك ، بأن خريطة البحر الأسود التي كان يستعملها ( وهي نفس الخريطة التي كانت بحوزة بطرس الأكبر على ما نظن ) مطابقة مع الخريطة التركية .

وأما عن تموين القسطنطينية فيقول : « يجلبون الخبز ، والزبدة ، والخشب ، والحطب عن طريق البحر الأسود من مدن الدانوب ، برايلوڤ ، وايزمايل ، وگالاتسيا ، وكيليا . . . » ، ومن البحر المتوسط ( الذي يسمى بالأبيض حسب مصطلح السفير الروسي ) كانوا يحصلون على الدخن ، والأرز ، والسكر ، والقهوة ، والباقلاء ، والحمص ، وبذور القنب ، أما المؤن المصنوعة من الحنطة فلم تستورد .

---

(١) چايكا وگالياسا : أسماء لسفن شراعية مختلفة .

(٢) ن. أوستريالوڤ ، تاريخ سلطنة بطرس الأكبر ، المجلد ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٨ ، الهامش ٧ ، ص ٥١٦ ـ ٥١٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥١٨ .

# رحلة تولستوى

تأسست في تركيا السفارة الروسية الأولى الدائمية منذ بداية القرن الثامن عشر . فعين بطرس الأكبر في سنة ١٧٠١ پ .إ . تولستوي لهذا المنصب[١] . وقد اعتقد أن نشاط تولستوي الناجح في إيطاليا ، وپولونيا ، والنمسا يكون ضماناً لنجاحه في تركيا أيضاً ، ويستطيع أن يؤدي بصورة ممتازة مجموعة الواجبات المهمة الملقاة على عاتقه ، وقد ترك پ .أ . تولستوي من بعده كتابات عن رحلته في أوروپا[٢] .

عندما سافر پيتر أندرييڤيچ تولستوي إلى تركيا في ٢ نيسان زود بـ « المقالات السرية » ، وهي تتضمن توصيات وتعليمات مفصلة عما ينبغي أن يقوم به السفير ، والمسائل والقضايا الضرورية التي يجب أن يهتم بها بصورة خاصة . وكان عدد المقالات سبع عشرة مقالة ، كتب بعضها بطرس الأكبر نفسه .

شغل تولستوي ذلك المنصب الشاق حتى سنة ١٧١٣ ، وفي فترة توتر العلاقات وتفاقم الوضع السياسي الروسي ـ التركي في سنوات ١٧١٠ ـ ١٧١٣ كان قد احتجزه الترك مرتين في سجن القلعة ذات الأبراج السبعة حيث كانوا يسجنون فيه السفراء الأجانب عادة .

ورد في الوثيقتين المهمتين اللتين تعودان إلى پ .إ . تولستوي وصف دقيق وشامل للأمبراطورية العثمانية ، ويجيب فيهما على الأسئلة المقدمة إليه من التعليمات والتوصيات ، ووصف شامل ومفصل لشواطىء البحر الأسود .

تتألف الوثيقة الأولى « وصف أوضاع الشعب التركي » من تعليمات عن

---

(١) پ . إ. تولستوي ( ١٦٤٥ ـ ١٧٢٩ ) هو الجد الأكبر ( جد جد ) الكاتب ل . ن . تولستوي ، اشتهر في فترة تأزم العلاقات بين بطرس والقيصر اليكسي . ففي سنة ١٧١٧ كلف تولستوي للقيام بمهمة إقناع اليكسي للعودة إلى روسيا من الخارج . وكان تولستوي يتقن اللغة الإيطالية بصورة جيدة ، وهي إحدى اللغات الديبلوماسية في تركيا ؛ وكان هناك في هيئة السفارة ثلاثة مترجمين في اللغات اللاتينية ، والإغريقية ، والإيطالية ، والتركية ، والتاتارية ، والرومانية .

(٢) « الأرشيف الروسي » ، النشرة ٢ ، ١٨٨٨ ؛ د.م. ليبيديف ، الجغرافيا في روسيا في عهد بطرس ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٥٠ ، ص ١٦٩ .

العمليات الحربية معنونة إلى البوياريين الجنرال الأميرال فيودور گولوڤين الذي كان يرأس الشؤون الخارجية خلال سنوات عديدة ، وكان مسؤولاً عن نشاط تولستوي[1] بشكل خاص. وكانت أوامر السفارة الصادرة في ٢٤ آب سنة ١٧٠٣ قد تضمنت هذه المعلومات . وكان هذا التقرير الواسع على ما يبدو حصيلة قراءات كثيرة للمصادر الأدبية المعروفة لدى تولستوي ، وتدخل فيه بوجه خاص الملاحظات الشخصية ، والتقارير ، والأخبار ، والأنباء الكثيرة الواردة إليه ، فهو يقدم معلومات مفصلة عن الحكم ، والجيش ، والأسطول ، عن الوضع التجاري والعلاقات بين الترك والمسيحيين وما إلى ذلك . فهو يصف الترك بالشكل التالي : « يستند وضع الشعب التركي في الأساس على الافتخار والاعتزاز بالذات ، والإجلال والمهابة والوقار . . . إنهم يأملون بأن لا ينتصر عليهم أحد . . . إن الشعب التركي شعب صاح لا يحب السكر ، ويمتنع عنه ، وهم يحسبون السكر خطيئة كبيرة ، وهو عيب وعار ، والناس البسطاء لا يسكرون أبداً . . . وإنهم يعاقبون السكير »[2] .

فهم تولستوي بوضوح حالة الإضطهاد التي تعيشها الشعوب التي ترزح تحت وطأة السلطة التركية . ويقول بهذا الصدد : « يسلطون ظلماً قاسياً على الرعايا من اليونانيين ، ولقد أشاعوا فيهم الخوف إلى درجة بحيث لا يجرأون حتى في الخيال على القيام بعمل ما عندهم ، وقد منعوهم من حمل السلاح ، كما ولا يسمح لهم في الوقت الحاضر ارتداء الملابس الشبيهة بملابس الآخرين ، وذلك حتى يسهل التعرف عليهم وتفريقهم عن الآخرين ، ويرغمونهم أحياناً أن يلبسوا ملابس ضيقة وممزقة وذلك للاستكانة بهم وإذلالهم. . .أما الشعوب المسيحية الأخرى الخاضعة لهم من الصرب

---

(١) أرشيف الدولة المركزي للوثائق القديمة ، القسم ٨٩ ، السجل رقم ٣ ؛ البلاط التركي في العصر الحديث ، الكتاب ٨ ، الرقم ٢ ، ١٧٠٣ « التعليمات والرسائل المرسلة إلى البوياريين فيودور گولوڤين من المقيم في تساريگراد ( القسطنطينية ) السفير المنتسب إلى البلاط پيتر تولستوي » ( فيما بعد « التعليمات والرسائل » ) . اهتم ن . پ . پاڤلوڤ ـ سيلڤانسكي لأول مرة بهذا التقرير ونشر جانباً منه « مقالات في التاريخ الروسي في القرنين الثامن عشر ـ التاسع عشر » ، سانت پيترسبورغ ، ١٩١٠ . في مقالة « الكونت پيتر أندرييڤيچ تولستوي » ، ص ٢١ ـ ٢٤ ؛ ت.ك. كريلوڤا ، العلاقات الروسية التركية في أيام الحرب الشمالية ، « المدونات التاريخية » ، الرقم ١٠ ، ١٩٤١ ؛ پ . إ . تولستوي ، أوضاع الشعب التركي في سنة ١٧٠٣ ، مقدمة أ . سيرگييڤ ، سيمفيروپول ، ١٩١٣ .

(٢) « التعليمات والرسائل » ، ص ١٨٦ .

والموتيانيين ، والڤولوخيين ، والعرب وغيرهم فيضايقونهم ويضطهدونهم ، وذلك بابتزاز الأموال منهم عنوة ، وهم لا حول لهم ولا أحد يمد يد المعونة إليهم ، وقد زرعوا فيهم الخوف إلى حد لا يستطيعون فيه أن يحركوا ساكناً ضدهم ، وهم يفكرون ويحلمون في قرارة نفوسهم بالمساعدة المسيحية كما حدث أن دفع الهنغاريون الظلم عن أنفسهم بمعاونة القيصر الروماني »[1] .

ثم يصف تولستوي دوائر الدولة ، ويتطرق إلى صلاحيات وواجبات الصدر الأعظم ، وبقية المراتب من الموظفين .

وأما أجوبة تولستوي على أسئلة بطرس عن السلطان ، وضعه ، ونفسيته ، ومظهره ، وتحركاته ، واهتماماته ، وملاحظاته ، ورغباته ، والأشياء التي يميل إليها فقد كانت بالصورة التالية : « ان السلطان الحالي [ والكلام عن مصطفى الثاني ] هو في الدولة التركية كصنم ، فقد منح جميع سلطاته إلى الوزير الكبير ، والوزير الحالي شخص ذكي يفكر بعمق . ويظهر السلطان بشكل اعتيادي فخوراً ومعتداً بنفسه . . . وهو لا يميل إلى المحاربين ، ولا إلى الأمور الدينية ، ولا إلى إدارة الوظائف إلى الحد المطلوب ، إنما يقضي أوقاته داخل بيته حيث يحتفظ بنساء كثيرات يلهو بهن ، وعلى صلة بجميعهن في أوقات مرحة ولهوه ، وحصل منهن على أربعة أولاد . ثم انه يهوى القنص وصيد الحيوانات إلى حد كبير ، ويقولون بأنه يشبه أباه في هذا الصدد ، ويصرف مبالغ كبيرة على صيدة ولهوه ، ووقع على الخزينة عبء كبير بسبب هذه المصاريف ، ويشاركه وزراء القصر لهوه في الصيد ، وحياة الرفاه ، وبذلك يشتركون جميعاً في نهب الخزينة . . . ويعني جميع الوزراء الترك بثرائهم الشخصي أكثر من أي شيء آخر ، ولا يفكرون في إدارة شؤون الدولة . ويمكن التصريح في هذا المجال بأنه قد تهيأت الفرص لشخصيات الأوساط العليا التركية في الوقت الحاضر لجمع المال غير المحدود الذي يسرق من خزينة الدولة ، وقد أضحت الخزينة خالية بسبب إهمال السلطان نفسه »[2] .

أما عن سؤال بطرس حول إيرادات الدولة فيجيب تولستوي ، بأنه ليس

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

بالإمكان تحديد إيرادات الدولة التركية بشكل دقيق . ويخبرنا عن التجارة في البلاد ويقول بأن الفرس يجلبون « حريرهم بالطرق البرية إلى حلب وسميرنا ( إزمير ) ، ثم ينقلون جزءاً ضئيلاً منه عن طريق البحر إلى القسطنطينية ، وتتاجر فئة من التجار في القسطنطينية مع الافرنج ، أي الفرنسيين ، والانكليز ، والهولنديين . . . ويخرج الفرس أموالاً كثيرة من الدولة وهي على شكل نقود معدنية متنوعة وخصوصاً چيرڤونتسات(*) ذهبية وفضية »[1] . ويوضح پيتر أندرييڤيچ بأن السلع الزراعية لها أهمية كبيرة للقسطنطينية لأن المدينة تشرف على المجاعة إن لم تنقل تلك البضائع والسلع إليها من موانىء البحر الأسود . ويصف تولستوي بشكل مستفيض وكامل وضع الجيش وبالأخص الأسطول ، ويشير إلى توزيع القوات من حيث الإقامة والمرابطة ، ويصف مضيق كيرچين ( بين البحر الأسود وبحر آزوف ) واستحكاماته .

وحينما يصف تولستوي بلاد ما بين النهرين ( العراق ) والمدن القديمة فيها فإنه يستند على كلام الآخرين بدون شك . وعلى العموم يرسم پ . إ . تولستوي صورة واضحة جداً لانحطاط الأمبراطورية العثمانية في بداية القرن الثامن عشر .

ويقول د . م . ليبيديڤ عن تقرير تولستوي : « التقرير عبارة عن وثيقة رسمية تقدم لنا وصفاً سياسياً وجغرافياً للأمبراطورية التركية ، وهي تخرج بعيداً عن إطار القائمة الإحصائية الاعتيادية »[2] .

وأرسل تولستوي في سنة ١٧٠٦ مخطوطة إلى بطرس يصف فيها البحر الأسود مع جميع موانئه ومرافئه . وقد حقق تولستوي جميع الموضوعات التي تضمنتها في ضوء المصادر الرسمية . وهو يكتب إلى گولوڤين في سنة ١٧٠٦ بهذا الصدد :

« إنني أرسلت أناساً ماهرين ، وطلبت منهم القيام بتصوير ووصف الأماكن ، أما إلى أية درجة أستطيع أن أحكم أنا في الأمر ، فالحقيقة هي ما أقوله »[3] .

---

(*) الـ « چيرڤونتس » عملة ذهبية قديمة كانت تعادل عادة (٥) أو (١٠) روبلات ( المترجم )

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٢) د . م . ليبيديڤ ، الجغرافيا في روسيا في عهد بطرس ، ص ١٨١ .

(٣) ن . أوستريالوڤ ، تاريخ حكم بطرس الأكبر ، المجلد ٤ ، القسم ١ ، ص ٣٣٢ ـ ٤٠٠ .

وكانت قد تمت دراسة وتحقيق المخطوطة التي أرسلها تولستوي بدقة واتقان في الستينيات من القرن المنصرم من قبل المؤرخين ن . پوپوڤ ، ون . أوستريالوڤ . وردت فيها أسماء الموانىء ، والمرافىء ، والخلجان في البحر الأسود ، وصخور الشواطىء ، والأنهار ، والجبال . ولقد وصفت فيها المناطق الجنوبية والشرقية ( حتى كيرچي ) ؛ والغربية والشمالية لشواطىء البحر الأسود ، وكذلك الطرق البحرية في كيرچي حتى الدانوب ، وڤارنا ، والبوسفور ، وطرابزون . والقسم الأكبر من العمل مخصص لدراسة جزر بحر إيجه :

« تخيم العتمة على البحر الأسود ( پونتوس إڤكسينوس ) بصورة إعتيادية ، والرياح في الغالب شمالية أو شمالية شرقية ، ولا وجود للمد والجزر فيه ، يحده من الشرق كولخيدا ( مدينة في القفقاس على شاطىء البحر الأسور ) ، ومن الجنوب آسيا الصغرى ، ومن الغرب ميزيا ، طوله من الشرق إلى الغرب ٩٠٠ ميل إيطالي ، وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٣٠٠ ميل ؛ وتحيط به من جميع الجهات شواطىء بهيجة وطيبة ، فيها أشجار مثمرة . ومن أفضل أصقاعها تلك التي تقع بين الدانوب والقسطنطينية ، وكذلك شواطىء آسيا الصغرى ؛ يتوفر القمح ، والحيوانات ، والأخشاب ، والشعير ، والأغنام في شواطئه ، وتنقل كلها إلى القسطنطينية في سفن بحرية صغيرة » .

وقد وجه تولستوي اهتمامه في الشاطىء الجنوبي من بحر الأسود إلى ميناء ايريگلي : « يستطيع هذا الميناء أن يستقبل مئات السفن أو أكثر ، فيه جدران من الصخور تحميه من الرياح ، لكنه غير آمن من المايسترا (اسم لرياح عاصفة - م.خ.) وهي تقلق البحارة كثيراً . . . وفي ترسانة المدينة الكبيرة سينوپ ترسو ثلاثون سفينة سلطانية ، وزوارق بحرية ، وبواخر ، وقوارب أخرى كثيرة . أما عدد بيوت المسيحيين فهو أكثر من ألف . . . وحولها الغابات التي تستعمل أخشابها في صناعة السفن ، وخاصة السفن البحرية ، والسفن الخشبية الحربية الكبيرة ، وأما صنّاع السفن فهم من اليونانيين ، ولا يشترك المسلمون معهم في العمل »[1] .

وهناك في القسم الشرقي من أونى رأسان بحريان ، أحدهما كبير وهو ڤونا :

(١) « مقالات في تاريخ الاستشراق الروسي » ، المجموعة ٢ ، موسكو ، ١٩٥٦ ، ص ٣٨٩ .

« بينهما خليج ، وهو يسع لدخول سفينتين فقط ؛ ثم الميناء وهو من أفضل الموانىء على وجه البسيطة ، يرسو فيه أكثر من ستين سفينة ؛ وتستطيع السفن والبواخر أن ترسو فيه في موسم الشتاء دون أن تخشى أي خطر » . وهناك بين ميناء پيكسونت ( الظاهر أنه پيتسوند ) وكيرچي عدد كبير من الرؤوس ، والمرافىء ، إلاّ أنه لم يذكر أسماءها .

وأما في الشواطىء الغربية فيذكر : ميديا ، ونيادا ، وپورگوس ( بورگاس ) ، وڤارنا . ويشير المؤلف بأن نهر سولين وهو أحد روافد الدانوب يكون مهيئاً عند مصبه « أكثر من بقية المصبات التابعة للدانوب ، لاستقبال الأساطيل الضخمة » . وقد أعجب بميناء أوچاكوف : « وهو ميناء كبير آمن ، ترسو فيه الأساطيل الكبيرة » ، ثم يصف وبشكل مفصل أيضاً منطقة سيواستوپول ، ويشير فيها إلى بالاكلاڤا ، وكيرچي وغيرهما[1] .

وعلى الرغم من أن « وصف البحر الأسود » لم يكن على ما يبدو غير ترجمة أو تعديل لأحد الكتب الإيطالية وإنها كما يقول ن. پ . پوپوف لم تقدم غير « تعداد مجرد للمواقع القائمة على شواطىء البحر الأسود » فإنها مع ذلك أثارت اهتمام بطرس الأكبر بدرجة ربما لا تقل عما أثارته معلومات تولستوي عن أحوال الجيش والأسطول التركيين ، كما انها تشتمل على وصف دقيق وكامل للبحر الأسود .

## تقارير السفارة
## والجريدة الروسية الأولى

كانت تقارير السفارة شأنها في ذلك شأن الأخبار والمعلومات الأخرى تشكل مصدراً أميناً لاستعلامات الحكومة . ولقد أصبحت في الوقت نفسه المادة الأساسية للجريدة الروسية الأولى التي أسسها بطرس الأول في سنة ١٧٠٣ باسم « كشوف عن الشؤون الحربية والشؤون الأخرى التي حدثت في دولة موسكو وفي البلدان

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٠ .

المجاورة الأخرى »[1] . وكانت الجريدة تعتمد على المعلومات التي كانت تتلقاها من تركيا ، وتقتبس الأنباء والمعلومات من الصحف الألمانية والهولندية في نفس الوقت .

ففي عدد آذار ( العدد الحادي عشر ) من سنة ١٧٠٢ على سبيل المثال نجد بياناً طريفاً عن العلاقات التجارية بين روسيا وتركيا : « يوجه التجار الروس والأجانب على الحدود من آزوف تجارتهم ، وهي ضخمة جداً إلى تساريگراد ( القسطنطينية ) ، وكذلك يحملون إلينا من تساريگراد وبلاد أخرى بضائعهم وسلعهم المتنوعة بدون عائق ويجنون من وراء ذلك فائدة غير قليلة »[2] . ويتبين من الأخبار الكثيرة المنشورة في الصحف مدى الاهتمام الواسع بالأنباء التي تخص الأحداث في الأمبراطورية العثمانية ، وهي لم تكن مقتصرة على القضايا السياسية فقط . وهكذا ففي « الكشوف » الصادرة في تموز سنة ١٧١٩ : « قبل وصول ممثل بطرس بعدة أيام حدثت زلازل في تساريگراد استمرت مدة ثلاثة أيام ، وقد تهدم جانب من أسوار المدينة طوله (٢) سازين . من جانب البحر من جراء تلك الزلازل »[3] .

## رحلة ماكاري وسيليڤيرست

كانت رحلات وأسفار التجار والحجيج مستمرة إلى الشرق الأوسط في عهد بطرس كما كانت في السابق . فقد وصلتنا بعض الملاحظات والانطباعات والمذكرات اليومية من طائفة من الحجيج . ففي سنوات ١٧٠٤ ـ ١٧٠٧ قام الراهبان ماكاري وسيليڤيرست برحلة من نوڤگورود الشمالية إلى مدينة القدس عن طريق كييڤ ، وفاستوڤ ، ونيميروڤ ، وسوروكي ، وياسي ، وگالاتس ، وخلال مجرى الدانوب ، ثم عن طريق البحر إلى القسطنطينية[4] .

---

(١) « كشوف عهد بطرس الأكبر » ، النشرة ١ ـ ٢ ، موسكو ، ١٩٠٣ و١٩٠٦ . ( فيما بعد « كشوف » ) .

(٢) « كشوف » ، النشرة ١ ، ص ٣٢ .

(٣) « كشوف » ، النشرة ٢ ، ص ٢٧٤ .

(٤) « الحجيج الكتّاب في عهد بطرس وما قبله ، أو الرحالة في المدينة المقدسة أورشليم » ، تعليقات الأرشمندريت ليونيد . يراجع : « قراءات في الجمعية الأمبراطورية للتاريخ والتاريخ القديم الروسي في جامعة موسكو » ، الكتاب ٣ ، ١٨٧٣ ، القسم ٥ ( « متنوعات » ) ، ص ١ ـ ٢٦ .

وهناك في مذكرات الحجيج بجانب الملاحظات ذات الطابع الديني معلومات عن الجغرافيا ، والتاريخ ، والاتنوغرافيا ، وهي دليل اهتمام الحجيج الواسع المتشعب .

وصل ماكاري وسيليڤيرست إلى القسطنطينية في ١٠ نيسان :

« وقد تعرفنا على جماعتنا من الروس الذين سافروا بحراً على متن سفينة صغيرة ، ثم أخذونا معهم في قواربهم وتوجهنا إلى بيشيك تاش ، والتقينا بالراهب الروسي الأب گريگورس » . تشهد هذه الكلمات على أن جالية روسية كانت تمتهن التجارة في القسطنطينية في ذلك الحين . وقد عاش الرحالة المسافرون في المدينة مدة شهرين ، ثم شرعوا بالسفر لإكمال برامج رحلتهم في ١٠ حزيران .

وكان اهتمام الحجيج في مصر قد تركز على تنظيم وتوزيع المياه : « فالقضية الأولى هي كيف يحصلون على المياه : لا يوجد أي نهر في الاسكندرية عدا البحر ، ومياه البحر مالحة جداً ، لا يمكن استعمالها للشرب ، أما نهر النيل الذي يجري في الأراضي المصرية فهو بعيد ، وتقدر المسافة بين الإسكندرية ونهر النيل بمسيرة أربعة أيام ، ويتم سحب مياه نهر النيل بقنوات تحت الأرض حتى تصل الإسكندرية » .

ثم يشير الحجيج إلى دور النيل في حياة البلاد : « يروي ذلك النهر جميع الأراضي المصرية ؛ لا وجود للأمطار في هذه البلاد ، ولا وجود للشتاء كذلك ، ومياه ذلك النهر المسمى بالنيل غزيرة وكثيرة جداً ، فهو يروي جميع الأراضي المصرية ، ويحل محل الأمطار ؛ ويقوم سكان تلك البلاد بحصر المياه في الحفر والخنادق ، ثم يفتحونها على مزارعهم ، ويحتفظون بالمياه في تلك الحفر لمدد مختلفة حتى ترتوي الأرض . . .

ولا تغطي الأراضي المصرية أية نباتات عدا النخيل كما هي الحال في بلادنا بالنسبة للأدغال الواسعة العظيمة ، وهي غزيرة كغزارة النخيل في أرض مصر ؛ أما حرارة الشمس فلا حدود لها ؛ ولا توحي الأراضي المصرية إلى البهجة والفرح ، والناس فيها ليسوا طيبين » . ( لماذا الناس ليسوا طيبين ! من المحتمل أنهم كانوا ضعاف البنية ، أو أصابهم المرض والسقم وهم في صحة غير جيدة . فكلام الحجيج

هنا غير واضح ) . وزار الحجيج عدا الاسكندرية القاهرة ( مصر ) ، ودمياط ، وتوجهوا بعد ذلك عن طريق البحر إلى يافا[1] ، ثم خلال اللد وصلوا مدينة القدس . وكان الطريق وعراً ومتعباً جداً :

« كان الطريق صعباً ومخيفاً ، وارتياد مثل هذه الطرق ليس بإمكان جماعة صغيرة مطلقاً خشية اعتداءات البدو ، وبالإضافة إلى ذلك إن الطريق وعر ، فهو عبارة عن جبال عالية جداً ، وكتل مكدسة من الصخور ، ولا بد من النفوذ في تلك الجبال لقطع الطريق ، وهناك البدو وهم متهيؤ ون للنهب دوماً ؛ ولا وجود لأي نوع من الأشجار والثمار في تلك الجبال ، وهي محرومة من المياه ، أما الحرارة فلا حدود لها » .

أقام الحجيج في مدينة القدس حوالي السنة . ويحتل وصف الأماكن المقدسة في المدينة ، وضواحيها ، ومختلف أنواع الأساطير أكثر من نصف الكتاب ، أما الاهتمام بالنشاط الاقتصادي للسكان فهو قليل إلى حد ما .

عاد الحجيج إلى بلادهم في أيلول سنة ١٧٠٦ . وفي طريق العودة بالقرب من قبرص وقعوا تحت رحمة عواصف وزوابع قوية وشديدة جرفتهم إلى مدينة أداليا . وكان سفرهم فيما بعد عبر أماكن لم يروها وغير معروفة لديهم . وقد علموا في أداريا بأن قافلة خرجت إلى تساريگراد ( القسطنطينية ) فالتحقوا بها ، وهكذا وصلوا إلى مدينة تساريگراد بسلام .

« وقد طوينا الأرض مع تلك القافلة حتى وصلنا إلى مدينة تساريگراد ، وكان سفرنا على ظهور الدواب ، وهناك أحياناً مناطق لا يمكن قطع الطريق فيها حتى على الحيوانات لوعورة الجبال الصخرية الهائلة المخيفة . ولا تستطيع الجماعة الصغيرة أن تعبر الطريق بسلام أيضاً ، لأن أحداث السلب والنهب كثيرة . وقد استمر السفر في ذلك الطريق البري مع جماعة من الترك مدة ثلاثين يوماً ، فوصلنا إلى المدينة التي تسمى بروسة » . ثم توجه المسافرون من بروسة إلى تساريگراد حيث قضوا فيها

---

(١) كان ماكاري وسيليڤيرست يحملان فرمان السلطان الذي كان قد حصل عليه پ . إ . تولستوي لهما .

فصل الشتاء ، وفي ربيع سنة ١٧٠٧ عادوا إلى بلادهم على ظهر إحدى السفن : « وصلنا بسرور من تساريگراد إلى الأمبراطورية الروسية » . واستغرقت الرحلة الفترة من كانون الأول سنة ١٧٠٤ حتى تموز سنة ١٧٠٧ .

## رحلة ڤيشينسكي

خرج الراهب إيپوليت ڤيشينسكي في سنة ١٧٠٧ من نيژنى ، وعن طريق كييڤ ، وياسي ، وبوخارست ، وتساريگراد وصل إلى يافا في ٩ نيسان سنة ١٧٠٨ . ثم توجه إلى دمياط ، وسلك مجرى النيل حتى دخل القاهرة ، وسافر من هناك إلى سيناء ، ثم عاد إلى القاهرة مرة أخرى ، وزار دمشق ، وصيدا ، ويافا ، وعن طريق الرملة دخل مدينة القدس في ٢ أيلول سنة ١٧٠٨ وأقام فيها حتى ٢٨ نيسان سنة ١٧٠٩ . ثم توجه ڤيشينسكي من مدينة القدس عن طريق يافا ، وأيون إلى تساريگراد ، وفي نفس السنة عاد إلى چيرنيگوف[١] .

## رحلة ايگناتييڤ

كان الراهب أندريه ايگناتييڤ وأخوه ستيفان ضمن البعثة الديبلوماسية التي كان يرأسها پ . إ . تولستوي . ولقد خرجا من القسطنطينية في تشرين الأول سنة ١٧٠٧ وقاما برحلتهما فزارا مصر ، ومدينة القدس ، وجبل سيناء[٢] .

---

(١) لم تطبع مخطوطة « السائح الراهب إيپوليت ڤيشينسكى » يراجع عنها :
Noroff, Pelerinage en terre Sainte de l'igoumene russe Daniel, 1864, p.214; Tobler, Bibliographia geographica Palestinae, 1867, p.120.
ويراجع كذلك بصورة خاصة : ڤ . خيتروڤو ، فلسطين وسيناء ، القسم ١ ، النشرة ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٧ ، ص ٢٣ - ٢٦ ؛ س . پونوماريوڤ ، مدينة القدس وفلسطين في الأدب والعلم والفن والترجمة الروسية ، « منتخبات قسم اللغة والأدب الروسى في أكاديمية العلوم » ، المجلد ١٧ ، النشرة ٢ ، ١٨٧٧ ، ص ١١ .

(٢) « قراءات في الجمعية الأمبراطورية للتاريخ والتاريخ القديم الروسى في جامعة موسكو » ، الكتاب ٣ ، القسم ٥ ( « متنوعات » ) ، ١٨٧٣ ، ص ٢٧ - ٥٤ .

وليست لمذكراتهما في الواقع أية أهمية تذكر ، لأن اهتمام المسافرين انصب بصورة خاصة على الأماكن المقدسة . وقد وردت في المذكرات معلومات ضئيلة عن القيمة الاقتصادية والزراعية لنهر النيل ، وفيها وصف لمصر يجلب النظر إلى حد معين : « وهناك على طول ذلك النهر الذي يسمونه بالنيل ، من الجانبين وحتى مصر [ القاهرة ] بساتين للنخيل ، وهي ضخمة ، وكثيرة ، وواسعة ؛ ويقولون هناك بعض البساتين عرضها خمسة فراسخ ، وفي أماكن أخرى بساتين كثيرة يقدر عرضها بعشرة فراسخ ، وهي تعود إلى السكان الذين يعيشون في هذه الأصقاع ، وهم من العرب والترك ، وهي تمتد حتى راخيتي ( الرشيد ) ، وعلى ضفتي النهر أراضي كثيرة رطبة وواطئة فيها من القصب الشيء الكثير ، والتربة سوداء غرينية ، ويزرعون فيها الأرز بكثرة ، وإنتاجه غزير ، والمياه متوفرة للبساتين ، وحفرت آبار كثيرة في الشاطىء ، وعلى كل بئر دولاب كبير يرفع المياه ويدفعها إلى القطاعات المختلفة ، وفي حالات أخرى تؤخذ المياه من النهر مباشرة » .

وعاد ايگناتييڤ من مدينة القدس إلى القاهرة ، توجه في سنة ١٧٠٨ بصحبة القوافل إلى جبال سيناء : « كانت القافلة تحمل الحبوب إلى محطة في السويس حيث تنقل إلى مضائق البحر الأسود ، وقد استمر سفرنا ليلتين ونهارين غير اننا كنا في خوف وهلع نخشى اللصوص وقطاع الطرق ؛ وكانت الصحراء ناعمة ، وهي جافة إلى حد لا وجود للماء ، ولا الحشائش ، ولا أي نوع من الأشجار فيها . كانوا يحملون الماء في جلود الماعز ، ويشحنون سفن البحر الأسود المحلية في تلك المحطة بالحبوب فقط ، ويحملونها إلى مكة . . . وعندما يحملون الحبوب على الإبل إلى مكة ، فإنهم يحملون البن في القِرب على نفس قوافل الجمال إلى مصر » .

لا شك بأن لهذه التفاصيل بعض الأهمية ، لأنها قضايا تتعلق بالتجارة مع مكة واليمن . ثم عاد المسافران من سيناء إلى مصر ، وفي أيلول سنة ١٧٠٨ دخلا تساريگراد ( القسطنطينية ) .

## رحلة ڤارلام

كان الراهب ڤارلام ، وهو قسيس الفيلدمارشال ب . پ . شيريميتيڤ قد

توجه إلى القسطنطينية للخدمة لدى السفيرين الروسيين البارون شافيروڤ والكونت شيريميتڤ مع رتل من أرتال القوات التركية فوصل إلى أدريانوپول ( أدرنة ) في ٢٩ أيلول ١٧١١ ، وفي تشرين الثاني دخل القسطنطينية . وبعد توقيع إتفاقية السلام مع الترك تسلم فارلام الفرمان السلطاني بالموافقة على السفر ، وفي آب سنة ١٧١٢ توجه إلى مدينة القدس[١] .

تتضمن « مذكرات ڤالارم عن رحلته » بصورة خاصة وصف الأماكن المقدسة في فلسطين منها مدينة القدس ، وبيت لحم وأماكن أخرى .

## رحلة لوكيانوڤ

تمت رحلة القس الموسكوبي المحافظ يوآن لوكيانوڤ في سنة ١٧٠٣ ، إلاّ انه أشير خطأ إلى سنتين أخريين وهما ( ١٧١٠ ـ ١٧١١ ) على غلاف الكتاب[٢] .

خرج لوكيانوڤ من موسكو في ٢٣ كانون الأول ( لا تذكر السنة في النص ) . سار الرحال خلال كالوگا ، وليخڤين ، وبيليڤ ، وأريول ، وسيڤسك ، وكروما ، وگلوخوڤ ، وكورولیڤيتس ، ونيژنى ، وكييڤ ؛ ومن كييڤ دخل سوروكي في ١٧ شباط عن طريق فاستوڤ ونيميروڤ . وكانت سوروكي مدينة صغيرة على الحدود بين پولونيا وڤالاكيا في ذلك الوقت . ومن سوروك توجه لوكيانوڤ إلى ياسي : « تقع مدينة ياسي على جبل جميل المنظر ، وحولها جبال عالية ، كانت قديماً مدينة كبيرة ، غير أنها تهدمت الآن بيد الترك والپولونيين »[٣] . « وإن أراضي الفولغا خالية تماماً ، وقد أصابها التمزق ، فهي تتبع پولونيا أحياناً ، وأحياناً أخرى تعود لنا أي إلى كييڤ ، وأخرى يحكمها پالي[٤] . وإذا ما نجت هذه الأراضي من الهدم ، فإن أراضي أخرى لا

---

(١) « قراءات في الجمعية الأمبراطورية للتاريخ والتاريخ القديم الروسي التابعة لجامعة موسكو » ، الكتاب ٣ ، القسم ٥ ( « متنوعات » ) ، ١٨٧٣ ، ص ٥٥ ـ ٧٨ .

(٢) « رحلة الراهب الموسكوبي يوآن لوكيانوڤ إلى الأراضي المقدسة ١٧١٠ ـ ١٧١١ » ، موسكو ، ١٨٦٢ ؛ « الأرشيف الروسي » ، النشرة ١ ـ ٥ ، ١٨٦٣ .

(٣) « مقالات في تاريخ الاستشراق الروسي » ، المجموعة ٢ ، موسكو ، ١٩٥٦ ، ص ٣٩٩ .

(٤) پالي ( پاليي ) : زعيم الحركة التحررية للشعب الأوكراييني في الساحل الأيمن من أوكرانيا ضد النير البولوني في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ( توفي في سنة ١٧١٠ ) .

يمكن أن تنجو بسرعة ! وإن أرض الميعاد تلد أشياء متنوعة ! وهم أنفسهم يقولون : لدينا خامات من الذهب والفضة ، ولكن لا نستفيد منها ، متى ما استطعنا أن لا نرى الترك بين ظهرانينا ، فإننا في ذلك الوقت يمكننا أن نستفيد من تلك الخامات »[1] . وتحدث لوكيانوف عن رئيس الدولة الذي كان يضطهد رجال الدين ، فعزلهم ونصب بدلهم يونانيين كانوا يعيشون حياة ملؤ ها الفسق والفجور .

ثم سافر الرحال من ياسي إلى گالاتس ، واستمر في سفره حتى انتهى به إلى القسطنطينية . وقد وصف العاصمة بشكل مفصل ، تناول ساحاتها ، وشوارعها ، وبيوتها ، ومساجدها ؛ وأشار إلى أن المدينة غير محصنة بالمدافع والتحصينات الأخرى ، غير أن هناك « أنواعاً مختلفة من القذائف والعُدد على ظهر السفن ، وهي مقترنة بالمراقبة العسكرية في البحر ، وأما في اليابسة ، فلا يُخشى من أي شيء .

ولا يحس المرء بوجود الاحتيال واللصوصية فى تساريگراد ( القسطنطينية ) مطلقاً ، يشنقون الناس هنا بسبب سرقة بسيطة ، ولا يحترم الترك السكارى أيضاً ، وهم أنفسهم لا يشربون الخمر ، وإنما يشربون الماء ويرتشفون القهوة فقط ، وهي ماء أسود مغلي . . . أما من حيث البضائع والسلع فإن تساريگراد أغنى وأكثر ثراء من موسكو . . . وهي تتفوق في جميع البضائع على موسكو بخمس مرات . . . وتكثر الأسواق والحوانيت في تساريگراد وهي تبلغ ضعف ما موجود في موسكو . . . وفي تساريگراد بساتين ينتهي موسم أزهارها في الأسابيع الأولى من أيام الصوم الكبير ، أما الخضر فإنها تنضج قبل « الأحد المنير » كالباقلاء ، والشوندر ، والفجل والأنواع الأخرى المختلفة من الخضار والزهور . . . يصنعون الخبز في تساريگراد من الحنطة فقط ، ولا يصنعون الخبز من حبوب ونباتات أخرى ؛ والخبازون هم من الأرمن ، أما الطواحين فهي تدور بقوة الخيول . . . والسرطان البحري في تساريگراد هائل جداً يبلغ طوله ذراعاً واحداً . . . ولا توجد المدافىء في المدينة ، وكذلك لا يحتفظ الترك بمقاعد في منازلهم ، ولا يستعملون المناضد والموائد ، يجلس الجميع على الأرض ، ويفرشون البسط . . . وهناك وسائد يجلسون عليها . ويطبخون المأكولات والأطعمة على الأثافى ، أما في فصل الشتاء فيضعون الفحم في

(١) « مقالات في تاريخ الاستشراق الروسي » ، ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

قدور خزفية للتدفئة ، وهم بهذه الطريقة يتدفأون »[1]

ويتحدث لوكيانوف كذلك عن لقاءاته في القسطنطينية مع التاجر الموسكوبي ڤاسيلي نيكيتين پوتيمتس الذي كلفه لويكانوف وجماعته أن يقوم ببيع البضائع التي كانوا قد جلبوها معهم . ثم يصف البضائع المعروضة للبيع في الأسواق ويذكر أسعارها ، ويتطرق إلى النظام النقدي في البلاد وقيمة عملات البلدان المختلفة بعضها بالنسبة للبعض الآخر .

وزار لوكيانوف سجون الأشغال الشاقة التي كانت تضم المحتجزين الروس ، وكان هؤلاء في حالة تذمر شديد ، وقالوا بأن أوكراينتسيف « قد تراجع وخشي الترك ولم يستطع أن يعمل في سبيل إطلاق سراحهم » . « لماذا لم يعمل في سبيل إطلاق سراحنا ، إننا اقتحمنا الموت في سبيل عاهله هو ، وسفكنا دماءنا ، ونعاني الآن المشقات ، غير أن صراخ الناس البسطاء مهما كان عالياً لا يدفع المحنة ولا ينقذ . . .

لا يعيش السلطان في تساريگراد ، وإنما يقضي أوقاته في أدريانوپول ( أدرنة ) ، وهو يخشى العيش هنا لأن الانكشاريين يحاولون قتله . وهم أناس عنيدون ويتصرفون وفق أهوائهم ويعملون ما يريدون . وإذا ما التقوا بالپاشا أو أي عقيد في الجيش فإنهم يخنقونه ويقضون عليه بسبب ذنب أو مخالفة حتى إذا كانت صغيرة . وتحدث الفتن ، والعصيان ، والاضطرابات في تساريگراد بكثرة وسببها الأساسي هو فرق الانكشارية . . . وقد حدثت أمامنا مثل هذه الإضطرابات » .

هذه هي الصورة الواضحة للحياة والواقع المعاش في القسطنطينية كما رسمها لوكيانوف .

ثم سافر لوكيانوف إلى أدريانوپول في سبيل الحصول على « الوثائق السلطانية » أي الحصول على الفرمان الذي يجيز له الاستمرار في رحلته وتنفيذ خطة سفره : « تقع مدينة أدريانوپول في مكان سهل منبسط ، تقع بعض أصقاعها على الجبل والبعض الآخر في السهل . أما من حيث المؤسسات والمنازل فهي أكثر من مدينة ياروسلاڤل ؛ والمدينة مبنية من الحجر ، وهي أسوأ من تساريگراد ، تكثر فيها

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٠

صفوف البنايات ، الشوارع والدروب الضيقة ، أما الأسواق التجارية فهي كثيرة ؛ والمساجد أكثر ، ويقع قصر السلطان على ضفة النهر تحيط به الحدائق والبساتين ، وهو أصغر من نهر موسكو ، وماؤه غير صاف »[1] .

بقي لوكيانوف في أدريانوپول ستة أيام حصل خلالها على الفرمان السلطاني اللازم للسفر إلى مدينة القدس ، ثم ركب البحر وتوجه نحو مصر : « وصلنا في ١١ آب إلى نهر النيل ، النهر الذي يتدفق من الجنة ، ولكن مياهه عكرة غير صافية ، وكان البحر كله غير صاف بسبب الترسبات الغرينية لمسافة ثلاثين فرسخاً بشكل دائري ؛ وكان يبعد مصب نهر النيل بمقدار خمسة فراسخ ، وكان رسو السفن صعباً لأن النهر يجرف معه الرمال ويكون البحر عند المصب غير عميق » . وكان المسافرون قد وصلوا إلى الرشيد بالقوارب : « كان فزعنا شديداً عندما شاهدنا جماعة من العرب ، وإن مشاهدة مثل هؤلاء الناس شيء غير طبيعي . . . بعضهم عراة ، كما ولدتهم أمهاتهم ، وهم متوحشون فيهم الأحدب والأعور والأعمى . لغتهم فضة خشنة . . . يسيرون وهم حفاة ، والفتيات اللاتي رغم بلوغهن الثانية عشرة والخامسة عشرة يسرن عاريات ، إنه أمر فضيع لا مثيل له . . . ولا وجود للأمطار في مصر مطلقاً ، تروي جميع الأراضي فيها بمياه النهر ، وهناك أنفاق ، وخنادق ، وحفر في كل مكان يجمعون فيها المياه ، وبها يسقون الحقول أو يوصلون الماء إليها . إن نهر النيل واطىء ، والضفاف واطئة أيضاً ، وهو يجري في مستوى الضفاف تماماً . وتنضج الخضار المختلفة في مصر مرتين في السنة ، وكذلك القمح . . . » .

وأشار لوكيانوف عندما كان يمخر في نهر النيل إلى أنه « هناك على جانبي نهر النيل مدن وقرى عربية كثيرة لا تعد ولا تحصى ، وتبعد رمال البحر كل مدينة عن الأخرى بمسافة فرسخين . والأراضي التي تحيط بالنيل خصبة وسوداء وسهلة كأنها مصنوعة كذلك عن عمد ، ولا وجود للتلال والروابي فيها مطلقاً ، فهي ملساء إلى حد تتدحرج البيضة عليها ، ولا تستطيع أن تستقر . وعدد السكان كبير جداً ، والنيل هو الذي يسقي جميع الأراضي المصرية . . . فإذا كانت الضفاف عالية فيسحبون الماء بوساطة الثيران ، وهي تحرك العجلات الشبيهة بالطواحين ، وترتبط بها

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠١ .

دوارق وهي تصب المياه ، وينقل النـاس المياه بالقـرب أيضـاً . والأراضي المصرية واسعة جداً تكفي للجميع ، للناس وللحيوانات . ولكن ماذا نقول ، إن الترك هم وحدهم الذين ينعمون بهذه القيعان الذهبية ، وتصدر بضائع وسلع كثيرة عن طريق البحر من مصر إلى تساريـگـراد » .

ثم توجه لوكيانوڤ عن طريق البحر إلى فلسطين دون أن يعرج على القاهرة والاسكندرية لزيارتهما . وعاش بعض الوقت في مدينة يافا ( يوپـيا ) . « عندما كنا نعيش في يوپـيا ، كان الفقر المدقع شيئـاً واضحـاً فيهـا ، وكان القراصنـة ينهبـون السفن ، وهم من جزيرة مالطا ومن أصل الماني ، انهم ناس ظالمون خشنون ، وقد غدوا سادة البحر في هذه الأطـراف ؛ وان بابـا رومـا هو الـذي يوجههـم للنهـب والقرصنة ، ويبارك عملهم في اليابسة أيضاً ، وفي كل سنة يطلقون سراح ثلاثة عشر گـولين [ نوع من السفن ] »[1] .

وهكذا لم يغب اشتراك بابا روما في النهب والسلب مع فرسان مالطا عن اهتمام لوكيانوڤ[2] .

ثم دخل لوكيانوڤ بصحبة قافلة كانت تضـم ألفـاً وخمسمائـة شخص مدينـة القدس . أما وصفه لمدينة القدس والأماكن الأخرى من فلسطين فقد كتـب بروح الحجيج اللاهوتية .

وفي كانون الثاني ( من المحتمل سنة ١٧٠٦ ) عاد لوكيانـوڤ إلى روسيا من مدينة القدس عن طريق يافا ، وعكا ، ودمياط . وأثناء سفره إلى القسطنطينية توقفت سفينته أكثر من أسبوعين بالقرب من كاستيللوريتسو، وذلك خوفاً من غارات سفن القراصنة . والتقى لوكيانوڤ بالتجار الروس في القسطنطينية منهم إيڤان كادمين ، وأخيه وجماعة من أسرة ڤيتكوڤ . ثم عاد لوكيانوڤ من القسطنطينية إلى وطنه عن

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠١ ـ ٤٠٢ .

(٢) فرسان مالطا : أعضاء منظمة دينية فروسية ، تأسست في سنة ١١١٨ في مدينة القدس لغرض مساعدة المرضى لإدخالهم إلى المستشفى ، وكانوا يسمونهم بـ ( اليوآنيين ) . استقروا في سنة ١٥٣٠ في مالطا واستقرت منظمتهم هناك وأصبحوا يسمون بمنظمة مالطا . وهم أنفسهم كانوا يقومون بأعمال القرصنة باسم الدفاع عن البحر الأبيض المتوسط وشعوب شمالي أفريقيا من الترك .

البحر ، أما التجار فعادوا عن طريق البر . والتقى لوكيانوف بالتجار الذين كانوا قد سافروا عن طريق البر عندما قطع معهم المسافة إلى گالاتس بوساطة نهر الدانوب ، فعاد مع هؤلاء ودخلوا جميعاً مدينة كييف بسلام .

وأخيراً تعتبر مذكرات لوكيانوف أثراً مهماً من آثار بداية القرن الثامن عشر ، وهي تشهد على حب الاستطلاع ، واهتمام الرحالة الروس بحياة ومعيشة شعوب الشرق الأوسط .

## رحلة نيچاييف

قام رجل التجارة والصناعة ماتفيي گافْريلوف نيچاييف برحلته في عهد بطرس إلى مدينة القدس في سنتي ١٧١٩ ـ ١٧٢٠[١] . بدأ نيچاييف رحلته من پاروسلاڤل فوصل گالاتس عن طريق پولونيا ، ومولداڤيا ، واجتاز فيما بعد سلسلة جبال البلقان : « هناك طرق صخرية بين تلك الجبال ، وهي وعرة جداً ، وتبلغ المسافة في تلك الجبال العالية مسيرة يومين ، يكون السفر شاقاً خلال الجبال ، فيضطر التجار أن يخففوا من ثقل البضائع والسلع في عربات النقل التي تجرها الثيران ، لذلك يحملون معهم البضائع الغالية النفيسة الصغيرة جداً . ومن الممكن رؤية البحر الأسود من بعيد في الجانب الأيسر من تلك الجبال الهائلة . ويمكن للمرء أن يشاهد قبل الهبوط من الجبال موقعاً مأهولاً بالسكان يعيش فيه البلغار والترك ، ثم سرنا من هذا الموقع إلى موقع آخر مأهول بالسكان هو كارناباڤ [ كارنوبات ] » . وعبر نيچاييف من كارنوبات إلى أدريانوپول ( أدرنة ) : « يجري بالقرب منها نهر صغير ، وفي المدينة بنايات لا يستهان بها ، ودور للضيافة ، أما الحوانيت فهي كثيرة ، والسطوح فيها مغطاة بالرصاص . تستخرج المياه من باطن الأرض في مواضع كثيرة ،

---

(١) « رحلة رجل التجارة والصناعة ماتفي گافْريلوف نيچاييف إلى مدينة القدس ( ١٧١٩ ـ ١٧٢٠ ) » ، إعداد : ن. پ . بارسوڤ ، وارشو ، ١٨٧٥ . ( إن تاريخ ١٧١٩ ـ ١٧٢٠ غير واضح ، لأن نيچاييف نفسه يقول بأنه بدأ رحلته في « الصيف بتجسيد كلمة الرب سنة ١٧٢١ ، وفي شهر تموز ، واليوم ١٦ منه » ) .

وهي عذبة وصالحة للشرب . والبنايات المرمرية كثيرة جداً . هذا بالإضافة إلى أن الموقع نضيف ، وهواؤه معتدل ، وهو في مكان بعيد عن البحر . وإن هذه الميزات بالذات جعلت سلاطين الترك أنفسهم أن يميلوا الى مثل هذه المدينة ، لذلك يتردد عليها السلاطين من تساريگراد غالباً . . . وفي المدينة بنايات لا مثيل لها ، والأسواق والحوانيت جميلة وجيدة ، والأبراج والقصور مبنية من حجر المرمر الأبيض ، والسقوف من الخشب ؛ وهناك أنواع الخضار وهي غزيرة ومتنوعة ، وفيها الأعناب والخمر الحلو ( القوي ) ، ويصنعون الخبز من القمح وهو أبيض ولذيذ وإذا ما حدثت حرب بين الأتراك ودولة ما فإن أدريانوپول تصبح مركزاً يتجمع فيه الأتراك ثم ينطلقون منه » .

دخل نيچاييف تساريگراد عن طريق سيليڤري ، وبويوك چكمجه ، وكوچوك چكمجه ، وقد أشار إلى أن « الطريق مبلط بالأحجار من أدريانوپول وحتس تساريگراد ، بما فيها المحطات والأماكن المأهولة بالسكان »[1] .

وصل نيچاييف إلى تساريگراد في ٨ تشرين الثاني : « أقمت في تساريگراد اثنين وثلاثين يوماً ، فتجولت فيها وشاهدت جميع أماكنها . إن جمال المدينة يدهش الإنسان ، وهي مزدحمة بالسكان ، ومرفأ السفن الذي تأتيه السفن من البحرين كليهما ( يقصد البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط ـ م.خ. ) ، ترسو فيه السفن الشراعية ، والزوارق البحرية ، وقوارب صغيرة وكبيرة وهي كثيرة جداً ، وهناك مختلف أنواع السلع ، والبضائع ، والخضار ، وهي لا تعد ولا تحصى . والقصور في المدينة عالية ، والأسواق والحوانيت مبنية بشكل جيد ، إنه لمدهش حقاً ، وهل هناك من لا يحسد مثل هذا المكان الرائع وهو في حوزة الأعداء ! والمدينة مزدحمة ، والشوارع ضيقة ، والقصور عالية ، يبلغ ضيق بعض الشوارع حداً بحيث لا يستطيع الفارس أو العربة المرور فيها . وهم يلبسون ملابس طويلة ، ويميلون في الغالب إلى اللون الأخضر ، ثم الأصفر ، تسير التركيات وبينهن عدد قليل فقط لا يغطين كل وجوههن لأن الأتراك اعتادوا على أن يعتبروا هذه العادة بعيدة عن الحياء [2] . ثم وصف نيچاييف المناظر الخارجية للمدينة ، وكما فعل لوكيانوف .

(١) « مقالات في تاريخ الاستشراق الروسي » ، مجموعة ٢ ، موسكو ، ١٩٥٦ ، ص ٤٠٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٠٦ .

وزار سجون الأشغال الشاقة ، والتقى بكثير من السجناء الروس ، وغادر القسطنطينية بحراً في ٩ كانون الأول .

وتوقف في طريقه إلى مدينة القدس لبضعة أيام في جزر زيما ، ورودوس ، وقبرص : « يعيش هناك في الجزيرة [ قبرص ] جماعة من المندوبين الألمان ، لأن عدداً كبيراً من السفن الألمانية تتوجه إلى جزيرة قبرص وتستقر فيها . وهذه الأصقاع غنية بالزيت النباتي ، والخمور ، والأعناب ، والأرز ، والليمون ، والجودار ، والتمور . . . وتنمو في تلك الجزيرة الأشجار التي تكون أوراقها غذاء للديدان ( يقصد شجرة التوت ودودة القز - م.خ. ) التي تصنع الحرير . وإن الجزيرة كبيرة جداً ومزدحمة بالسكان »[1] .

ومن قبرص أبحر نيچاييف على ظهر سفينة فرنسية إلى يافا . وتعرضت السفينة لهجوم القراصنة المالطيين ، غير أنهم لم ينهبوها « لأن أولئك المالطيين هم من نفس البلاد التي يعيش فيها الفرنسيون ويشتركون معهم في الوطن » . إلاّ أنه حدث « أمامنا في البحر أن استولت سفينة أخرى على سفينتين ونهبتهما » . ثم يشير إلى : « أن أولئك القراصنة حينما يقبضون على الترك يأسرونهم ، لكن المسيحيين يكونون معرضين للنهب فقط ثم يطلقون سراحهم » .

دخل نيچاييف وجماعته فيما بعد عن طريق الرملة مدينة القدس . وجاء وصفه للمدينة بروح الحجيج بشكل عام .

ومما يجدر ذكره هو أن مخطوطة نيچاييف غير كاملة ، فالأوراق الأخيرة فيها مفقودة . والملاحظات الواردة فيها تتميز بأنها مقتضبة جداً ، وبالإضافة إلى ذلك لها بعض الأهمية ( بالرغم من أنها أقل من حيث الكمية من ملاحظات لوكيانوف ) ، وبصورة خاصة حينما يصف الطريق الذي سلكه في رحلته ، والروس الذين كانوا في الأسر ، وأعمال النهب الذي كان يقوم بها القراصنة المالطيون .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

## رحلة نيـپـلوييف

ذكر نيـچـاييف في كتابه اسم المقيم الروسي لدى الحكومة السلطـانية إيڤـان إيڤانوڤيـچ نيـپـلوييف ، وهو أحد « أفراخ عش بطرس الأكبر » اليافعـين ، ضابـط الأسطول البحري . كان قد نقل في سنة ١٧١٩ إلى السلك الديبلوماسي وكان عمره ٢٧ سنة حينما أرسل كمندوب إلى تركيا[١] . وقد بقي نيـپـلوييف في هذا المنصب مدة ١٤ سنة . يرتبط عقد المعاهدة الروسية ـ التركية في سنة ١٧٢٤ حول إقرار الحدود في القفقاس بين روسيا ، وتركيا ، وإيران بنشاط هذا الرجل . وكان لعقد المعاهدة أثره الكبير في تهيئة وضع لروسيا تستطيع فيه منع استيلاء تركيا على مناطق بحر الخزر في الساحل الإيراني . وقد ثمن بطـرس الأكبـر المعاهـدة عالياً بالشروط التـي قدمتهـا روسيا .

## رحلة روميانتسيڤ

توجه رئيس الفرقة اليكساندر ايڤانوڤيـچ روميانتسيڤ إلى تركيا لأجل تبـادل وثائق إبرام المعاهدة . وكانت الرحلة هذه هي الثانية له إلى تلك البلاد ( الأولى كانت في سنة ١٧١٢ ) . خرج من پيترسبورغ في تشرين الأول سنة ١٧٢٤ ، فوصل إلى بندراخ في ٢٧ تشرين الثاني ، وفي ٢٦ كانون الأول دخل القسطنطينية .

قدم بطرس الأكبـر توجيهاتـه إلى روميانتسيڤ مكتوبـة بخـط يده ، وكانـت تتضمن برنامجاً واسعاً لدراسة تلك البلاد .

وكانـت تركيا تعيق بمختلف الوسائـل تنفيذ المعاهـدة ، غـير أن نيـپـلـوييف استطاع بجهود كبيرة أن يرغمها على التنازل . وهكذا خرج روميانتسيڤ في مايس سنة ١٧٢٦ ، فوصل إلى طرابـزون ، ومنهـا إلى أرضروم ثم توجـه بعـد ذلك إلى قارص ، وگـنجه ، وشماخى .

---

(١) ڤ . ڤ . ڤيتيڤسكي ، إ . إ . نيـپـلوييڤ مؤسس أورينبـورگ وبانـي منطقـة أورينبـورگ ، قازان ، ١٨٩١ ؛ « ملاحظات إيڤان إيڤانوڤيـچ نيـپـلوييڤ ( ١٦٩٣ ـ ١٧٧٣ ) » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٣ .

# رحلة بوكسباوم

كان الطبيب بوكسباوم يوهان خريستيان ضمن سفارة رومياتسيڤ . وكان قد استقدمه بطرس الأكبر من الخارج إلى روسيا كمختص في علم النبات ويعمل في كلية الطب[1] .

وردت في الإرشادات والتعليمات المقدمة إلى بوكسباوم ما يلي :

« عليه أن يقوم بصورة خاصة باكتشافات دقيقة في الممالك الثلاث في الطبيعة ، وأن يرسل أو يجلب معه إلينا كل شيء يمكن الحفاظ عليه ، كوضعه في الكحول مثلاً ومن ثم وصفه وصفاً دقيقاً . ومن الضروري أن يقوم بالبحث عن النباتات التي تستعمل في الأدوية . . . وكذلك عليه أن يضع يوميات دقيقة لما يحدث له وأن يبعث مع كل ساع للبريد بتقارير مفصلة على شكل رسائل إلى رئيس الأكاديمية » .

جاب بوكسباوم في أثناء تجواله بأرخبيل اليونان ، والأناضول ، وأرمينيا حتى تخوم إيران ، ثم مرّ بدربند وأستراخان ثم عاد إلى روسيا . ولم يكن اهتمام بوكسباوم مقتصراً على دراسة النباتات فقط ، وإنما قد كلف الرسام الذي كان يرافقه أن يقوم برسم المناظر التي كانت تلفت انتباهه وكذلك تصوير حياة الناس ومعيشتهم ، وأزياء اليونانيين والترك . واستطاع بوكسباوم أن يجمع مواد اتنوغرافية غزيرة ، بالإضافة إلى ٤٠٠ قطعة من النقود النادرة من انطاكيا ، وكان من بينها نقود عهد الاسكندر المكدوني ، ومجموعة كبيرة من النباتات المجففة ، وكمية من الأسماك . والمتحجرات .

وقد تم طبع تقارير بوكسباوم وهي مزودة بتعليقات وشروحات أكاديمية العلوم[2] . وصف بوكسباوم في الرسائل التي بعث بها إلى رئيس الأكاديمية

---

(١) تم إنشاء حديقة وغرس النباتات التجريبية فيها في جزيرة أبتيكارسكي في پيترسبورغ في الفترة التي كان يعمل بوكسباوم في الكلية .

(٢) المعجم الروسي لسير الأشخاص ، ( المجلد بيتانكور ـ بياكستير ) ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٨ ، ص ٤٤٧ ـ ٤٤٩ ؛ م . بودنارسكي ، مقالات في تاريخ الزراعة الروسي ، موسكو ، ١٩٤٧ ، ص ٩٦ . يذكر بودنارسكي خطأً أن أ . إ . رازوموڤسكي كان على رأس السفارة عندما كان بوكسباوم يعمل

بلومينتروست الرحلة التي قام بها ، وقد جاء وصفه مفصلاً ، ذكر فيه المسافات بين المدن . وفي إحدى رسائله يقول بأنه حصل على مجموعة كاملة وافية من النباتات في ضواحي القسطنطينية ، وهي غير معروفة لدى العلماء من قبل . وقد زار أمارة جزيرة ( پروپونتيد ) ، ومنطقة البوسفور الملاصقة لبويوك دره .

وكتب إلى بلومينتروست عن زيارته لبروسه ، ووصوله إلى جبل أولمپ : « وهو أعلى قمة في هذه البلاد ، تقع في خط الثلج الدائم ، ويجلب الثلج يومياً من هناك إلى القسطنطينية لتبريد كل ما يُشرب » . وعلى جبل الأولمپ عثر على نباتات كثيرة نادرة .

ويورد پ . پيكارسكي التقييم التالي للأكاديمي ف.إ. روپريخت عن خدمات بوكسباوم : « في الفترة القصيرة التي قضاها في الأكاديمية وضع كتاباً عن ٥٠٠ نوع من النباتات الجديدة وأخرى غير المعروفة جيداً ، وقد جمعها في أسفاره ورحلاته في ضواحي القسطنطينية ، وآسيا الصغرى ، وعلى شواطىء بحر الخزر ، وكذلك بالقرب من پيترسبورغ »[1] .

أُشير في تقرير أكاديمية العلوم في پيترسبورغ لسنة ١٨٣٤ ( باللغة الفرنسية ) في عرض تاريخي موجز للأعمال في حقل علم النبات في روسيا منذ عهد بطرس الأول إلى أنه « ظهر في روسيا في سنة ١٧٢٦ أول عمل في علم النبات . . . وهو لبوكسباوم ، وقد زود بـ ( ٣٢٠ ) صورة ومجموعة كبيرة نفيسة من النباتات الجديدة . . . درس المؤلف نباتات ضواحي القسطنطينية . وفيما بعد سلك المسلك الذي كان يهتدي به العالم المشهور تورنيفور[2] . فقد زار سواحل البحر الأسود ، وآسيا الصغرى ، وأرمينيا . . . إننا مدينون لتورنيفور وبعده بوكسباوم بأولى

---

طبيبا فيها ، غير أن الصحيح هو أن أ . إ . روميانتسيڤ كان سفيراً حينذاك ؛ پ . پيكارسكي ، تاريخ أكاديمية العلوم الأمبراطورية في پيترسبورغ ، المجلد ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٠ ، ص ٢٣٤ - ٢٤٦ .

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(٢) تورنيفور : عالم النباتات الفرنسي ، زار اليونان ، وآسيا الصغرى ، وما وراء القفقاس في سنة ١٧٠٠ وقد نشرت رسائله عن هذه الرحلة في سنة ١٧١٧ «Relation d'un voyage au Levant»

المعلومات عن غنى هذه البلدان بالنباتات »[1]

## رحلة سيلڤيستر

كان راهبا دير ريخلوڤسكي كل من سيلڤيستر ونيكوديم قد قاما برحلة إلى القسطنطينية ومدينة القدس في سنة ١٧٢٢[٢]، وهي تعود إلى عهد بطرس الأكبر أيضاً .

بدأت الرحلة في ١٩ نيسان سنة ١٧٢٢ . وشرع سيلڤيستر ونيكوديم بالسفر من الدير الواقع في أبرشية چيرنيگوڤسكي في چيرنيگوف ، ثم توجها إلى كييف ، وڤاسيلكوف ، ونيميروف ، وسوروكي .

وبعد اجتياز الحدود ، توجه المسافران إلى ياسي « كان الطريق الذي يؤدي إلى ياسي جميلاً جداً ، والجبال هناك كثيرة ومتنوعة ، والسهول بهيجة ، وغالباً ما توجد الغابات على جانبي السهول ، وهي بدون مياه لأنه لا وجود للمياه في هذه الأصقاع . وأما نهر پروت فيبعد عن ياسي بمقدار الميل ونصف الميل » .

كان إعجاب الرحالين بالمدينة شديداً ، فهما يشيران إلى الكنائس العديدة هناك ، ثم يصفان الطريق إلى گالاتس بشيء من التفصيل : « يبيعون الخمر بكثرة ، وهناك على الطريق حوالي الحقول مواقع تكثر فيها الآبار وعيون الماء . . . » . وبعد الإقامة في مدينة گالاتس أسبوعا كاملاً أبحرا في الدانوب ودخلا بعدئذ البحر حتى وصلا القسطنطينية .

عاش الحاجان في القسطنطينية من ٢٥ حزيران حتى ١٥ آب في مقر مقيمية

---

(1) «Recueil des actes de la Séance Publique de l'Académie Impericale des Sciences de St. Petersbourg tenue le 29 decembre 1834» St. Petersbourg, 1835, p.89.

(٢) « وصف رحلة راهبي دير ريخلوڤسكي ـ نيكولاييڤسكي سيلڤيستر ونيكوديم إلى تساريگراد ( القسطنطينية ) وأورشليم ( القدس ) في سنة ١٧٢٢ » ، « أعمال أكاديمية كييف الدينية » ، كييف ، ١٨٨٣ ، مايس ، ص ١٩٢ ـ ٢٠٤ .

نيپلوييف ، أي في السفارة الروسية . وقد ذكرا عن وقوع كارثة في هذه الفترة في تساريگراد حيث: «انتشر بسرعة وباء يسمونه بالطاعون، وقد سبب وفاة خلق كثير» . حتى ان سيلڤيستر نفسه لم ينج من المرض : « أصابني هذا المرض أيضاً ، غير أنه أصاب جسمي من الركبة اليسرى حتى أسفل وسط جسمي » . فنقل نيپلوييف المسافرين من مقره إلى مكان آخر ، ثم زودهم بفرمان السلطان العثماني وفيه الموافقة على سفرهم إلى مدينة القدس . وفي القسطنطينية زار الكنائس والمعالم الأخرى في المدينة .

وهكذا أبحر سيلڤيستر ونيكوديم في ٢١ أيلول إلى مدينة القدس ، وقد توقفا في طريقهما في سيكيز ( خيوس ) ، وفي جزيرة رودوس : « عشنا في تلك المدينة وتجولنا في كل مكان في شوارعها بحرية تامة . . . إن تلك المدينة ، وهي رودوس عبارة عن قلاع مبنية بالحجر ، وتحيط المدينة أسوار حجرية وحولها خنادق كبيرة وعميقة . . . » .

ثم يصف الحاجان جزيرة قبرص بتفصيل . هنا ينقطع الكلام بسبب فقدان جزء من المخطوطة ، وفي الواقع احتفظ بنصف المخطوطة فقط .

***

لقد زار في الفترة التي استغرقت أكثر بقليل من ربع قرن عددٌ كبيرٌ جداً من العسكريين ، والحجيج ، والتجار الروس القسطنطينية ، وآسيا الصغرى ، ومصر ، ومدينة القدس ، وأماكن أخرى في الشرق الأوسط وكان الاهتمام ببلدان الشرق الأوسط في عهد بطرس الأول بشكل خاص في نمو وتطور ، وأنجزت في روسيا أعمال مثمرة وجيدة في دراسة الشرق الأوسط .

وقد تمت في هذه الفترة المحاولة الأولى لتأسيس مدرسة خاصة باللغات الشرقية : « أضاف العلم الجغرافي الروسي في عهد بطرس الأول رصيداً كبيراً على حصيلة العلوم الجغرافية العالية »[1] . فالتعرف على الشرق الأوسط في الربع الأول من

(١) د.م..ليبيديڤ ، الجغرافيا في روسيا في القرن السابع عشر ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٩ ، ص ٣٦٩ .

القرن الثامن عشر ، والرحلات التي تمت في الشرق الأوسط لم تؤد وما كان بامكانها أن تؤدي إلى إكتشافات عظيمة مشابهة للاكتشافات التي حدثت في الأقسام الشمالية الشرقية لآسيا وفي المياه المجاورة للمحيط المتجمد الشمالي ، والمحيط الهادي ، ولا إلى مثل الأعمال التي كانت حصيلتها رسم الخرائط الجغرافية ، كالخريطة الجغرافية لبحر الخزر التي وضعها ف . إ . سويمونوف على سبيل المثال . غير أنه ليس من الصواب عدم تثمين تلك المعلومات العميقة الجدية عن الشرق الأوسط التي أضافها إلى العلم الروسي أشخاص روس لهم مواهب معينة خاصة . وبدون شك كانت للمعلومات المتنوعة المختلفة عن الشرق الأوسط في تلك المراحل أهمية تطبيقية بحتة .

# الفصل الثالث

## الربع الثاني من القرن الثامن عشر

ترجع الخطوات الأولى على طريق تأسيس الاستشراق العلمي في روسيا إلى الربع الثاني من القرن الثامن عشر . وكانت قد تأسست أكاديمية العلوم في پيترسبورغ في سنة ١٧٢٤ . وفي سنة ١٧٢٧ بدأت أكاديمية العلوم بنشر جريدة « كشوف سانت پيترسبورغ » التي واصلت نشر نفس المواد التي كانت تنشرها « الكشوف » الصادرة إعتباراً من سنة ١٧٠٢ وحتى سنة ١٧٢٧ .

كانت « كشوف سانت پيترسبورغ » تصدر باللغتين الروسية والألمانية . وقد تم تخصيص صفحات بارزة فيها لمعالجة شؤون البلدان الشرقية . وكانت تنشر بصورة مستمرة مواداً عن الأوضاع السياسية الداخلية ، والعلاقات الخارجية للأمبراطورية العثمانية . وتقتبس في نفس الوقت المواد والأنباء من الصحف الأجنبية ، وكان يعمل أحياناً ممثلو الديبلوماسية الروسية في الخارج كمراسلين لـ « كشوف سانت پيترسبورغ » .

وتعتبر « كشوف سانت پيترسبورغ « مصدراً مهماً للمؤرخين الذين يدرسون الأمبراطورية العثمانية . وانشيء ملحق باسم « الملاحظات »[1] لـ « كشوف سانت پيترسبورغ » قبل سنة ١٧٤٢ ، وكان يتضمن مقالات علمية مبسطة ذات طابع تاريخي وجغرافي ، وكان الاهتمام كبيراً لتوضيح وتفسير الكلمات والمصطلحات الأجنبية على صفحاته .

---

(١) وضعت « الملاحظات » بالاستناد إلى المواد والمصادر المنشورة في أوروبا الغربية .

وفي الربع الثاني من القرن الثامن عشر ظهر في أكاديمية العلوم بعض الأجانب من الذين كانوا يعرفون اللغات الشرقية ، وكان أشهرهم بايير وكير .

تلقى هوتليد زيگفريد بايير[1] العلم في جامعة كينگسبيرغ ، ودرس اللغات الصينية ، والعبرية القديمة ، والعربية . وانتقل في سنة ١٧٢٥ إلى پيترسبورغ حيث عمل في قسم الشرق القديم واللغات الشرقية في أكاديمية العلوم .

ثم كتب بايير مجموعة من المؤلفات تخص الشرق الأوسط . ومن بين تلك الأعمال التي لها أهمية كبيرة كتابه « وصف موجز للوقائع المتعلقة بآزوف منذ تأسيس تلك المدينة حتى عودتها إلى الدولة الروسية » ( صدر في پيترسبورغ في سنة ١٧٣٤ ) و « سيرة وأعمال الأمير كونستنتين كانتيمير » .

يقول الأكاديمي كراچكوڤسكي عن بايير « ظهرت عندنا لأول مرة أهمية المواد والمصادر الشرقية لتاريخ روسيا في أعماله التاريخية عن الحملة الأولى للروس على القسطنطينية ، وفي أعماله عن القفقاس والشرق الأوسط . . . وقد اعتمد بايير أحياناً على المصادر العربية المتوفرة في ذلك العصر ، واستخدم الحروف العربية في أعماله ، وبالأخص في المجلدات الأولى من المنشورات الأكاديمية . . . »[2]

ولد گيورگ ياكوف كير في سنة ١٦٩٢ في شليزينگين . وفي سنة ١٧٢٢ حصل على لقب الماجستير في جامعة لايپزيگ . وقبيل قدومه إلى روسيا نشر مجموعة من أعماله العلمية ، وقد كان على معرفة جيدة بلغات شعوب الشرق الأدنى وخصوصاً اللغة العربية . وكان هذا العالم أول من برهن على أن الخط الكوفي ما هو إلاّ الخط العربي القديم[3] .

---

(١) يشتهر بايير بنظريته الرجعية عن الأصل النورماندي للدولة الروسية القديمة ، وقد رده وانتقده م.ڤ. لومونوسوڤ في حينه ، ثم انتقده فيما بعد علماء آخرون من ممثلي الفكر الاجتماعي والسياسي التقدمي الروسي .

(٢) إ.ى. كراچكوڤسكي ، مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

(٣) يراجع عن كير : ن.س. سافيلييڤ ، تقديرات عن تأسيس الأكاديمية الشرقية في سانت پيترسبورغ في سنتي ١٧٣٣ و١٨١٠ ، « مجلة وزارة المعارف الوطنية » ، القسم ٣٩ ، سنة ١٨٥٦ ، شباط ، ص ٢٧ ـ ٣٦ ؛ م. پ . شوڤالوڤ ، مقالة نقدية عن سيرة ونشاط المستشرق كير ، مجموعة الأرشيف العام في موسكو التابع لوزارة الشؤون الخارجية ، النشرة ٥ ، موسكو ، ١٨٩٣ .

وكان البروفيسور كير قد دعي إلى روسيا في سنة ١٧٣٢ لتدريس اللغات العربية ، والفارسية ، والتركية للشباب الملتحقين بكلية الشؤون الخارجية . ودرس على كير في كلية الشؤون الخارجية ستة تلاميذ قدموا من الأكاديمية الأرثوذوكسية - اللاتينية في موسكو[١] . وقد أُرسل فيما بعد اثنان منهم وهما براتيشيف وچيكاليڤسكي إلى فارس[٢] .

وبالإضافة إلى ما تقدم وضع كير الخرائط الجغرافية للقفقاس وكافة أنحاء مناطق ما وراء القفقاس . وترتبط باسم كير كتابة المشروع الضخم لتأسيس « أكاديمية أو جمعية العلوم واللغات الشرقية في الأمبراطورية الروسية » باللغة اللاتينية في سنة ١٧٣٣ :

(«Academia vel Societatis scientiarum atgue linguarum Orientalium in imperia Ruthenici emolumentum»).

ولقد ورد في هذا المشروع ، بأن العلاقات الدائمة بين روسيا مع عدد من البلدان ( تركيا ، القرم ، وغيرها ) تستدعي معرفة اللغات الشرقية . وأوضح كير بأن الموظفين الروس يجب أن يكونوا على معرفة بالبلدان الشرقية ، بقوانينها ، وأنظمتها ، وعاداتها وتقاليدها . وأشار إلى ضرورة دراسة الوثائق التاريخية « التاتارية ، والتركية ، والفارسية ، والعربية ، وغيرها » وذلك « في سبيل مصلحة الدولة » .

غير أن مشروع كير هذا لم يتحقق مع الأسف .

ويثمن الأكاديمي إ. ى. كراچكوڤسكي عالياً نشاط كير . لقد أدهشته ضخامة مشروعه ، ومحاولته هذه « تركيب نظري وتطبيقي في الأعمال الاستشراقية التي أصبحت تتحقق منهجياً وبشكل منتظم بعد قرنين من الزمان تقريباً »[٣] .

---

(١) ن . إ. ڤيسيلوڤسكي ، معلومات عن تدريس اللغات الشرقية في روسيا بصورة رسمية ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٧٩ ، ص ٥ .

(٢) سافر براتيشيف وچيكاليڤسكي إلى گيلان في سنة ١٧٣٥ وأقاما لدى القنصل أراپوڤ . وغدا براتيشيف فيما بعد مقيماً في رشت وگنجة ( ١٧٤٤ - ١٧٤٥ ) .

(٣) إ. ى. كراچكوڤسكي ، مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٥٠ ، ص ٤٧ .

خارطة طريق ڤاسيلي گريگورڤيج بارسكي

خط ورسم خالد الخالدي

# رحلة بارسكي

لعبت ملاحظات وانطباعات الرحالة والحجيج دوراً كبيراً في دراسة الشرق الأوسط في روسيا خلال بضع مئات من السنين . وكانت جولة ڤاسيلي گريگوروڤيچ- بارسكي ( ١٧١٠ - ١٧٤٧ ) في الربع الثاني من القرن الثامن عشر واحدة من « المسيرات » الأخيرة من حيث الفترة الزمنية .

إن ڤاسيلي گريگوروڤيچ بارسكي ( پلاكا ، وألبوڤ ) ، هو من مواليد كييڤ ، راهب انطاكيا[1] . وقد قضى نصف حياته في الرحلات في البلدان الشرقية ( ١٧٢٣ - ١٧٤٧ ) . تلقى بارسكي علومه في أكاديمية كييڤ ، إلاّ أنه لم يكملها . ثم سافر في سنة ١٧٢٣ إلى مدينة لڤوڤ للمعالجة ، وفي سنة ١٧٢٤ زار بارسكي عدداً من المدن الإيطالية ، وأما في سنة ١٧٢٥ فقد دخل أراضي الأمبراطورية العثمانية .

مرّ بارسكي بسالونيك ، وأيون ، ويافا ، ومدينة القدس ، وسيناء ، وقبرص ؛ وزار جميع أنحاء فلسطين تقريباً . وأقام خمس سنوات في طرابلس عمل كمعلم في المدرسة الأرثوذوكسية اليونانية . ثم دخل الرهبنة في إنطاكيا . وسافر بارسكي في فترة الحرب الروسية - التركية ١٧٣٥ - ١٧٣٩ إلى پاتموس . فتعرف هناك على كونستنتين پوليتانسكي ( نياپوليتانسكي ) وهو من أهالي بلده ، وكان رئيساً للكنيسة التابعة للسفارة الروسية في القسطنطينية . وعلمت السفارة الروسية عن بارسكي بطريق هذا التعارف . ففي سنة ١٧٤٣ دعاه المقيم الروسي في القسطنطينية أ.أ. ڤيشنياكوڤ للتعرف عليه .

وقد زود السائح بجواز السفر والفرمان السلطاني بالموافقة على سفره ، فخرج

---

(١) يسمى الرحال نفسه گريگوروڤيچ ، وأحياناً بارسكي نسبة إلى مدينة بار ، وهي المدينة التي عاش فيها أجداده ؛ وأحياناً أخرى يسمي نفسه پلاكا أو ألبوڤ ( وهما ترجمة اللقب العائلي بيلايبف باللغتين الإغريقية واللاتينية ) . يراجع : « المعجم التاريخي للكتاب الذين كانوا يحملون الألقاب الدينية في روسيا قديماً » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨١٨ ، ص ٦١ - ٦٨ .

بارسكي من پاتموس في أيلول سنة ١٧٤٣ ، وفي كانون الأول وصل إلى القسطنطينية[١] وزار في طريقه إيفيس ، وساكيز ، وأقام في القسطنطينية حوالي النصف السنة بدون أن يكون له واجبات أو التزامات معينة . كان باستطاعة گريگوروفيچ - بارسكي أن يتعرف على المدينة بصورة جيدة . وتوجه في سنة ١٧٤٤ للمرة الثانية إلى أيون لأجل دراسة الأديرة والأرشيف، ولأول مرة عرّف علماء العالم على الآثار التاريخية المتمثلة في الأديرة الموجودة في أيون[٢] .

وليست لدينا معلومات وافية عن حياة بارسكي بعد هذه الفترة ، فالمعلومات المتوفرة تشير فقط إلى أنه عاش أكثر من سنة في أيون ، ثم عاد ثانية إلى پاتموس ، وقبرص ، وآرت ، وآثينا ، وفي سنة ١٧٤٦ دخل القسطنطينية مرة أخرى . وكان المقيم الروسي فيها في هذه الآونة هو أ. إ. نيپلوييف ، لأن أ. أ. ڤيشنياكوف كان قد توفى .

ويعتقد روبان وبارسكوف[٣] ، بأن نزاعاً قد حدث بين نيپلوييف وبارسكي ، وكانت نتيجته أن تفوه الأخير بـ « كلام سليط » مما حدى بنيپلوييف أن يهدد بارسكي ويضعه تحت « حراسة شديدة » ويبعثه على ظهر أول باخرة تتوجه نحو پيترسبورغ[٤] .

مرّ بارسكي بعد خروجه من القسطنطينية ببولغاريا ، ورومانيا ، ومولداڤيا ، وڤالاخيا ، وپولونيا حتى وصل إلى كييڤ . وحينما كان بارسكي في بوخارست تلقى دعوة من إدارة مدارس كييڤ - پودولسكي لأشغال مقعد تدريس اللغة الإغريقية . فوصل بارسكي في ٥ أيلول سنة ١٧٤٧ إلى كييڤ ، غير أنه توفى بعد مرور شهر ، أي

---

(١) « جولات ڤاسيلي گريگوروڤيچ - بارسكي في الأماكن المقدسة في الشرق من سنة ١٧٢٣ حتى سنة ١٧٤٧ » ( فيما بعد « جولات » ) . نشرتها الجمعية الأرثوذوكسية الفلسطينية في ضوء المخطوطة الأصلية . بإشراف : نيكولاي بارسكوف ، القسم ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٦ ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٢) ان بعض المعلومات المتعلقة بسيرة گريگوروڤيچ - بارسكي والتي أوردها ڤ . گ . روبان في الطبعة الأولى لملاحظات هذا الرحالة كانت قد نقلت إلى أخيه إيڤان گريگوروڤيچ - بارسكي ( ١٧١٣ - ١٧٨٦ ) وهو المهندس المعماري الأوكراني الشهير الذي لعب انتاجه دوراً كبيراً لتطوير الـ ( باروكو ) الأوكرانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر .

(٣) ن. پ . بارسكوڤ : هو عالم الآثار ، والبيبليوغرافي ، والمؤرخ الروسي الشهير .

(٤) « جولات » ، القسم ١ ، ص ٣٤ .

في ٧ تشرين الأول ، وبذلك لم يستطع أن ينسق ويرتب جميع ملاحظاته ومخطوطاته بشكل كامل .

أثارت كتابات ومذكرات بارسكي الاهتمام الكبير لدى قراء ذلك الزمان . يكفي أن نذكر في هذا الصدد بأن عدد طبعاتها قد وصل حتى سنة ١٨١٩ إلى ست طبعات . فكانت طبعتها الأولى في سنة ١٧٧٨[١] . ومن الجدير بالملاحظة إلى أن ملاحظات بارسكي كانت منتشرة في البلاد بشكل واسع بهيئتها الأولى كمخطوطة قبل نشرها بمدة طويلة .

ونشرت كذلك مخطوطات ومذكرات بارسكي على شكل فصول متفرقة . ومن الأهمية بمكان أن نقول بأن هذه المذكرات جلبت انتباه ن . گ . چيرنيشيڤسكي فقد كتب في سنة ١٨٥٥ في تقريره الذي قدمه عن كتاب أ . س . نوروڤ ، بأن مذكرات رحلة بارسكي ، من بين مؤلفات الكتاب الحجيج في القرن الثامن عشر « تستحق الاحترام الكامل من القراء ، محبي الاستطلاع والورعين ، لذلك كان نصيبها الطبع لست مرات » .

وكتب عنه ن . گ . چيرنيشيڤسكي : « إن ڤاسيلي گريگوروڤيچ السائح القوي الملاحظة ، يحب وصف جميع ما يراه بالتفصيل ، لذلك تطرح مذكراته وبشكل خاص المجلد الأول ( المجلد الثاني كله مكرس لوصف أديرة أيون تقريباً ، وهو رتيب ومل ومتعب إلى حد ما ) معلومات متنوعة ذات طابع تعليمي للمطالعة . . . ولقد أنجز القسم الأكبر من رحلته مشياً على الأقدام وفي سبيل المسيح ، وتعرض للمغامرات والمخاطرات الكثيرة التي تمنح أحياناً دراما حية للسرد » . ثم يشير چيرنيشيڤسكي بالإضافة إلى ذلك إلى أن « الكتاب كله وبطبيعته يعود إلى أدبيات روسيا القديمة ، واستطاع الكتاب كذلك أن يكون من الكتب المقروءة في القرن الماضي من قبل الأكثرية الساحقة وذلك لعدم وجود مؤلفات تلائم

---

(١) صدرت الطبعة الأولى من الكتاب في ١٧٧٨ باشراف ڤ . گ . روبان الكاتب والصحافي الروسي باسم « مسيرة ڤاسيلي گريگوروڤيچ- بارسكي بلاكا ألبوڤ المولود في كييڤ راهب انطاكيا السائر على قدميه إلى الأماكن المقدسة في أوروبا ، وآسيا ، وأفريقيا بدأها في سنة ١٧٢٣ وانتهى منها في سنة ١٧٤٧ وقد كتب عن الرحلة بنفسه » ، سانت پيترسبورغ ، ١٧٧٨ .

تطور أذواق وثقافة الأنماط المختلفة في المجتمع »[1] .

وكان بارسكي يدون مذكراته بشكل دائم ويومياً تقريباً ويسجل كل ما يقع تحت نظره ، لذلك لم يأت أثره ككتاب مذكرات ، وإنما هو عبارة عن صور حية لآثار جديدة . يعرض فيه كثيراً من المعلومات القيمة عن الجغرافيا ، والاتنوغرافيا ، والاقتصاد في البلدان التي زارها . فهو يهتم بقضايا التجارة والملاحة ، ويتكلم عن الشعوب ، لغاتها ، وعقائدها ، وعاداتها وتقاليدها . وحينما يصف الأديرة بصورة خاصة ، فإنه يوجه اهتمامه في نفس الوقت إلى الآثار الفنية القديمة . يشير كذلك إلى الظواهر الطبيعية غير المعروفة له . ويهتم بعالم النبات للبلدان المختلفة ، وبصورة خاصة مصر وسوريا : « عندما تروى الحقول وينخفض مستوى النهر [ النيل ] ، عند ذلك يبذرون القمح ، والجوادر ، والفول ، والعدس ، ومزروعات أخرى . . . »[2] . ثم يقول بارسكي بأنه بالقرب من الاسكندرية « لا ينبت أي شيء عدا النخيل وهي كثيرة جداً »[3] .

وقد أدهشت دمشق بارسكي بوفرة بساتينها ، والأشجار المختلفة والمتنوعة ، والنباتات الكثيفة التي تحيط بها ، ويشير بشكل خاص إلى أن المدينة محاطة بـ « الجبال الصخرية وهي تمتد من الشمال ، ومن الجنوب نحو الشرق ، والحقول جافة لا مياه فيها ، والصحراء تمتد بعيداً . . . »[4] .

لقد جلب اهتمام بارسكي توزيع المياه ، ونظام الري في الشرق . ويصف في هذا المجال بصورة مفصلة النافورات ، والأحواض ، وطريقة توزيع المياه في دمشق ، حيث « ان كل شخص يحصل على الماء في بيته ، وهو ماء صحي وبارد وصالح للشرب »[5] .

---

(١) ن . ڤ . چيرنيشيڤسكي ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢ ، موسكو ، ١٩٤٩ ، ص ٥١٨ - ٥٢٠ .

(٢) « جولات » القسم ١ ، ص ٤١٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٠٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٥) « جولات » ، القسم ٢ ، ص ٩٢ - ٩٣ .

يتحدث بارسكي بكثرة عن التجارة ، والأسواق ، والحوانيت ، والمخازن التجارية . ويقول بأن سالونيك لا تشتهر بجمالها وإنما بكونها مركزاً تزوره الكثير من السفن التي تجلب البضائع والسلع إليه من تساريگراد ( القسطنطينية ) ، والبندقية ، وفرنسا ، وانكلترة . ويقدم إلى المدينة تجار من المانيا ، وبولغاريا ، وصربيا ، ودالمانشيا ، ومولداڤيا ، وأوكرانيا وهم يتاجرون ببضائع متنوعة ، وبشكل خاص بالقمح .

ويتكلم بارسكي عن السلع التي تتاجر بها مصر مع الهند بتفصيل .

« هناك في مصر [ القاهرة ] عدد كبير من التجار ، وبضائع مختلفة ومتنوعة ثمينة ، ينزل فيها تجار ثم يعودون إلى الهند . . . وتجار آخرون يخرجون من الهند على ظهر السفن والبواخر ، ويدخلون المحيط ويمرون بالبحر الأسود ، ويحملون إلى السويس البخور ، والقطران المعطر ، والفلفل ، والقرفة وما شابهها من العطور والتوابل ، وكذلك الأواني والصحون من الفرفور الثمين الفاخر ، وأشياء أخرى نفيسة ؛ ويحملون معهم كذلك البن الذي ينبت في اليمن إلى البحر الأسود ، وهذه البلاد ليست تحت سيطرة تركيا . ويحملون جميع الأشياء عن طريق البحر الأسود إلى السويس ، ومن هناك يحملونها براً إلى مصر ؛ أما من مصر فتصدر الجودار ، والحنطة ، والفول ، والعدس وما شابهها إلى البحر الأسود »[1] .

إن وصف بارسكي للمدن يشهد على قوة ملاحظته ودقتها . ومن المفيد هنا ذكر بعض ما أشار إليه : « ينبغي أن نعلم بأنه هناك ظاهرة وهي أن مصر تقسم من حيث التسمية إلى قسمين : مصر وهي تعني جميع البلاد المصرية ، ومصر بمعنى المدينة . . . ( أي القاهرة ) . وتقع مصر في فضاء سهل منبسط طيب ، على نهر النيل الرائع الجميل ، وهناك مبرات كبيرة واسعة ، وفيها القلعة أي القصر ، وهو في أعلى موقع في المدينة . . . والبيوت مبنية أما من الحجر المقطع ، أو من الطابوق ، والبنايات عالية وجميلة ، وفيها نوافذ تؤثر في تبريدها ، والطوابق السفلى تكون حارة وغير لائقة . . . والشوارع هناك قلّما تكون عريضة ، فهي ضيقة ، والمنازل متلاصقة ، لا فراغ بين

---

(١) « جولات » القسم ١ ، ص ٤١٧ ـ ٤١٨ .

منزل ومنزل ، ولها مداخل واحدة ، ويعيش في كل غرفة خمسة أو ستة أشخاص مع نسائهم وأولادهم[1] . . . بعضهم في الأسفل والآخرين في الأعلى »

ثم ينتقل بارسكي إلى وصف نهر النيل : « . . . يقدم نهر النيل خيرات غير قليلة ، انه دائم الجريان ، وفي جميع أوقات السنة ، مياهه غزيرة ، ويحصل الناس على المياه منه ، ويسقون بها الحقول المصرية جميعها ، والمياه فيه عذبة ، وصحية ، وصالحة للشرب ، وينبت القصب في الجزر الموجودة في النهر ، يحتوي على عصير عذب ، يصنعون منه السكر . . . »[2] . « يباع الخبز ، وزيت الزيتون ، والجبن ، والزبد ، والقهوة وجميع المؤن المتعلقة بالغذاء بثمن بخس ، أما الخمر فتأتي من الأقسام السفلى من البحر الأبيض المتوسط ولا تصنع هناك »[3] .

زار بارسكي في فترة إقامته في مصر في سنوات ١٧٢٧ ـ ١٧٣٠ مدينة الرشيد ، والاسكندرية ، وفي الاسكندرية جلبت اهتمامه « مسلة كليوپاترا » النصب التذكاري الذي أقيم في هيليوپوليس في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ونقل إلى الاسكندرية في عهد الحكم الروماني . وقد استنسخ بارسكي بدقة متناهية الكتابة الهيروغليفية الكثيرة المنقوشة على هذا النصب .

ويصف بارسكي بشيء من التفصيل الرشيد ، والاسكندرية ، وبقية المدن ، صيدا ، وطرابلس ، وبيروت ، وحماة ، وحمص ، والاسكندرونة ، وحلب وكذلك أطلال بعلبك .

وكان اهتمام بارسكي كبيراً بالحياة اليومية في البلاد . فهو يقدم ملاحظات دقيقة عن الملابس ، والأزياء ، والمأكولات وعادات الشعوب وقطاعات السكان المختلفة . وهكذا يقول عن العرب الذين يعيشون بين يافا ومدينة القدس : « ليست لهم منازلهم الخاصة لا في المدن ولا في القرى ، وإنما يعيشون في السهول ، يحطون الرحال في الخيام في موسم الرحلات ، وهناك ناس آخرون يعيشون في الكهوف الواقعة في

(١) المصدر السابق ، ص ٤١٣ ـ ٤١٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤١٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤٢٠ .

الجبال ، حيث الوحوش والحيوانات المفترسة ، وهي غير بعيدة عن المدن . أما ألبستهم فهي رداء واحد ، ويرتدي أولادهم ونساؤهم الصنادل في أرجلهم لأن المرء لا يستطيع السير في الأراضي الصخرية وهو جاف ، ويلبس الرجال كذلك رداء واحداً فقط، وهم لا يلبسون شيئاً في أقدامهم، ويحمل كل واحد منهم سكيناً كبيراً يشده في وسطه وجميعهم يرتدون جلابيب زاهية متشابهة مصنوعة من قماش بسيط . أما أطعمتهم فهي الخبز وزيت الزيتون ، أما الخمر فلا يشربونها أبداً ، وإنما يشربون الماء فقط »[1] .

ويشير بارسكي بأنه هناك بين مدينة القدس ويافا بساتين قليلة للكروم والأعناب : « ومن طبيعة العرب أنهم لا يشربون الخمر ولا أي شراب مسكر آخر ، وإنما يشربون الماء وحده فقط »[2] . يكرر بارسكي مسألة عدم شرب العرب للخمور أكثر من مرة . ويظهر امتعاضه على العرب بشكل واضح على هذا العمل . ويرى أن السبب في ضعف زراعة الكروم في ضواحي الرملة يكمن في كسل وإهمال السكان . والظاهر على ما نعلم أنه لم يكن على علم بأن الدين الإسلامي يحرم شرب الخمور .

ويشير بارسكي إلى الوضع القومي والديني لسكان الأماكن التي قام بزيارتها : « يعيش في مصر خلق كثير ، وهم من عروق مختلفة ، وأديان متباينة ، ولغات متنوعة ، هناك الترك والعرب وهم من دين واحد ، وكذلك يونانيون وعرب وهم مسيحيون أرثوذوكس . . . ويعيش الرومانيون في مصر كذلك ، والانكليز وقنصلهم ، والأرمن عددهم كثير . . . ويقيم فيها أيضاً مسيحيون هراطقة يسمون بالأقباط ، وعددهم كثير في مصر . . . ويعيش اليهود بكثرة . . . ويعيش عدد كبير من المغتربين الترك وهم من القسطنطينية ، والأناضول ، والمدن الكبيرة الأخرى ، والجزر البحرية ؛ أما عدد العرب فهو كثير إلى حد لا يمكن حصره ، وإنهم أصل سكان البلاد ، وهي وطنهم القديم »[3] .

كان الموقف السلبي تجاه القوميات الأخرى غريباً على بارسكي ، ولكنه كثيراً ما

(١) المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨١ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤١٥ ـ ٤١٧ .

كان يظهر تعصبه الديني وبالأخص ضد الدين الإسلامي .

وأخيراً من الممكن التصريح بكل ثقة بأن مذكرات فاسيلي گريگوروڤيچ-بارسكي أصبحت مصدراً لكثير من المعلومات الصحيحة والمتنوعة لمعاصريه . وتشهد طبعاتها المتعددة على الاهتمام الكبير الموجه إلى الشرق الأوسط في روسيا في النصف الأول من القرن الثامن عشر .

## رحلة سيراپيون

قام راهب دير ماتروني في محافظة كييف سيراپيون برحلته إلى فلسطين في الربع الثاني من القرج الثامن عشر . امتد طريق سفره خلال بوريسپول ، وزولوتونوشا ، وچيگيرين حتى سيچي سابوروژسكى « حيث تأتي إليها سفن كثيرة محملة بالخمر » . ومن هناك توجه سيراپيون على ظهر السفينة إلى أوچاكوف والقسطنطينية .

وبعد وصولهم إلى الشاطىء في القسطنطينية مباشرة ألقت السلطات التركية القبض على سيراپيون وجماعته وسجنتهم . إلاّ أنه أطلق سراحهم بعد ثلاثة أيام بطلب من أ.إ. نيپلوييف . وبعد زيارة المعالم والآثار و« الأماكن المقدسة » في القسطنطينية توجه سيراپيون إلى أيون ، ومنها إلى سميرنا ( إزمير ) .

كتب سيراپيون قائلاً : تفوق مدينة سميرنا بجمالها وسعتها مدناً كثيرة ، وتكاد تقارن بتساريگراد ( القسطنطينية ) المجيدة نفسها ، ولم أر في جميع أسفاري مثل هذه المدينة باستثناء تساريگراد . ولكن مدينة سميرنا تراءت لى كأنها أجمل من تساريگراد بالرغم من أنها أصغر حجماً منها . تشاهد فيها السفن التجارية الكبيرة بصورة دائمة تأتي إليها من كل مكان ، وتكثر في المدينة نفسها ثمار التين ، والزبيب ، والخمور وهي مليئة بالنعمة والرفاهية . حيث ترسل بواسطة السفن إلى تساريگراد وإلى مدن أخرى وأمم متباينة » .

ويشير سيراپيون بأن جزيرة خيوس « هي عبارة عن بساتين تكثر فيها أشجار الليمون ، والبرتقال ، والنارنج ، وأشجار أخرى ، ويشاهد المرء بين تلك

الأشجار ، وفي كل مكان ، أينما يوجه نظره قصوراً عالية مبنية من الحجر والرخام »[1]

## التقارير الديبلوماسية

كان وصف رحلات المواطنين الروس في القرن الثامن عشر في الشرق الأوسط إضافة قيمة في تاريخ دراسته .

وكان من أهم المصادر لدراسة الحياة السياسية الداخلية ، وكذلك تاريخ السياسة الخارجية لبلدان الشرق الأوسط هو الوثائق الديبلوماسيّة ، والبلاغات التي كان يهيؤها المقيمون الروس ، وهي تتضمن أحداث عمليات الجيش ، وكانوا يسمون السفراء بالمقيمين في القسطنطينية في ذلك الوقت .

وكان المقيمون الروس في الامبراطورية العثمانية على علم بصورة جيدة بوضع السكان المحليين . وكانت سعة اطلاعهم هي حصيلة علاقاتهم واختلاطهم الشخص بالمقامات التركية العليا كـ ( الصدر الأعظم ، ووزير الشؤون الخارجية ، وكبير المترجمين في « پورتا » الباب العالي[2] ، وكبار الموظفين ، والسفراء الأجانب ) وتلقى الأخبار من البلدان الأخرى أيضاً . وكانت بين القسطنطينية وپيتر سبورغ علاقات بريدية منتظمة ، وكان البريد يرد عادة مرة واحدة في الشهر .

كان إ . إ . نيپلوييف ، أ . أ . ڤيشنياكوف ، أ . إ . نيپلوييف يمثلون روسيا لدى الباب العالي في الربع الثاني من القرن الثامن عشر .

وقد أقام إيڤان إيڤانوڤيچ نيپلوييف في تركيا منذ سنة ١٧٢١ وحتى سنة ١٧٣٥ . ثم سافر اليكسي أندرييڤيچ ڤيشنياكوف الى استانبول في سنة ١٧٢٩ لينوب

---

(١) « المسافر أو رحلة راهب دير ماترونين سيراپيون إلى الأرض المقدسة سنة ١٧٤٩ » « قراءات في الجمعية الأمبراطورية للتاريخ والتاريخ القديم الروسي » ، الكتاب ٣ ، القسم ٥ ( « منوعات » ) ، ١٨٧٣ ، ص ٧٨ وما بعدها .

(٢) پورتا (پورتا المضيئة، پورتا العالية ، پورتا العثمانية ) : تسمية رسمية لحكومة الامبراطورية العثمانية . وأحياناً كانوا لا يقصدون بمصطلح « پورتا » الحكومة وإنما يستعملونه خطأ للامبراطورية العثمانية عامة .

في حالات الضرورة عن إ. إ نيـپـلوييف الذي كان يشكو من المرض . وهكذا ومنذ سنة ١٧٢٥ شغل وظيفة القنصل في كاديكس ، وبعد إصابته بمرض خطير في نهاية سنة ١٧٣٤ قدّم نيـپـلوييف جميع مهامه الى ڤيشيناكوف .

بقى ڤيشنياكوف في منصب المقيم حتى نهاية حياتـه في سنـة ١٧٤٥ . وقـد حصلت له الموافقة بالسفر إلى روسيا في فترة الحرب الروسية ـ التركية فقط في خريف سنة ١٧٣٦ . غير أنه عاد إلى القسطنطينية بعد توقيع معاهدة بلغراد في ١٠ كانـون الأول سنة ١٧٣٩ [١] .

كان ممثلو الديبلوماسية الروسية في القسطنطينية يعـيرون أهمية كبـيرة لتهيئـة المترجمين للقيام بالأعمال في السفارة .

وبالإضافة الى بلاغات المقيمين كانت الأخبار ترد الى پيتر سبورغ عن طريق السفراء فوق العادة أيضاً ، فعلى سبيل المثال كان أ. إ. روميا نتسيڤ يبعث بمثل هذه التقارير . وبعد عقد معاهدة الصلح في بلغراد في ٧ (١٨) أيلول سنة ١٧٣٩ كان من الضروري إرسال سفـارة كبـرى إلى القسطنـطينية . وكان يرأس هذه البعثـة فيهـا أ. إ. روميا نتسيڤ. وكانت الرحلة هذه هي رحلتـه الثالثة إلى تركيا . خرج روميا نتسيڤ من پيتر سبورغ في ١٩ مايس سنة ١٧٤٠ ، وفي صحبته حاشية كبيرة في قافلة ضخمة تضم حراساً كثيرين . واستغرقت الرحلة مدة طويلة . وأمـا سبـب التأخير فهو المراسلات الكثيرة التي جرت بين روميا نتسيڤ والسلطات التركية عن مكان اللقاء بالسفارة التركية الموجهة الى پيتر سبورغ، وعن المراسيم القادمـة بهـذا الصدد . ففي ١٧ مارت سنة ١٧٤١ دخل روميا نتسيڤ القسطنطينية باحتفـال . وكان سكرتير السفارة آنئـذ أنـدريان ايڤانوڤيـچ نيـپـلوييف [٢]، وهـو ابـن إ. إ. نيـپـلوييف .

وفي البلاغات التي كتبها روميا نتسيف عن عمليات الجيش إلى پيتر سبورغ وهي كثيرة ومفصلة يمكن العثور على معلومات ممتعة وطريفة لا تقتصر على الشؤ ون

---

(١) أرشيف السياسة الخارجية الروسية ، القسم « علاقات روسيا بتركيا » ، ١٧٤٠ ، الاضبارة ١٢ ، الورقة ١٤٧ .

(٢) تم تعيين أ. إ. نيـپـلوييف بعد وفاة أ. أ. ڤيشنياكوف في منصب المقيم في القسطنطينية .

السياسية فقط . يصف بصورة جميلة أوضاع الطبقات العليا من الأعيان ، والإشراف ، والوجهاء ، والنبلاء ؛ والإحتفال بالأعياد ، والإستقبال ، والإحتفالات. ولا يعير أهمية تذكر إلى حياة الناس البسطاء .

ويصف المقيمون الروس في بلاغاتهم الوضع السياسي الداخلي في تركيا في الربع الثاني من القرن الثامن عشر كالتجزئة الاقطاعية ، وفساد جهاز الدولة ، والرشوة ، وتنامي استياء الشعب من الوضع القائم . وكان قيام الجماهير الشعبية في القسطنطينية في سنة ١٧٣٠ بقيادة پاترون خليل انعكاساً واضحاً لذلك الإستياء . ففي أحد بلاغاته يذيع إ.إ. نيپلوييف : « قام في ١٧ أيلول في داخل القسطنطينية عصيان واضطرابات ، فقد أرغم الوضع السلطان فاضطر أن يأمر بقتل الوزير ، والمفتى ، والقبطان پاشا ، ومساعد الوزير[١] . غير أن هذا الإجراء لم يرض لعصاة والمتمردين ، وقد قاموا بخلع السلطان نفسه من العرش . ونصبوا على عرشه أحد أقاربه وهو محمود ابن السلطان مصطفى » . ويشرح نيپلوييف أسباب عدم نجاح حكم السلطان أحمد البالغ من العمر ٢٧ سنة إلى هذا الحد : « منذ بداية حكمه حتى نهايته كان [السلطان احمد] يسيطر عليه الجشع والنهم لجمع المال ، ولإشباع جشعه عطل وزراؤه القوانين والمحاكم وأخذوا يستولون على النقود من الرعية بمختلف الوسائل والإتهامات ويسلمونها للسلطان الجشع ، ولهذا السبب شاع التذمر من الإبتزاز الزائد من جانب السلطان ووزرائه بين الشعب التركي وغيره من الأجناس المختلفة الخاضعة للدولة العثمانية والتي يعاد فرض الضرائب عليها وتتعرض لهجمات لا مبرر لها »[٢]

---

(١) ان الوزير هو أعلى موظف في الدولة في عدد من البلدان الإسلامية في الشرق . والصدر الأعظم هو رئيس الوزراء . والمفتي هو رئيس الشؤون الدينية عند المسلمين . وأما قبطان پاشا فهو الأميرال ، أو أمير البحر .

(٢) أرشيف السياسة الخارجية الروسية ، القسم « علاقات روسيا بتركيا » ، ١٧٣٠ ، الاضبارة ٨ ، الورقة ٢٦ . ولم تطبع تقارير إ.إ. نيپلوييف في الأدبيات الروسية لما قبل الثورة ، الاّ انها اصبحت مصدراً رجع اليها أ.ي. موچانوف عند كتابة رسالته العلمية عن االنتفاضة پاترون خليل ( يراجع = أ.ي. موچانوف ، انتفاضة پاترون خليل في استانبول في سنة ١٧٣٠ ، رسالة دكتوراه ، ص ٣٠ ) . وفي الآونة الأخيرة نشر ن.أ. سميرنوف هذه التقارير جميعها : « وصف الإضطرابات ١٧٣٠ - ١٧٣١ في القسطنطينية » ، المجموعة الآثارية لسنة ١٩٦٣ ، موسكو ، ١٩٦٢ ، ص ٣٢١ - ٣٤٤ . يراجع :

كان السبب المباشر لانتفاضة سنة ١٧٣٠ هو تقهقرواندحار الترك في حربهم مع فارس . وكان لضياع همذان وكرمنشاه وبالأخص تبريز أثره البالغ في انتشار الاستياء والتذمر في الأوساط الإنكشارية وكذلك الأوساط التجارية .

وقد أعلن السلطان الجديد، كما يخبرنا نيپلوييف عن عفوه العام لجميع المشاركين في الإنتفاضة ، وقدم لهم الهدايا أيضاً ، « حيث أنهى جميع أنواع البلبلة والإرتباك »[١] . وبدأ « المتمردون » يسجلون أنفسهم في صفوف الإنكشارية بدون مرسوم من السلطان .

واننا نعرف من تقارير نيپلوييف عن نشاط محمود الأول فيما بعد . وكان السلطان قد دعى پاترون خليل لتناول الغداء معه غير أنه قتل مع الأشخاص الذين كانوا معه في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٧٣٠[٢] .

ويبلغنا إ. إ. نيپلوييف في بلاغه المؤرخ في ٢٣ آذار سنة ١٧٣١ عن حدوث اضطرابات جديدة ، وكان السبب المباشر لها هو رغبة السلطان محمود الأول في التخلص من المشاركين في انتفاضة پاترون خليل الذين سجلوا أنفسهم بمحض إرادتهم في صفوف الإنكشارية .

وقد أخبر ڤيشيناكوف أيضاً الحكومة الروسية عن الأحداث المرتبطة بانتفاضة پاترون خليل .

وورد في بلاغات نيپلوييف وڤيشيناكوف وصف عن وضع المواد الغذائية في البلاد ، وفيه إيضاحات كثيرة عن أحداث سنتي ١٧٣٠ - ١٧٣١ . فقد أبلغا في ٥

---

م. س. مايير ، انتفاضة دهماء مدينة استانبول ، مجلة « شعوب آسيا وأفريقيا » ، العدد ٤ ، ١٩٦٣ ، ص ٧٧ - ٨٩ .

(١) يحدثنا نيپلوييف بأنه كان قد عثر في بيت مساعد الوزير المقتول على عشرة ملايين ليڤ ( وحدة نقدية بولغارية ) ، أما عند اسلطان احمد فقد عثر على خمسة عشر مليون ليڤ ، وكانت خزينة الدولة في ذلك الوقت خاوية ( أرشيف السياسة الخارجية الروسية، القسم « علاقات روسيا بتركيا »، ١٧٣٠ ، الاضبارة ٦ ، الورقة ٥٨ ) .

(٢) أرشيف السياسة الخارجية الروسية ، القسم « علاقات روسيا بتركيا » ، ١٧٣٠ ، الاضبارة ٨ ، الورقة ١٩٤ .

حزيران سنة ١٧٣١ بأن « الخبز ليس فقط غالي الثمن وإنما هو قليل ولا يمكن الحصول عليه ، وانهم يخلطون دقيق الشعير بدقيق الحنطة ويصنعون منه الخبز للبيع . . . اما سبب قلة الخبز فهو أولاً احداث التمرد في السنة الماضية والسنة الحالية ، فكان الناس يخشون السفر من الأماكن البعيدة إلى هنا ويرون فيه خطراً ؛ ثانياً ، لقد أرسلت من المقاطعات الأوروبية الواقعة على البحر الأسود ونهر الدانوب كميات كبيرة من الغلال إلى طرابزون لحملها إلى گنجه وأريڤان[١] » .

ويخبرنا ڤيشنياكوف في بلاغ مؤرخ في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥ عن الوضع الداخلي في تركيا : « استحفل هناك الجوع والنهب في الطرق إلى درجة كبيرة بحيث لا يجد المسافر شيئاً يأكله ، ولا يمكن الحصول على الغذاء بأي ثمن كان ، ومن غير الممكن السفر إلاّ على شكل جماعات كبيرة » .

وأن تقارير ڤيشنياكوف تقدم تشخيصاً مفصلاً ودقيقاً عن الوضع في تركيا بعد انتهاء حرب ١٧٣٥ ـ ١٧٣٩ . ويذكر في بلاغ مؤرخ في ٢٥ تشرين الثاني ١٧٣٥ : « إن الوضع الداخلي غير هادىء حتى الآن ، لأن قتل الناس ونفيهم لا زال مستمراً وبدون انقطاع . . . ويلمس المرء استياء الناس وعدم اطمئنانهم على حياتهم ، والأعداء يثيرون الإضطرابات ، وبالإضافة إلى كل ذلك هناك ظاهرة الغلاء والنقص في كثير من المواد الغذائية ، أما الوزراء فيحاولون جهدهم إخراج رجال الجيش الفائضين من هنا ، لذلك تم الإعلان في جميع الفصائل الإنكشارية ، وأبلغوا بوجوب ترك السلاح والذهاب الى أي مكان يريدونه لكسب رزقهم بمزاولة حرفهم ومع ذلك فأنهم سوف يستمرون على تسلم رواتبهم أينما كانوا . أما الذين لا ملجأ لهم فانهم يقبضون عليهم وينفونهم عنوة »[٢] .

ومن جانب آخر تعكس بلاغات المقيمين اهتمامهم بالعلاقات التجارية بين روسيا وتركيا .

---

(١) أرشيف السياسة الخارجية الروسية ، القسم « علاقات روسيا بتركيا » ، ١٧٣١ ، الاضبارة ٧ ، الورقة ٢١٣ .

(٢) أرشيف السياسة الخارجية الروسية ، القسم « علاقات روسيا بتركيا » ، ١٧٣٥ ، الاضبارة ٥ ، الورقة ٨٤ ، ٨٥ .

كانت العمليات التجارية بين روسيا وتركيا بشكل أساسي يقوم بها التجار من أوكرانيا ( وبشكل خاص من نيـژين ) والتجـار اليونـانيين . فقـد وردت بعض المعلومات عن تجارة روسيا مع تركيا في خطاب أرسل الى موسكو في سنة ١٧٤٠ من التجار الروس الذين كانـوا يعيشـون في القسطنـطينية الى ياكوف ماتفييفيـچ يڤرييـنوف ، يقولون في الخطاب : « تشتهر التجارة الروسية هنا في جميع الأماكن » . ويذكرون اسماء البضائع والسلع الرائجة « أفضل أنواع الفرو ، والأحجار الملونـة الثمينة ، والراوند ، والبيلزوار ؛ ان هذه الأشياء الاربعة هي أحسن الأمتعة وأفضل من السلع الأخرى ، وهي من البضائع الجيدة النفيسة التي يمكن الحصول عليها في روسيا، وعلاوة على ذلك تشغل هذه الأموال حيزاً صغيراً جداً ، وهي لائقة ومقبولة وسهلة النقل كذلك ، ومن الممكن بيعها بثمن مربـح في أوقـات السـلام والأمـان والهدوء . . . ويتاجرون بفرو السمور ، وقوائم السمور ، وفرو الثعلـب الأحمـر ، وفـرو الثعلـب الاسـود ، والياقـوت الاحمـر ، واللعـل[1] ، والياقـوت الأزرق ( اللازوردي ) ، والزمرد ، والكافيار الاسود ، والكافيار الاحمـر . ومـن الممـكن الحصـول مقابـل ذلك على عمـلات ذهبية من فئـة العشرة روبـلات ، ويستـطيع المبعوثون الروس الذين يعملون في البريد أن يجلبوا معهم هذه الأشياء ، ويحصلون على ١٪ من قيمة البضائع ثمناً للنقل . . . وتستورد من مدينة القسطنطينية وحدها أدوات وحاجيات منزلية خفيفة ، والخيوط الحمراء القطنية تقدر زنتها ببضع مئات من الحقق[2] . وهناك في التجارة الروسية بعض الأحزمة المصنوعة من الحـرير ، ولهذه البضاعة سوق رائجة في موسـكو ، ومـن الممـكن ارسـال الخيوط الأنغورية الناعمة ، والدهون المستعملة كأدوية ، والبخور ، والبلسـم والمستـكي ، ودهـون أخرى إلى روسيا عن طريق البحر الأسود » . وترد في الرسالة أيضاً « اسعار البضائع بالعملات الروسية والتركية من ٢٥ آذار حتى ٤ نيسان سنة ١٧٤٠ »[3] .

---

(١) لعل ، لال : هو الاسم الروسي القديم للحجر الكريم « شـپـينيل » وغدا مصطلحاً يستعمل لحد الآن ، و(شپينيل Spinell) لفظة المانية الأصل.

(٢) الحقق، جمع حُقه : وحدة للوزن توازي ثلاثة أرطال تقريباً.

(٣) أرشيف السياسة الخارجية الروسية ، القسم « علاقات روسيا بتـركيا » ، ١٧٤٠ ، الاضبـارة ١٤ ، الورقة ٦١ - ٦٤ .

ظهرت خلال حكم الامبراطورة أليزابث پيتروڤنا في سنة ١٧٤٥ مرة أخرى مسألة الملاحة التجارية في البحر الأسود وإقامة العلاقات التجارية مع تركيا والبلدان الأخرى في منطقة البحر الأبيض المتوسط . كان رئيس صنف التجار الامير يوسفوف قد أشار في ٣٠ آذار ١٧٤٥ الى أنّ البحر الاسود ، بخلاف البحار الأخرى التي تطل عليها روسيا حر للتجارة بموجب معاهدة سنة ١٧٣٩ ، ولكن التجار الروس لا يستخدمونه . ويرى الأمير يوسفوف بضرورة تلقى المعلومات من المقيم في القسطنطينية لغرض تنظيم الملاحة في البحر الأسود ، وعن الصناعة ، والزراعة ، وطرق النقل في تركيا ، والثروة الطبيعية في البلاد ؛ وعن التجارة مع الهند ، وايران ، وأفريقيا ، وروسيا ، ومختلف الدول الأوروپية .

وقد أرسلت نسخة ثانية من مذكرة الأمير يوسفوف إلى المقيم ڤيشنياكوف . وكانت هذه الملاحظات في الواقع بمثابة برنامج التفقد الإقتصادي للامبراطورية العثمانية .

أما الرسالة الجوابية فقد أعدها خليفة ڤيشنياكوف وهو أ . إ . نيپلوييف وهي تعتبر الوثيقة الأولى من الأدبيات الروسية ، بالرغم من انها غير كاملة في وصف تركيا من حيث الوضع الإقتصادي ـ الجغرافي[١] .

ووردت في مذكرة نيبلوييف بأنه « يوجد في جزر البحر الأبيض المتوسط الحرير ، والأقمشة القطنية ، والخمر بكثرة ، والزيت النباتي ، والفواكه » .

وكتب أيضاً عن وجود معامل عديدة للأقمشة الحريرية في القسطنطينية وفي جزيرتي سيُو ، وقبرص ، وفي سالونيك يحيكون « أبسطة صغيرة ، وأفرشة بيضاء يستعملها للنوم الناس البسطاء ، والجوخ للملابس الكاملة ، وأما في سميرنا ( إزمير ) فيحيكون الأبسطة من غزل الصوف وهي ثمينة » . ثم يخبرنا نيپلوييڤ فيما بعد « بوجود الحديد في تركيا بشكل كاف في اقليمي ماكدونيا والبوسنة ، أما قطع الحديد التي تكون في شكل لوحات لصنع المفاتيح والكوالين فتستورد من المانيا

---

(١) ڤ . أ . أوليانيتسكي ، الدردنيل والبوسفور والبحر الأسود في القرن الثامن عشر ، موسكو ، ١٨٨٣ ، الملحق ١٥ ، ص ٢٨ وما بعدها .

وڤينيسيا . وهناك العدد الكافي من مصانع النحاس أيضاً حول أرضروم . ويُنقل النحاس من طرابزون الى القسطنطينية عن طريق البحر الأسود ، ويقال بأنه توجد في تلك الجهات خامات الفضة والرصاص ، غير أن كمياتهما قليلة ، لذلك يستورد الهولنديون الرصاص ، والقصدير ، والفولاذ على الأغلب الى تركيا ، وهم الذين يحتكرون تجارة هذه المعادن . . . » .

ولم يستطع نيپلوييف الاّ بصعوبة معرفة أنواع البضائع والسلع التي تنقل من تركيا الى فارس ، ومن هناك الى الهند . وقد ظهرت له الحقيقة بعدئذ « ترسل الى تلك البلاد من تركيا كميات قليلة من البن ، والبلسم ، والجوخ الأجنبي ، والسلع الصغيرة ( الخردوات ) ، وأما من فارس والهند فيستورد الشاش ، وهو من المواد الرائجة واستعماله واسع جداً . لأن أفراد الشعب التركي كلهم يصنعون منه العمائم ، والحرير ، والأقمشة المتنوعة ، والشيت ، والشيت الملون ، والعطور ، والأحجارالكريمةالأصيلة الثمينة ، والمرجان ؛ وتنقل الأموال التجارية من المقاطعات المتاخمة للبصرة على الجمال :

« تسير القوافل من هنا الى ايران عن طريق أرضروم ، وأنغورا ، ومن سميرنا ( إزمير ) الى حلب ، ومن هناك الى أماكن أبعد ؛ ومن الاسكندرونة كذلك الى حلب ، وبابل ، والبصرة على خليج فارس ( يقصد الخليج العربي - م.خ. ) ، أما التجار الأجانب فينقلون بضائعهم الى ايران من سميرنا ومدينة الاسكندرونة السورية ، ومن هناك عن طريق البر ينقلونها إلى حلب وأماكن أخرى أبعد » .

وبالإضافة الى ذلك يرد ذكر للمعاهدات التجارية ، والتعريفات الجمركية ، وعن دور بعض الدول في التجارة ( « فرنسا ولها تجارة مع تركيا أكبر من جميع الدول الأخرى » ) .

« ان تجارة الفرو الناعم في تركيا هي الأكثر رواجاً من أي شيء آخر بدون شك ، ولا يوجد هناك تركي واحد أو أي مواطن آخر بدون معطف شتوي من الفرو ، الاّ انهم لا يستعملون المعطف في الصيف ، لذلك يشاهد المرء في القسطنطينية صنف صانعي معاطف الفرو في المقام الأول وله مكانة كبيرة » . ولكن هذه التجارة المربحة لروسيا اخذت تفقد أهميتها تدريجياً بسبب غلاء الفرو في

روسيا واستيرادها بشكل واسع من أميريكا ، وبشكل خاص من كندا . ثم يشير نيبلوييف فيما بعد إلى أن الاستيراد من روسيا إلى القسطنطينية لا يقتصر على الفرو الناعم ، وفرو الأغنام ، وإنما تستورد الأقمشة الكتانية المتنوعة ، والشمع ، ودهن الحيوان ، والشحم ، والكافيار الأسود المكبوس ، والصوف الخشن القصير ، والحرير الگيلاني ، والأطلس الصيني . والتجارة بيد اليونانيين ، ويرد ذكر للتجار الروس أيضاً أمثال كلوچكوف وهو من ڤورونيژ .

وقد أضاف نيبلوييف ملحقاً الى تقريره يتألف من « وصف الموانىء العامة للامبراطورية التركية والبربر [ شمالي أفريقيا ] وأثرها في مهنة التجارة الأجنبية » ، كان قد كتبه في سنة ١٧٤٤ ، وفيه اشارة الى ان بالامكان تقسيم الموانىء في تركيا الى درجتين ، تضم الأولى سميرنا ( إزمير ) ، والقسطنطينية ، وسالونيك ، وحلب ( « بالرغم من انها ليست ميناء ، الاّ ان شهرتها عند المسافرين الأجانب جعلتها ان تعد كالميناء » ) والقاهرة . أما الموانىء من الدرجة الثانية فهي أنغورا ، وسعيد ، وطرابلس ( السورية ) ، وعكا ، والموانىء في جزر الارخبيل اليوناني : « ومن الممكن تسمية سميرنا بحق المخزن الآسيوي ليس فقط لأن الأقاليم العثمانية والفارسية تسد حاجاتها من البضائع الأوروبية عن طريقها وانما لأن أكبر وأشهر القوافل التجارية تأتي الى تلك الأطراف . وهناك في سميرنا مستوطنات وجاليات فرنسية ، وانكليزية ، وڤينيسية ، وأعيدت من جديد المستوطنة النياپولية . أما التجارة الفرنسية في سميرنا فهي كبيرة ورائجة جداً وعلى وجه الخصوص في أوقات الهدوء والسلام . . . ولم تكن التجارة الانكليزية في سميرنا صغيرة في السابق ، غير انها تضاعفت في الوقت الحاضر . وهناك في لندن شركة لبنانية خاصة ، وهي تحتكر التجارة ولا يستطيع أحد غيرها القيام بالتجارة في تركيا ، وبهذا الشكل ان البيوت الانكليزية الموجودة في لبنان هي في الحقيقة محطات تجارية لتلك الشركة . . . » .

ثم يصف تجارة البلدان المختلفة : فرنسا ، وانكلترة ، وهولندة ، وفينيسيا . ويورد ويعدد البضائع والسلع المستوردة والمصدرة.

ويقول نيبلوييف عن القسطنطينية : « تزدهر في تلك العاصمة تجارة منظمة ، وكذلك في سميرنا ، غير ان السفن الأجنبية تتوجه إلى الأخيرة وترسو فيها

بشكل أكثر. . . » .

أما عن التجارة في المدن الأخرى فيقول نيپلوييف :

« تشتهر مدينة أنغورا بشعر الماعز ( المرعز ) توجد له فيها بيوت فرنسية ، وانكليزية ، وهولندية . وأما مدينة حلب فبالرغم من انها ليست على شاطىء البحر ، ولكنها تزدهر بتجارة رائجة وشهيرة بدعم من ميناء الاسكندرونة السورية. وحركة التجارة قوية في القاهرة ، يسيطر في هذه العاصمة المصرية الفرنسيون ، والفينيسيون ، الذين لهم مستوطنات غير قليلة هناك على التجارة وبيدهم زمام الأمور المالية ، وأخيراً أنشأ الانكليز مؤسساتهم أيضاً ، أما الهولنديون في مصر فلا يعملون شيئاً. . . » .

***

تكوّن الأدبيات المترجمة ، ومذكرات الرحالة والسياح والمسافرين ، وأخبار الصحف ، وأخيراً بلاغات الديبلوماسيين الروس وتقاريرهم مواد ومراجع قيمة ، وهي لا تشهد على الأهمية العظمى التي كانت توليها روسيا إلى الشرق الأوسط في الربع الثاني من القرن الثامن عشر فقط ، وإنما تشير أيضاً الى تنوع المعلومات التي جمعت عن الشرق الأوسط . وقد دخلت هذه المعلومات في صلب الدراسات العلمية في هذه البلاد التي شرعت في التطور في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وبلغت ذروة تطورها في القرن التاسع عشر .

## الفصل الرابع

# النصف الثاني من القرن الثامن عشر

تحددت السياسة الخارجية لروسيا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بتحقيق المهام التاريخية الخطيرة ، وهي ضرورة إقامة الاستقرار وترسيخ مواقع روسيا في شواطىء بحر البلطيق ، والوصول إلى البحر الأسود ، وتوحيد أراضي أوكرانيا وبيلوروسيا مع روسيا ، وتعزيز السلطة في تلك المناطق .

وكانت الحروب الروسية ـ التركية المستمرة (١٧٦٨ ـ ١٧٧٤و١٧٨٧ ـ ١٧٩١ ) ، والبعثة الأرخبيلية وتوحيد القرم مع روسيا ، وعقد معاهدات الصلح ( كوچوك كاينارجه ـ ١٧٧٤ ، ويـاسي ـ ١٧٩١ ) والنشاط المشترك للأسطور الروسي ـ التركي ( ١٧٩٨ ـ ١٨٠٠ ) بقيادة عامة مشتركة لوكيل الأميرال ف. ف. أوشاكوف ضد فرنسا النابوليونية أثارت في المجتمع الروسي اهتماماً كبيراً إلى الشرق الأوسط . وقد انعكست أحداث تلك المرحلة في المقالات ، ومذكرات الرحالة ، والمشاركين في العمليات الحربية ، والأدبيات المترجمة ، والتقارير الديبلوماسية .

ولم يكن الشرق في صلب اهتمام أكاديمية العلوم في أربعينيات القرن الثامن عشر ، فقد توقف الاهتمام عملياً بالشرق تماماً . وبعد وفاة كير لم يبق في الأكاديمية عالم واحد يتقن اللغات الشرقية[1] .

وأما تأسيس « أكاديمية ، أو جمعية العلوم واللغات الشرقية في الأمبراطورية

(١) إ.ى. كراچكوڤسكي ، مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي ، موسكو ـ لينينغراد ١٩٥٠ ، ص ٤٩ .

الروسية » فكان من أحلام النابغة الروسي العالم م .ف . لومونوسوف . ففي مشاريع الأنظمة الثلاثة لأكاديمية العلوم ، والجامعة المحفوظة في أوراق م .ف . لومونوسوف ورد ذكر لكرسي اللغات الشرقية .

غير أن خطط لومونوسوف وبرامجه في دراسة اللغات الشرقية في روسيا لم تتحقق بالرغم من محاولاته الكثيرة . وحينما افتتحت جامعة موسكو في سنة ١٧٥٥ لم يجد تعليم اللغات الشرقية لنفسه مكاناً فيها ، على الرغم من أن مشروع النظام قد تضمن مثل هذه الإمكانية .

وقد اتخذت في عهد الأمبراطورة كاترين الثانية ( ١٧٦٢ - ١٧٩٦ ) بعض التدابير لتحقيق تدريس اللغات الشرقية في المؤسسات التعليمية التي تقع في الأماكن التي يدين سكانها بالدين الإسلامي . وهكذا تم فتح مدرسة في قازان في سنة ١٧٥٩ . ويرتبط بنشاط مدرسة قازان تحقيق الخطط التي وضعها م.ف. لومونوسوف حول تدريس اللغات الشرقية[1] .

وبهذا الشكل من الممكن القول بأن المحاولات الأولى لتأسيس مدرسة الاستشراق قد جرت في عهد كاترين .

وازداد الاهتمام بالشرق الأوسط بشكل ملموس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وشرعت المؤسسات في روسيا بجمع مجموعات كبيرة من المسكوكات ، كما وظهرت مواد ومصادر ونماذج من المخطوطات .

وكان المصدر الموثوق للمعلومات عن الشرق الأوسط جريدة « كشوف سانت پيترسبورغ » وجريدة « كشوف موسكو » . وكانت الصحيفتان تنشران الأخبار والأنباء المستقاة من المصادر الأجنبية ، ومن ملاحظات ومشاهدات مراسليها الذين كانوا يعيشون في عدد من المدن الأوروبية .

فنشرت في المجلات التي كان يصدرها ن.إ.ي. نوڤيكوڤ ، و إ . أ . كريلوڤ ، ون.م. كارامزين مقالات أصيلة وأخرى مترجمة مما ساعدت القراء إلى

---

(١) م . گ . بيلياييڤسكي ، م.ف . لومونوسوف وتأسيس جامعة موسكو ، موسكو ، ١٩٥٥ ، ص ١٢٨ .

حد ما أن يتعرفوا على بلدان الشرقين الأدنى والأوسط .

وكانت حصيلة الحروب الروسية ـ التركية ( ١٧٦٨ ـ ١٧٧٤ و١٧٨٧ ـ ١٧٩١ ) أن ظهرت أدبيات واسعة ذات طابع حربي . وكانت قد نشرت « مجلة عمليات الجيش الحربية في ١٧٦٩ ـ ١٧٧٠ » و« مجلة العمليات الحربية لجيش الأمبراطورية الروسية ضد الترك في ١٧٦٩ ـ ١٧٧١ » .

وكانت تنشر في « كشوف سانت پيترسبورغ » و« كشوف موسكو » بصورة منتظمة أخبار وأنباء مختلفة ومتنوعة مصدرها ميدان العمليات الحربية . وبعد انتهاء الحرب أصدر بعض المشاركين في تلك الحروب كتباً في هذا الموضوع . وكان نشر مذكرات ڤاسيلي گريگوروڤيچ ـ بارسكي التي مرّ ذكرها بمعونة الأمير پوتيمكين تاڤريچسكي في سنة ١٧٧٨ خير شاهد على اهتمام المجتمع الروسي بالوضع في الأمبراطورية العثمانية .

## رحلة ليڤاشوڤ

عاش أ.م. أوبريسكوڤ كمقيم روسي في استانبول[١] بضع سنين وظل هناك حتى حروب سنة ١٧٦٨ ـ ١٧٧٤ ، وكانت السلطات التركية قد سجنته في بداية الحرب ، فبقي في معتقل القلعة ذات الأبراج السبعة حوالي السنة . وكان يعاني السجن في القلعة مع أوبريسكوڤ الكاتب پ . أ . ليڤاشوڤ وهو أحد أعضاء البعثة الديبلوماسية .

وبعد عودته إلى پيترسبورغ فور خروجه من السجن نشر ليڤاشوڤ كتابين يتضمنان معلومات وأخباراً ممتعة وطريفة عن ظروف اعتقال وإقامة أعضاء السفارة الروسية في السجن . وورد فيهما كذلك وصف الوضع السياسي الداخلي في تركيا[٢] .

---

(١) كانت المدينة تسمى القسطنطينية وهي عاصمة الدولة البيزنطية قبل احتلال الجيش التركي في ٢٩ مايس ١٤٥٣ . وبعد السيطرة التركية سميت بمدينة استانبول وغدت عاصمة للأمبراطورية العثمانية .

(٢) « السجن والآلام التي عاناها الروس لدى الترك ، أو وصف مفصل للمخاطرات التي تعرض لها

ويكتب ليڤاشوڤ عن دسائس الترك في شمالي القفقاس ، وعن ظروف الحياة وأمزجة الجيش التركي ، وعن الاضطرابات التي تحدث عادة في صفوف الانكشارية لأسباب مختلفة ، وعن هروبهم من الجيش ونهب السكان .

ويصف المدن أيضاً ، فيقول عن أدريانوپول ( أدرنه ) : « تعد الأولى بعد القسطنطينية في جميع أنحاء تركيا الأوروپية ، وذلك من حيث السعة ، وكثرة السكان ، وبالإضافة إلى ذلك تتمتع بموقع جيد ، وتحيطها السهول من جميع الجهات تقريباً ، أودية منبسطة خصبة ومثمرة ، وفيها جبل عال واحد يمتد إليها من الجهة الشمالية الشرقية يزحف إليه ويتسلق عليه جزء كبير من مباني المدينة . أما النهر الذي يجري بالقرب من أسوارها فيمنحها جمالاً غير قليل ، والبيوت فيها مبنية بشكل عام من الطين ، كما في جميع المدن التركية ، الأخرى ، وأما الشوارع فهي ضيقة ، غير نظيفة ومتعرجة وغير مستقيمة . وفيها عدد كبير من المساجد ، والخانات الفخمة ، وبيوت المسافرين »[1] .

ويذكر ليڤاشوڤ كذلك نماذج غير قليلة من الحقائق والوقائع عن إهانة الترك للجنود الروس الذين كانوا يقعون في أسرهم ، وعن معاملتهم الخشنة العنيفة مع السكان المسالمين : « عندما كنا واقفين بالقرب من الميناء شاهدنا بأم أعيننا معاملة الترك بأسلوبهم البربري للناس الذين وقعوا في أسرهم . وفي يوم من الأيام قادوا جميع الذين قبضوا عليهم عنوة وسرقوهم في تخوم پولونيا وأوكرانيا من القرويين المساكين ومعهم النساء والأطفال الصغار ، وكانوا يدفعونهم ويقودونهم للبيع ، ويسيرون بهم في المدينة ، وفي الحقول بين القصور والمنازل ، وكانت الأمهات الباكيات يلتمسن أن لا يفرقونهن عن أطفالهم ، وأن يتم بيعهن مع أطفالهن ، ولكنهم لم يهتموا بدموعهن ، وكان القسم الأكبر من الناس الذين يباعون يقعون في أيدي مختلفة ،

---

الروس في تساريگراد ( القسطنطينية ) على أثر إعلان الحرب ، فكانت حياتهم تعسة ؛ مع سرد المذكرات اليومية عن القوات المسلحة وعملياتها في الحرب الماضية ، وكثير من الأحداث الأخرى الغريبة النادرة العجيبة » ، سانت پيترسبورغ ، ١٧٩٠ ( فيما بعد « السجن والآلام . . . » ) ؛ « مذكرات يومية لبعض الأحداث التي وقعت خلال الحرب مع تركيا منذ يوم إعلانها وحتى سنة ١٧٧٣ » ، سانت پيترسبورغ ، ١٧٩٠ .

(١) « السجن والآلام » ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

فكانت النساء يمزقن وجوههن وشعر رؤ وسهن لفراق أولادهن ، وكان الكل في عذاب لا يطاق . وكانوا يعتدون عليهم كأن الدهر حكم عليهم بالعذاب الأبدي ، فيما كان المشاهدون يحملون قلوباً من الصخر ، ولم يظهروا نحوهم ذرة من الرأفة والشفقة ، بل كانوا يضحكون عليهم ، ويسخرون منهم ، ويوجهون السب والشتم إليهم »[1] .

ويتكلم الكاتب عن التنكيل الوحشي الذي كان يتعرض له بعض القواد الحربيين الترك بسبب إخفاقهم في بعض العمليات الحربية والتهم الأخرى الموجهة إليهم . وهكذا كان الصدر الأعظم محمد پاشا قد شنق بسبب اندحاره في ضواحي خوتين ، وكذلك حاكم مولداڤيا كالياكي . وهكذا انتقلت عدة ملايين من الليڤات ( نقد بولغاري ) وهي من ممتلكات الوزير الكبير إلى يد السلطان .

## رحلة خميتيڤسكي

بدأت البعثة الأرخبيلية الأولى بالعمل خلال فترة الحرب الروسية ـ التركية في سنوات ١٧٦٨ ـ ١٧٧٤ . وكانت المهمة الرئيسية للبعثة تنحصر في أشغال قسم من قوات العدو في ميدان العمليات الحربية في البحر الأسود ، وضفاف الدانوب ، وتقديم المساعدة إلى اليونانيين في حربهم التحريرية ضد الترك . وقد تم تحطيم الأسطول التركي نتيجة للمعارك في خليج جسمين الذي كان مليئاً بالأسطول الروسي ذي المجد الذي لا ينطفي ، وكانت المعركة الحاسمة في ٢٤ حزيران وفي ليلة ٢٥ على ٢٦ حزيران سنة ١٧٧٠ بالذات انتهت الحرب بتحطيم الأسطول التركي .

كان القبطان العقيد البحري س . پ . خميتيڤسكي المشارك في البعثة الأرخبيلية ضابطاً بحرياً قوي الملاحظة ومثقفاً قد ترك مذكرات لها أهمية كبيرة جداً ليس لتاريخ الأسطول الروسي فحسب ، وإنما لدراسة الشرق الأوسط أيضاً لأنها تتضمن ـ بالرغم من قصرها ـ وصفاً قيماً لجزر الأرخبيل اليوناني التي كانت تدخل في

(١) المصدر السابق ، ص ٨١ .

ممتلكات الأمبراطورية العثمانية في ذلك الوقت[1] .

وكان وصفه الجغرافي للجزر دقيقاً ومعبراً . وهو يلاحظ أشياء كثيرة منها : المناظر الطبيعية ، وأعمال السكان ، وخصائص الاقتصاد : « في جميع جزر الأرخبيل ، وشواطىء روماني[2] ، والبر الأناضولي ، والجبال والمواقع العالية ، ولا توجد المياه بشكل كاف وفي جميع الأماكن ؛ أما الحقول فهي في الأماكن الواطئة ، أو في الأودية بين الجبال ؛ يبدأ حرث الأرض وبذر القمح في شهور تشرين الأول وتشرين الثاني وكانون الأول ، وأما الحصاد فيكون في مايس وفي أواخره ، وأما الشعير فلا يبذر في وقت واحد ، وكل من يبذره بسرعة فهو يحصده بسرعة أيضاً ؛ ويكون انتاج الحبوب المستعملة في الخبز في السنوات الخصبة ١٢ ضعفاً بالنسبة إلى الحنطة ، و١٠ أضعاف بالنسبة إلى الشعير ، وهي تزرع في الأراضي الضعيفة أيضاً ، أما في البحر [ شبه جزيرة البيليوبونيز ] ، والأناضول ، ورومانى ، حيث الأراضي السهلة والخصبة يكون انتاج الأرض عزيزاً وفيراً ؛ وإنهم يزرعون أيضاً الفول الناعم في كانون الأول وكانون الثاني ، وينضج في نيسان ، والغالبية العظمى يزرعون الفول ، والحمص يزرع في نيسان فينضج في آب . ويزرع الكتاب بكميات كبيرة لا يستهان بها في بعض الأماكن ، كما ويزرع القطن في نيسان وأواخره وينضج في أيلول ، ويتوفر العنب ، والرقى ، والبطيخ وهي تنضج في تموز . وتحصل الأغنام والطيور على ما تقتاة عليه بنفسها ، غير أن الحشائش تجف في الصيف بسبب الحرارة والمطر قليل جداً أو معدوم ، ولكن يقع الطل والندى في الليل منذ شهر آب بغزارة وكثرة[3] .

ووضع خميتيفسكي عدداً كبيراً من الخرائط ، وقد أشار فيها إلى جميع الجزر ، والخلجان ، والموانىء ، والقلاع التي اشترك هو بنفسه في حصارها . وكانت تستعمل هذه الخرائط التي رسمت باتقان ودقة من قبل البحارة والملاحين .

---

(١) « يوميات ستيبان بيتروف ابن خميتيفسكي عن العمليات الحربية للأسطول الروسي في الأرخبيل ، وشواطىء آسيا الصغرى في سنوات ١٧٧٠ - ١٧٧٤ » ، « المعاصر » ، المجلد ٤٩ ، ١٨٥٥ ، ص ٣٧ - ٨٢ .

(٢) روماني : الجزء المتاخم لبحر إيجة من شبه جزيرة البلقان .

(٣) « يوميات سيتيان بيتروف » ، ص ٦٧ ، ٦٨

ولم يغب عن ذهن خميتيفسكي الوضع البائس للسكان . ويقول عن أهالي جزيرة پاروس : « انهم عراة ، جياع ، يعيشون على الأعشاب والحشائش فقط ، أما منظرهم فهو شبح إنساني . . . »[1] .

ويصف خميتيفسكي حالة المناخ في الأرخبيل أيضاً : « تتوزع التيارات في جميع أنحاء الأرخبيل ، إلاَّ أنها كثيرة وغير اعتيادية بالقرب من الدردنيل ، وهي أكثر من باقي الأنحاء . والصيف فيه حار ، ولا وجود للرياح تقريباً ، وأحياناً تهب رياح هادئة ، والندى غزير إلى حد يرطب الأرض كأن أمطاراً غزيرة قد هطلت ، وهكذا يصبح الجو بارداً ؛ ويبدأ الخريف في شهر تشرين الثاني ، وأما الرياح ، والأمطار ، والرعود ، والبروق فهي تعبث بالغلال الصيفية ؛ وتدوم الرياح القوية والعواصف ثلاثة أيام ، وتحمل الزوابع الشديدة معه الغبار ، والرطوبة أحياناً »[2] .

## رحلة كوكوڤتسوڤ

كان قد شارك في البعثة الأرخبيلية عضو آخر وهو القبطان البحري ، وفيما بعد الرئيس م . كَ . كوكوڤتسوڤ ( ١٧٤٥ - ١٧٩٣ ) ، وهو أحد أجداد عالم الدراسات السامية الشهير پ . ك . كوكوڤتسوڤ وكان قد شارك في معركة خليج چيسمين . زار م . كَ . كوكوڤتسوڤ عدداً من الجزر في « الشاطىء البربري » - ( يقصد الساحل الإفريقي للبحر الأبيض المتوسط - م .خ . ) وترك مذكراته . ويكتب المؤلف فى مقدمتها : « لم أعثر على وصف شامل رصين صحيح عن تلك البلاد المهمة . . . فقررت أن أستغل وقت الفراغ القليل الذي كنت أملكه أثناء خدمتي خلال الحرب الروسية المجيدة ضد الترك أن أقوم بجمع الأخبار والمعلومات عن جميع الأماكن التي كنت قد شاهدتها وعشت فيها ، وقد سجلت كل ما كان ضرورياً »[3] .

ويصف م . كَ . كوكوڤتسوڤ مجموعة كبيرة من الجزر . وإن إنطباعاته تتصف

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٣) « وصف الأرخبيل والشاطىء البربري - وضع الجزر ، والمدن ، والقلاع ، والموانىء ، والمرافىء ، والملاجىء ، والصخور التي تحت الماء ، وعدد السكان ، والأديان والعقائد ، والعادات والتقاليد ، والتاريخ القديم ، وملحق يضم ثلاثة تصاميم » ، سانت بيترسبورغ ، ١٧٨٦ ( فيما بعد « وصف الأرخبيل » ) .

بالدقة ، ويشير إلى مواطني الأماكن الآهلة بالسكان ، والموانىء ، والمرافىء ، والقلاع ، ويدقق في الخرائط الانكليزية المتوفرة ، ويقدم تاريخاً موجزاً للأماكن التي يزورها . وقد كرّس فصلاً خاصاً لعادات وتقاليد سكان الأرخبيل : « يعاني السكان الجهل ، والعوز ، ويفتقرون إلى الغذاء من ثمار أرضهم . أما سبب كل هذه الظواهر هو الأمية والحكم التركي المضطرب الذي لا نظام فيه ، ولا يساعد على نشر العلوم والفنون ، لأن بخل الحكام الذين يحكمون هناك وصل حداً يعملون على تحقيق طمعهم الذاتي فقط ، ويقومون بكل شيء يحقق لهم ذلك . وأما إذا ظهر بين السكان بعض المتنورين فهو بسبب علاقاتهم بالأوروبيين القادمين إلى هناك للتجارة . . . وإن البخل الذي يتصفون به ويسيطر على قلوبهم هو أعلى بكثير من بخل الهولنديين . . . واليونانيون عادة يغارون على الجنس النسائي وهم في هذا يشبهون الترك حيث يعزلون نسائهم ويرغمونهن على العيش بانفراد »[1]

وهناك في كتاب كوكوڤتسوڤ نصائح وإرشادات غير قليلة للملاحين ، وملاحظات قيمة في الأرصاد الجوي ( ميتيورولوجي ) .

ومن الأهمية بمكان وصف رحلة المؤلف في سنة ١٧٧٦ إلى تونس فهو زاخر باللمسات الدقيقة التي تظهر الحياة الاجتماعية والوضع الروحي للسكان المحليين .

ففي هذه السفرة زار كوكوڤتسوڤ الموانىء والمدن : سوسه ، وصفاقس ، وباردو ، وأطلال كارفاغين[*] أيضاً .

ثم توجه كوكوڤتسوڤ في تموز سنة ١٧٧٧ إلى الجزائر ، وزار فيها بون وضواحيها[2] : « إن طراز حياة السكان هنا يشبه ما في تونس ، غير أن الأخيرة تعاني أكثر من نير الحكومة القاسية ، لذلك يكون الفقر والجهل فيها أشد . والمنازل هنا مبنية في صف واحد ، لا تتميز بأية زخرفة ، أو تزويق ، يعيشون في الغالب على الخبز

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٩ ـ ٧١ .

(*) كارفاغين : ربما هي مدينة قرطاجة ! ( المترجم ) .

(٢) « أخبار موثوقة عن الجزائر ، عن العادات والتقاليد لشعب ذلك المكان ، وعن حالة الحكومة ومدخولات المناطق ، وعن وضع الشواطىء البربرية ( شواطىء شمالي أفريقيا للبحر الأبيض المتوسط ) ، وعن النباتات وما شابهها ، مع رسوم حقيقية دقيقة » ، سانت پيترسبورغ ، ١٧٨٧ .

وحـده ، والخضـار والنباتـات الأخـرى ، أمـا في الملبس فإنهـم أفقـر من التونسيين . . . » .

وإن مؤلفات كوكوڤتسوڤ الإنسان الذي يتمتع بثقافة واسعة عالية والذي درس حياة وواقع البلدان التي قام بزيارتها بعمق وتأمل ، تتميز بأنها مشبعة بالشعور الإنساني الكبير وكان م. گ . كوكوڤتسوڤ رجلاً متطوراً ومتقدماً في زمانه . فهو يدين بشدة سياسة الحكام الترك تجاه الشعوب المستعبدة ، ويرى أن تلك السياسة هي الوازع الحقيقي في تأخر وفقر الشعب الذي يملك جميع الإمكانيات في أن يعيش حياة أفضل .

فقد أشار الأكاديمي إ . ى . كراچكوڤسكي أن مؤلفات كوكوڤتسوڤ تبقى مصدراً مهماً لدراسة الجزائر وتونس في ذلك العصر :

« لقد حازت في عصرنا هذا على تقييم عالٍ من لدن الاختصاصيين في تاريخ شمالي أفريقيا في العلم الفرنسي الذي لم يكن قد تعرف عليها إلاّ في الوقت الحاضر »[1] .

ولا بد لنا أن نؤيد آراء م . أو . كوسڤين عن أن : « وصف كوكوڤتسوڤ لبلدان شمالي أفريقيا غني في مضمونه ومعبر إلى حد كبير ، ولذلك يستطيع بحق أن يحتل المكان الأول في الدراسات الإفريقية في تاريخ العلم الروسي »[2] .

## رحلة پليشييف

زار ضابط الأسطول الروسي س. إ. پليشييف ( ١٧٥٢ - ١٨٠٢ ) سوريا وفلسطين في فترة وجود الأسطول الروسي في الأرخبيل في نهاية سنة ١٧٧٢ . وقد تقرب فيما بعد من ن. إ. نوڤيكوڤ وأصبح من أصدقائه الحميمين ، وهو أحد الذين

(١) إ. ى. كراچكوڤسكي ، مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) م. أو . كوسڤين ، أول روسي مختص في الدراسات الافريقية م . گ . كوكوڤتسوڤ ، « الاستشراق السوڤياتي » ، العدد ٢ ، ١٩٥٦ ، موسكو ، ص ٩٥ .

استمروا على ما بدأ به م .ڤ . لومونوسوف في حقل الجغرافيا[1] . وكان ضابطاً شاباً حينما التحق ببعثة في انكلترا لتلقي التطبيق والممارسة في العلوم المتعلقة بالشؤون البحرية ، وهكذا عاش على متن بواخر الأسطول الانكليزي منذ سنة ١٧٦٥ وحتى سنة ١٧٧٠ . وفي جولاته هذه التحق بالأسطول الروسي المتوجه إلى جزائر الأرخبيل اليوناني .

وكان س.إ. پليشييڤ يدون مذكراته اليومية[2]، كتب فيها بتفصيل عن رحلته من جزيرة پاروس حتى سوريا ، ويدون ملاحظاته بلغة حية معبرة عن المدن ، والموانىء ، والتجارة ، والتحصينات . وقد أولى اهتماماً بشؤون الحياة اليومية وبشكل خاص في وصفه لفلسطين الذي يحتل مكاناً بارزاً في عمله .

كان قد صدر مؤلف س.إ. پليشييڤ التي أشرنا إليه في سنة ١٧٧٣ ، وبعد مرور سنوات قليلة كان قد ترجم إلى اللغة الألمانية وطبع في مدينة ريغا في سنة ١٧٧٨ .

وأرسل پليشييڤ في بعثة ضمن سفارة ريپنين إلى القسطنطينية في سنة ١٧٧٥ فقام بجرد ومسح مضيق الدردنيل ، وفي سنة ١٧٧٦ أنجز جرد سينوپ وطرابزون ثم عاد بعد ذلك إلى پيترسبورغ .

ثم نشر « إستعراض الأمبراطورية الروسية في حالتها الراهنة » في سنة ١٧٨٦ ، وهو معروف بشكل جيد في الأدبيات الروسية . فصدرت له حتى سنة ١٧٩٠ أربع طبعات ، وترجم إلى اللغتين الألمانية والفرنسية أيضاً .

وقد قام پليشييڤ بترجمة رحلة[3] اللورد الانكليزي بلتيمور من اللغة

---

(١) معجم السير الروسي ( المجلد پلاڤيلشيكوڤ ـ پريمو ) ، سانت پيترسبورغ ، ص ١١٣ ـ ١١٥ ( مع المراجع ) ؛ « الجغرافيا الاقتصادية الوطنية في القرن الثامن عشر ـ القرن التاسع عشر » ، مقالة ن . پ . نيكيتين ، موسكو ، ١٩٥٧ ، ص ٩٩ ـ ١٠٣ .

(٢) « مذكرات يومية لرحلة من جزيرة الأرخبيل پاروس التابعة لروسيا إلى سوريا والأماكن التي تستحق الاحترام الواقعة في حدود أورشليم ( القدس ) مع تاريخ موجز لفتوحات أليبييڤ » ، سانت پيترسبورغ ، ١٧٧٣ .

(٣) « رحلة اللورد الانكليزي بلتيمور من القسطنطينية خلال روميلي ، وبولغاريا ، ومولداڤيا ،

الإنكليزية إلى اللغة الروسية وهي تبدأ من القسطنطينية عن طريق روميلي[1] ، ومولدافيا ، وبولونيا ، والمانيا ، وفرنسا ، وتنتهي بلندن . ويصلح هذا الكتاب أن يكون دليلاً ، وقد أضاف پليشييڤ إليه بعض الزيادات ، والملاحظات ، والتعليقات ، وصدرت له طبعتان ( ١٧٧٦ و١٧٧٨ ) .

## البحارة والموانىء

بعد توقيع معاهدة كوچوك كاينارچة في استانبول في ١٨ أيلول سنة ١٧٧٤ ، تحرك الأسطول الروسي من الارخبيل بقيادة الرئيس إ. أ. بوريسوڤ « لاختيار الملاحة الحرة في البحر الأسود عبر الدردنيل والبوسفور » .

وكان الضابط المهندس البارون فون دير پالين المرافق لبوريسوڤ يدير « مجلة الرحلات الى القسطنطينية » ، وقد كتب فيها وصفاً للأماكن التي قام بزيارتها[2] .

ولـ « مجلة الرحلات إلى القسطنطينية » شأنه الخطير ، وأثرها البارز في تاريخ دراسة الشرق الأوسط من قبل الروس ، لأن المؤلف رسم بدقة مخطط تروي والقسطنطينية وبذلك أضاف معلومات جديدة على الدراسات التي قام بها الروس لتلك الأماكن .

ومن المفيد الإشارة هنا أيضاً الى كتاب ف . أ . إمين « وصف موجز للدولة [ الباب العالي ] العثمانية »[3] الذي كان قد زار تركيا ، ويذكر فيه معلومات قيمة في

---

وبولونيا ، والمانيا ، وفرنسا إلى لندن » ، ترجمها من الانكليزية س . إ . پليشييڤ ، الطبعة الثانية ، سانت پيترسبورغ ، ١٧٧٨ .

(١) كانت روميلي في القرنين السابع عشر والثامن عشر تتألف من بولغاريا ، وصربيا ، وألبانيا ، ومكدونيا ، وإپير ، وفيساليا ، أي بلدان شبه جزيرة البلقان التي احتلها السلاطين العثمانيون . وكانت بولغاريا غالباً ما تعتبر خارج نطاق روميلي . وقد انكمشت حدود روميلي في القرن التاسع عشر بسبب تحرر اليونان وصربيا ، واستقلال بولغاريا من النير التركي . وفي الوقت الحاضر تطلق تسمية روميلي أحياناً على الأراضي القليلة في تركيا الأوروبية الواقعة في منطقة المضايق وبحر مرمرة ( فراكيا الشرقية ) .

(٢) «النشرة الوطنية»، العدد ٣٨، ١٨٢٣ .

(٣) «وصف موجز للأوضاع القديمة والجديدة للدولة [الباب العالي] العثمانية»، موسكو، ١٨٢٨ .

تاريخ وجغرافية البلاد ، ويتناول أصل وجوهر الدين الإسلامي ، ويتحدث عن الحياة الإجتماعية ، والقوات المسلحة .

## رحلة إيگناتي

يحتل « وصف رحلة الأب إيگناتي الى تساريگراد ، وجبال أيون ، والأرض المقدسة ، ومصر في سنوات ١٧٦٦ ـ ١٧٧٦ »[١] مكاناً بارزاً في أدب الرحلات .

توجه إيگناتي في مايس سنة ١٧٦٦ من كورسك عن طريق كييڤ ، زاپوروژى ، أوچاكوف الى استانبول ، فدخلها في حزيران سنة ١٧٦٧ . أقام فيها مدة ثلاثة أسابيع وفي نهاية تموز سافر الى أيون . ومن أيون توجه إلى مصر ، وعكا ، ومدينة القدس ، وكذلك زار مرسى الاسطول الروسي في پاروس . وعاد الى بلاده في آب سنة ١٧٧٦ . وحينما لزم إيگناتي دير ساروف[٢] شرع بكتابة مذكراته عن الرحلة .

وهكذا يقول إيگناتي عن تساريگراد ( القسطنطينية ) انها « مبنية على سبعة تلال ، وهي تقع على خليج خلقدونيا . وعندما دخلتها أدهشني جمال المدينة وفخامتها . والميناء ملائم للسفن ، وهي تأتي من جميع انحاء البحرين الابيض والاسود . . .

والمنازل في تساريگراد مبنية من الحجر ، ويتكون كل منزل من أربع غرف أو خمس مع المخادع ، وشوارعها ضيقة جداً لا تستطيع العربة التي تجرها الخيول ان تمر فيها ، وهكذا فانهم في الغالب يسيرون مشياً على الاقدام ، ويسافرون على الخيول . . . » .

ويقول عن مصر : « ان مدينة مصر [ القاهرة ] مدينة كبيرة جداً ، وهي أكبر

---

(١) مجموعة فلسطين الارثوذوكسية ، النشرة ٣٦ ، المجلد ١٢ ، سانت پيتر سبورغ ، ١٨٩١ .

(٢) دير ساروف : دير للرجال في قضاء تيمنيوكوڤسكي التابع لمحافظة تامبوڤسكي في أواسط القسم الأوروبي لروسيا .

من تساريگراد بمرتين ، ويقولون ان عدد مساجد العرب فيها وحدها اكثر من عشرين ألف . اما الازدحام ، وكثرة الناس ، والصخب فقد كانت مبعث استغراب شديد . والشتاء غير موجود هناك ، أما حرارة الشمس فهي عظيمة جداً . . .

ومن الجدير بالذكر انه عندما يفيض نهر النيل ، ثم يعود الى حالة النقصان يزرعون القمح ، فيكون الإنتاج عظيماً ، وأحياناً يحدث ارتفاع متوسط في نهر النيل ، حينئذ يكون الإنتاج أقل . وينضج القمح عندهم في شهر شباط حينما يكون الشتاء عندنا في أوجه » .

## رسائل تساريگراد
## للمؤلف المجهول

نشر في سنة ١٧٨٩ كتاب « رسائل تساريگراد »[١] ، وقد ألفه على ما يظهر مؤلف مجهول على معرفة جيدة بتركيا في سنوات ١٧٨٧ - ١٧٨٩ ، وهو أثر نفيس بمثابة دليل يقوم بتعريف تركيا بشكل جيد ( من المحتمل ان يكون مؤلفه هو پ . أ . ليڤاشوف المار ذكره )[٢] .

ويقع الكتاب في أربعة عشر فصلاً ( أي أربع عشرة رسالة ) كالآتي :

١ - عن الاختلاف والتباين بين الترك القدامى والمعاصرين .
٢ - عن أحسن المباني في تساريگراد ، وبيوت المسافرين وما شابهها .
٣ - عن السراي ( القصر ) ، والحريم ، المكان الذي تحفظ فيه النساء .
٤ - عن ضواحي تساريگراد .
٥ - عن معاملة الترك لسفراء ، ووزراء البلدان الأجنبية .
٦ - عن مكائد الحب وحيله عند الرجال والنساء الترك .

---

(١) «رسائل تساريگراد عن الترك القدامى والمعاصرين ، ووضع قواتهم ، وعن تساريگراد وجميع ضواحيها »، سانت پيترسبورغ ، ١٧٨٩ .

(٢) ان افتراضنا لا يستند على سعة اطلاع ليڤاشوف على الحياة في تركيا فقط ، وكذلك ليس على التشابه الموجود بين أسلوب « الرسائل » وبعض ملاحظاته الشهيرة الواضحة ، وإنما مضمون «الرسائل» نفسه يحملنا على الإعتقاد بأن مؤلفها كان ديبلوماسياً .

٧ ـ عن سرعة غضب ( تهور ) الترك ، وهي قدوة غريبة .
٨ ـ عن الدردنيل والمضايق وما شابهها .
٩ ـ عن نمط الحياة عند الترك .
١٠ ـ عن قصور السلاطين وخدمهم المقربين .
١١ ـ عن السلاطين وشؤونهم المهمة .
١٢ ـ عن الأنظمة ، واللغة ، وبلدان الشعوب الواقعة تحت سلطة الدولة التركية .
١٣ ـ عن انتخاب البطريرك ، وعن الوضع الحالي للكنيسة اليونانية .
١٤ ـ عن احتفالات اليونانيين ، وأساطيرهم ، والجزية وما شابهها .

لا شك ان هذه القضايا التي يتناولها الكتاب تجلب الإنتباه وتشير إلى تنوع في مضمونه . وترد في الكتاب معلومات عن سراي السلطان : « يُقال بأنه يتم هناك استهلاك أكثر من أربعين الف من الثيران الطرية والمملحة المكبوسة في السنة الواحدة ، وعلى المتعهدين أن يزودوا القصر في كل يوم بمائتي خروف ، ومائة حمل ، وعشرة عجول ، ومائتي دجاجة ، ومائتي زوج من فروخ الدجاج ( الكتاكيت ) ، ومائة زوج من الحمام ، وخمسين إوزه ، ونفس العدد من الديك الرومي » .

ويقول عن استانبول : « إذا أردنا أن نحكم على جمال المدينة ، علينا أن نقول بأنها فردوس أرضي ، أو الجنة التي هبطت الى الأرض ، ولكن إذا شرعنا بالإمعان فيما يحدثه وباء الكوليرا في كل صيف هناك ، والحرائق الرهيبة التي تحدث غالباً ، وعلاقة الترك البربرية بالمسيحيين ، والخطر الدائم الناجم من التمرد ، والعصيان ، والفتن ، لا شك ان المدينة تكون في مثل هذه الأحوال أكثر شبهاً بالجحيم منه إلى الجنة . . . »[1]

ويتحدث المؤلف عن حياة الترك . ويشير بارتياح إلى امتناع الترك من تعاطي المسكرات في كل مكان تقريباً ، واعتدالهم في الأكل .

ثم يقف عند وحشية وتعسف القضاء : « ان الإعدامات التي تتم هنا بالموظفين والناس البسطاء تدعو إلى الاشمئزاز ، فعلى سبيل المثال ، ان الإنكشاريين والبحارة

---

(١) « رسائل تساريگراد »، ص ٤٢ .

وغيرهم هم الذين يقومون بهذه الأعمال دون سابق إنذار وبسرعة خاطفة ، وبدون أي تحقيق ضروري ، أو النظر في القضية الى انها تستحق الموت أو لا ، وهكذا يحدث غالباً ان تكون مدة قصيرة ، أو لحظة من الزمان مساوية لحياة كثير من الأبرياء . . . »[1] .

ويتعاطى الترك في نطاق واسع الأفيون ، والتبغ : « يدخنونه في كل مكان وبكثرة ، وانهم ينامون دائماً مع غليونهم » .

## رحلة بارانشيكوڤ

ليس بإمكاننا إغفال الرحلة الإجبارية للتاجر ڤاسيلي بارانشيكوڤ[2] وهو من مدينة نيژنى ـ نوڤگورود .

كان بارانشيكوڤ قد وصل الى كوبنهاگن لأعمال تجارية ، وقد شوهد وهو في حالة سكر ، فقبض عليه رجال الإستخبارات ، وسلموه الى إحدى السفن . وأصبح هناك ضحية لتجار الرقيق الأوروبيين ، وخلال سبع سنوات ابتداءً من سنة ١٧٨١ خدم كجندي في الجيش الدانماركي الاستعماري . وكان عبداً في المزارع الإسپانية الكبيرة في الهند الشرقية ، وأسيراً بيد القراصنة الترك في فلسطين ، وحمالاً في الميناء في استانبول ، وبحاراً في سفينة يونانية وانكشارياً في حرس قصر السلطان .

وعند احدى محاولاته للهرب قد قبض على بارانشيكوڤ و « ضرب بقسوة بعصى في قدمه ، ولم يستطع السير اكثر من شهر ، بل كان يزحف على الأرض » .

أما المحاولة الثانية فقد كانت ناجحة . إذ بعد خروجه من بيت لحم توجه بارانشيكوڤ الى يافا ، ثم سافر إلى مدينة القدس ، ثم عاد مرة أخرى إلى يافا ، وعمل كبحار بأجرة في إحدى السفن ،فوصل الى استانبول. هنا تزوج بتركيات ، وقد

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٢) « المغامرات التعسة » لڤاسيلي بارانشيكوڤ التاجر الصغير من مدينة نيژنى - نوڤگورود ، في الأقاليم الثلاثة من العالم : في أميريكا ، وآسيا ، وأوروبا ، من سنة ١٧٨٠ وحتى سنة ١٧٨٧ » ( فيما بعد « المغامرات التعسة » ) سانت پيترسبورغ ١٧٨٧ .

خدع اثنتين من النساء ، ثم هرب من استانبول ، فتجول في بولغاريا ، وبعد غياب طويل عاد عن طريق ڤالاكيا ، وپولونيا الى مدينة نيژنى ـ نوڤگورود .

وعن خدمته في صفوف الإنكشارية يقول : « يقدمون مرة واحدة في اليوم الطعام السلطاني ، والمائدة عندهم تتكون من الخبز الأبيض وعصيدة الدخن فيها ما يكفي من اللحم ، أما الدخان فيقدمون بقدر ما يحتاجه الشخص ، ويتناولون الطعام جماعات ، فكل جماعة تتألف من عشرة أشخاص يأكلون مع بعضهم ، وهناك مقرر للجماعة وهو رئيسهم ، ويسمونه برئيس العشيرة . . . »[1]

ويتطرق بارانشيكوف كبقية السياح إلى قسوة القضاء التركي ، وبشكل خاص الخداع والحيل التي يمارسونها في تجارة المواد الغذائية . فبائع الخبز الذي بترت أصابع ثلاثة في يده يقول : « لقد قطعت ثلاثة أصابع من يدي في أوقات مختلفة وذلك لأن القوانين التركية تقضي بالآتي : اذا نقص الوزن المقرر ولو بمقدار عشرة دراهم في الرغيف الواحد فإن المندوبين الذين يرسلون للمراقبة يجردون الفاعل من أحد اصابعه حيث يرافقهم جلاد يقوم بقطع الأصبع بدون أي حكم قضائي ، ويقال بأن الايدي والأصابع مذنبة . أما إذا كان النقص ٤ أو ٥ أو ٧ أو ٨ أو ٩ دراهم فإن العقوبة تكون بجلد الفاعل خمس جلدات »[2] .

ولا شك ان « الملحق » يستحق الإهتمام الخاص ، لأنه يرد فيه وصف مدينة تساريگراد ، والأمراء والرؤساء الترك العسكريين والمدنيين .

وعند دراسة مذكرات بارانشيكوف لا يستطيع المرء إلاّ أن يوافق على آراء س . أ . ڤينگروف الذي يقول : « من الصعوبة الإقتناع بأن « المغامرات التعسة » بأكملها حصيلة قلم بارانشيكوف . . ولا تخرج انطباعات هذا السائح بالإكراه عما يأكلونه في جزيرة « سانكتو ـ توماس » ، وما يشربونه في فلسطين ، وما شابه هذه الأشياء ، غير أن المرء يصادف في هذا الكتاب بعض الأقوال والمعلومات ، لا يمكن أن تخرج إلاّ من شخص أكثر ثقافة . كما أنه من الجائز الإعتقاد بأن الوصف المنظم الوارد

---

(١) « المغامرات التعسة » ، ص ٤٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٥ .

للحياة التركية لا يعود إلى بارانشيكوف وحده »[1] .

ففي الوقت الذي تتعرض فيه أصالة الأحداث الى الشك وهي المغامرات التي رواها بارانشيكوف ، ظهرت هناك آراء تقول بأن بارانشيكوف هو نفسه شخصية خيالية مختلقة .

غير ان ر. أ. شيتلمارك[2] يقول في روايته الوثائقية الرائعة بأن بارانشيكوف لم يكن شخصية خيالية ، وان أثره « المغامرات التعسة » تمت الى الواقع بصلة بالرغم من أننا نستطيع أن نعتقد بأنه قد أضاف من عنده أشياء .

## رحلة ميليتي

كانت لرحلة الراهب ميليتي في سنتي ١٧٩٣ و١٧٩٤ إلى مدينة القدس أهمية كبيرة جداً[3] .

خرج ميليتي من موسكو الى تاگانروگ في ١٠ آب سنة ١٧٩٣ ، ثم توجه من هناك عن طريق البحر الى استانبول . وكان على متن السفينة مع المسافرين الآخرين خمسة عشر شخصاً قدموا من بخاري وكانوا في سفر لأداء فريضة الحج إلى مكة .

ويذكر ميليتي بأن الترك يتصرفون مع الروس بروح مليئة بالبغضاء والكراهية : « كان الترك ينظرون الينا بغضب وعنف ، ويخاصموننا بهدوء عندما يعلمون بأننا روس . لكن شركاءنا كانوا يتصرفون تجاهنا في المقابل بشكل مغاير طبعاً » . ( الظاهر الكلام عن اليونانيين ) . وقد شاهد ميليتي وصول سفارة م. إ. كوتوزوف الى استانبول . وكانت علاقة السلطة التركية العدوانية قد وصلت إلى حد

---

(١) س. أ. ڤينگروف ، المعجم الانتقادي لسيرة الادباء والعلماء الروس ، المجلد ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩١ ، ص ١٢٣ .

(٢) ر. أ. شتيلمارك ، رواية عن الروسي المتجول ، كلمة الختام بقلم الأكاديمي ن. إ. كونراد ، موسكو ، ١٩٦٢ .

(٣) « رحلة راهب الدير في ساروڤسكي ميليتي في سنتي ١٧٩٣ و١٧٩٤ الى اورشليم ( القدس ) » ، ( الطبعة الثانية ) ، موسكو ، ١٨٠٠

مع الروس منعت « رعاياها » من الحضور لمشاهدة مراسيم دخول أركان السفارة إلى المدينة .

ويتناول ميليتي مدينة القسطنطينية بوصف مفصل ، ويتطرق الى سوق العبيد « حيث يباع الإنسان من كلا الجنسين ، الرجال والنساء ، من العرب السمر ، والجورجيين وآخرين أتوا بهم من أماكن مختلفة » .

وفي طريقه إلى القسطنطينية زار عدداً من جزر الأرخبيل اليوناني ، ومنها جزيرة قبرص .

« إن هذه الجزيرة هي من أكبر الجزر في تركيا . . . تتوفر فيها ثمار مختلف الأشجار التي تنمو وتترعرع في المناخ الحار ، والأعناب ، والخمرة البيضاء والحمراء ، والزيت النباتي ؛ وهي تفتخر بحبوبها وقمحها ، وتنبت فيها كميات كبيرة من القطن الذي يصنعون منه القماش القطني الغليظ ، ومختلف أنواع الأقمشة القطنية المنقوشة الملساء الأخرى . وهناك الصابون القبرصي الذي يختم بأختام غير كبيرة يصل حتى الى روسيا . أما بواطن الجبال فهي مليئة بالمعادن والأصباغ . وهناك تربية المواشي، خصوصاً الأغنام ، وهي كثيرة لا يستهان بها . أما جبن هذه المنطقة الذي يكون في قطع غير كبيرة فهو لذيذ جداً . . . والسكان فيها من حيث الأصل والمنشأ في ثلاثة أجناس : الترك ، واليونانيين ، والارمن ، وعدد اليونانيين اكثر من الجنسين الآخرين . . . »[1]

وفي أوائل كانون الأول سنة ١٧٩٣ وصل ميليتي الى فلسطين ، وقد اهتم بالعلاقات بين القوميات وهي كثيرة ومتنوعة ؛ وكذلك بالنزاع بين الشخصيات الدينية المنتمية إلى المذاهب المسيحية المختلفة .

كان هناك في مدينة القدس مع ميليتي عدد هائل من الحجيج الارثوذوكس عددهم خمسة آلاف شخص حسب تقديره هو .

وفي كانون الأول وصل الى يافا .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧١ .

« جميع البيوت مبنية من الحجر المنحوت ، والشوارع ضيقة ، ومتعرجة ، وغير نظيفة ؛ ولا وجود لأية بناية جيدة . . . اما المرفأ للسفن فهو معدوم تقريباً . . . وترسو السفن بعيداً في البحر في أثناء هبوب العواصف الشديدة ، وهي عرضة للكوارث . أما الضواحي في الجانبين عند شواطىء البحر فهي واطئة ، وهناك أراضي خصبة في الأماكن المرتفعة في فلسطين ، تنمو في بساتينها النخيل ، والتين ، والبرتقال ، والليمون ، والنارنج ، وما شابه ذلك . وتشتهر هذه الأصقاع بالرقي وهو أفضل مما في القسطنطينية ، وتتوفر فيها النباتات التي تستعمل في الطبخ ؛ وفيها القصب الحلو ( قصب السكر ) أيضاً . وأما الإنتماء القومي للسكان فما عدا العسكريين ، والأوساط الحاكمة من الترك مع عدد قليل من اليهود فالجميع هنا من العرب ، وفيهم عدد غير قليل يدين بالمذهب الارثوذوكس المسيحي ، والبقية هم من الكاثوليك والمحمديين ( المسلمين ) »[1] .

وصل ميليتي في كانون الأول إلى مدينة القدس ، فوجه اهتمامه الى أساليب توزيع المياه في المدينة .

« تجمع المياه في أشهر الشتاء في مدينة القدس من الأمطار في مجمع تحت الأرض بين الأحجار كاحتياطي للصيف ، أما مياه الأمطار على سطح الأرض فتكون بسواقي صغيرة ، وهي سريعة الجريان ، ويتم جمع هذه المياه أيضاً ، ولا يوجد حول مدينة القدس أي نهر أو ساقية »[2] .

ويشير في ملاحظاته كذلك الى أنه : « لا وجود للأنهار في جميع انحاء فلسطين عدا نهر الاردن . . . ويستعمل الناس مياه الأمطار في احتياجاتهم ، وهي اما تجمع في احواض تنبع من الأرض على شكل جداول وتحفظ في الحفر أو الصهاريج ، وتتخلص من الشوائب وتصبح صافية في باطن الأرض . والمياه هنا بشكل عام صافية وباردة »[3] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

فالمعلومات التي يقدمها السياح عن الطبيعة ، والحياة الزراعية ، والإقتصادية لبلدان الشرق ، وعن التجارة والصناعات المحلية لها أهمية كبرى كما نعتقد . أما ما يتعلق بوصف « الأماكن المقدسة » فإن الرحالة ، والسياح ، والمسافرين قد اقتبس بعضهم المعلومات من البعض الآخر بدون شك . وقد أشار ن . گ . چيرنيشيڤسكي إلى هذه الظاهرة في حينه : « يصف ميليتي الأماكن المقدسة بصورة مفصلة جداً ، غير أن في كتابه اقتباسات من الرحالة الذين سبقوه ، وهي قضايا معروفة لدى الجمهور في المجتمع الروسي »[1] .

## سفارات الروس
## في استانبول

كانت للبلاغات الديبلوماسية التي يبعثها المقيمون الدائميون الروس ، والسفراء فوق العادة ، وكذلك أخبار البعثات الروسية والمترجمين في استانبول الأهمية الكبرى في دراسة الشرقين الأدنى والأوسط كما اشرنا الى ذلك سابقاً . وكان ديبلوماسيون ممتازون يمثلون روسيا في قصر السلطنة في النصف الثاني في القرن الثامن عشر من أمثال : أ.م. اوبريسكوف (١٧٥١ ـ ١٧٦٨)، ون .ڤ. رينين (١٧٧٤ ـ ١٧٧٦)، و ي .إ. بولگاكوف (١٧٨١ ـ ١٧٨٧)، و م.إ. گولينيشيڤ ـ كوتوزوف (١٧٩٣ ـ ١٧٩٤) .

ولقد قام المترجم في البعثة الروسية في استانبول نيكولاي بويدي[2] عند عودته الى پيترسبورغ في سنة ١٧٥٢ بتأليف « تصريح موجز عن أوضاع الدولة ( الباب العالي ) العثمانية في ذلك الحين» ، ويشير فيه الى الإفلاس التام للولايات التركية ،

---

(١) ن. گ . چيرنيشيڤسكي ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢ ، موسكو ، ١٩٤٩، ص ٥١٨.

(٢) خدم بويدي في استانبول في البعثة الروسية في عهد أ.إ. نيپلوييڤ وخليفته أ.م. اوبريسكوف . يراجع مقالة : أ.س. تڤيريتينوڤ ، في تاريخ العلاقات الروسية ـ التركية في عهد أليزابث ، « الاستشراق السوڤياتي » ، المجلد ٦ ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٩ ، ص ٣٢٠ ؛ مقالات في تاريخ الإستشراق الروسي ، المجموعة ٤ ، موسكو ، ١٩٥٩ ، ص ٢٤ .

وبشكل خاص الولايات التي تقع على الشواطىء الآسيوية . وكان الإفلاس حصيلة ابتزار الحكام للأموال بصورة لا حدود لها .

## رحلة أوبريسكوف

كان الفتى أ.م. أوبريسكوف وهو شاب في سنه الثانية والعشرين قد عين في سفارة أ.إ. روميانتسيف فوق العادة في القسطنطينية بعد إكماله مدرسة الدراسات الحربية المتوسطة للأمراء المحليين البولونيين في سنة ١٧٤٠ . وبحكم معرفته للغتين التركية واليونانية وخلال ١٠ سنوات التي أقام فيها في عهد مقيمية أ.أ. ڤيشنياكوف ، وأ.إ. نيبلوييف اضطلع اكثر من مرة بمهام خطيرة . ثم عاد أوبريسكوف في سنة ١٧٥٠ الى روسيا إلاّ انه بعد وفاة أ.إ. نيبلوييف في سنة ١٧٥١ عين في منصب قائم بالأعمال في القسطنطينية ، ثم أصبح مقيماً[1] . وقد بقي في هذا المنصب حتى حرب سنوات ١٧٦٨ ـ ١٧٧٤ .

وفي بداية الحرب ، وبعد امتناعه عن تسلم الانذار النهائي الخشن جداً كان قد قبض على أوبريسكوف مع آخرين من ممثلي البعثة الروسية ، وزجوا في سجن القلعة ذات الأبراج السبعة . كان الوضع في القلعة سيئاً وصعباً جداً ، ومع ذلك كان بامكان اوبريسكوف ان يبعث الأخبار الى پيترسبورغ ، وكان يوضح ويصف أوضاع البلاد فيها .

وكان نشاط أوبريسكوف في القسطنطينية موجهاً إلى حل قضية البحر الأسود . وكانت المهمة الخطيرة في هذا الصدد تتمثل في عقد معاهدة عن التجارة البحرية ، ولكن أوبريسكوف لم يستطع تحقيق مثل هذه المعاهدة .

وبعد دراسة مستفيضة للأوضاع في تركيا ، قدم أ.م. أوبريسكوف في سنة ١٧٥٦ الى پيترسبورغ مذكرات خاصة فيها رأي[2] « حول الوصايا التي يمكن أن

---

(١) المقيم : هو الوكيل الديبلوماسي الذي يرأس البعثة ، وقد سمي رئيس البعثة الديبلوماسية بعدئذ سفيراً ، أو مبعوثاً ، وأحياناً كانوا يسمونه وزيراً مقيماً أو مفوضاً .

(٢) ڤ.أ. أوليانيتسكي ، الدردنيل والبوسفور والبحر الاسود في القرن الثامن عشر ، موسكو ، ١٨٨٣ ، ص ٤٧٠ .

تؤدي إلى ازدهار صالح ومفيد للتجارة مع الأمبراطورية التركية والمناطق الأخرى الواقعة في الارخبيل وعلى سواحل بحر الادرياتيك والبحر الأبيض المتوسط عن طريق البحر الاسود ».

لقد حاول أوبريسكوف بدأب في أثناء حرب السنوات السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣) أن يحافظ على حياد تركيا التي كانت تسعى جاهدة تحت ضغط الديبلوماسيتين الإنكليزية والبروسية لأيجاد حجة للحرب ضد روسيا .

بقي أوبريسكوف انساناً روسياً أصيلاً بالرغم من انه عاش حياته كلها تقريباً في الخارج بعيداً عن الوطن . ففي تقاريره وبلاغاته التي دونها باللغة الروسية بدون استثناء قدّم صورة شاملة للحياة في تركيا ، وأحوال سكانها ، واهتم بصورة خاصة بالأقليات القومية ، وأوضاع القوات المسلحة ، والمالية .

## رحلة ريبنين

ومن المصادر القيمة لدراسة العلاقات الروسية - التركية بعد انتهاء حرب ١٧٦٨ - ١٧٧٤ هو تقارير ن.ف. ريبنين . كان قد عُين نيكولاي ڤاسيلييڤيچ ريبنين سفيراً فوق العادة ومفوضاً في تركيا لتسوية القضايا المتعلقة بتطبيق وتحقيق بنود معاهدة كوچوك - كاينارچة .

وصل ركب أركان السفارة الروسية الذي كان يتكون من حوالي سبعمائة من الأشخاص مع الحرس والحماية الى استانبول في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٧٧٥ .

وصلتنا مدونات عن رحلة هذه السفارة . فيها قضايا طريفة عن وصف الإحتفال المعقد لاستقبال السفراء ، وتبادل المندوبين ، وحفلات الإستقبال والغداء ، أما ما يخص المعلومات ذات الطابع الجغرافي والإقتصادي ، ووصف الحياة والواقع اليومي فهي شحيحة جداً .

إن المعلومات التي نشرها ن.ف. ريبنين في تقاريره وبلاغاته تبين بشكل واضح الأوضاع في البلاد خصوصاً محاولة الدولة في تغيير بعض مواد معاهدة كوچوك - كاينارچة ، وعلى الأخص البنود المتعلقة بالقرم .

## رحلة پيتيرسون

بعد توقيع معاهدة كوچوك ـ كاينارچة أقام في تركيا خ . إ. پيتيرسون[1] وكان يشغل منصب القائم بالأعمال . وإن تقاريره إلى الكونت پ . أ . روميانتسيف ـ زادونايسكي وملاحظاته التي دونها في السجل أثناء عمله مع السفراء الترك في فترة عقد المعاهدة جديرة بالاهتمام لأنها تتعلق بوصف اللقاءات والمقابلات الديبلوماسية .

وهكذا وعلى سبيل المثال يصف زيارة الفيلدمارشال پ . أ . روميانتسيف الذي رافقه ن . ڤ. ريپينين ، و أ . م . أوبريسكوڤ للمندوبين الترك بهذا الشكل : « كان السادة المندوبون ينفذون قواعد الرسميات المتبعة عندهم ، فقد قاموا بتبديل الغليون للكونت ثلاث مرات ، وقدموا له القهوة مرتين . وخلال الحديث والمناقشة قدموا له عصير الفواكه ، والمربي ، والشيكولاته ، ثم بدأوا يرشون ماء الورد على الحاضرين ، وفي نفس الوقت كانت رائحة البخور قد ملأت الجو ؛ وبكلمة واحدة ، إنهم حاولوا أن يطبقوا جميع تقاليدهم ، وأن يريحوا حاستي الشم والذوق عند الحاضرين »[2] .

## رحلة ستاخييڤ

أقام أ . ستاخييڤ في القسطنطينية من ١٢ شباط ١٧٧٦ وحتى ٩ كانون الأول سنة ١٧٧٩ بعد أن خلف پيتيرسون في وظيفته .

وكان ستاخييڤ يبعث بشكل منتظم معلومات عن الوضع السياسي الداخلي في البلاد إلى پيترسبورغ . ويلفت فيها نظر الحكومة إلى كثير من الأحداث التي كانت تجري في تركيا في تلك السنوات ، أخبر دولته عن الاشتباكات على حدود كردستان

---

(١) « قراءات في الجمعية الأمبراطورية للتاريخ والتاريخ القديم الروسي في جامعة موسكو » ، موسكو ، ١٨٦٥ ، أرشيف المكتب الحربي المتنقل للكونت پ . أ . روميانتسيڤ ـ زادونايسكي ، المجلة التي صدرت باشراف پيتيرسون . القسم ٢ ، ص ٣١١ ـ ٣٣٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .

بين الترك والعجم ، وكانت الهزيمة من نصيب الترك في تلك المعارك ، وعن انتشار الوباء في القسطنطينية ووباء المواشي الذي كان له تأثيره الكبير على تجارة اللحوم . وكان وباء الطاعون في سنة ١٧٧٨ ضارياً ، أحدث كارثة لجميع أفراد الشعب بشكل عام . كان يموت في كل يوم ألف وخمسمائة شخص في القسطنطينية ، ومجموع ما قضى عليهم بسبب الطاعون كان يتجاوز ٢٥٠ ألف شخص حسب ما ورد في إحصائية ستاخييف . أما أخبار الشقاة والمتمردين في القاهرة فهي كثيرة جداً في تقارير ستاخييف . وحينما يتكلم ستاخييف عن الصراع الداخلي في المقاطعات المختلفة في الأمبراطورية فإنه يكشف عن المعرفة الغزيرة التي كان يتمتع بها في الموقف السياسي في الشرق الأوسط .

## رحلة بولگاكوڤ

حل ى . إ . بولگاكوڤ في سنة ١٧٨١ في وظيفة ستاخييف ، وكان من المطلعين على الشؤ ون التركية منذ زمن . وقد أقام هناك وهو في منصب الوزير فوق العادة المنتدب إلى نهاية سنة ١٧٨٧ .

ومن أهم الخدمات التي قدمها بولگاكوڤ كان التوقيع على الاتفاقية التجارية مع تركيا في سنة ١٧٨٣ ، والتوقيع على الوثيقة التي وافقت بموجبها تركيا على الحاق القرم بروسيا ( أعلنت الوثيقة ببيان كاترين الثانية في ١٩ نيسان سنة ١٧٨٣ ) .

وتبرز التقارير الديبلوماسية التي قدمها بولگاكوڤ السياسة الداخلية والخارجية لتركيا بشكل واضح .

وفرت معاهدة ياسى للصلح التي تم التوقيع عليها في أعقاب الحرب الروسية ـ التركية الثانية ( ١٧٨٧ ـ ١٧٩١ ) أمن الحدود الجنوبية وحرية التجارة الروسية في البحر الأسود ، وكانت هذه من القضايا الحيوية بالنسبة لروسيا .

## رحلة گولينيشيڤ ـ كوتوزوڤ

توجه في سنة ١٧٩٣ إلى تركيا ميخائيل ايلاريونوڤيچ گولينيشيڤ ـ كوتوزوڤ

بعد أن عين سفيراً فوق العادة . ولم تكن هذه السفارة بعثته الديبلوماسية الأولى .

ولقد استطاع كوتوزوف أن يحل بمهارة جملة من المسائل المهمة لصالح روسيا ، وقد نبعت تلك المسائل من معاهلة ياسى للصلح ، ونجح بالإضافة إلى ذلك في تحديد وتقليص تأثير انكلتره وفرنسا العدائي تجاه روسيا في السياسة الخارجية التركية ، وساعده في نفس الوقت على تقوية تأثير نفوذ الدولة الروسية . وخلال إقامته في تركيا درس كوتوزوف باتقان أوضاعها الاقتصادية والسياسية ، وإن تقاريره تشهد على معرفته العميقة لهذه البلاد »[1] .

وصلتنا طائفة من المدونات عن سفارة م .إ . كوتوزوف ، منها « وصف مفصل لطريق سفارة الأمبراطورية الروسية فوق العادة المفوضة بعد صلح ياسى من روشوك عن طريق شوملا إلى القسطنطينية في سنة ١٧٩٣ »[2] .

أخبر م .إ . كوتوزوف في ٢٦ أيلول سنة ١٧٩٣ كاترين الثانية في القسطنطينية بملاحظاته وانطباعاته الأولى عن الجيش التركي ، والأوضاع الداخلية في البلاد ، وعن إصلاحات السلطان سليم الثالث .

يقول م .إ . كوتوزوف : « جميع الاحتكارات بيد الحكومة . ويقال إن تزويد العاصمة بالخبز يجلب وحده للحكومة عشرين ألف قرش يومياً ، وقد ألغيت جميع المالكانات[3] فأدى ذلك إلى افتقار الذين كانوا يتمتعون بها. ومن السهل على المرء أن يتصور أي قدر من التذمر يمكن أن تخلق مثل هذه العمليات »[4] .

ولقد كتبت هذه المعلومات منذ سنوات كثيرة قبل التمرد والعصيان الذي أدى إلى تنحية سليم الثالث . وكانت الضرائب الإضافية التي فرضها السلطان أحد الأسباب الخطيرة للتمرد .

---

(١) « م .إ . كوتوزوف ، الوثائق » ، إعداد : ل . گ . بيسكروفني ، المجلد ١ ، موسكو ، ١٩٥٠ ، المقدمة ، ص ١١ .

(٢) « عهود الروس القديمة » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٨ ، ص ١٠٣ ـ ١٢٤ .

(٣) مالكانه : هي الحق في جباية الضرائب من الفلاحين ويُمنح هذا الحق لمدى الحياة وينتقل كذلك بالوراثة . وتعني الكلمة أيضاً : الضيعة ، والمقصود هنا على ما يبدو هو حق جباية الضرائب .

(٤) « م .إ . كوتوزوف ، الوثائق » ، إعداد : ل . گ . بيسكروفني ، المجلد ١ ، ص ٢٣٧ .

وحين يحلل أوضاع الجيش ، والأسطول ، والأحوال الداخلية في البلاد ( التمردات ، اختلال التوازن المالي ) يتوصل م . إ . كوتوزوف إلى قناعة بأنه بالرغم من استعدادات تركيا للقيام بالحرب ، والتهيء لها وظهور الشائعات عن حرب جديدة مع روسيا ، إلاّ أنها غير مهيئة للقيام بالحرب[1] .

وبالإضافة إلى ذلك تتصف رسائل وتقارير م . إ . كوتوزوف بمسحة من النزعة الشعرية ، والذوق الفني . وهكذا وعلى سبيل المثال ، يكتب عن القسطنطينية إلى زوجته ى . إ . كوتوزوفا في ٤ تشرين الأول ١٧٩٣ : « القسطنطينية هي كالآتي : عندما تشاهدين المدن التركية ، بما فيها أدريانوپول ( أدرنة ) أيضاً ، تظنين بأنك تستطيعين أن تتصوري القسطنطينية ، لكنك تخطئين في هذا الظن . إن البنايات هنا مبنية بصورة متقنة إلاّ أنها مضحكة إلى حد يفوق التصور والتخيل . . . المنازل عالية ، وفيها شبابيك ونوافذ كثيرة ، والشرفات تلتصق بالطوابق العليا . وهناك على سطح داري برج صغير . عندما تصعدين إليه تشاهدين جميع مناظر القسطنطينية : السراي ، والمرفأ وهو واسع جداً ، وهو مليء دوماً بالسفن والقوارب التي يمكن مشاهدة الآلاف منها بالعين في أي وقت . وتشمخ القسطنطينية بآيا صوفيا ، والسليمانية ، والمصابيح ، والقناديل ، ومضيق القسطنطينية الرائع الذي كان القدامى يسمونه بوسفور فراكيا ، وحولها ضواحي أسكودار في آسيا ، وفيها ٢٠٠ ألف من السكان ، وأماكن أخرى كثيرة ، تشاهدين كل هذه العجائب والمعجزات التي لا يمكن تصورها فتضطرين حينئذ لا إلى الابتسام وإنما إلى البكاء من الشعور بالرقة واللذة »[2] .

وكان ميخائيل إيلاريونوڤيچ قد حضر مائدة الغداء عند القبطان پاشا كوچوك حسين ، فيكتب إلى زوجه في هذا الصدد : « لأجل أن أصور لك الطبائع الآسيوية الممتازة ، ينبغي التكلم عن الغداء عن القبطان پاشا . هو رجل شاب من المقربين من السلطان والمحسوبين عليه ، ومتزوج من أخت السلطان ، وهو رائع ولا يبالي بصرف المال وهو مدين بثلاثة ملايين من القروش ، وهو لبق ولطيف . كانت

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

المفروشات عنده والملابس التي كان يرتديها الناس جديدة ، وأما عدد الخدم فيقارب الألف وهم يلبسون الديباج ، والأبسطة قرمزية اللون ، ومخملية ناعمة موشاة بالذهب ، والأرائك مطعمة بالأحجار الكريمة ؛ والخدم المقربون يتزينون بمخشلات كثيرة من الماس . وهو يمارس الألعاب أي سباق الخيل . وان جميع الخيول في اسطبله بطبيعة الحال من خيول الدرجة الأولى في العالم »[1] .

وفي التقرير المقدم إلى كاترين الثانية في ٢٠ كانون الأول سنة ١٧٩٣ يخبر كوتوزوف عن حدوث التمرد والعصيان في الأماكن المختلفة في أنحاء الأمبراطورية : « وردت أخبار مزعجة من مختلف الجهات عن الاضطرابات الداخلية ، وهي تخلق المتاعب بشكل أكثر وتعرقل تحقيق أي رأي كان في قضية التسعيرة » .

وفي الرسالة المؤرخة في ١٥ مارت سنة ١٧٩٤ المرسلة إلى ڤ . پ . كوچوبيي المعين مبعوثاً في تركيا ، كتب م . إ . كوتوزوڤ قبل سفره من استانبول :

« إن الضرائب الفاحشة التي كانت السبب في تزايد استياء الشعب ساعة بعد أخرى ، وإن التذمر والقلق الواضح في جميع أنحاء الروميلي والأماكن الأخرى ، وسببه الوحيد هو استياء الشعب ، يشهد على مدى الكره الذي يكنه الشعب لشكل الحكم ولأسلوب جباية الضرائب »[2] .

## رحلة كوچوبيي

وبعد انتهاء أعمال م . إ . كوتوزوڤ قدم إلى استانبول لاشغال وظيفته الأمير ڤيكتور پاڤلوڤيچ كوچوبيي في شباط سنة ١٩٧٤ .

وخلال السنوات الأربع التي عاشها في تركيا وضع ڤ . پ . كوچوبيي عدداً من المذكرات عن مالية تركيا وتجارتها مع روسيا[3] . وإن رسائل ومذكرات كوچوبيي

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .

(٣) أرشيف الأمير ڤورونتسوڤ ، الكتاب ٨ ، موسكو ، ١٨٧٦ ، ص ٨ .

( فيما بعد نائب المستشار للشؤون الداخلية ) تبرزه كديبلوماسي خبير بشكل جيد في القضايا التركية[1] .

ونستطيع أن نعلم من الرسالة التي بعث بها إلى الكونت س . ر . ثورونتسوف في ١٠ شباط سنة ١٧٩٧ بأن كوچوبيي أرسل إلى أخ الكونت أ . ر . ثورنتسوف مخطوطة تحمل اسم « دراسة موجزة عن أوضاع الأمبراطورية العثمانية » . كتب ف . پ . كوچوبيي فيها : « إنني حاولت بقدر الإمكان جمع معلومات صحيحة عن كل شيء »[2] . إن هذا العمل ، وكذلك المذكرات عن مالية تركيا المشار إليها في أعلاه لم تنشر لحد الآن على ما نعلم .

## المندوب الروسي في تركيا

كان المبعوث الروسي في تركيا هو ڤاسيلي سيتپانوڤيچ تامارا في الفترة من سنة ١٧٩٨ وحتى سنة ١٨٠٢ . ويرتبط اسمه بتوقيع ما تسمى بمعاهدة تحالف القسطنطينية بين روسيا وتركيا في ٢٣ كانون الأول سنة ١٧٩٨ ، حيث قبلت تركيا المساعدة التي اقترحتها روسيا . وهكذا دخل الأسطول الروسي بقيادة الأميرال الشهير ف . ف . أوشاكوف في البوسفور . ودخل تحت إدارة أوشاكوف الأسطول التركي أيضاً .

## رحلة ميتاكسا

كان أحد الضباط المشتركين في هذه الحملة وهو إيگور پاڤلوڤيچ ميتاكسا قد كتب مذكراته اليومية ، وللمعلومات التي وردت فيها أهمية واضحة للمؤرخين ، والجغرافيين ، والاتنوغرافيين . فتطرق فيها إلى السفرات والرحلات الديبلوماسية ، وكتب عن الأسطول التركي ، وسرد تحليلاته للعمليات الحربية للأسطول المتحد .

---

(١) أرشيف الأمير ثورونتسوف ، الكتاب ١٤ ، موسكو ، ١٨٧٩ ، ص ٢٨ ـ ٩٥ .

(٢) أرشيف الأمير ثورونتسوف ، الكتاب ١٨ ، موسكو ، ١٨٧٩ ، ص ١٣١ .

كان ميتاكسا يونانياً من جزيرة كاندي ، أنهى سنة ١٧٩٠ المدرسة البحرية في بيترسبورغ ، وخدم في أسطول البحر الأسود ، فالتحق في سنة ١٧٩٨ ببعثة أوشاكوف كمختص يتقن اللغة التركية .

وقد نشرت مذكرات ميتاكسا التي حفظت منذ سنة ١٨٦٣ في قسم المخطوطات في المكتبة العامة في بيتروغراد بعد سنين طويلة في سنة ١٨١٥[١]

ويشير ميتاكسا إلى أن التوافق المتوازن بين العبقرية في التنظيم الحربى والإدارة وبين القابلية الممتازة كديبلوماسي كان من الأمور التي تميز أوشاكوف . وكان يحدث أحياناً أن لا يتلقى الأوامر شهراً كاملاً من بيترسبورغ ، غير أنه كان يستطيع بحصافة عالية ومعرفة كبيرة لعمله أن يقرر ويحل بشكل صحيح قضايا وواجبات ديبلوماسية معقدة[٢] .

## القنصليات الروسية
## من أرجاء الأمبراطورية العثمانية

بعد معاهدة كوچوك ـ كاينارچه حصلت روسيا على حقوق تتيح لها تسمية وتعيين قناصل لها في عدد من مواقع الأمبراطورية العثمانية . ومنذ ذلك الوقت أصبحت التقارير القنصلية أهم مصدر للتعرف على الوضع الاقتصادي للمناطق المختلفة من الأمبراطورية .

وفي سنة ١٧٨٢ أرسل قنصل روسي إلى سميرنا ( إزمير ) ؛ ومن ثم تم تعيين قناصل آخرين في الاسكندرية ، والبانيا ، وصيدا ، وقبرص ، ورودوس ، وخيوس ، وساموس ( ١٧٨٤ ) ، ودمشق ، وبيروت (١٧٨٥ ) ، وطرابزون ( ١٧٨٦ ) .

---

(١) مذكرات الضابط البحري إيگور ميتاكسا وهي تتضمن قصص المآثر الحربية للأسطول الروسي الذي سيطر بمساعدة الباب العالي العثماني ( الحكومة العثمانية ) على الجزر الأيونية بقيادة الأميرال فيودور فيودوروڤيچ أوشاكوف » ، سانت پيترسبورغ ، ١٩١٥ .

(٢) قواد الأسطول الروسي . الأميرال أوشاكوف ، المجلد ٢ ، موسكو ، ١٩٥٢ ، ص ٢٥٤ .

ومما يجدر ذكره هو أنه في سنة ١٧٨٣ كانت قد عقدت إتفاقية تجارية بين روسيا وتركيا ، قدمت بموجبها تركيا إلى التجار الروس نفس التسهيلات والامتيازات التي كان يحصل عليها الفرنسيون ، والانكليز ، والتجار من البلدان الأخرى . وكان الباب العالي يسمح للمواطنين الروس بـ «الملاحة وإرسال تجارتهم إلى جميع أرجائه ( يقصد أرجاء الدولة العثمانية ـ م.خ. ) سواء بالطرق البرية ، أو بواسطة البحار والطرق المائية الأخرى ، وكذلك بواسطة نهر الدانوب ، وإلى أي مكان آخر يريدونه » .

وكانت قد تأكدت الاتفاقية التجارية لسنة ١٧٨٣ في معاهدة ياسى للصلح المعقودة في سنة ١٧٩١ .

وكانت المعلومات عن بلدان الشرق الأوسط قد وردت في المعاجم الروسية الجغرافية الأولى أيضاً . ففي معجم لانكير[1] يجد المرء أسماء الأماكن المختلفة في الأمبراطورية العثمانية مع الإشارة إلى خطوط الطول والعرض كما فيه فصول عن الأمبراطورية العثمانية ككل ، وعن أقسامها المختلفة أيضاً .

فعلى سبيل المثال ورد في فصل « تركيا الأوروبية » وصف للأوضاع الجغرافية : المساحة ، والسكان ، وخصائص الظروف الطبيعية ، والاقتصاد . وهناك إشارات إلى إدارة الدولة ، والمالية ، وأحوال الجيش والأسطول ، والتقسيم الإداري .

*****

وهكذا نرى أن مجموعة كافية من المعلومات المختلفة جداً عن الشرق الأوسط قد اجتمعت في روسيا خلال القرن الثامن عشر .

ومما لا شك فيه أن دراسة الشرق الأوسط في روسيا في القرن الثامن عشر لم

---

(١) « المعجم الجغرافي الكامل ، وهو على حروف الهجاء ويتضمن وصفاً مفصلاً شاملاً لجميع أنحاء العالم ، أعده كارل هينريك لانكير » ، موسكو ، ١٧٩١ .

تقدم ، ولم يكن باستطاعتها أن تقدم النتائج التي قدمتها دراسة سيبيريا ، والشرق الأقصى ، وشواطىء المحيط الهادي الأميريكية .

ويشير ڤ . ڤ . پارتولد بصدق في هذا الصدد : « لم نحصل على أية اكتشافات جغرافية في مقدمة آسيا في القرن الثامن عشر ، فالرحلات التي قام بها الروس إلى الأماكن الكثيرة كان الأوروپيون قد زاروها من قبل ، ومع ذلك أن هذه الرحلات لم تبق بدون جدوى من حيث دراسة آثار الماضي ، ومن حيث المخطوطات والمواد الأخرى ، ومن حيث دراسة الحياة المعاصرة كذلك »[1] .

إن هذه المقولة بكاملها تنطبق كذلك على أعمال الرحالة ، والحجيج ، والديبلوماسيين ، والعسكريين ، والعلماء الروس . إنهم قدموا الكثير لدراسة تركيا وعدد من البلدان العربية . وإن أعمال هؤلاء الروس التي نسيت منذ زمن بعيد ، والتي نشير إليها هنا في عملنا هذا هي عبارة عن أفضل دليل لاهتمام الروس ببلدان الشرق الأوسط ، وبحياة وواقع شعوبها .

(١) ڤ . پارتولد ، تاريخ دراسة الشرق في أوروپا وروسيا ، لينينغراد ، ١٩٢٥ ، ص ١٢٢ .

## الفصل الخامس

# القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

قبل أكثر من مائة سنة حينما كان ك . ف سڤينسكي يقوم بدراسة نتائج الرحلات الكبرى والاكتشافات الجغرافية في آسيا ، كتب بهذا الشأن : « لم يتطور أي فرع من فروع الدراسات الشرقية في الوقت الحاضر كالتطور الذي حدث في الدراسات اللغوية الآسيوية . . . وإن هذا العلم مدين في نجاحاته السريعة بشكل خاص إلى تحمس الرحالة الذين كانوا لا يخشون العمل وصرف الجهود لدراسة فروع هذا العلم المتنوعة المتشعبة في مكان وجودها . . . ومن البلدان التي يجري فيها بنشاط كبير بحث ودراسة اللغات الشرقية من الواجب الإشارة بحق وقبل كل شيء إلى بلادنا »[1] .

وأشار كذلك إلى دور العلم الروسي في حقل الدراسات الشرقية في القرن التاسع عشر الأكاديمي ڤ . ڤ . بارتولد : « ربما تكون دراسة الشرق في روسيا في القرن التاسع عشر قد حققت نجاحات أكثر مما حققته في أوروبا الغربية . . . ففي أكاديمية العلوم ومنذ السنوات الأولى من القرن التاسع عشر توجهت العناية إلى العلوم الإنسانية ومنها الدراسات الشرقية وأحرزت مكانتها اللائقة بها أكثر من ذي قبل »[2] .

وعن القضية نفسها قال الأكاديمي إ . ى . كراچكوڤسكي أيضاً : « ان نظام

---

(١) ك . سڤينسكي ، عرض للرحلات الكبرى والاكتشافات الجغرافية خلال السنوات العشر من ١٨٣٨ حتى ١٨٤٨ ، بشير الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية لسنة ١٨٥١ ، القسم ١ ، الكتاب ١ ، الفرع ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥١ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) ڤ . ڤ . بارتولد ، تاريخ دراسة الشرق في أوروبا وروسيا ، ص ٢٣٢ .

الجامعة لسنة ١٨٠٤ فتح عصراً جديداً للاستعراب الروسي ، فقد وضع الخطط والبرامج لأول مرة لتدريس اللغات الشرقية في مناهج المدارس العليا ، وتأسيس كرسي خاص لتلك اللغات . . . فاللغات الشرقية عندنا قبل كل شيء هي عبارة عن جميع اللغات في الشرق الإسلامي المتاخم لروسيا ، وقد كانت للغة العربية بطبيعة الحال المكانة الأولى بين تلك اللغات »[1] . وإن فضل بلادنا ودورها الكبير جداً لا ينحصران في دراسة اللغات الشرقية فحسب وإنما في دراسة البلدان الشرقية بشكل عام ، وبلدان الشرق الأوسط بشكل خاص أيضاً . وقد تناولت الدراسات الجغرافية الطبيعية والاقتصادية ، والتاريخ ، والسياسة ، والاتنوغرافيا ، والحياة الاجتماعية والمعيشة اليومية .

وفي القرن التاسع عشر زار بلدان الشرق الأوسط باستمرار العلماء ، والكتاب ، والصحفيون ، والديبلوماسيون ، والضباط ، ورجال الدين الروس . ولقد ترك كثير من هؤلاء مذكرات ، وكتباً ، ويوميات ، وسجلات ، ودفاتر ، ودراسات علمية خاصة .

## الرحالة الثلاثة

تمت في بداية القرن التاسع عشر ( ١٨٠٤ - ١٨٠٥ ) رحلة إ . إ . ڤيشنياكوف ، ڤ . إ . ڤيشنياكوف ، م . ل . نوڤيكوف إلى مدينة القدس .

قام المسافرون في ٢٩ آب سنة ١٨٠٤ برحلتهم من أوديسا متوجهين إلى القسطنطينية على ظهر سفينة تجارية من سفن ناپولي ، وبعد أن صادفوا أعاصير شديدة وصلوا إلى بيوك درة في اليوم الأول من تشرين الأول حيث مكثوا فيها ثلاثة أيام . وبعد هدوء العاصفة واصل المسافرون السفر فدخلوا القسطنطينية ، ونزلوا في دار السفارة الروسية ثم شاهدوا آثار ومعالم القسطنطينية ، وبعد مرور بعض الوقت سافروا بحراً إلى يافا . وقد جلبت انتباه المسافرين في الشاطىء الآسيوي لمضيق الدردنيل في چناق ـ قلعة معامل الفخار والخزف « يصنعون فيها أطباقاً جيدة محرمة

(١) إ . ى . كراچكوڤسكي ، مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي ، ص ٧٣ . .

ذات ألوان متعددة وهي مزخرفة ومذهبة » ، وأشاروا أيضاً إلى أنهم شاهدوا « كثيراً من النساجين من الأتراك واليونانيين يتدربون على صنع الأقمشة القطنية . . . والمرأة اليونانية تبيع القودكا المستخرجة من العنب في كل بيت ، والقودكا تقطّر من الخمر المصنوع من العنب عن طريق الزبيب الجاف بطريقة غلاية التقطير ، أما الخمر المصنوع من الخبز والقودكا فغير معروفين في جميع أنحاء تركيا . والرجال يعملون في البساتين وحراثة الأرض »[١] .

وبسبب من الطقس الممطر اضطر المسافرون إلى التوقف في رودوس ، وكان الرحالة قد تجولوا في السوق ، وكان بإمكان المرء أن يقوم في السوق بشراء « أبسطة جيدة ، وكثير من الشمع لبيعه في مدينة القدس ؛ ويظهر أن تربية النحل ممتازة في هذه الأصقاع ، ويُباع في السوق بكثرة الشمع ، والعسل ، والأعناب ، والجوز ، والسمك البحري الطازج المصطاد بحربة صيد السمك »[٢] .

ومكث المسافرون بعض الوقت في قبرص . وقد انصب اهتمامهم على النشاط الاقتصادي للسكان : « الخبز أبيض للغاية ؛ أما الأغنام والماعز فهي كثيرة يسوقها أصحابها من الريف حتى سوق اللحوم ؛ وإن القبارصة في قرى المسيحيين يقومون بتربية الخنازير بكثرة ، وأما الترك فلا يمنعونهم من ذلك خوفاً من ارتفاع أسعار لحوم الأغنام ؛ غير أن بيع لحم الخنازير في داخل المدن وفي القرى التي يعيش فيها الترك يمنع منعاً باتاً ، فإنهم يوافقون على تربيتها في الأماكن التي لا يوجد الترك فيها وكذلك على شواطىء البحار »[٣] . « إن القبارصة يصدرون الحبوب ، والغلال ، والملح ، والمؤ ن المتنوعة ، والقطن ، والشيت ، واللحف ، وما شابه ذلك ، وبصورة خاصة أجود أنواع الخمور إلى أماكن كثيرة »[٤] .

---

(١) مذكرات الرحلة إلى المدينة المقدسة القدس وضواحيها للنبيلين [ الأخوين ] ڤيشنياكوف من محافظة كالوگا والتاجر نوڤيكوف وهو من ميدين في سنة ١٨٠٤ و١٨٠٥ » ، موسكو ، ١٨١٣ ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

وهناك ملاحظات طريفة وممتعة للرحالة ، منها : « هناك في قبرص وحدها ما يقارب ثلاثمائة دير يوناني ، والأديرة هذه تمتلك الأراضي الزراعية ، وغابات التوت ، وبساتين الكروم ، ويعتمد الأهالي على الرعي وتربية دودة القز ، وفيها الحرف والصناعات المهمة ، ويؤلف ذلك المهنة الرئيسية التي تدر عليهم الأموال التي تلزمهم لدفع الضرائب للحكومة ولرئاسة الأبرشية »[١] .

وبعد سبعة وستين يوماً من الإبحار من القسطنطينية وصل المسافرون إلى يافا . وقد لاحظ الرحالة في كل مكان ، في سوريا وفلسطين بأن الشعب العربي يكره الترك كرهاً شديداً ، ولا يتحمل النظام التركي الشاق العنيف الذي ابتلي به ، ولذلك السبب وبشكل خاص يدرك المرء حالاً بأن جميع الموظفين المتنفذين الكبار في المدن هم من العرب .

« خلال وجودنا في يافا شاهدنا عدداً كبيراً من الأساطيل التجارية الأوروبية ذات الجنسيات المتنوعة منها التركية ، وكان بعض هذه السفن محملة بالقطن وحده ، أما البضائع والسلع الأخرى فإننا لم نشاهدها . وتصل من سوريا وفلسطين بصورة متواصلة قوافل الجمال المحملة بالأقمشة القطنية »[٢] .

ثم توجه الأخوان ڤيشنياكوف ورفيقهما نوڤيكوف مع قافلة تضم مائة وخمسين رجلاً وبحماية تركية من يافا عن طريق اللد والرملة إلى مدينة القدس .

ويشير الرحالة إلى الخصائص والمميزات الاقتصادية في هذه الأصقاع أيضاً ويقولون عنها : إن أراضيهم [ العرب ] المهيئة لزراعة الحبوب تعطي الغلال في السنة مرتين بشكل اعتيادي لذلك لا يحدث أي نوع من البطالة مطلقاً . . . والعرب شعب يحب العمل ، وإن ما يحتاجه المجتمع من العيش هو من زراعته للحبوب[٣] .

والقسم الأعظم من البساتين يتكون من التين المصري ؛ وتزرع الحنطة في الأراضي السهلية التي فيها منخفضات أرضية رغم أنها رملية ، وهذا دليل على

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .

خصوبتها ، وعلى أنها أراضي صالحة لزراعة الحبوب ، وهناك بساتين الزيتون وهي تزيد من جمال الأراضي والسهول العريضة ، وشاهدنا قطعان المواشي وهي كثيرة في المراعي »[1] .

والقسم الأعظم من السكان هم من العرب ، وعدد اليهود كثير . أما عدد الترك فقليل جداً . وتعلم اللغة العربية والتكلم بها شيء صعب ، ويعزي الرحالة صعوبة اللغة العربية إلى أصواتها وكلماتها التي تخرج من الحنجرة ، « والعرب المدنيون ( الذين يعيشون في المدن ـ م.خ. ) يلبسون على الطريقة التركية ، والنساء يجدلن شعورهن في ضفائر كثيرة ، ومنها يصنعن على رؤ وسهن عقداً تشبه الورود ويعلقون بها سلاسل ذهبية وفضية ، وجيدهن مزين بقلائد من النقود المعدنية والمرجان . . . يلبسن ملابس حريرية أو قطنية طويلة ، ويغطين رؤ وسهن بشال قرمزي اللون ، وعند خروجهن إلى خارج الدار يغطين وجوههن بقماش من الحرير شفاف أسود . أما ملابس عرب الريف فلا تشبه ملابس أهل المدن ، وتكاد أن تكون شيئاً آخر : فهم يرتدون رداء طويلاً فقط ، أما الملابس الداخلية فلا وجود لها ، ويتمنطقون بالأحزمة ، وهي تصنع عادة من جلود الجواميس بعرض ربع آرشين[*] وهي مزينة بابزيم ومطرزة بخيوط من الحرير والذهب ذات ألوان زاهية متنوعة وفي الحزام يحملون السكاكين ، والمسدسات ، وفؤ وساً من نوع خاص ذات رؤ وس حادة جداً وهي مثبتة على أعواد معينة ، وكرات مضلعة من النحاس والحديد ، وآلات أخرى مشابهة ؛ وفوق كل هذه الأثقال يحملون على أكتافهم بنادق طويلة . . .

وملابسهم الخارجية مشابهة للمعاطف بدون الأكمام ، وهي من الأقمشة الصوفية المقلمة ، ولكنها قصيرة ؛ ويغطون رؤ وسهم بالمناديل أو يلفونها بأقمشة ذات ألوان متعددة ، أما الجوارب فلا يستعمله الجنسان أبداً ، وإنهم يلبسون في أقدامهم نعالاً من الجلود البيضاء وهي تشبه جلود القطط الروسية ، ولا يقصون لحاهم ، ولا يحلقون وجوههم ، بل يحلقون رؤ وسهم فقط .

وتلبس العربيات في الريف ملابس قطنية زرقاء اللون ، طويلة وفضفاضة ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٥ .

(*) آرشين : مقياس طول روسي قديم يساوي (٧١) سنتمتراً ( المترجم ) .

ويطرحن على رؤوسهن شالاً ذا لون قرمزي ، وهو يغطي جميع أجزاء الظهر . . . وأحذيتهن مشابهة بأحذية الرجال »[1] .

ولا شك أن لمذكرات الأخوين ڤيشنياكوف أهمية أخرى لما تتضمنها من التفصيلات الأخرى عن الحياة والواقع اليومي المعاش .

## رحلة برونيڤسكوي

في أثناء البعثة الأرخبيلية الثانية في سنة ١٨٠٥ ـ ١٨٠٧ تم إرسال عمارة بحرية من بحر البلطيق إلى البحر الأبيض المتوسط بقيادة نائب الأميرال د . ن . سينياڤين .

ترك أحد المشاركين في هذه الرحلة وهو الضابط البحري ڤ . برونيڤسكوي مذكراته ، وبجانب ما يقدمه من وصف للعمليات الحربية في منطقة الأرخبيل في سنة ١٨٠٧ يسرد معلومات متنوعة عن الطبيعة والحياة اليومية لسكانها[2] .

ويصف بلغة واضحة ومعبرة جزر الأرخبيل اليوناني ويقول : « تعتبر ساموس واحدة من جزر الأرخبيل الكثيرة العدد تغطي سطحها جبال تعرف باسم أمپيلوس ، وفي منحدراتها تنمو الكروم التي تصنع منها الخمور الطيبة المعروفة عندنا باسم مالڤازيا . . . والحر الشديد في الجزيرة ترطبه الرياح البحرية ، والندى الليلي ، يحافظ دوماً على رطوبة الأرض . وإن القطن ، والصوف ، والزيت هي مصدر ربح وفير للسكان ، وبالإضافة إلى ذلك ينسج السكان هنا قماش الجوخ الذي يستعملون في صنعه خيوطاً من مواد أخرى وهو مقبول عند اليونانيين والترك »[3]

ومذكرات برونيڤسكوي تقدم بالإضافة إلى ذلك تعريفاً دقيقاً لطبيعة الأرخبيل ، ومناخه ، واقتصاده ، وسكانه ، والعلاقات بين اليونانيين والترك .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٧ ـ ١٠٩

(٢) ڤ . برونيڤسكوي ، مذكرات الضابط البحري المشارك في حملات البحر الأبيض المتوسط بقيادة نائب الأميرال ديميتري نيكولاييڤيچ سينياڤين ، القسم ١ ـ ٤ ، سانت پيترسبورغ ١٨١٨ ـ ١٨١٩ ( فيما بعد « مذكرات الضابط البحري » ) .

(٣) المصدر السابق ، القسم ٣ ، ص ٧٦ .

ويستحق الاهتمام الكبير وصفه للترك ومميزاتهم الشخصية التي كان برونيڤسكوي يراقبها طيلة فترة خدمته المديدة في البحرين الأسود والأبيض المتوسط .

« الشجاعة الشخصية ، والسخاء ، والرجولة تلك هي مميزات الترك . . . وإن الطبيعة الهادئة المتأملة النبيلة التي يستثيرها الحماس في بعض الأحيان تجعل الأتراك أشخاصاً كثيري الشكوك ، قساة على الأعداء . ومع ذلك فيهم من لا ينتقمون ، وينسون الأذى عن طيب خاطر . . . إنهم أصحاب عمل يجيدون صنعتهم ، وهم قانعون ، وصابرون ، وورعون . أما البخل والطمع في سبيل الثراء فلا يوجد إلاّ عند الوجهاء وأصحاب المقامات الكبيرة فقط . . . وأما نزاهة الترك فهي مبعث اهتمام خاص . . . والقوانين التركية صارمة ، ودقيقة ، وقرارات المحاكم وتنفيذها تتم بسرعة فائقة »[1] .

وعن الأرخبيل عامة يخبرنا المسافر : « إن سطح أرض جزر الأرخبيل عبارة عن طبقة خصبة من التربة فوق حجر الغرانيت الصلب ، الذي يقع على عمق قد يكون بعيداً أو قريباً ، وفي أكثر الجزر تقريباً وبصورة خاصة في پاروس ، وتينو وغيرهما توجد أفضل أنواع المرمر السميك ، ومقادير لا بأس بها من حجر اليشب الثمين . ويحفظ هذا الأساس الصخري في الأرض الرطوبة المفيدة للتبريد ( أي يساعد على تبريد الجو ـ م.خ. ) . والنباتات بشكل عام لا تنمو بسرعة ، كما هي الحال في مناخنا ، الاّ أنهم يزرعون الأرض مرتين في السنة ، وهي تقدم لهم المحصولات ، والحياة فيها دائمية ومستمرة . الأماكن التي أزيلت عنها الغابات أو لم تكن فيها غابات في الأساس حيث لا وجود لظلال الأشجار التي تحمي الأرض تكون بطبيعة الحال محرومة من الرطوبة الضرورية ، ومما لا شك فيه هو أن الأماكن المجردة من الغابات تكون فيها المنابع جافة والتربة تتجرد من مستلزمات الخصوبة وبمرور الزمان تتحول إلى أراضي قاحلة .

وبرغم ذلك ، وعدا عدد قليل من التسيكلاد[2] ، فالطبيعة العارية التي تتجلى

---

(١) المصدر السابق ، القسم ٣ ، ص ١٤٧ ـ ١٥٠ .

(٢) تسيكلاد أو ( كيكلاد ) : مجموعة جزر الأرخبيل اليوناني .

في سفوح جبال الجزر الأخرى تدهش النظر بضخامتها ومناظرها الخلابة الزاهية المتنوعة »[1].

وفي المعارك التي وقعت في مشارف أيون ، وفي الدردنيل في سنة ١٨٠٧ حطم الأسطول الروسي الأسطول التركي ، وظفر بالسيادة على بحر إيجة ، وعلى أثر تلك المعارك طلبت تركيا الصلح .

وقام شخص آخر بوصف نشاط الأسطول الروسي في الأرخبيل ، وقدم كذلك معلومات غزيرة عن الجزر وعن الشعوب التي تؤلف سكانها وهو أحد المشاركين في الحملة وهو الموظف الديبلوماسي الملحق بالعمارة البحرية والكاتب والصحفي ، ومصدر « النشرات الوطنية » فيما بعد پاڤل پيتروڤيچ سڤينين[2].

## رحلة كراسنوكوتسكي

كان الضابط الروسي الآخر كاپيتان فوج أيشيرون أ . گ . كراسنوكوتسكي الذي قام بزيارته لتركيا في خريف سنة ١٨٠٨ ، أصبح شاهداً للأحداث التي أدت إلى مقتل الصدر الأعظم مصطفى باشا بيرقدار في القسطنطينية .

وإن لمذكرات هذا الرجل[3] أهمية خاصة ليس فقط للمؤرخين وإنما للجغرافيين أيضاً ، وهي تتضمن وصفاً للطبيعة ، والسكان ، والمدن ، والاقتصاد في بلدان الشرق الأوسط .

بدأت رحلة كراسنوكوتسكي من بوخارست ، ومر بمواقع جورجا ، وروشوك ، ورازگراد ، وجوما ، وعثمان ـ بازار ، وسليڤنا ، ويامبول ، وأدريانوپول ، وبورگاز ، وچورلا ، وسيليڤري . ثم عبر نهر الدانوب ، عند

---

(١) ڤ . برونيڤسكوي ، مذكرات الضابط البحري ، القسم ٣ ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٢) پاڤل سڤينين ، مذكرات في الأسطول ، القسم ١ ـ ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨١٨ ـ ١٨١٩ ( يراجع : القسم ٢ ، الفصل ٣ ) .

(٣) « المذكرات اليومية لأليكساندر گريگوريڤيچ كراسنوكوتسكي في رحلته إلى القسطنطينية في سنة ١٨٠٨ كتبت من قبله » موسكو ، ١٨١٥ .

روشوك واستمر كراسنوكوتسكي في سفره مستخدماً الدواب . وأثناء الرحلة أشار إلى المسافات ( بالساعات ) بين عدد من الأماكن المسكونة . « لم أر في الطريق أي شيء بارز جدير بالذكر ، عدا عيون ماء كثيرة وجميلة تتوفر فيها بغزارة المياه الصافية » .

وقد وصف كراسنوكوتسكي جبال البلقان في المنطقة الواقعة بين عثمان ـ بازار وسليڤنا . ومن المعلوم أنه قبل حرب ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ لم تمر القوات الروسية خلال البلقان لذلك يعتبر الوصف الموجز الذي كتبه كراسنوكوتسكي للجبال ، من أولى المحاولات في الأدبيات الروسية[١] .

وبسبب من الاضطرابات التي كانت قائمة في روميلي ، فقد سلك كراسنوكوتسكي طريقاً آخر للعودة خلال سيليڤري ـ رودوستو وبمحاذاة ساحل بحر المرمرة ، ثم سلك طريق روزلوگ ، وفيليپوپول وقازانلق . « لقد سرت لمسافة ٢٥ فرسخاً على الأقل بين حدائق الورود الواسعة ، وكانت هذه الأزاهير هي المحصولات الوحيدة لمدينة قازانلق ، حيث يصنعون منها أفضل أنواع دهون الأزاهير ، وماء الورد ، والعطور . . . ثم وصلت إلى قرية شيپكا ، ويوجد بالقرب منها جبل يسمى باسم القرية ، ويبلغ علوه أكثر من جميع جبال البلقان في تركيا . وإن منظر ذلك الجبل يولد الرعب لدى المشاهدين ، وبالإضافة إلى ذلك يؤدي هبوب الرياح الخفيفة أن يكون السفر خلاله مخطراً . والقمة عارية تماماً ، ليس فقط من الأشجار وإنما لا وجود للأحراج فيها أيضاً . وفي مواسم هبوب الرياح على تلك الجبال يموت خلق كثير ؛ وعلى سعاة البريد الذين يحملون الرسائل المهمة والخطيرة أن ينتظروا الجو اللطيف الملائم أحياناً لأكثر من أسبوع . . . وإنني شخصياً كنت مغطى بالندى الغزير بشكل مفرط . وبعد انقضاء تسع ساعات وصلت أخيراً أعلى قمة في الجبل . . . »[٢] . كان هذا أول وصف في الأدبيات الروسية لشيپكا التي اشتهرت فيما بعد .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦ ـ ١٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١١٢ ـ ١١٤ .

# رحلة كوتليـاريفسـكي

إن مذكرات الكاتب الأوكراينى الشهير إ . ب . كوتلياريفسكي التي تعود إلى الحـرب الـروسية التـركية ١٨٠٦ ـ ١٨١٢ جديرة بالاهتمام وهـو مؤلف ملحمـة « ڤيرگـيكيا » ومسرحية « ناتالكا پـولتافكا » المكتوبتين باللغة الأوكراينية . وفي بداية الحرب اختير إ . پ . كوتلياريڤسكي مرافقاً لميينـدورف . وقد عهد إليه بالعمـل في سبيل استمالة السكان المسلمين في بوجاك الذين يسمون بتاتار بوجـاك إلى جانـب روسيا ، وهم يعيشون في منطقتي أكيرمان وبنـدر في بيسـارابيا . وقـد كان القيام بإنجاز هذه المهمة من الأمور الصعبة جداً ، إلاّ أن الحالة كانت هادئة واعتيادية لأن القيادة الروسية كانت في تعاملها مع السكان المحليين إنسانية إلى حد بعيد .

وبعد احتلال بندر في ٣٠ تشرين الثاني سنـة ١٨٠٦ « أعلن القائـد أن على الترك أن لا يقلقوا بأي شكل من الأشـكال ، وأن لا يسيئـوا تفسير التعليمات التي أصدرها وإن النظام هو كالآتي : الشرطة وحرس مخازن الأسلحة يتبادلان المحافظة على الأمن . وطمأن القائد الناس بأنه لا تكون هنـاك عراقيل أمامهـم في أمورهـم الدينية ، وفي عاداتهم وتقاليدهم ، وتجارتهم ، وحرفهـم ، وصناعاتهـم اليدوية ، ويجب أن يعتبروا الروس مدافعين عنهم ، ولذلك يجب أن يكونوا هادئين »[1] . ثم كانت قد عهدت إلى كوتلياريفسكي مهمة « إقناع شيوخ التاتار إلى قبول المقترحات المتعلقة بالصلح والسلم ، ووعدهم بالصداقة وتقديم مساعدات ومنافع غزيرة من القوات الروسية ، إذا ما بقوا على إخلاصهم لروسيا والتزموا الهدوء عند مرور القوات على أراضيهم » . وعلى العموم قد نجحت هذه المحاولات ، لأن الأنباء عن العلاقات الإنسانية التي يسلكها الروس بأزاء السكان المحليين في البندر وصلت إلى المناطـق الأخرى أيضاً .

ومن المعلوم أن تعيين م . إ . كوتوزوڤ بطـل معـارك إسماعيل ، ومـاچين ، وباباداغ في آذار سنة ١٨١١ قائداً عاماً لجيش الدانوب ساعد على أن تحـل بسرعـة

---

(١) « مذكرات إ . پ . كوتلياريڤسكي عن العمليات الأولى للقوات الروسية في الحرب التركية سنة ١٨٠٦ » ، « آثار كييڤ » ، المجلد ٧١ ، كييڤ ، ١٩٠٠ ، ص ٣٤١ .

المسائل التي لم يكن بمقدور أسلافه حلها ، وتعني انهاء الحرب التي كانت قد طالت قبل أن تبدأ الحرب مع ناپـوليون وعقد صلح مشرف لروسيا . وقـد انجـزم . إ . كوتوزوف المهام والواجبات الحربية والديبلوماسية التي عهدت إليه بشكل باهر .

## رحلة تسيكولين

إن لرحلـة الفـلاح في محافظـة ريازان ديمينتـي إيڤانـوف تسيكولـين إلى إيران والقدس أهمية كبيرة جداً .

توجه تسيكولـين إلى إيران في سنة ١٨٠٨ لأعمال تجـارية . وقـرر في طريق عودته أن يحج إلى « الأماكن المقدسة » في فلسطين . وفي طريقه إلى بغداد كان بعض قطاع الطرق قد نهبوه ، ومن ثم قبض عليه خان كرمانشاه . وبقي في خدمـة خان كرمانشاه ثلاث سنوات وأربعة أشهر ، وكان يقوم برعـي قطعـان أغنامـه ومـواشيه و« تحمل أنواع الأذى والمعاملات البربرية » . وفي أحد الأيام أغار عليه قطاع الطرق مرة أخرى ، وسرقوا المواشي التي كان يرعاها ، أما هو نفسه فقد باعوه لقاء ثمن إلى الـ « سردار » . وبقي هناك في الأسر سنة وسبعة أشهر و« تحمل أنواع الاضطهاد » مرة أخرى . وأخيراً استطاع الهرب مما أدى إلى أن يواجه مختلف المشقات والمخاطر المؤذية المؤلمة حتى وصل إلى بغداد ، ثم توجه إلى البصرة . وهكذا وخلال هذه الفترة الطويلة من الرحلة والتجوال زار تسيكولين مناطق كثيرة من بلدان الشرق الأوسط ، وكذلك عرج على الهند وزار انكلترة ، ولم يعد إلى روسيا إلاّ بعد ثلاث عشرة سنة .

وفي كتابه المتواضع الساذج كثير من توافه الأمور والخزعبلات ، فيه معلومات جغرافية خطأوها واضح ، كأسماء الأماكن والمواقع المأهولة بالسكان . ومع ذلك فإن صاحب الكتاب اهتم إلى حد ما بالـري الاصطناعـي ، والمأكولات ، والأغـذية ، والملابس ، ومنازل السكان المحليين . وفي مذكراته ملاحظات عن أشجار التمـور ( نخيل التمور ) يقول بهذا الصدد : « ينضج فيها ثمر من حيث مظهره يشبه بشكل واضح جوزة البلوط ، أما عن طعمه ، فلا أعلم شيئاً . ولا شك في أنهم يجيدون استعماله . والعرب يعتقدون بقدسية ذلك الثمر . وانهم يشربون الماء فقط لأنهـم لا يعرفون صنع شراب حامض من أي نوع كان ، وانهم تعلموا شرب الماء إلـى

حد حتى أصبح من العادات المألوفة عندهم »[1] .

ويتكلم تسيكولين عن خصائص زراعة الحبوب عند الايرانيين : « انهم يزرعون الحبوب بطريقة تختلف عما يزرعها الروس ، وهم لا يحرثون بالمحاريث ، وإنما يحفرونها بالمجارف المصنوعة من الحديد أو المعازق . تحفر الأرض بهذه الطريقة وتصنع منها أحواض زرع ، ويفتحون مجاري للمياه بين حوضٍ وآخر ؛ ثم يزرعونها بالحنطة ، ولا يوجد عندهم الخبز الأسود أبداً . . . وتسقى الحبوب المزروعة والمحاصيل الأخرى المختلفة والمتنوعة من الخضار والكروم وبساتين العنب بالمياه لأن المطر شحيح جداً في تلك البلاد وهذا مما أدى إلى الاعتماد على المياه حتى في سبيل الحصول على الحبوب أيضاً »[2] وإن السكان يدفعون الأتاوات إلى الشاهزاده لأجل الحصول على موافقته لأرواء البساتين .

وترد في الكتاب ملاحظات وانطباعات مهمة وممتعة عن بغداد « إن موقع مدينة بغداد في فضاء سهل ومنبسط ، وبهذه الصورة انك لا تجد في جميع أنحاء المدينة وضواحيها أي واد أو تل أو رابية . وإن مدينة بغداد في الوقت الراهن تقع على نهر الشط[*] ، وقد بني عليه جسر نشط يستند على أعمدة مبنية على الطريقة العربية . . . وإن قسماً من أهالي بغداد يبنون بيوتهم بدون سقوف ( على الطريقة الغربية أي غير مسطحة ) وذلك لتكون ملائمة لجريان المياه إلى جهة واحدة »[3]

ومن بغداد مشى تسيكولين سيراً على الأقدام حتى « المدينة المقدسة » القدس ، حيث مكث فيها يومين « . . . في هذه الآونة التقيت بطريق الصدفة بقبطان انكليزي ، وقد أغراني القبطان ورغب في حضوري على ظهر سفينته ، ووعدني بالمكافأة ، ولكن المحاولة كانت خديعة ولم يسمح لي فيما بعد الخروج من السفينة ،

---

(١) « مسيرة ورحلة غير اعتيادية للفلاح الروسي ديمينتي إيڤانوڤ تسيكولين إلى آسيا ، ومصر ، والأقسام الشرقية من الهند من سنة ١٨٠٨ حتى سنة ١٨٢١ وقد كتبت من قبله » . « الأرشيف الشمالي » ، العدد ٨ ، نيسان ، ص ٣٤٨ ـ ٣٦٢ ؛ العدد ٩ ، مايس ، ص ٤٧ ـ ٦٧ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٢٥ .

(٢) المصدر السابق ، العدد ٨ ، ص ٣٥٢

(*) يقصد نهر دجلة وقد جعل خطأ من لفظة « الشط » المتداولة في بغداد اسماً للنهر ( المترجم )

(٣) المصدر السابق ، العدد ٩ ، ص ٥٣ .

وفي الليلة القادمة توجهنا إلى مصر »[1] .

ثم يذكر تسيكولين بعدئذ بأنه وصل إلى مدينة جدة على ظهر نفس الباخرة ( إن هذا الكلام غير مفهوم بالتأكيد ، إذ كيف استطاع أن يصل إلى هناك عن طريق البحر بنفس الباخرة التي نقلته إلى مصر ) ثم إلى بومباي ، ومسقط ، وبوشير ، وعاد إلى بومباي ثانية[2] . وأخيراً تهيأت له الظروف أن يرحل من هناك إلى انكلترة ، ثم توجه عائداً إلى روسيا .

## رحلة بيرگ (ف . ف )

بعد الحرب الوطنية في سنة ١٨١٢ بدأت دراسة ممتلكات الأمبراطورية العثمانية المجاورة لروسيا : مولداڤيا ، وڤالاكيا ، وبولغاريا ، والمناطق الواقعة على سلاسل جبال البلقان بشكل منهجي منظم . وفي أثناء الحروب الروسية التركية كان يتم إجراء التعقيبات والتعليقات الحربية ، والملاحظات والانطباعات الفلكية والجيوديسية في حدود الأقاليم التي كان يجري الاستيلاء عليها نتيجة العمليات الحربية . وفي ضوء جميع هذه الأعمال أنجز في سنة ١٨٢٢ وضع خريطة توبوغرافية لمولداڤيا ، وڤالاكيا ، وبولغاريا ، وكذلك أكمل الوصف التوبوغرافي في الطريق من الدانوب المنتهى بالقسطنطينية ، وبشكل خاص الطريق من روشوك خلال شوملا وأدريانوپول ، والطريق من گالانتس خلال پراڤودا حتى أرابورگاس[3] .

يرتبط نشاط بعثة ف . ف . بيرگ الذي لم يدرس بما فيه الكفاية في الأدب الروسي بدراسة الطريق الممتد من الدانوب إلى القسطنطينية .

وهكذا قام كاپيتان الأركان العامة ف . ف . بيرگ في سنة ١٨١٩ برحلة من القسطنطينية إلى اسماعيل فوصف الطريق من ايساكچه خلال باباداغ ، وڤارنا ، وبورگاس ، وميديا . وقد وضع وصفاً إحصائياً ـ حربياً لتركيا[4] .

---

(١) المصدر السابق ، العدد ٩ ، ص ٥٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦١

(٣) ن . پ . گلينويتسكي ، تاريخ الأركان العامة الروسية ، القسم ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٣ ، ص ٣٦٢ .

(٤) « المشوه الروسي » ، العدد ١٨ ، ١٨٧٤ ، ص ٣ .

وقد تم تعيين بيرگ في سنة ١٨٢٦ في ملاك السفارة الروسية في القسطنطينية .

واجتمعت كحصيلة لنشاطات ف . ف . بيرگ معلومات مسهبة عن المناطق المشار إليها ، ورسمت خطط توبوغرافية للطرق الرئيسية في تركيا الأوروپية .

ثم شرع ف . ف . بيرگ في تهيئة تقارير توبوغرافية وذلك بالإضافة إلى الرسوم التخطيطية للطرق ، وقد تضمنت التقارير عرضاً مفصلاً لوصف الطريق من بويوك دره خلال ميديا ، وبورگاس ، وڤارنا ، وتوزلا ، وباباداغ حتى ايساكچه وقلعة ڤارنا ، وتولـ چ ـ ايساكچة[١] .

وقد أصبح ف . ف . بيرگ فيما بعد واحداً من مؤسسي الجمعية الجغرافية الروسية ، وعضواً لمجلسها ، وعضو شرف فيها . وقد ثمن پ . پ . سيميونوڤ ـ تيان ـ شانسكي بشكل خاص دراساته عن وهاد أورال ـ قزوين ، واكتشافه أوست ـ أورته[٢] .

أما وصف الطريق من شوملا حتى فاكا ، فقد قام بانجازه أحد أعضاء بعثة بيرگ ، الضابط أ . و . ديوگاميل[٣] .

## رحلة برونيكوڤ

ترك الكونت الإقطاعي شيريميتيڤ كير برونيكوڤ مذكرات لها أهمية معينة وغير قليلة ، وكان قد زار في سنة ١٨٢٠ ـ ١٨٢١ مدينة القدس ، ومصر ، وسيناء ، وأيون[٤] .

---

(١) ن . ييپانچين ، مقالات عن حملة سنة ١٨٢٩ في تركيا الأوروبية ، القسم ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٥ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٢) پ . پ . سيميونوڤ ، تاريخ نشاط الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية في نصف قرن ، القسم ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٦ ، ص ١٦٨ .

(٣) وصف حربي ـ توبوغرافي للطرق من شوملا حتى پرافوڤا ؛ ومن پرافوڤا خلال آيدوس حتى بورگاس ؛ ومن بورگاس حتى فاكا » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٢٧ .

(٤) « رحلة إلى الأماكن المقدسة الواقعة في أوروپا ، وآسيا ، وأفريقيا ، قام بها في سنتي ١٨٢٠ و١٨٢١ كير برونيكوڤ وهو أحد ساكني قرية پافلوڤ » ، موسكو ، ١٨٢٤

كان غرض برونيكوف عندما أقدم على القيام بهذه الرحلة الطويلة هو تسجيل انطباعاته وملاحظاته عن كل شيء يقع تحت نظره بعد عودته إلى البلاد « لكي لا يظل مغموراً » . وبالرغم من أنه لم يكن متعلماً إلى المستوى المطلوب ، ولم يعرف اللغات الأجنبية ، إلاَّ أن لمذكراته قيمة لا بأس بها .

خرج برونيكوف من قرية پاڤلوف إلى موسكو ، ثم توجه في ١٨ تموز سنة ١٨٢٠ إلى أوديسا ، فأبحر بعدئذ على ظهر باخرة إيطالية إلى القسطنطينية ، وفي ٢٥ أيلول وصل إلى مدينة القدس ، ومن القدس سافر إلى جبال سيناء بصحبة القوافل البرية .

هناك أشياء كثيرة جلبت انتباه برونيكوف في الطريق . ولقد اهتم بالحياة التجارية والاقتصادية في القسطنطينية حيث تباع في بالق ـ بازار(*) الأنواع المختلفة من الأسماك المملحة والطازجة ، والسرطان النهري ، والكافيار الروسي والدانوبي ، واللحوم ، والخبز ، والأحذية المختلفة المتنوعة ، والملابس ، والألواح الخشبية ، والصحون ، والحديد ، والأواني النحاسية .

يقول برونيكوف عن مدينة يافا : « إن السكان في تلك المدينة كلهم من العرب المحمديين ( أي المسلمين : م.خ. ) تقريباً ؛ ويوجد في بعض قطاعات المدينة من يدينون باليونانية ، وتكثر الأسواق التجارية فيها ، غير أنه لا تشاهد السلع والبضائع الجيدة في الحوانيت ، أما الحبوب فهي تستورد إليها من المناطق المجاورة ومن مصر أيضاً عن طريق البحر ، واللحوم كثيرة ، والأسماك متوفرة ، وفيها ثمر جميع أنواع النباتات بغزارة ووفرة »(١) .

وشاهد برونيكوف في طريقه إلى مدينة القدس قطعان الأبقار ، والماعز ، والأغنام في المراعي : « إن الأغنام هنا تشبه الأغنام القرغيزية ، غير أن صوفها أنعم وليست لها أليات »(٢) .

---

(*) بالق ـ بازار : أو ( بالغ ـ بازار ) أو ( بالك ـ بازار ) تعبير تركي يعني « سوق السمك » ( المترجم ) .

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٩ .

ولم يغب عن باله الوضع الشاق الذي يعيشه السكان القرويون من العرب : « إن هؤلاء الناس الفقراء في هذه الأصقاع يعيشون ظروفاً صعبة جداً وهم في حالة عوز وفقر وحرمان ، وذلك بسبب رداءة الموقع ووعورة الطرق »[1] .

ويقول برونيكوف عن مدينة القدس : « إن الأكثرية الساحقة من السكان فيها هم من العرب ويدينون بالدين المحمدي ( أي الدين الإسلامي : م.خ. ) : هناك بعض منهم يدين بالمذهب المسيحي ، وعدد الترك قليل ، وأما عدد اليهود فهو كثير إلى حد ما . ولهؤلاء منازل جيدة ، والقطاع الذي يعيشون فيه يقع بجوار هيكل سليمان من الجهة الشرقية ، وهو منعزل عن السكان الآخرين ، ولهؤلاء اليهود أسواقهم الخاصة لبيع المأكولات ، ويمارسون التجارة والحرف المتنوعة »[2] .

ولقد توجه ستة أشخاص بصحبة برونيكوف إلى جبل سيناء ، كان من بينهم ضابط الحرس الخيالة من پيترسبورغ ى.م. بيساروڤيچ وكان يتقن اللغة التركية إتقاناً تاماً . وكان ثاني الأصحاب من الستة هو رئيس دير تايسي وكان هذا يتكلم العربية والتركية واليونانية . وفي طريقه وصف برونيكوف الصحراء الرملية بهذه الصورة الرائعة : « في تلك الأماكن الخالية الموحشة ، كان الشيء الغريب بالنسبة لنا على وجه الخصوص هو أنه كنا نشاهد تكوّن جبال هائلة من الرمال نتيجة لحركة الرياح ، وفي نفس الوقت كانت تتهدم وتتبدد جبال أخرى »[3] ، وكان طريق المسافرين من مدينة القدس يمتد عبر الرملة ، وغزة ، والسويس .

ويذكر برونيكوف بأن في السويس « لا وجود للخبز ، ولا يقتصر الأمر على هذا وإنما لا وجود لماء الشرب في جميع أنحاء المدينة أيضاً ، والعرب يجلبون الماء للبيع من موقع يبعد بعشرة فراسخ من السويس على ظهور الخيول والحمير . . . وأما الخبز والمؤن والمأكولات الأخرى فتجلب عن طريق البر من القاهرة إلى السويس حيث يستغرق الطريق ثلاثة أيام ، والناس يتوجهون إلى السويس بالطرق المائية مصطحبين

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

بضائعهم وسلعهم التجارية معهم وبشكل خاص من الهند وذلك لتوفر الأرصفة والموانىء ، وعدد هؤلاء المسافرين هائل ، وإنهم يكدسون البضائع في السويس ومن ثم يرسلونها إلى القاهرة »[1] .

وفي طريقه من السويس إلى سيناء كان برونيكوڤ يراقب حياة العرب : « هؤلاء الناس يعيشون حياة البداوة ، ويسكنون الخيام ، ويمارسون تربية الماشية . وهم يقومون بتربية المواشي في الجبال ، كالبغال ، والجمال ، والنعاج ، والماعز ، والطيور الأهلية . ومواشيهم ضعيفة وقليلة السمنة ، وذلك بسبب قلة العشب الذي يوجد في الأودية الموجودة في الأماكن الصخرية فقط . وقد قمنا بزيارتهم حيث يعيشون في مضاربهم ، واستضافونا بما استطاعوا تقديمه لنا »[2] .

ثم توجه المسافرون من سيناء إلى القاهرة .

وكان المسافرون الذين كانوا يراقبون كل شيء قد وجهوا اهتمامهم إلى طريقة بيع الحليب : « الظاهر انه في المناخ الحار ليس بالإمكان حفظ الحليب الطازج ولو لمدة قصيرة ، ولذلك السبب فإنهم لا يبيعونه في الأواني كما هو مألوف عندنا ، وإنما يتجول البائعون بصحبة مواعزهم في الشوارع ويمرون على البيوت يبحثون عن الذين يحتاجون إلى الحليب ، ويقومون بحلب الحيوان أمام الدار بالمقدار المطلوب »[3] .

وعاد المسافرون إلى مدينة القدس في نهاية شهر كانون الأول ، وفي ٢١ نيسان توجهوا من يافا إلى أيون .

وهناك معلومات شيقة عن وضع الأديرة والكنائس في أيون :

« يملك كل دير في أيون أراضي واسعة ، وغابات وبساتين في الجبال . والعقارات التي تعود إلى الأديرة يتملكها الرهابنة أنفسهم ويقومون بالإشراف عليها والعمل فيها ، وأما الأراضي الفائضة عن الحاجة فإنهم يقدمونها أو يبيعونها للرهابنة الآخرين . وطريقة البيع مبنية على الأسس التالية : بنيت في أكثر الأراضي الجيدة

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

التي تعود إلى الدير صوامع ومناسك وأديرة صغيرة ولكنها جميلة على حساب الدير ، ولكل منها أراضي صالحة للزراعة مع قطع من البساتين الصغيرة . فالشخص الذي يقوم بالشراء يجب أن يكون راهباً ، ويستطيع شخصان شراءها على شرط أن يكونا راهبين . وثمن كل صومعة يتراوح بين ألف وألف وخمسمائة ليڤ حسب سعة الأراضي الملحقة بها . وعند الشراء يتم عقد اتفاق بين المشتري والدير الذي يقع في القرية التي تباع فيها الصومعة ، والمشتري يكون مالكاً للصومعة وجميع ملحقاتها وممتلكاتها حتى بعد مماته تبقى مسجلة باسمه . وهو يعمل ويزرع الأرض والبساتين ، وعليه أن يبيع الحبوب والخمور والثمر ، حيث يغطي بنقودها حاجاته من الملابس وغيرها . . .

ويحق للمالك بعد موته أن يعيد صومعته مع كافة ملحقاتها وممتلكاتها إلى نفس الدير الذي كانت تعود إليه أو إلى تلميذه ؛ والدير عادة لا يعيق هذه الرغبة من جانبه ، إلاّ أنه وبالرغم من أن الصومعة كانت تنتقل من يد إلى يد خلال سنوات طويلة عن طريق الوراثة فإن الدير كان ينزع من المالك الجديد بعض أقسامها دفعة واحدة . . .

والأديرة نفسها كانت تمتلك بعض الصوامع ، أو المناسك الصغيرة بدون كنيسة ، بجانب قطعة أرض صغيرة لزرع الخضار ، وتعطي الصومعة الصغيرة للمشتري طيلة حياته بثمن يتراوح بين مائتي وثلاثمائة ليڤاً وبنفس الشروط التي تباع فيها الصوامع الكبيرة . ويسكن فيها الفقراء الذين يعيشون على أعمالهم اليدوية . . . وبالإضافة إلى ذلك ان القادمين إلى الجبل من رجال الدنيا والدين يستطيعون شراء صومعة صغيرة داخل الدير يعشون فيها على حسابه ، أي ان الدير يقدم لهم الطعام والشراب ويستطيعون البقاء فيها للمدة التي يرغبون فيها . ولا يجبر هؤلاء على التردد على الكنيسة أو القيام بأي عمل من الأعمال لأجل الدير »[1] .

## رحلة داشكوڤ

وفي نفس الفترة التي قام كير برونيكوڤ برحلته تمت رحلة المستشار الثاني في

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢ .

السفارة الروسية في القسطنطينية ديميتري فاسيلييڤيـــچ داشكوف .

كان د.ڤ. داشكوف ( ١٧٨٨ ـ ١٨٣٩ ) الأديب والكاتب والناقد هو أحد مؤسسي الجماعة الأدبية « أرزاماس »(*) ( أو « الأوزات الأرزاماسية » بالمشاركة مع ڤ.أ. ژوكوڤسكي في سنة ١٨١٥ ، وكان كل من ك.ن. بايتوشكوف ، پ . إ . ڤيازيمسكي ، أ.س. پوشكين وآخرين أعضاء في هذه الجمعية ، وقد قام د.ڤ. داشكوف بكتابة مجموعة من الأعمال تخص أسفاره في الشرق . إننا هنا نقف عند عمله « الحجيج الروس في مدينة القدس »(١) فقط . وقد سكن في القسطنطينية في دار البعثة الروسية أربع سنوات . ودرس اللغة اليونانية بصورة جيدة ، وخصص وقتاً كثيراً للبحث والتنقيب في الخزائن المختلفة التي تحتفظ بالمخطوطات القديمة .

يقول داشكوف في زيارة قام بها إلى قرية بالقرب من البحر الميت : « عند خروجنا من القرية التقينا بعدد من النساء ، كن يسرن وعلى رؤوسهن جرار من الطين طلياً للماء ، وكن يرتدين ملابس زرقاء فضفاضة وقد طرحن أغطية رؤوسهن إلى الوراء ؛ وإن اقترابنا منهن لم يكن مبعث قلق لهن . وخلاصة القول إن كلمة الحاج قد أرضت فضول الجميع ، وأوقفت كل الأسئلة . . . »(٢) .

« إن الوقت الذي أقام فيه الحجيج في القدس كان موسم الحصاد بالنسبة لسكان تلك البلاد . وهذا الموسم هو الوقت الوحيد الذي تنتعش فيه البلاد التي لم تجش بالحليب والعسل ( لم تعرف الازدهار ـ م.خ. ) منذ وقت طويل لأن الزراعة متدهورة ، والصناعة معدومة ، وحيث الشعب وقع ضحية لمختلف أنواع النهب والاضطهاد »(٣) .

---

(*) يراجع عن هذه الجماعة : « تاريخ الاستشراق والدراسات العربية والكردية في المتحف الآسيوي ومعهد الدراسات الشرقية في لينينغراد ١٨١٨ ـ ١٩٦٨ » ، ألفه باللغة الروسية مجموعة من المستشرقين السوڤيات ، ترجمه إلى اللغة العربية وعلق عليه وقدم له الدكتور معروف خزنه دار ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(١) « الأزاهير الشمالية » لسنة ١٨٢٦ ، طبعة جديدة ، ملحق « الأرشيف الروسي » ، ١٨٨١ ، موسكو ، ١٨٨١ ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

وقد زار فلسطين الفنان الأكاديمي م.ن. ڤوروبييڤ بصحبة د . ڤ . داشكوڤ[1]. وان طائفة من رسومه التي أنجزها في الفترة التي قام فيها بالرحلة لا زالت محفوظة لحد الآن .

## رحلة سينكوڤسكي

من الضروري الوقوف بشكل خاص عند رحلة و.إ. سينكوڤسكي لأنه معروف جيداً كمختص لغوي في تاريخ الاستشراق الروسي ، وقال عنه ن .گ . چيرنيشيڤسكي : « واما ما يتعلق بالشرق ، فإنه كان في حينه واحداً من أفضل المستشرقين في أوروپا »[2]. ولا شك بأن و.إ. سينكوڤسكي هو قليل الشهرة إلى حد كبير كرحال وسائح . وبعد إنهاء دراسته في جامعة ڤيلينسكي في سنة ١٨١٩ توجه إلى آسيا الصغرى ، وسوريا ، ومصر ، وبلاد النوبة للاستزادة من معرفة اللغتين التركية والعربية . تجول في الأمصار مدة سنتين . وكان يبعث من أماكن مختلفة مواداً للطبع إلى المجلات البيولونية ، وعند عودته إلى روسيا طبع مقتطفات من مذكرات رحلته في « الأرشيف الشمالي » و« أبناء الوطن » . وفي سنة ١٨٢٢ وجهت أكاديمية العلوم اهتمامها إلى العالم الشاب والرحال فأصبح وهو في سن الثاني والعشرين من عمره أستاذاً للغتين العربية والتركية . فكان أول أستاذ مختص بالدراسات العربية في جامعة پيترسبورغ ، وقد قال عنه إ.ى. كراچكوڤسكي : « كان إنساناً كله حيوية ونشاط ، وهو الوحيد من بين جميع معاصريه من أساتذة اللغات الشرقية الذي زار الشرق العربي ، وعرفه بشكل جيد خلال انطباعاته الشخصية »[3].

ثم زار أو .إ . سينكوڤسكي القسطنطينية في نهاية سنة ١٨١٩ . وتوجه بعدئذ إلى سوريا حيث عاش مدة سبعة أشهر في أحد الأديرة المارونية[4]، وفي تشرين الثاني

---

(١) عن داشكوڤ ورحلته ، يراجع « كشوف موسكو » ، العدد ٨ ، ١٨٤٦ .

(٢) ن. گ . چيرنيشيڤسكي ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته ، المجلد ٣ ، موسكو ، ١٩٤٧ ، ص ٤٥ .

(٣) إ .ى . كراچكوڤسكي ، مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٤) المارونيون ( نسبة إلى مؤسس المذهب مارون ) هم ممثلو كنيسة مسيحية خاصة في سوريا ولبنان ، وهم يعترفون بالسلطة الكنسية لبابا روما .

سنة ١٨٢٠ وصل إلى الاسكندرية . وبعد مرور ثلاثة أشهر بدأ برحلته إلى حوض النيل ، وزار الأهرام واطلال مصر القديمة ، ثم دخل بلاد النوبة ، والأقسام العليا من الحبشة حتى دارماهان . وهكذا فإنه زار أماكن نادراً ما ارتادها الرحالة الأوروبيون في تلك الفترة .

وقد صادفت رحلة سينكوڤسكي في بلدان الشرق الأوسط بداية الانتفاضة اليونانية ضد السيطرة التركية . وكان محمد علي يحكم مصر في ذلك الوقت[١] . ولا ريب بأن انطباعات الرحال عن نشاط هذا المصلح جديرة بالاهتمام .

فهو يشير إلى : « أن الپاشا الحالي في مصر فتح خلال ستة أشهر قناة في الإسكندرية حتى النيل يبلغ طولها ١٤ ميلاً فرنسياً ، وعرضها ١٤٤ قدماً ، وهي في عمق معتدل ، وأمر بجمع ( ٣٠٠ ٠٠٠ ) ثلاثمائة ألف عربي للقيام بهذا العمل ، وقد هلك منهم ١٧٥٠٠ شخصاً من جراء العمل الشاق ، والجوع ، والطقس الرديء ، والأحداث الأخرى التي لا مفرّ منها في مثل هذه الأحوال . وبنفس الطريقة بنيت الأهرام أيضاً . . . يخبرنا هيرودوت بأن خوفو الذي بنى الهرم الكبير كان محبوباً من قبل المصريين بنفس القدر من الحب الذي يكنه المصريون في الوقت الحاضر إلى محمد علي باشا . هذا الباشا الذي فتح القناة لنقل الفول والحبوب المغتصبة من السكان الفقراء من الاسكندرية »[٢] .

ويقدم سينكوڤسكي صورة واضحة لفقر السكان المصريين في مقالته « محمد علي » المنشورة في سنة ١٨٤٠ ، وهي في الحقيقة مقالة انتقادية عن كتاب أ . س . نوروڤ « رحلة إلى الكنائس السبع المذكورة في أپوكاليپيس » يقول مستغرباً : « في

---

(١) محمد علي (١٧٦٩ ـ ١٨٤٩ ) حاكم مصر منذ سنة ١٨٠٥ حتى ١٨٤٨ ، وقد استولى على السلطة نتيجة لحركة شعبية موجهة ضد زمرة الحكام من المماليك . وقد اعترفت الحكومة العثمانية به رسمياً كحاكم ، وفي واقع الأمر أصبح حاكماً مطلقاً . حاول فصل مصر عن تركيا . وشن حرباً ضد العثمانيين في ١٨٣١ ـ ١٨٣٣ ، وبنتيجتها ألحق سوريا وفلسطين ولبنان بمصر . وفي سنة ١٨٣٩ بدأ بحرب أخرى ضد الترك ، غير أن التدخل الانكليزي أرغمه أن يكف عن محاولاته لتحقيق استقلال مصر .

(٢) مجموعة مؤلفات سينكوڤسكي ( البارون برامبيوس ) ، المجلد ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٨ ، ص ١٥ ـ ١٦ .

شيء واحد فقط يستحق محمد علي لقب مصلح مصر ، فقد حوّل بلداً خصباً ومزدحماً بالسكان إلى صحراء ! كانت هناك في سنة ١٨٢١ مدن مزدهرة وعامرة ، وقرى مزدحمة آهلة بالسكان ، وهي الآن مهدمة ، مقفرة ، هرب سكانها ، وبقيت الحقول غير محروثة وبدون زرع ، وانتشر الفقر والفاقة ، والرعب ، والفزع في كل مكان . . . أما بعض المزارع ومعامل الأفمشة التي أسسها محمد علي ، هل هي حقاً لأجل مصر ، ولفائدة سكانها ؟ أبداً . فقد أنشأ هذه المؤسسات كلها لنفسه فقط ، وعلى الأراضي التي كان يملكها ، ولحسابه الخاص لأجل زيادة دخله الشخصي هو نفسه . وقد تحولت مصر كلها إلى عقار إقطاعي له ؛ وأعلن عن نفسه بأنه صاحب جميع أراضيها ومحاصيلها ، وتعود له وحده ثمرة جهود المزارعين ، وقد منح الحق لنفسه فقط في بيع المحاصيل في الأسواق المحلية أو الخارجية بأثمان كان يحددها هو بنفسه . وكانت مصر عبارة عن هذا الشخص وحده ، فهو صاحب الحقل ، وصاحب المعامل ، وهو التاجر . . . »[١] .

« وإنه لم يكتف باغتصاب جميع المحاصيل من المزارع تقريباً ، وإنما كان يقوض الزراعة من جذورها بشكل متهور وطائش ، وهي تؤلف بدون شك قاعدة الثروة المصرية ؛ وكانت كل شجرة مثمرة ، وكل قطعة من الماشية ، وكل بئر لأرواء الحقول وهي المادة الأولى للحياة ، وجميع الوسائل التي تؤدي إلى الحصول على الرزق معرضة وبشكل مفرط إلى الأتاوات وهي في مبالغ باهضة »[٢] .

وقد رسم لنا الرحال المتتبع جملة من اللوحات الدقيقة الباهرة ذات الطابع الاتنوغرافي . نورد هنا جانباً منها وبشكل خاص الصور المتعلقة برحلته إلى بلاد النوبة .

« كوشتامبه ـ قرية واسعة وكبيرة جداً ، يعيش فيها من السكان مائة وعشرون شخصاً . وإن المنازل والمساكن عند النوبيين واطئة إلى درجة لا يمكن للإنسان أن يجد نفسه فيها إلاّ أن يكون جالساً . . . وتحيط بالمنزل قطعة من الأرض صغيرة ودائرية الشكل ، يستخدمونها لتربية الدجاج والحمام ، ويدخرون كميات قليلة من القمح .

---

(١) المصدر السابق ، المجلد ٦ ، ١٨٥٩ ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

وتتألف كافة ممتلكاتهم من بقرتين أو ثلاث بقرات ، وزوج من الثيران ، وعدد قليل من الماعز والأغنام . . . ويملك السكان أحياناً عدداً كافياً من الحمير أو الجمال . . .

وأما عن ملابس البنات فهي تشد بحزام مصنوع من شريط من الجلد سميك . . . أما الشباب والرجال بصورة عامة فيسيرون عراة ، ويرتدون مآزر من قماش الكتان الأبيض دون أي شيء آخر . . .

ويغطون رؤوسهم بقبعة من قماش الكتان الأبيض ، وهي تسمى عند المصريين بـ « الطاقية » . والنوبيون يحتفظون بقسم كبير من شعرهم الطويل المجعد وهو يشبه الشعر المستعار ( الباروكة ) الممشط ، وفي منتصف الرأس يفتلون الشعر ويجعلونه بشكل ضفائر رفيعة تتدلى على الجانبين . وهم يستعملون بكثرة لهذا الغرض دهوناً لزجة ، يصنعونها من بعض أنواع الأتربة السوداء الغنية بالمواد الدهنية ويفركونها بالزيت . . .

وإن النوبيين عموماً ، والنساء والأطفال بوجه خاص يحملون في الجانب الأيسر تحت أكتافهم كيساً صغيراً من الجلد مع طلسم ( تعويذة ) يشترونه من رجل الدين التقي . أما أسباب البذخ والترف والكماليات للجنسين فهي محدودة جداً . تتزين النساء بأساور من الزجاج الأزرق يضعنها في سواعدهن وأحياناً في سيقانهن ، ويعلقن أقراطاً معدنية مزينة بعدد من القطع الزجاجية في انوفهن وكذلك عقوداً زجاجية في جيدهن . هذا هو إسراف المرأة النوبية . والمرأة التي تضيف على هذه الممتلكات حلقتين لمنخريها ( أنفها ) ، وقرطين كبيرين معدنيين لأذنيها فهي تعتبر نفسها سعيدة جداً . . . والرجال يحملون في الأذن اليسرى حلقة معدنية مسطحة »[1] .

يقول سينكوڤسكي في رسالة له من القاهرة بتاريخ ١١ (٢٣ ) كانون الأول سنة ١٨٢٠ بأن سكرتير محمد علي قال له ان الأوروبيين لهم عادات وتقاليد كثيرة ومتنوعة : « تختلف تماماً عن عاداتنا وتقاليدنا وهي مضحكة كثيراً . . . إنهم يتناولون الأرز بالملاعق ، واللحم بالملاقط ، والأنكى من ذلك وأكثر مهزلة أنهم يقبلون أيدي

(١) مجموعة مؤلفات سينكوڤسكي ، المجلد ١ ، ص ٣٥ ـ ٣٨ .

نسائهم بإجلال واحترام ، وهؤلاء النساء يلبسن في رؤوسهن قبعات من القش ولا يستعملن غطاء الرأس ، وإنهم يشربون القهوة بالسكر والحليب . كانت الملاحظة الأخيرة مبعثاً للضحك والقهقهة عند جميع الحاضرين بما فيهم الباشا نفسه . وقد أدى هذا الوضع بأحد الواقفين في وسط الصالون أن يصرخ قائلاً : « كافرلر ! أي انهم كفار »[1] .

وأما عن مصر فقد كتب سينكوڤسكي :

« من الممكن تسمية جميع هذه البلاد بمجرى هذا النهر العظيم [ النيل ] الذي يتراجع في موسم الصيهود مفسحاً المجال للزراعة ، وبعد مرور أشهر يفيض على جميع مواقع ومناطق الوادي من جديد . وفي الحقول ترى الشعير ناضجاً وهو في دور السنبل ، والحنطة مرتفعة بمقدار قدم واحد ، والكتان تفتق زهراً . ويبدأ الفلاحون بزرع الخيار والباميا[2] . . . يزرعون الباميا والخيار عادة في حقل اعتيادي ، ويصنعون حول كل منهما سياجاً من سعف النخيل والقصب المثبت في الأرض ، ويكون السياج مائلاً نحو الجنوب لحفظة من الرياح الشمالية . ومن عادة العرب ترك قسم من حقولهم بدون زرع بين سنة وأخرى لتعيد نشاطها . . . »[3] .

## الأعمال العلمية الجغرافية لضباط الأركان العامة
## بيردين وايسين واورتينبيرگ
## وڤرونچينكو وديتمارس

لقد ساعدت حرب سنتي ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ على الشروع بدراسة الأراضي ، وإنجاز مجموعة من المسوحات الآلية في تركيا الأوروبية والآسيوية . وكانت المسوحات الفلكية والبارومترية قد بدأت في تركيا الأوروبية وآسيا الصغرى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧ .

(٢) باميا : نبات يشبه الفول التركي ، يستعمل ثمره القرني غير النائج كخضار في الطبخ ، وتستعمل بذوره المشوية بديلاً للبن وتُهيء منها القهوة .

(٣) مجموعة مؤلفات سينكوڤسكي ، المجلد ١ ، ص ١٠ .

والقفقاس في سنة ١٨٢٨ ، واستمرت في سنوات الحرب فانتهت في سنة ١٨٣٢ . وكانت فصائل خاصة يرأسها ضباط الأركان العامة بيردين ، وايسين ، واورتينبيرگ ، وڤرونـچينكو ، وديتمارس قد هيأت مواد ومصادر أساسية ممتازة لتحديد الوضع الجغرافي لعدد من المواقع[١] . ثم كان الأكاديمي ڤ . ى . ستروڤي قد قام بمعالجة تلك المواد فيما بعد وبالتحديد في سنة ١٨٤٥ .

وفي نطاق الأعمال المنجزة من الممكن القول بأنه قد تم تحديد الوضع الجغرافي لسبعة مواقع في مولداڤيا ، ولسبعة وأربعين موقعاً في ڤالاكيا وبولغاريا ولخمسة عشرة موقعاً في روميلي ، ولأثني عشر موقعاً من صربيا ، والعشرين موقعاً في آسيا الصغرى والقفقاس .

وفي الوقت الذي أنجزت فيه المسوحات الآلية تمت المسوحات البارومترية أيضاً ، وكان من نتائجها تحديد ثمانين موقعاً في تركيا الأوروبية من حيث ارتفاعها عن سطح البحر .

## رحلة أوشاكوڤ

يقدم ن . ن . أوشاكوڤ وصفاً[٢] لخمسة من الپاشالقات ( آخالتسيخ ، وقارص ، وبايزيد ، وأرضروم ، وموش ) ، وفيه يسرد بصورة مفصلة الوضع الجغرافي ، والإدارة الحكومية ، والسكان ، ومميزات المناخ ، والوضع الزراعي ، والثروات والمكنونات الطبيعية المفيدة ، والطرق والمواصلات لجميع الپاشالقات التي مرّ ذكرها .

---

(١) « التحديد الفلكي في تركيا الأوروبية ، وآسيا الصغرى ، والقفقاس ـ جمع وإعداد وإنجاز الأكاديمي ڤ . ى . ستروڤي من الملاحظات الفلكية التي توصل إليها ضباط الأركان العامة من سنة ١٨٢٨ حتى سنة ١٨٣٢ » . « نشرة المقر الحربي ـ التوبوغرافي » ، القسم ٢١ ، الفصل ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٠ ، ص ١٧ ـ ٩٩ .

(٢) ن . ن . أوشاكوڤ ، تاريخ العمليات الحربية في تركيا الآسيوية في سنتي ١٨٢٨ و١٨٢٩ ، في قسمين ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٣٦ ، القسم الأول ، ص ٣٥ ـ ١٢٠

وهناك في هذا العمل فصل مخصص للكرد ، ورد فيه :

« يسكن الكرد الآن في آسيا ، ويشغلون قطاعاً واسعاً من الأرض يمتد من آرارات حتى خليج فارس ( يقصد الخليج العربي : م.خ.) تقريباً ، أو بصورة أدق حتى خوزستان . وتُعرف هذه البلاد عموماً باسم كردستان ، وهي لا تملك التركيب الكامل الخاص بنفسها ، لأن القسم الأعظم من كردستان تدخل في ممتلكات إيران وتركيا ، ويعيش فيها بعض الفرس ، والأرمن ، والترك ويدخلون ضمن سكانها . . .

إن بنية الكرد قوية بشكل عام ، وهم معتدلون ومتقشفون ، جريؤ ون وبواسل ، وأذكياء حاذقون . . . يعمل قسم منهم بالزراعة ولذا فان هؤلاء من المستقرين بصورة مؤقتة ، وتنحصر فترة استقرارهم في الفترة بين موسم البذر وموسم الحصاد ؛ أما في الأوقات الأخرى فيعملون في الرعي ، ينزلون من الجبال بصحبة قطعانهم الكثيرة إلى الأودية بحثاً عن الغذاء الذي يعانون من شحته بسبب المناخ الجبلي القاسي . وهم عادة ينامون ليلاً في الخيام المحاطة بسياج من القصب ويحملون هذه البيوت معهم أينما ذهبوا . . . أما الوضع السياسي عند الكرد فيذكرنا تماماً بأوروبا في القرون الوسطى بجميع أبعاد وقيم المجتمعات الإقطاعية التي تدار بنظام ديموقراطي مقتبس من روح « النظام الأبوي القديم »[1] .

## رحلة ديوگكاميل

### (١)

بعد توقيع معاهدة أدريانوپول وابرامها من قبل محمود الثاني توجه الضابط أ.أو.ديوگاميل إلى جبهة آسيا الصغرى في ١٦ أيلول سنة ١٨٢٩ حاملاً رسالةالى إ.ف. پاسكيڤيچ[2] حول عقد الصلح . وقد سلك في سفرته هذه طريقه من

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) قاد إ.ف. پاسكيڤيچ منذ سنة ١٨٢٧ احدى فيالق القفقاس ، وقام بادارة منطقة القفقاس . وبمناسبة اشتراكه في الحرب مع فارس منح لقب « كونت پاسكيڤيچ الاريڤاني ».

أسكودار خلال ميرزيفون حتى سامسون ، ثم توجّه عن طريق البحر فوصل إلى طرابزون .

ومن طرابزون سافر ديوگاميل الى بايبورت ، وعاش في معسكر سرعسكر(*) عثمان پاشا ، ثم في معسكر پاسكيڤيچ الذي كان يقع بالقرب من بايبورت . وزار أرضروم ثم توجه الى القسطنطينية[1] . « كنت أرغب في مشاهدة المناطق الداخلية من آسيا الصغرى التي لم تتيسرّ لي مشاهدتها أثناء سفري من القسطنطينية الى طرابزون ، ولذلك قررت السفر مباشرة الى توكات وبهذه الصورة أصبح بالامكان المرور بجميع انحاء البلاد »[2] .

سافر ديوگاميل عن طريق ترجان ، وأرزنجان ، وقره حصار ، ونيكسور ، فوصل توكات ، وهي أفضل مدينة في هذا القسم من آسيا الصغرى : « فيها تجارة رائجة جداً للصناعات النحاسية ، والأقمشة القطنية والحريرية ، وتعتبر مدينة توكات في نفس الوقت مخزناً للبضائع والسلع المستوردة من القسطنطينية ، وبغداد ، وحلب ، وأرضروم . . . وأما النظافة التي يشعر بها المرء في توكات فانها من الأشياء النادرة جداً في المدن التركية . . . »[3] .

عاد السائح عن طريق أماسيا ، وميرزيفون ، وعثمان جيق ، وتوسيا ، وبولا ، وإيسنيك ثانية الى أسكودار . وفي طريقه من أماسيا حتى عثمان جيق جلب انشغال السكان بتربية دودة القز انتباه ديوگاميل ، ثم توجه الى كوجه كيسار، ويقول انه « يشاهد المرء في جانبي الطريق قطعان الماعز وهي كثيرة جداً ، ويكاد أن يكون شعره من حيث الدقة والملمس الناعم أفضل من شعر الماعز الأنغورى ؛ أما جلود الماعز هنا فهم يصبغونها باللون الاحمر والازرق ، ويستعملها الترك عادة كمفروش يجلسون عليها[4] .

---

(*) سرعسكر: (رئيس العسكر) وهو القائد العام للقوات المسلحة التركية قديماً، ثم اصبح لقباً لوزير الحرب في السلطنة العثمانية (المترجم).

(١) «سيرة اليكساندر أوسيپوڤيچ ديوگاميل بقلمه»، موسكو، ١٨٨٥، ص ٣٣ - ٤٠ .

(٢) المصدر السابق، ص ٣٨ .

(٣) المصدر السابق، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٤) المصدر السابق، ص ٤٠ .

هذا وكان ديوگاميل في ذلك الوقت واحداً من الروس الاوائل الذين سافروا الى آسيا الصغرى من الجهة الشرقية . ثم توجه من القسطنطينية الى بورگاس . ويذكر ديوگاميل بأنه في فترة وصول القوات الى روميلي كانت العلاقات الطيبة سائدة بين الجنود الترك والروس .

## رحلة موراڤييڤ (أ. ن.)

بعد انتهاء حرب ١٩٢٨ - ١٩٢٩ قام برحلته الى فلسطين الكاتب اللاهوتي الشهير ، والمؤرخ البورجوازي للكنيسة الارثوذوكسية ، والموظف في الشعبة الديبلوماسية التابعة لأركان الجيش الثاني آنذاك أندري نيكولاييڤيچ موراڤييڤ (١٨٠٦ - ١٨٧٤) ، وهو شقيق أحد المشاركين في الجمعية السرية للديسمبريين « اتحاد اليسر » اليكساندر موراڤييڤ .

كان الوازع الديني من أسباب قيامه بالرحلة ، لذلك يتضمن كتابه[١] القضايا الدينية وتشغل فيه الجانب الكبير . ويعتقد ڤ. ن. خيتروڤو بأن أ. ن. موراڤييڤ « هو أول من كتب باللغة الأدبية ، وأما ما كتب قبله في هذا الصدد فهو دون ريب كتابات حجيج غير متعلمين[٢] » .

ويصف موراڤييڤ أدريانوپول في سنة ١٨٢٩ وذلك بعد ان احتلها الجيش الروسي ، وبقي فيها مدة ثلاثة أشهر : « في فترة الثلاثة الأشهر لم يحدث أي خصام حتى وإن كان صغيراً بينهم [ الروس والترك ] ، ولم يستطع أي مظهر من مظاهر الفوضى والشغب أن يحدث أي تدهور في خلق الروس . إن هذا الوضع غير المعتاد الذي كان يضطر الأجانب أن يندهشوا رغماً عنهم . . . أصبح في النهاية مسألة طبيعية تماماً . »[٣] .

وهناك صور طريفة لانطباعاته وملاحظاته عن استعراض القوات الروسية في

---

(١) «رحلة الى الأماكن المقدسة في سنة ١٨٣٠»، القسم ١ و٢، الطبعة ٣، سانت پيتر سبورغ، ١٨٣٥ .

(٢) ڤ. خيتروڤو، فلسطين وسيناء، القسم ١ ، النشرة ١ ، سانت پيترسبورغ، ١٨٧٦ ، ص ٤٢ .

(٣) «رحلة الى الأماكن المقدسة في سنة ١٨٣٠»، القسم ١ ، ص ١٢ .

أدريانوپـول ، الذي كان الوجهاء الترك يتوقون إلى مشاهدة ذلك الاستعراض ، وعن المظهر الخارجي للقسطنطينية .

ومـن القسطنـطينية توجــه موراڤييڤ الى مصر ، زار فيهــا الاسكنــدرية ، والقاهرة ، وعرج على الأهرام .

ولقد صور انطباعه الأول عن الاسكندرية بالأسلوب التالي: « كانت وجـوه السكان شاحبة وهزيلة ، هم يتجولون كالاشباح المشردة في أردية بيضاء أو زرقاء في الأسواق القذرة والضيقة ، كانوا يسيرون وراء جمالهم وحميرهم النحيلـة . وإن كل شيء يحمل طابع الفقر والفاقة والكآبة المتناهية . . . »[1] .

وخلال رحلته في نهر النيل وقناة المحمودية ، يشير سائحنا مرة أخرى الى مظاهر البؤس والعوز : « إن فقر السكان كبير ، وقد بلغ حداً يشاهد المرء في الطريق ، وفي مسافة مسيرة ساعتين حتى نهر النيل ، وبدون توقف النساء والأطفال وهم يجمعون بنهم في سلالهـم العـدس الـذي كان يتناثـر من الأكياس [ المحمولـة على ظهـور الحمير ] ، وتتكرر هذه المشاهد بكثرة وفي مناطق كثيرة في مصر »[2] .

وبعد زيارة الأهرام واطلال ممفس توجـه أ . ن . موراڤييڤ بصحبـة احـدى القوافل عن طريق صحراء سيناء الى فلسطين . وعند مروره بغزة ، تناول المدينـة بالوصف على الشكل التالي : « إن هذه المدينة نشطة وفي حركة دائمـة ، وتمـر بهـا القوافل دون انقطاع . . . وتعتبر مدينة غزة في الوقت الحاضر واحدة من أغنى المدن في فلسطين بتجارتها ، وهي بالإضافة الى ذلك بمثابة مخـزن لكثـير من المؤ ن والمواد الغذائية التي ترسل الى الصحراء العربية ؛ وفيها يحصل البدو الذين يعيشون بالقرب منها على جميع المتطلبات المتواضعة لحياة التنقل والرحلة »[3]

ثم سافر أ . ن . موراڤييڤ من فلسطين الى بيروت .

---

(١) المصدر السابق، ص ٩٧ .

(٢) المصدر السابق، ص ١١ .

(٣) المصدر السابق، ص ٢١٣ .

« ان هذه المدينة . . . هي أغنى مدينة في شواطىء سوريا بمينائها الجيد الملائم ، وهو أفضل مكان لخزن السلع والبضائع للحفاظ عليها ، وقد جذبت المدينة الى نفسها قوافل الشرق »[1] . وفي طريق عودته مكث موراڤييڤ في قبرص ، وفي سميرنا ثم توجه في ٢ حزيران سنة ١٨٣٠ عن طريق آق ـ كيسار وباليكيسير الى القسطنطينية .

خصّص أ . س . پوشكين لرحلة أ . ن . موراڤييڤ جملة كلمات : « قرأنا بغبطة عفوية رقيقة كتاب السيد موراڤييڤ . . . قام برحلته عبر اليونان . . . هو لا يقف عند حد ، يتحرك ويستعجل ، ويتحدث مع المصلح المصري الغريب الأطوار ، ويتغلغل الى أعماق الأهرام ، ينزل الى الصحراء الزاخرة بالخيام السوداء للبدو وقوافل الجمال ، يدخل ارض الميعاد ، وأخيراً يشاهد بشكل فجائي من الأعالي مدينة القدس »[2] .

وكتب ن . گ . چيرنيشيڤسكي بهذا الصدد أيضاً : « طالعت « رحلة الى الأماكن المقدسة » بارتياح ولذة ، وهي في الحقيقة تقرير في انطباعات صالحة وسعيدة لكاتب روسي مثقف يرقى غالباً بجلاله وببلاغته إلى الفصاحة »[3] .

والمعروف بهذا الشأن هو أن سعف شجرة النخل الذي جلبه موراڤييڤ معه الى روسيا قد أوحى الى م . ي . ليرمونتوف الخيال والقدرة ، فانسابت قصيدة « قل لي يا غصن فلسطين » من أعماق قلبه .

وبعد مرور عشرين سنة ، قام أ . ن . موراڤييڤ برحلته الثانية الى الشرق الأوسط[4] . ولقد زار فيها القسطنطينية ، وجزر پريتسيڤا ، وبروسه ، وأيون ، وسالونيك ، وآثينا ، ثم بيروت ، وسوريا ، وفلسطين .

---

(١) المصدر السابق ، القسم ٢ ، ص ٢٦٤ .

(٢) أ . س . پوشكين ، مجموعة الأعمال الكاملة ، المجلد ٧ ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٩ ، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

(٣) ن . گ . چيرنيشيڤسكي ، مجموعة الأعمال الكاملة ، المجلد ٢ ، موسكو ، ١٩٤٩ ، ص ٥٢٠ .

(٤) أ . ن . موراڤييڤ ، رسائل من الشرق في سنوات ١٨٤٩ ـ ١٨٥٠ ، القسم ١ و٢ ، سانت پيتر سبورغ ، ١٨٥١ .

وفي « رسائل من الشرق » يقدم لوحة رائعة جميلة لبروسة ، ومساجدها ، ويصف أديرة أيون بأسلوب فصيح وكذلك الأماكن المقدسة في مدينة القدس .

وتثير رسالة أ . ن . موراڤييڤ المؤرخة في ٩ كانون الأول سنة ١٨٤٩ اهتماماً كبيراً ، يتحدث فيها الكاتب عن رحلته الى لبنان وسوريا : « ينبغي على المرء أن يدهش بالجهود التي يبذلها المارونيون في الجبال ، انهم يزرعون أينما كان حتى في التربية غير الصالحة للزراعة والممزوجة بالأحجار الناعمة . وتمتد بصورة متلاحقة حقولهم الضيقة وبساتين الزيتون على شكل مساطب من أعالي الجبل حتى أعماق الأودية ، وتنتشر قراهم في الأماكن العالية غالباً ، وتوجد أحياناً حول قلاع الشيوخ أيضاً »[١]

وزار موراڤييڤ بعلبك[٢] ( هيكل اله الشمس ) : « بعلبك الجبارة . . جنحت شمس الشتاء نحو الأصيل ، وعكست لونها الذهبي على الأعمدة العجيبة لهيكلها ، الهيكل الذي اصفر بمرور الزمان . . . ومن القمم العالية تراءت لنا الأطلال الضخمة بكامل فخامتها . . . »[٣]

« وكلما يقترب المرء من دمشق يشاهد افتقار الجبال الى السكان : وأخيراً ظهر بشكل مفاجىء من وراء كتل تلك الجبال الجيرية سهل دمشق الباهر الفسيح بجميع ابعاده ، حتى جبال حران البعيدة ، وكانت عاصمة الخلفاء نفسها قريبة منا ؛ المدينة التي أبدعت الأغاني والأناشيد الشرقية ، وخلقت حكايات الف ليلة وليلة الممتازة ، والخيال العربي الفريد . . . ثم يغيب سحر المياه الرقراقة والبساتين . وعند الدخول الى المدينة نفسها ، تشاهد القاذورات في الأرض كما هي الحال في جميع المدن التركية ؛ أما جمال البيوت وثراء السكان فيكمنان في داخل المنازل ، وحيثما عاش أصحاب

---

(١) المصدر السابق، القسم ٢ ، ص ١١٥ .

(٢) بعلبك : مجموعة هياكل أقيمت تكريماً لجوبيتر وباخوس وڤينوس في القرن الأول ـ الثالث بعد الميلاد . وان اكثر الأبنية فخامة من حيث الفن المعماري هو هيكل جوبيتر .

بقيت الى يومنا هذا ستة أعمدة من هيكل جوبيتر (كان عدد الأعمدة ٥٤ عموداً)، وبعض اجزاء الجدران والسلالم وآثار المذبح، وبقي أيضاً جزء من هيكل باخوس وهيكل ڤينوس . وتشاهد على جدران الهياكل والأعمدة رسوم بارزة وتماثيل .

(٣) أ . ن . موراڤييڤ، رسائل من الشرق في سنوات ١٨٤٩ ـ ١٨٥٠ ، القسم ٢ ، ص ١٢٠

المنازل حياة مترفة ، تقابلها مظاهر الفقر بصورة واضحة وبارزة »[1] .

وعلى العموم ينعكس في وصف الرحلة الثانية وإلى حد كبير جداً وأكثر من الرحلة الأولى المزاج الديني المتصوف المبهم للمؤلف الذي تكوّن خلال السنوات العشرين التي درس فيها موراڤييڤ تاريخ الكنيسة بشكل متقن ودقيق .

واخيراً ان كتاب موراڤييڤ وهو سجل لملاحظات مسافر يكون بدون شك مصدراً قيماً لدراسة سوريا وفلسطين .

## رحلة پوشكين

من المعروف ان اليكساندر سيرگييڤيچ پوشكين قام برحلته الشهيرة إلى أرضروم في فترة حرب سنة ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩[2] . بقيت نسخة مخطط الطريق الذي سلكه في رحلته من تفليس حتى أرضروم محفوظة ، وكان ديلڤيگ هو الذي استنسخها ، وقد دخلت هذه النسخة في سنة ١٨٣٠ في هوامش[3] كتاب « رحلة إلى أرضروم » .

سافر الشاعر عن طريق تفليس الى قلعة گومري ( مدينة لينينكان حالياً ) . ثم سلك الطريق خلال قرية جاموملي ، وخليف ـ اوغلي ، ومدينة قارص ، وقرية كوتانلي ، واطلال چيريخلي ، ونهيري اينجه ـ سو ، وگونگير ـ سو ، وقلعة زيوان ، وقريتى أردوس ، وكيپيريكيوف ، وقرية حسن قلعة ، حتى وصل الى أرضروم .

ومن قارص حتى المعسكر الواقع على ضفاف نهر قارص ـ چاي ، كان پوشكين « يسير في أرض مزروعة بالقمح ، وكانت القرى تشاهد في جميع الجهات ، غير انها كانت خالية : لأن سكانها كانوا قد هجروها . وكان الطريق ممتازاً ولكنه

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(٢) «رحلة الى أرضروم في فترة حمله سنة ١٨٢٩»، أ.س. پوشكين، مجموعة المؤلفات الكاملة، المجلد ٦، موسكو ـ لينينغراد، ١٩٤٩، ص ٦٣٧ ـ ٦٩٩ .

(٣) المصدر السابق، ص ٧١١ ـ ٧١٢، والملاحظات في ص ٧٨٩ .

كان موحلاً في الأماكن التي تكثر فيها المستنقعات ، وقد أقيمت على الجداول الصغيرة قناطر حجرية . والأرض كانت ترتفع بشكل ظاهر ، وبدأت تتراءى للعين التلال والهضاب الأمامية لسلسلة ساگـانلو ( طوروس القديمة )[1] . . .

ويقول پـوشكين عن طريقه الى أرضروم حينما ترك وراءه جبـال ساگـانلـو المكسوة بالثلوج والغابات : « إننا شاهدنا نهر آراس وهو يجري بسرعـة في ضفافـه الصخرية . وعلى مسافة ١٥ فرسخاً من حسن قلعة كانت هناك قنطرة جيدة وقوية مبنية على سبع قباب غير متساوية . . .

وتعتبر حسن قلعة مفتاح أرضروم ، والمدينة مبنية على سفح صخرة كبيرة تقوم في أعلاها قلعة »[2] .

ثم زار پـوشكين النبع الساخن المشبع بالأملاح الحديدية والكبريتية : « في ٢٦ حزيران كنا في الجبال على بعد خمسة فراسخ من أرضروم . والجبال هذه تسمى بآق داغ ( الجبال البيضاء ) ، وهي جبال جيرية . . . »[3] .

وفي ذكرى موقعة پـولتافا في ٢٧ حزيران سنة ١٨٢٩ ، عندمـا سلـم التـرك المدينة الى القوات الروسية ، كتب پـوشكين : « اننا دخلنا الى المدينة ، وهي تظهر بصورة عجيبة . وكان الترك ينظرون الينـا بوجـه عابس ، واما الأرمـن فكانـوا يتزاحمـون بصخـب في الطريقـات الضيقـة . . . وكانـت شوارع المدينـة ضيقـة ومتراصة ، والمنازل عالية جداً ، والناس كثير ، والحوانيت كانت مغلوقة . . .

وتعتبر أرضروم المدينة الرئيسية في تركيا الآسيوية . فيها من السكان مائة الف شخص ، غير أن هذا العدد مبالغ فيه الى حد كبير . البيوت هنا مبنية بالأحجار ، والسقوف مكسوة بالأعشاب ، مما تجعـل المدينـة ان تكون في منظـر غريب جداً ، وبالأخص عندما تنظر اليها من مكان مرتفع .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٧٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٨٦ ـ ٦٨٧ .

(٣ المصدر السابق ، ص ٦٨٨ .

وتتم التجارة البرية الأساسية بين أوروبا والشرق عبر أرضروم . الاّ أن البضائع والسلع تباع فيها بقلة ، ولا تخزن فيها الأموال التجارية . . .

ومناخ مدينة أرضروم قاس، وهي مبنية في قاع منخفض ، يعلو من سطح البحر بمقدار سبعة آلاف قدم . وتكسو الثلوج الجبال المحيطة بها في أغلب أيام السنة . والأرض خالية من الغابات ولكنها مثمرة وخصبة . وهي تروى من ينابيع غزيرة ، وتمتد قنوات المياه الى كل مكان . وتشتهر أرضروم بمياهها ، والفرات يجري على بعد ثلاثة فراسخ من المدينة . والنافورات كثيرة وهي في كل مكان . كل انسان في هذه الأصقاع يحمل بوتقة في الصفيح مربوطة بسلسلة ، والمسلمون الطيبون يشربون الماء بكثرة ولا يملون من شربه »[١] .

وأشار الشاعر إلى أن في المدينة التي يحتلها الجيش الروسي قوامه عشرة آلاف محارب « لم يشتك أي شخص من سكان المدينة حتى مرة واحدة من تسعف جندي روسي »[٢] .

وكتب العالم الخبير في شؤون القفقاس ف. أ. پوتو في أحد كتبه : « كانت الحرب في تركيا الآسيوية في سنة ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ القفقاسية ، وهي غنية بانتصارات مجيدة بشكل خارق ، وتتلألأ بأسماء جديرة بأن تحتل مكاناً بارزاً في التاريخ. غير ان المرء يصادف من بين الأسماء الضخمة لهؤلاء المحاربين المتوجة بأكليل من الغار الدامى ، اسم الشاعر الأعظم اليكساندر سيرگييڤيچ پوشكين وهو الاسم العزيز لروسيا. . .

وينتمي پوشكين الى القفقاس كشاعر أهداها قصائد مستوحاة منها ، وكرجل شارك مع القوات القفقاسية في حملاتها الحربية ، وفي أعمالها والمخاطر التي صادفتها »[٣] .

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٩٠ ـ ٦٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٩٦.

(٣) ف. پوتو، الحرب القفقاسية في بعض من الأحداث والأساطير والسير، المجلد ٤، النشرة ٤، تفليس، ١٨٨٨، ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨.

# رحلة ليـپـيراندي

يعود نشاط الضابط ( الجنرال فيما بعد ) أ . پ . ليـپـراندى (١٧٩٠ ـ ١٨٨٣) الذي درس تركيا الاوروپـية طيلة سنوات عديدة الى فترة حرب ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ وما قبلها .

لقد حاز ليـپـراندي شهرة محزنة في قضية الـپـيتراشيفيين(*) . وكان نشاطه من أسباب تدمير جماعة الـپـيتراشيفيين .

إلاّ انه مع ذلك لا نعتقد بوجود أي مبرر لغض النظر عن أعمال ليـپـراندى في حقل دراسة الشرق الأوسط التي خصص لها سنوات كثيرة من عمره .

يذكرليـپـيراندى بأنه بدأ بدر اسة تركيا الاوروپـية في بيسارابيا . وسافر في فترة ظهور جماعة كَيتيريا(١) اكثر من مرة الى القلاع التركية ، وجمع معلومـات عن أعمال الترك في أمارات حوض الدانوب . وأُرسـل في بعثـة الى القـلاع التـركية في سنـة ١٨٢٦ ، وفي سنة ١٨٢٧ زار پـروت والدانوب ، وفي الفترة التي سبقت الحـرب وضع نشرات وتقارير منتظمة بالمعلومات التي كان يعرفها(٢) . وقاد ليـپيراندى في سنة ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ حملة فصائل الأنصار المتطوعين . وبعـد ذلك زار أمـارات حوض الدانوب في سنة ١٨٣٦ . وكانت المواد التي جمعهاليـپيرانـدىفي الحقبـة التـي كان يتجول فيها في تركيا الأوروپـية ، وكذلك المصادر التي جمعت ونسقت من المصـادر الأدبية قد نشرت فيما بعـد بوقـت طويل ، أي قبيل الحـرب الـروسية ـ التركية في ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ . ولا ريب بأن أعمال إ. پ . ليـپـيراندي تعـكس معلومـات عن

---

(*) يراجع عن قضية الپيتراشيڤيين أو جماعة الپيتراشيڤيين: «تاريخ الاستشراق والدراسات العربية والكردية في المتحف الاسيوي ومعهد الدراسات الشرقية في لينينغراد ١٨١٨ ـ ١٩٦٨»، الفه باللغة الروسية مجموعة من المستشرقين السوڤيات ، ترجمه وعلق عليه وقدم له الدكتور معروف خزنه دار ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٢٧٥ .

(١) گـيتيريا: جمعيات سرية وطنية ( اتحاد ) ، أسسها بعض اليونانيين في نهاية القـرن الثامـن عشر وبداية القرن التاسع عشر في سبيل النضال ضد الحكم التركي ، والكلام هنا عن الجمعية التي تأسست في مدينة أوديسا في سنة ١٨١٤ .

(٢) « قراءات في جمعية التاريخ والتاريخ القديم للامبراطورية الروسية في جامعة موسكو » ، الكتاب ٣ ، موسكو ، ١٨٧٧ ، ص ٥٣ ـ ٨٠ .

الجغرافيا الطبيعية والاقتصادية ، واتنوغرافية مناطق تركيا الأوروبية ، وتتضمن كذلك الشؤون السياسية والعسكرية في ذلك الزمان . وقد اهتم اهتماماً كبيراً بوصف بولغاريا وأمارات حوض الدانوب[1] .

وكانت أعمال ليپراندى قد نشرت في طبعات مستقلة ، كما وطبعت في « الارشيف الروسي » .

ويتكلم الصحفي إ. أ. أرسينييڤ عن ليپراندى كما يتكلم عن لغوي مثقف ذي ثقافة انسكلوپيدية قام بجمع مكتبة واسعة وعامرة عن الشرق الأوسط[2] .

أما عن مكتبته فقد كتب ليپيراندى نفسه : « في مكتبتي يوجد كل ما نشر عن تركيا بجميع اللغات ، منذ البداية الأولى لظهور الكتاب المطبوع وحتى سنة ١٨٥٣ . وقد بدأت بجمع الكتب منذ سنة ١٨٢٠ ، وفي سنة ١٨٣٠ أصبحت المكتبة معروفة لدى المجتمع العلمي الأوروبي » .

ويعتقد پ . بارتينيڤ بأن ليپيراندى كان بشكل أو بآخر أحد المعارف المقربين من أ . س . پوشكين في مدينة كيشينيوف ، وكان الشاعر غالباً ما يستعير الكتب من ليپيراندى « الذي كان يملك في ذلك الوقت مجموعة ممتازة ومتنوعة من الكتب الاتنوغرافية والجغرافية »[3] .

## رحلة موراڤييڤ (ن . ن)

ان الأحداث المتعلقة بالحرب التركية ـ المصرية الأولى في سنوات ١٨٣١ ـ ١٨٣٣ ( انتفاضة محمد علي ) ، وإنزال الفيلق الروسي في البوسفور ، وتوقيع معاهدة هنكاراسكله سي في سنة ١٨٣٣ وجدت لها انعكاساً في أعمال ن . ن . موراڤييڤ[4] ، أخ الكاتب أ . ن . موراڤييڤ . ( وقد مرّ ذكره كرحال ـ م . خ . ) .

---

(١) يراجع : « دليل جميع المطبوعات الدورية لجمعية التاريخ والتاريخ القديم للامبراطورية الروسية التابعة لجامعة موسكو ( عن ٦٨ سنة : ١٨١٥ ـ ١٨٨٣ ) ، موسكو ، ١٨٨٣ ، ص ١٧٢ .

(٢) مجلة « السنابل » ، العدد ٥ ، ١٨٨٥ ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٣) پ . بارتينيڤ ، پوشكين في جنوب روسيا ، « الأرشيف الروسي » ، النشرة ٨ ـ ٩ ، ١٨٦٦ ، ص ١١٢٦ ، ١١٤٠ ، ١٢٧٤ .

(٤) « تركيا ومصر في مذكرات ن . ن . موراڤييڤ ( كارسكي ) ١٨٣٢ ـ ١٨٣٣ » ، المجلد ١ ـ ٤ ، موسكو ، ١٨٦٩ .

كان المشارك في العمليات الحربية ضد فارس في سنة ١٨٢٦ ـ ١٨٢٧ ، والحرب الروسية ـ التركية في سنة ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ الجنرال ن . ن . موراڤييڤ قد أرسل في سنة ١٨٣٣ الى القسطنطينية ضمن ملاك البعثة الديبلوماسية التي كانت تعمل في سبيل إيقاف العمليات الحربية لباشا مصر ضد الحكومة العثمانية ( الباب العالي ) . وقاد ن . ن . موراڤييڤ فيما بعد القوات الروسية التي نزلت في البوسفور .

وكانت مذكرات موراڤييڤ وملحقاتها التي تتضمن نسخاً من تقاريره ورسائله معروفة بصورة جيدة . ولا تنحصر أهميتها للمؤرخ فقط وإنما لها أهميتها للجغرافي والاتنوغرافي أيضاً . والملاحظات والانطباعات التي دونها عن الناس وحياتهم ، وعن مدينتي القسطنطينية والاسكندرية معبرة وصائبة .

« اننا نكشف هنا في الاسكندرية عن مناظر تلاحظ في مصر تظهر في صور النساء اللاتي يحملن الجرار على رؤوسهن وهي مليئة بالماء ، وهن يتحركن كأنهن شخصية جميلة واحدة ، ومن بعيد يذكرن المرء بالتماثيل الرشيقة الانيقة لفناني الاغريق القدماء . إلاّ ان السحر يتلاشى عندما نقترب منهن : هنا تبرز الوجوه المنهوكة النحيفة المغطاة بالاسمال البالية . اما بائعات الفواكه وعلى الأخص بائعات البرتقال فيتجمهرن في الشوارع ويملأن الجو بالضجيج والصياح والصخب الحاد ، وكانت هذه الأصوات العالية كما ترجموها لي في الغالب عبارة عن مجرد إطراء للبضائع ، يستعملن فيها أنواع التشبيهات والاستعارات والاشعار »[١] .

وقد ساعد وجود القوات الروسية في البوسفور التي كان يقودها ن . ن . موراڤييڤ إمكانية القيام بمسح جانب من المنطقة . ولقد تم رسم مضيقي البوسفور والدردنيل ، وقلاع الشاطىء الآسيوي ، ووضعت خطط مفصلة للمناطق القريبة من شواطىء القسم الآسيوي لتركيا[٢] .

وكان ن . ن . موراڤييڤ أول أوروبي قدمت له التسهيلات اللازمة لمشاهدة

---

(١) المصدر السابق ، المجلد ٣ ، ص ٨٨ .

(٢) ن . ن . موراڤييڤ ، الروس في البوسفور ، موسكو ، ١٨٦٩ ، الملاحظات ١ ، ص ٣٦ ـ ٥٨ .

مخازن الأسلحة في باحة السراي القديم حيث يحفظ فيها عدد كبير من الدروع والخوذ والأسلحة القديمة ، وهي تعود الى عهود الفروسية .

## رحلة ديوگـاميل
## (٢)

كان أ . أو. ديوگـاميل أحد المشاركين في حملات ن . ن . موراڤييڤ . وقد أشغل منصب القنصل العام في مصر منذ سنة ١٨٣٤ وحتى سنة ١٨٣٧ .

ولدى دراسة أ . أو. ديوگـاميل لمصر بشكل متقن توصل الى استنتاج هو أن : « مصر أصبحت خالية من الناس ، والمناطق التي جرى الاستيلاء عليها لا تطمئن الى نوع الحكم السائد فيها ، والناس ينتظرون بفارغ الصبر الفرصة المناسبة لدفع الظلم البغيض عن أنفسهم »[١] .

وزار ديوگـاميل في نفس الفترة بيروت وعدداً من مدن لبنان الأخرى ، وسوريا وفلسطين التي انتقلت الى الإدارة المصرية في سنة ١٨٣٣ . وقـد أشـار هو إلى أن الحكم المصري في سوريا « كان ظلماً ثقيلاً جداً على الشعب لأن الضرائب الباهظة والتجنيد الإجباري لم يكونا معروفين لديه قبل ذلك الوقت ، وكانت هذه الظاهرة بصورة عامة وازعاً لإثارة كره شديد ضده من أفراد الشعب كافة . غير أنه ، وبالرغم من هذا ، نرى من الجهة الأخرى ان الحكم المصري قدنجح باجراءاته الصارمة في تأمين النظام في البلاد ، حيث كانت الفوضى سائدةً في السابق بشكل تام . أمـا في الوقت الحاضر ، فبالامكان السفـر والتنقـل في جميع أنحـاء سوريا من أقصاها إلى أقصاها بدون أي حارس ودون التعرض لأي خطر مهما كان ضئيلاً »[٢]

ومع ذلك يشير ديوگـاميل ، وهو الخبير الممتاز في الوضع السياسي لتلك الحقبة من الزمان ، إلى أنه بعد وقوع سوريا تحت سيطرة مصر : « انخدع جميع السـكان المسلمين في توقعاتهم وتوصلوا إلى قناعة بأن الحكم المصري أكثر تعسفاً من الحـكم

---

(١) « سيرة اليكساندر أوسيپوڤيـچ ديوگـاميل بقلمه » ، ص ٧٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٧٦ ـ ٧٧ .

التركي »[1]

ويصف ديوگاميل بوضوح شخصية محمد علي : « . . .لقد سنحت لي الفرصة أن أكون في علاقات عملية مع كثير من ذوي المقامات العليا من الترك ، غير أنني لم أشاهد حتى شخصاً واحداً من الممكن ، وبأي شكل من الاشكال أن يقارن بمحمد علي . . . انه لم يتلق أي نوع من التعليم ، ولا يعرف الكتابة مطلقاً ، أما قراءته فهي رديئة ؛ إلاّ أنه يتمتع بالشيء الذي لا يستطيع أي تعليم أن يقدمه وهو : الحس المرهف في جميع القضايا ، ومعرفة الناس ، واتقاد الذهن ، والقدرة لإدراك كافة القضايا الخطيرة . وكان له الإمكانية والقدرة أن يكون سنداً للإمبراطورية العثمانية إذا ما استطاع السلطان ان يستميله اليه »[2] .

ثم يتكلم ديوگاميل عن رحلته بالقارب في أعالي نهر النيل : « إنني صعدت حتى أسوان . وهي تقع في المنطقة الإستوائية ؛ وهناك بالقرب منها مقالع حجر الغرانيت ، حيث كان الفراعنة يجلبون الحجر منها لنحت النصب التذكارية ، والمسلات ، وأبي الهول ، وأسس البوابات ، وما شابه ذلك . . . وبتعبير آخر جميع ما استعملوه من الأحجار لتجميل الآثار التي شيّدوها ، لأنه لا يقدم حجر الغرانيت أي سهل في المناطق الجبلية التي تحاذي وادي النيل عدا أسوان »[3]

وكان ديوگاميل يهتم بكل شيء . ففي رسائله التي كان يبعثها الى أبيه يصف عادات وتقاليد السكان ، وأنظمة الحكم ، والنباتات المختلفة المتنوعة ، ونظام ري الحقول بأشكاله المتباينة ، والآثار ، والعاديات التاريخية .

## رحلة الفنانين
## بريولوڤ وداڤيدوڤ وبيفيموڤ

زار الفنان المعروف ك. پ . بريولوڤ الجزر الأيونية واليونان وتركيا في سنة

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٧٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٧٤ .

١٨٣٥ . وقد أخذ باقتراح وملاحظات ف. پ . داڤيدوف المحب للعلم والفن ، وتوجه في بعثة غير كبيرة بمحاذاة شواطىء آسيا الصغرى واليونان . وقد التحق به عضو أكاديمية الفنون الروسية المهندس المعماري ن. ي. ييفيموف .

خرج المسافرون من ايطاليا في مايس سنة ١٨٣٥ وزاروا الجزر الأيونية ، ووصلوا الى سميرنا في شهر تموز .

هنا وفي السفارة الروسية تعرف ڤ. پ . داڤيدوڤ بالمهندس الجيوديسي م. پ . ڤرونچينكو الذي كان في ذلك الوقت قد انتهى من وضع الخريطة الطبيعية لآسيا الصغرى .

وفي القسطنطينية استطاع داڤيدوف وجماعته زيارة حرم آياصوفيا المكان الذي لم يكن في متناول المسيحيين في ذلك الزمان . وقد اهتم داڤيدوڤ بوجه خاص في مذكراته [١] بالهندسة المعمارية وتخطيط بنايات ومنازل المدن ؛ ويصف سوق العبيد ، وهو المشهد المقرف والقبيح ، وكذلك القصر السلطاني . « تشبه القسطنطينية المناظر المسرحية (الديكورات) ، فهي مدينة متألقة مثلها، وتثير تماماً نفس الإهتمام الذي يثيره المشهد المسرحي الذي نراه لأول مرة في حياتنا. وبدخولنا وراء الكواليس ، يكون عجبنا شديداً لما في المسرح من القذارة ، والفقر ، والبشاعة التي أغوتنا من بعيد . فالشوارع ضيقة ، ومتعرجة وغير نظيفة ، والمنازل من الأخشاب وهي منقوشة بألوان مختلفة ، يأتي الواحد بعد الآخر وكلها متلاصقة مما يسبب تشويه المنظر »[٢]

ثم « سافر الرحالة الى أيون وزاروا أطلال وخرائب طروادة وبروسه . وفي دفتر مذكراته صور داڤيدوڤ بصورة دقيقة مشاهد الحياة اليومية المختلفة ، ووصف سميرنا ، والدردنيل ، والقسطنطينية ، وجزر پرينتسيڤ ، وبروسة . والتقى داڤيدوڤ في القسطنطينية وفي السفارة الروسية بـ پ. أ. چيخاچيڤ الباحث الشهير

---

(١) مذكرات الرحلة المدونة في فترة زيارة الجزر الأيونية واليونان وآسيا الصغرى وتركيا في سنة ١٨٣٥ من قبل ڤلاديمير داڤيدوڤ » ، القسم ١ ـ ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٣٩ ، ١٨٤٠ .

(٢) المصدر السابق ، القسم ٢ ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

فيما بعد لألتاي وآسيا الصغرى . وفي ١٧ تشرين الأول سنة ١٨٣٥ كتب بهذا الصدد : « كان چيخاچيف الشاب المنسب للعمل ضمن البعثة الموجودة هنا ، قد عاد من الرحلة الطويلة والخطرة الى مصر ، وعرج على أماكن طريفة مختلفة في آسيا الصغرى ، وفي جزيرة رودوس نجا من الموت بأعجوبة من الكارثة التي صادفت السفينة »[١] .

وأخيراً أوحت الرحلة التي قام بها إلى بلدان الشرق الأوسط الى بريولوف أن يكتب ويرسم موضوعات وأنماطاً تجسدت فيما بعد في الصور التالية : ( « الفتاة التركية وغطاء الرأس»، «المرفأ في القسطنطينية»، «نافورات حديقة القصر (باغچه سراي ) » ، « الترك الذين يمتطون الخيول » ، « مياه الشرب في القسطنطينية » ، « موعد حب في تركيا » ، « المقبرة التركية في أسكودار » وغيرها )[٢] .

## رحلة ڤرونچينكو

كان ميخائيل پاڤلوڤيچ ڤرونچينكو واحداً من مشاهير الرحالة الروس في القرن التاسع عشر . ولد في سنة ١٨٠١ في محافظة ماگيليڤسكي من أسرة دينية . درس الإبتدائية ، ثم تلقى العلم في كلية اللغات بجامعة موسكو ، وقبل أن ينهي الدراسة دخل في الخدمة العسكرية . وفي سنة ١٨٢٣ أُرسل وهو برتبة ملازم ثان الى محافظة ليتوڤسك ـ ڤيلينسك لأنجاز المسح التوبوغرافي . وبطلب خاص توجه في سنة ١٨٢٤ الى جامعة ديرپتسك حيث استمع الى محاضرات البروفيسور المعروف ڤ.ي. ستروڤي ( فيما بعد مدير مرصد پولكوڤسكي) في الجيوديسي والفلك ، ومحاضرات الأساتذة الآخرين أيضاً لمدة ثلاث سنوات . ثم درس اللغة الالمانية واللغة الانكليزية دراسة جيدة الى حد الاتقان ( ودرس فيما بعد التركية ، والبولغارية ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .

(٢) يراجع : قائمة بأسماء مؤلفات ك . پ . بريولوف في كتاب أو . لياسكوڤسكي « ك . پ . بريولوف ، موسكو ، ١٩٤٠ ؛ ويراجع أيضاً : « ك . پ . بريولوف » ، تصنيف وتقديم البروفيسور ن . گ . ماشكوفتسيڤ ، موسكو ، ١٩٥٢ ، ص ٨ .

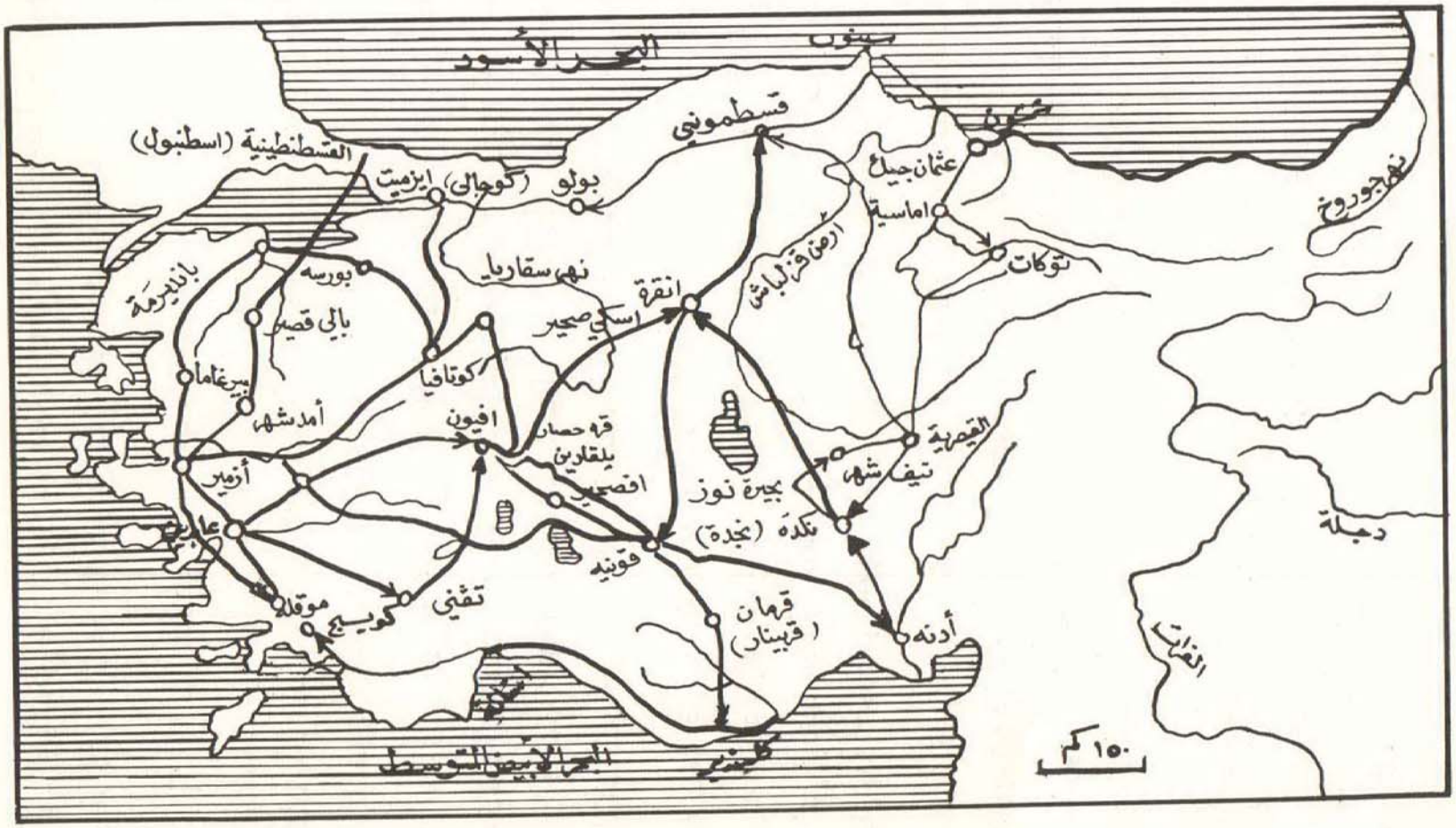


خارطة طريق . م . پ . ڤرونچينكو

خط ورسم خالد الخالدي

واليونانية القديمة والحديثة ) ، وقد تحول م. پ. ڤرونـچـينكو الى مترجم ممتاز[1] . كتب ڤ. كَ . بيلينسكي عن ترجمته لـ « هاملیت » : « . . . ان عمل ڤرونـچـينكو جدير باحترام كبير ؛ وقد قدم الكثير في سبيل التعرف على شكسـپـير »[2] .

وبعد إكماله الدراسـة في جامعـة ديرپـتسـك عاد م. پ . ڤرونـچـينكو الى پـيترسبورغ للعمل في الوزارة الحربية . أما في فتـرة حرب ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ وبعـد انتهاءها فكان يعمل ضمن الفرقة الجيوديسية التي قامت بمسح جيوديسي في مولداڤيا ، وڤالاكيا ، وبولغاريا ، وروميلي ، وصربيا .

وكان ڤرونـچـينكو قد كلف في سنة ١٨٣٣ للقيام بدراسة متقنة ودقيقة لآسيا الصغرى وكانت العلاقات الروسية ـ التركية التي تكوّنت بعد توقيع معاهدة هينـكـار ـ اسكله سي في سنة ١٨٣٣ تساعد على تسهيل هذا العمـل . ولأجـل تحقيق هذا الغرض بالذات كان قد عينّ سكرتيراً للقنصلية العامة في سميرنا[3] ( إزمير ) .

وخلال ما يقارب الثلاث سنوات من اقامة م. پ . ڤرونـچـينكو (١٨٣٤ ـ ١٨٣٦) في آسيا الصغرى قام بعدد من الرحلات الى جهات وأصقاع مختلفة . بلغت المسافات التي قطعها بصورة عامة عشرة آلاف فرسخاً ، وأما الأراضي التي ارتادها فهي واسعة جداً تتحدد من الجهة الشرقية بخط سامسون ـ توكات ـ أدنة .

وبعد أن قطع م. پ . ڤرونـچـينكو آسيا الصغرى طولاً وعرضاً عاد الى پـيتر سبورغ في سنة ١٨٣٦ يحمل معه الشيء الكثير من المواد والمصادر والأدبيات عن البلاد التي قام بزيارتها . وقد أنجز تقارير كثيرة مزودة بعدد هائل من الخرائط والتصاميم والتخطيطات . ففـي مقدمتـه لكتابـه « استعـراض عن آسيا الصغـرى في وضعهـا

---

(١) أشهر ترجمات م . پ .ڤرونـچـينكو هي : « هاملیت » ( ١٨٢٨ ) ، « مـاكبيت » ( ١٨٣٧ ) لشكسـپـير ؛ « مانفـريد » ( ١٨٢٨ ) لبـايرون ؛ « فاوسـت » ( ١٨٤٤ ) لـگـوتـه ؛ القسـم الثانـي من « دزيادي » ( ١٨٢٩ ) لميتسكيڤيـچ .

(٢) ڤ . كَ . بيلينسكي ، المؤلفات ، المجلد ٢ ، دار نشر سولداتينكوف ، موسـكو ، ١٨٥٩ ، ص ٢٩٢ .

(٣) « ميخائيل پاڤلوڤيـچ ڤرونـچـينكو » ، سيرة حياته وضعهـا أ. ڤ. نيكيتينـكو ، « مجلـة وزارة المعارف الوطنية » ، تشرين الأول ١٨٦٧ ، ص ١٧ ـ ٤٥ . ( هناك في الملاحق مقتطفات من يومياته ) .

الحالي »[1] يقول م. پ . ڤرونـچـينكو بأن الكتاب يقوم على المبادىء التالية :

« ١ ـ استرشد بالمعلومات التي استطاع الحصول عليهـا هو نفسـه أو نتيجـة البحث والسؤ ال فقط ، ولم يستمد أو يقتبس أي شيء من الكتب المدونة عن آسيا الصغرى القديمة منها والجديدة . . .

٢ ـ درس ودقّق في المنظر الخارجي للأرض : الجبال ، والسهول ، والمياه ؛ وكذلك في محاصيل وإنتاج المنطقة ، أياً كان نوع هذه المحاصيل والإنتاج ، وقد تناول كل هذه الأمور في الناحية الجغرافية والاحصائية فقط ، ولم يدخل في أي نقاش من وجهة نظر الطبيعة التكوينية أو التاريخ الطبيعي .

٣ ـ وكتب عن الشعوب التي تسكن آسيا الصغـرى من حيث ( منازلهـم ، وحياتهم البيتية ، وأعمالهم ، وتجارتهم ، وعن الإدارة أيضاً ) على أساس حالتها في الوقت الحاضر .

كما ونرى بأن م. پ . ڤرونـچـينكو لم يضع لنفسه أية خطة تستهدف القيام بدراسة جيولوجية ، وزيولوجية ( علم الحيوان ) ، وآثارية ، أوعن تاريخ المنطقة .

ويتألف الكتاب عموماً من قسمين ، يضمان سبعة فصول . ففي الفصل الأول يرد وصف الأراضي ، وحدودها ، والشواطىء البحـرية ، والجبـال ، والسهـول ، والأنهار ، والبحيرات ، والمياه المعدنية ، والمناخ ، أي انه يقدم بتفصيل وبشكل جيد عرضاً للوضع الجغرافي الطبيعي . وفي الفصل الثاني يصف « منتجات » المنطقـة . وهو في الواقع عرض دقيق للوضع الإقتصادي الجغرافي . وفي الفصل الثالث ينظر في مسالة السكان وظروف السكن . وفي الفصـل الرابـع يصف أوضـاع المواطنـين في البلاد . أما القسم الثاني ( الفصل السادس والفصل السابع ) فقد ورد فيه وصف للمدن ، والعلاقات بين شعوب آسيا الصغرى ، وخصائص الفلاحـة والزراعـة ، ومميّزات الصناعة والتجارة . هذا ويقول ن. كـ . چـيرنيشيڤسكي عن كتاب م. پ .

---

(١) نشرات المركز الحربي ـ التويوغرافي » ، القسم ٣ ، سانت بيترسبورع ، ١٨٣٨ ، القسم ٥ ، ١٨٤٠ . وقد الحق بالاستعراض دفتر الملاحظات الفلكية في آسيا الصغرى . صدر الكتاب في سنة ١٨٣٩ ـ ١٨٤٠ بشكل مستقل بنفس الاسم وبنفس الحرفين الأولين من اسم المؤلف ولقبه ( م . ق. )

ڤرونـچـينكو : « كان بامكان العمل العظيم لڤرونـچـينكو ان يكون إنجازاً أساسياً في الأدبيات الغنية جداً ، غير أن المؤلف يتكلـم عن الوضـع الحـالي فقـط في آسيا الصغرى ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، وهذا أكثر أهمية ، ان العمل كتب بهدف جمع مواد ومراجع غنية للعلماء المختصين ، وليس لمطالعة الجمهـور الواسـع أبداً ، ولهذا السبب أعطى السـيد ڤرونـچـينكو لكتابه هذا طابعاً من شأنه أن يضيفه الى ما يسمى Handbuch'ov (*) الصعبة المنال للقارىء الإعتيادي . . . وان السيد ڤرونـچـينكو حينما يسرد المعلومات ( عن عادات وتقاليد الشعوب ) خلال عدد من فصول كتابه يثبت بأنه يتمتع بموهبة عظيمة كراوى ، إلاّ أنه يفضل بحق الأسلوب العلمي الجاف الذي منحه الطاقة والإمكانية أن لا يغض الطرف عن تفاصيل حتى وإن كانـت صغـيرة للقـارىء ، غـير انهـا شيء جوهـري للدراسـات الجغـرافية المتكاملة »[1] .

ويقول الأكاديمي ل . س . بيركَ[2] بأن م . پ . ڤرونـچـينكو كان يهتم بالقضايا الجغرافية بحماس ، وقد كان أحد مؤسسي الجمعية الجغرافية الروسية في سنة ١٨٤٥ مع آخرين كثيرين ، وهم وجوه جغرافية شهيرة ومعروفة بصـورة جيدة في تاريخ الجغرافية في بلادنا .

ومن الأهمية بمكان أن نقف بايجاز عند كتاب م . پ . ڤرونـچـينكو . ففـي مقدمة كتابه يقول :

« لا شك أن البقاء في المنطقة لمدة سنتين لا تكفي لدراسة عادات ، وتقاليد ، وشؤون الحياة اليومية للسكان بشكل مفصل ودقيق ، وبالإضافة الى ذلك ، ان الحياة الخاصة التي يحياها الترك لا تكون في متناول الأجنبي دائماً ، غير انها ليست في وضع لا يمكن اختراقها كما يتوهم الكثيرون من الذين كتبوا في هذا الموضوع . . . »[3] .

وأن المعلومات عن آسيا الصغرى لها أهميتها الكبيرة وهي قيمة وثمينة جداً ،

---

(*) أي الكتاب الأساس أو المرجع أو المصدر ( المترجم ) .

(١) ن . گ . چـيرينشيڤسكي ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢ ، ص ٥٣٧ .

(٢) ل . س . بيرگ ، الجمعية الجغرافية لعموم الاتحاد السوڤياتي في مائة سنة ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٦ ، ص ٣٧ ـ ٣٩ .

(٣) « نشرات المركز الحربي ـ التوبوغرافي » ، القسم ٣ ، ص ١٥ .

وخصوصاً ما جمعها الرحالة بصورة مباشرة في أماكنها . وقد دخلت انطباعات وملاحظات سائحنا الشخصية في بناء وصف الخلق ، ومميزات العادات والتقاليد ، والحياة اليومية للسكان .

وفي القسم الأول من الكتاب يقدم وصفاً شاملاً لدور السكن في المدينة والريف ، ويشير الى اختلاف دور المسلمين عن دور المسيحيين واليهود . وتبنى الدور من مواد البناء المختلفة حسب تباين المكان والمناطق ، لذلك تبنى الدور في شواطىء البحر الأسود من الأخشاب ، وأما في المناطق التي لا وجود للغابات فيها فتبنى الدور من الطابوق المصنوع من الطين والأحجار . وفي بعض المناطق الأخرى كالقيصرية ، ونوشهر ، فالمساكن عبارة عن كهوف محفورة في الصخور ، وقد تبنى جدران جنبها ، أو أمامها . أما البناء الداخلي للمساكن المبنية من الأخشاب في المناطق المركزية لآسيا الوسطى فهو بسيط جداً . هناك غرفتان عادة ، واحدة للرجال ، والأخرى للنساء .

ويصف ڤرونچينكو الخانات ، والمقاهي ، والمساجد ، والسجون ، والاسواق ، والحمامات ، وصالونات الحلاقة ، وبنايات المدينة ، وتوزيع المياه ، والتدفئة . ويشير الى أن توزيع السكان في آسيا الصغرى ليس بمستوى متساو او متكافىء : هناك أماكن مزدحمة ومليئة بالقرى ، تقابلها مساحات شاسعة لا وجود للناس فيها تقريباً[1] .

ونجد في فصل « التكوين السكاني » ملاحظات طريفة : « تتباين طائفتان من السكان بشكل جوهري ، في المدن الكبيرة والصغيرة في آسيا الصغرى كما هي الحال في جميع أنحاء الامبراطورية العثمانية وهما : الحاكمون والمحكومون ، ينتمي كل انسان الى هذه الطائفة أو تلك بحكم الواقع ، بغض النظر عن انحداره وأصله ، أو عقيدته ، أو ثروته . وبطبيعة الحال يمكن وجود هذا التقسيم في جميع البلدان الأخرى أيضاً ، إلاّ أن الطبقية في تركيا ليست من مظاهر الوجاهة أو الرفعة فقط ، وإنما يملك الحاكمون من جانبهم حقوقاً ومنافع وأفضلية ، بشكل يمتزج المحكومون في فئة واحدة تنقسم الى فئات أصغر تقف مثلها امام الحاكمين بدون شعور بالمسؤ ولية وتابعة الى

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

اضطهادهم وتعسفهم[1] .

ويشير ڤرونـچـينـكو الى نظام الضرائب الذي يسبب هلاك السـكان : « مـن الصعوبة جداً تعداد جميع أنواع الضرائب التي تجبى من مختلف الفئات والطبقات ، فهي متنوعة ومتباينة ، وعلى الرغم من أن كل ضريبة لوحدها ليست باهظة ، غير أن الضرائب مجتمعة تشكل مبلغاً كبيراً ، ولكن حتى هذا المبلغ ما كان سيصبح مرهقاً للسكان ان لم يزيدوه باضافات عديدة ، والكثير منها يسمونه موقتاً ولكنه مع ذلك يتكرر دون انقطاع ولأكثر من مرة في السنة الواحدة[2] » . « ان المزارعين الموسرين قليلون جداً ، وعددهم ينقص باستمرار وذلك بسبب ارتفـاع مبالـغ الضرائـب . والأغلبية الساحقة منهم تعيش حياة الفقر والفاقة ، وهم قانعـون بالغـذاء الـزهيد جداً ، ويكاد يصعب عليهم الحصول على الملابس الكافية لتغطية عريهم . ويصل نهب الوكلاء الى حد يفرضون فيه الضرائب على أنواع مختلفة من السلع والمواد الغذائية يقبضونها بشكل عيني أو نقدي ، وتؤدي هذه الحالة بالقرويين إلى الفقر المدقـع ، لذلك يضطر كثير من الأسر الى ترك بيوتها ، ويتشرد كل فلاح إلى المكان الذي يأمل أن يجد فيه العيش محتملاً ، وهكذا يقل عدد سكان القرية وأحياناً تصبح خالية تماماً . وبهذه الصورة يكثر عدد الفقراء يوماً بعد يوم وتزداد الفاقة بالتدريج »[3]

وفي القسم الثاني من « الاستعراض »[4] يرد بشكل مفصـل وشامـل وصف المدن والقصبات ، والتجارة الداخلية والخارجية ، ووضع الطرق ، والآثار القديمة ، ويتحدث ڤرونـچـينكو المواقع والمناظر الخارجية لأكثر من ثلاثين مدينة ، وعن عدد البرك وأحواض المياه ، ونظام توزيع المياه .

ومن الممكن أن نستنتج من وصف المدن بصورة خاصة بأن الوضع الصناعي كان متدهوراً في الثلاثينيات من القرن الماضي في عدد من مناطق البلاد .

ويتناول وضع الفلاحين بالتحليل ، ويذكر بأن العمل الأساسي عندهـم هو

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .

(٤) « نشرات المركز الحربي ـ التوبوغرافي » ، القسم ٥ .

الرعي . وفي بعض الأحوال يقدم شيئاً من المعلومات عن إنتاج بعض السلع والمحاصيل الزراعية .

وفي فصل « العلاقات الاجتماعية والحياة اليومية لسكان آسيا الصغرى » يقدم صوراً من الوصف عن قوميات آسيا الصغرى ، وهي تتناول بصورة خاصة المميزات الدينية ، والحياة الاجتماعية ، ونمط الحياة ، والملابس ، والمأكولات ، والعلاقات بين الترك ، والتركمان ، والكرد ، والعرب ، واليونانيين ، والأرمن ، والأوروبيين ، واليهود ، والغجر .

ويشير فرونچينكو بأن الناس الأغنياء فقط يتزوجون بأكثر من امرأة واحدة ، ولا يوجد تقريباً من تزوج بأربع نساء ، أما الناس البسطاء الاعتياديين فيكتفون بزوجة واحدة . ويحدث احياناً في المدن أن يتزوج التركي بالمسيحية ، أما زواج المسيحي بالمسلمة فعقوبته الموت .

وهناك فصل خاص بعنوان « الزراعة ، والصناعة ، والتجارة » ، وهو عبارة عن بحث في اقتصاد البلاد : « ان آسيا الصغرى ليست من البلدان التي تمتلك معامل المنسوجات ، غير أن السكان انفسهم يقومون بتهيئة بعض المنتجات الضرورية للحياة البيتية . . . وسكان آسيا الصغرى بالاضافة الى ذلك يستعملون الخبز الذي ينتجونه بأنفسهم ، ومن بين جميع المواد التي يستعملونها في الغذاء لا يستوردون إلاّ الكافيار ، وزبد البقر ، والتمر ، والبن ، والسكر ، والتوابل ، وربما بعض الأشياء الأخرى القليلة . وأما بقية الأشياء فهي عطاء الطبيعة في المنطقة نفسها بمساعدة كبيرة أو صغيرة لجهود الانسان »[1] .

ومن الضروري هنا أيضاً ذكر وصف أدوات الزراعة : « المحراث عندهم عبارة عن شيء مصقول من جذع شجرة ، وقد ربط بغصن قوي معقوف فيه كعب مفلطح من الحديد »[2] .

ويعدد البضائع والسلع الصناعية التي تصنع في آسيا الصغرى ، منها :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٩ .

الجنفاص الخشن الذي يستعمله الناس لصنع القمصان والملابس الداخلية ، والقمصان الحريرية ( من بروسة ) ، وأقمشة للعمائم ، وأغطية للرأس، والمناديل ( من الغزل المستورد ) . وتصنع الأقمشة القطنية الخشنة في قسطموني ، واگير دره ، وكاسابه ، ويصنعون الجوخ أيضاً إلاّ انه خشن « وهو من أردأ الأنواع » ، وينسجون كذلك البسط الصوفية ، « والأحذية الجلدية التي يلبسها سكان آسيا الصغرى هي من صنعهم . . . ».

وفي فصل « منتوجات المنطقة » يتكلم عن الموارد الطبيعية في البلاد : الثروات الطبيعية المفيدة ( الفضة ، والرصاص ، والنحاس ، والملح ، ونترات البوتاسيوم ، والمرمر ) ، والنباتات ، وعالم الحيوان[1] .

« أما ما يتعلق بالنباتات المزروعة وقابلية الأرض للزراعة والفلاحة ، فما عدا المناطق الصخرية ينبغي تسمية الأراضي بالصحراء القاحلة غير المثمرة ، كما هي الحال في الأماكن التي تحيط بالبحيرة المالحة قوجه ـ كيساري الكبيرة ، والبقية كلها من الممكن أن تمنح جهود الفلاح النعم ، بالرغم من انه يكون على درجات ومستويات متباينة ، لأن نوعية المناخ وسهولة أو صعوبة الري الإصطناعي لتوزيع المياه على الحقول ، كل ذلك يتحكم في كمية المحصول »[2] .

ويصف المؤلف أوضاع الغابات ( حسب المناطق ونوع الغابة ) والصناعات التي تعتمد على الأخشاب ؛ ويعدد بشكل مفصل المناطق التي ينمو فيها التين ، والجوز ، والكستناء ، والتوت ؛ والفواكه المتنوعة : التمور ، والزيتون ، والأعناب ؛ والكتان ، والزهور ، والحبوب ، والقطن ، والخضار .

أما في فصل « الموقع » فان ڤرونچينكو لا يصف مناخ آسيا الصغرى فقط ، وإنما يوزع المناطق حسب مناخها ثم يقوم بالوصف مشيراً فيه الى الخصائص التي تمتاز بها كل منطقة وتختلف عن الأخرى . فهو يقسم شبه جزيرة آسيا الصغرى الى خمسة أقسام ، ليس على أساس القطاعات وإنما على أساس علو المكان ووضعه بالنسبة الى

---

(١) « نشرات المركز الحربي ـ التوبوغرافي » ، القسم ٣ ، ص ١٣٣ ـ ١٩٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

الجبل والبحر :

(أ) الساحل الجنوبي .

(ب) الساحل الغربي.

(ج) الساحل الشمالي .

(د) الاقليم الأوسط العالي.

(هـ ) قمم الجبال .

وأخيراً ان كتاب السائح الجيوديسى م . پ . فرونـچـينكو عبارة عن حصيلة للانطباعات والملاحظات والاستنتاجات الشخصية الخاصة ، لذلك كانت لهذه الميزة أثرها الكبير في تحديد أهمية الكتاب ليس للحقبة التي صدر فيها وانما لعصرنا الحاضر أيضاً ، وهو يُقرأ بدون شك باهتمام لا يقترب منه السأم، وهو بالتالي مصدر لا يقدر بثمن لدراسة آسيا الصغرى في فترة الثلاثينيات في القرن الماضي .

## رحلة بازيلي

يعتبر عمل الديبلوماسي والكاتب كونستانتين ميخائيلوڤيـچ بازيلي أثمن وأهم مصدر لوصف تركيا في منتصف القرن الماضي . قضى الكاتـب طفولتـه في مدينـة القسطنطينية . وتلقى التعليم في روسيا حيث درس مع ن . ڤ. گـوگـول في مدرسة نيژنى . وقد أشغل بازيلي منذ سنة ١٨٣٠ وحتى سنة ١٨٣٣ منصب السكرتارية في القسم الديبلوماسي التابع للاميرال ريكورد قائد الاسطول الروسي في المياه اليونانية ، وفي سنة ١٨٣٩ وحتى سنة ١٨٥٣ أشغل منصب القنصلية ، وفيما بعد عين قنصلاً عاماً في سوريا وفلسطين ؛ وعاش مدة طويلة في بيروت وفي مدينة القدس .

كتب ڤ. كَ . بيلينسكي عن كتاب بازيلي « مقالات عن القسطنـطينية » : « ان أهميتها الأساسية تنحصر بدون شك في أنهـا تُقـرأ باهتمام ، ولا ينتـاب الملل والغضب القارىء ولو لحظة واحدة . وهو لا يقدم لنا على العموم أي شيء جديد أو غير واضح وغامض ، إلاّ انه يجعل من القديم جديداً كما هو الحال عند المشاهد الذي يعيش الأحداث . . . واننا لا نلتقي في كتابه بالهيكل العظمي النحيف الجاف فحسب وإنما نشاهد تركيا الحية بتعصبها الذي ما زال رغم انطفائه يشتعل من حين لآخر .

وكذلك جهلها ، والنظام البربري ، وصراع القديم مع الجديد ، والخرافة مع الإصلاح ، وأخيراً محمود العجيب الذي يحكمها ، هكذا ينظر كتاب السيد بازيلي اليه من وجهة نظره هو طبعاً »[1] .

ولقد تعرف ن . ڤ . گوگول على عمل بازيلي « سوريا وفلسطين » في فترة وجوده في فلسطين سنة ١٨٤٨ ، وقد علق بأن : « بازيلي كتب شيئاً عجيباً ، وهو يقدم الشرق بشكله الحقيقي الواقعي الى أوروبا . . . وان معارفه غزيرة ، ومهمة ، ومتينة ، أنا لا أعرف أي كتاب آخر يستطيع أن يقدم المعارف الى القراء عن واقع المنطقة بهذا القدر »[2] .

وأما كتاب ك . م . بازيلى « الأرخبيل واليونان »[3] فهو مكرس أساساً لليونان في فترة حكم الكونت كاپوديستري . ويحتل وصف طبيعة الأرخبيل ، والقسم الساحلي لآسيا الصغرى ، والحياة اليومية للسكان مكاناً كبيراً فيه .

ويصور كذلك بوضوح التجارة الرائجة في سميرنا ، ويقول بازيلي بهذا الصدد : « شاهدت سميرنا في شهر آب ، كان النشاط التجاري في المدينة في أوجه . تنضج الكروم والأعناب المستخدمة للخمور في شهر آب ، وهي ترسل من جميع ضواحي سميرنا ، وينتظرنا عدد كبير من السفن في المرفأ . . . ويعمل جميع سكان المدينة في شهر آب في أمور الأعناب . يبيعونها ، ويشترونها ، ويحفظونها في العلب ، ويشحنونها . وتجري كل هذه الأعمال مصحوبة بالنقاش والمشاحنة ، والصياح والضجيج ، والهرج والمرج الذي لا يطاق . . .

والناس هنا خليط ، قدموا من جميع أنحاء الكرة الأرضية . . . فالتجارة ، والمال ، والمصالح قربت الهندي من البخاري ، والسويدي من الجزائري في زاوية

---

(١) ڤ . گ . بيلينسكي ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، نشرها س . أ . ڤينكيروف ، المجلد ٢ ، سانت بيترسبورغ ، ١٩٠٠ ، ص ٤٤٦ .

(٢) مؤلفات ورسائل ن . ڤ . گوگول ، المجلد ٦ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٥٧ ، ص ٤٥٣ .

(٣) ك . بازيلي ، الأرخبيل واليونان في سنتي ١٨٣٠ و١٨٣١ ، القسم ١ و٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٣٤ .

من زوايا آسيا الصغرى . . . ولا شك بأن السفن الأميريكية تغص بالحرير والشال الفارسي والسجاد التركي »[1] .

وصل بازيلي إلى القسطنطينية قادماً من الأرخبيل بعد انتهاء الحرب التركية ـ المصرية الأولى مباشرة . وبعد عدة أيام من قدوم بازيلي كان الأسطول الروسي قد ترك القسطنطينية .

وفي كتاب « مقالات عن القسطنطينية »[2] نجد معلومات عن واقع المدن ، والحريم ، وحفلات الزواج ، وسوق العبيد ، والأسواق العامة .

وفي مقدمته لكتاب آخر « البوسفور ومقالات جديدة عن القسطنطينية » يشير بازيلي إلى أنه : « لقد قيل عن تركيا الكثير من الهراء بحيث يصعب على الخيال مهما كان قوياً أن يميز بماذا يصدق ، ، وإننا كأقرب جار مع الترك ، ينبغي أن نعلم أخباراً كثيرة جداً عنهم وان يكون لدينا تجاههم الحزم الكثير ، والصراحة الكثيرة ، والوضوح الكثير »[3] .

وبالإضافة إلى الصور الحية للحياة إننا نجد في الكتاب معلومات غير قليلة عن الطبيعة ، والاقتصاد ، والحياة الاجتماعية ، والتجارة . وهناك في الكتاب كما يقول بازيلي نفسه « عن طريق المصادفة اتحد الوصف ، والحدث ، والرواية ، والمذكرات ، والانطباعات في إطار واحد » .

وفي هذا العمل تناول بازيلي مسألة التيارين الموجودين في البوسفور : من البحر الأسود إلى بحر مرمرة ، ومن بحر مرمرة إلى البحر الأسود . يطرح بازيلي آراء مارسيلي ، ويسرد تاريخ دراسة المسألة منذ القرن السابع عشر . ومن المعلوم بهذا الشأن أنه بعد مرور خمسين سنة كانت المسألة قد حلت على يد س. أو .

---

(١) المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ٦٣ ـ ٦٦ .

(٢) ك . بازيلي ، مقالات عن القسطنطينية ، القسم ١ ، ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٣٥ .

(٣) ك . بازيلي ، البوسفور ومقالات جديدة عن القسطنطينية ، القسم ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٣٦ ، ص ٣ .

ماكاروف[1] .

ويصف بازيلي الطرق المتباينة لصيد الأسماك في البوسفور والسواحل الأخرى التي تصطاد فيها الأسماك والتي تقع في الأماكن الضحلة التي تكون منازل لصيادي الأسماك . ويقوم الصيادون ببنائها في مضائق البوسفور أما على هيئة أكواخ مصغرة ، أو بشكل السلال الموضوعة على سارية عالية .

كما ويتكلم بازيلي عن الوضع التجاري : « إن التجارة الخارجية بأجمعها هي في أيدي الأجانب ، وإن تسعة أعشار التجارة الداخلية هي في أيدي اليونانيين والشعوب الأخرى الخاضعة للدولة العثمانية ، أما عمليات تداول العملة النقدية فهي في أيدي الأرمن واليهود »[2] .

وعن الزراعة والفلاحة يوضح بازيلي ، بأن درس محصول الحبوب يتم بمساعدة « لوحة خشبية ثبتت في قسمها الأسفل بشكل متين أسنان سيلكونية » . ويقرر المؤلف بأسف « بأن ثقل العبودية على الفلاحين في تركيا هو أكثر مما على الرعاة . وإن الزراعة بقيت تقريباً في نفس المستوى من التطور الذي كانت عليه في أيام قسطنطين الكبير » . ويصف بازيلي بتفصيل نظام تزويد العاصمة بالحبوب ، ويتكلم عن التعسف الذي يرافقه ويحوّل « هذه العملية إلى ضرائب ثقيلة جداً للمنطقة ، وإلى وبال على الزراعة في جميع أنحاء الأمبراطورية »[3] .

ويعزو بازيلي الوضع السيء للفلاحين إلى الضريبة المفروضة على الحبوب . إنه لا يرى الأسباب الحقيقية لإفلاس الفلاحين التي تنبع من نظام ملكية الأرض الإقطاعي . كذلك يجانب بازيلي الصواب حين يؤكد بأنه في ضواحي العاصمة « لم تدهشه تلك الصور المحزنة للفقر والاضطهاد التي تظهر للسائح بشكل أبشع في الپاشالقات كلما كانت تلك الپاشالقات أبعد عن مركز الأمبراطورية . فهنا يكون

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(٢) ك . بازيلي ، البوسفور ومقالات جديدة عن القسطنطينية ، القسم ٢ ، ص ٩ ـ ١٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٩ .

صولجان السلطان مسلطاً على الجميع بالتساوي لكن الاستبداد الآسيوي يصبح أعنف كلما استطاع أن يمد يده أبعد وكل پاشا ، أو بك ، أو آغا ، كل هؤلاء الأوباش من صغار الطغاة الذين يتحكمون بمصائر الناس البسطاء يستسلمون لنزواتهم الوحشية بشكل أسهل كلما ضعفت إمكانية وصول صوت شكاوى الشعب إلى أسماع السلطان »[1] . وهكذا لم يستطع بازيلي بسبب ضيق أفقه الطبقي أن يفهم بأن السلطان نفسه يقف على رأس هذه القمة المستغلة .

وبحكم كون بازيلي قنصلاً وقنصلاً عاماً في سوريا وفلسطين استطاع أن يدرس هذه البلدان والشعوب التي تسكنها ، وقد كتب عنهم في كتابه الآخر[2] .

وبخلاف كتاب لامارتين ، الشاعر الفرنسي ، والشخصية السياسية الذي زار الشرق في نفس السنوات تقريباً ( ١٨٣٢ ـ ١٨٣٣ ) ، فإن كتاب بازيلي يخلو من كثير من التلفيقات ، والأمزجة الدينية ، والمذهبية . وإذا ما تجاوزنا الدراسة الموجزة عن تاريخ سوريا منذ أيام الفتح العربي ، فإن الكتاب يعكس تماماً تاريخ سوريا منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر وحتى نهاية الأربعينيات للقرن التاسع عشر . وقد دون الكتاب عموماً في ضوء المواد التي جمعها المؤلف في مواقع الرحلة ، وأضاف إليها انطباعاته الخاصة . والكتاب يشكل مصدراً مهماً من تاريخ الحرب التركية ـ المصرية الثانية ، ويصف الوضع في البلاد بعد إعادة السلطة العثمانية إلى سوريا وتصفية الحكم المصري فيها .

ويرفض بازيلي بشكل قاطع النزاع الديني كسبب للصراع بعد أن شاهد بصورة مباشرة الصراع بين الطوائف المختلفة في لبنان ، ويشير بهذا الصدد إلى أنه « بالإضافة إلى العناصر الداخلية التي تسبب الخصومة بين أهم طائفتين في لبنان ، فقد لحق بها عنصر خارجي يستند على التنافس الدائم بين دولتين غربيتين »[3] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٢) ك . بازيلي ، سوريا وفلسطين تحت الحكم التركي ، القسم ١ و٢ ، أوديسا ، ١٨٦٢ .

(٣) المصدر السابق ، القسم ٢ ، ص ٥١ .

فالانكليز يساندون الدروز[1] ، والفرنسيون يساندون المارونيين .

ويشير بازيلي بوجه خاص إلى دسائس ومكائد المبشرين الأميريكيين . « الذين استقروا في بيروت منذ أكثر من خمس عشرة سنة قبل الآن ، وإنهم بدلاً عن أن يقوموا بنشر الدعوة المسيحية بين غير المؤمنين ، كما يجب أن يقوم به المبشرون ، فقد بذروا الخصومة والخلاف في الكنائس المسيحية فقط . . . وفي الشرق حيث يؤمن الناس بالدين بشكل عام وهم متدينون ، ولا يميزون بين الأميريكيين والانكليز ، فإن المبشرين استغلوا هذه الظاهرة ليكسبوا نفوذاً جديداً في عيون الشعب بشأن تدخل انكلترا في شؤون سوريا »[2] . وإن الضباط الانكليز و« بأمل تقويض النفوذ السياسي الفرنسي الذي يستند على إخلاص المارونيين لهم وهم على مذهب واحد ، شرعوا مع المبشرين الأميريكيين يتجولون في الجبال »[3] .

والمعروف أن دور المبشرين الأميريكيين لم يكن مادة للدراسة من قبل الباحثين عن تاريخ هذه الفترة .

وإن ما تسمى بـ « ملاحظات إحصائية عن القبائل السورية وحكمهم الديني » له أهمية كبيرة . فقد وردت فيها معلومات عن عدد السكان ، والوضع الاقتصادي ، والعلاقة بين القبائل ، وإسكانها وإدارتها . وطرحت فيها أيضاً معلومات عن البدو ، والكرد ، والتركمان ، وسكان الجبال ، والحضر من سكان السهول . ويعالج المؤلف القضايا الدينية أيضاً ، فيكتب عن المسلمين ، والمسيحيين ، واليهود . وفي ملاحظاته يورد معلومات عن ميزانية پاشالق مصر ، وباشالق سوريا ، ويقدم وصفاً للزراعة ، والاقتصاد ، وحياة السكان اليومية .

---

(١) الدروز : جزء من سكان سوريا ولبنان ، وهم من أنصار أحد المذاهب الشيعية المتطرفة المتفرعة من الإسماعيلية ( يراجع : ى . أ . بيلياييڤ ، المذاهب الإسلامية ، موسكو ، ١٩٥٧ ؛ الموسوعة التاريخية السوڤياتية ، المجلد ٥ ، ص ٣٨٧ ) .

(٢) ك . بازيلي ، سوريا وفلسطين تحت الحكم التركي ، القسم ٢ ، ص ٤٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٦ .

# رحلة ڤسيڤولوژسكي

كانت مذكرات ن . س . ڤسيڤولوژسكي ( ١٧٧٢ ـ ١٨٥٧ ) الرحال والمؤرخ والكاتب[١] قد جلبت انتباه جمهور القراء بخفتها وعباراتها الزاهرة الرشيقة في حينه ، وهي في الحقيقة بخلاف عمل بازيلي المستند على دراسة مطولة لبلدان الشرق تتألف من صور سطحية فقط[٢] .

بدأ ڤسيڤولوژسكي برحلته في سنتي ١٨٣٦ ـ ١٨٣٧ عن عمر يناهز الرابعة والستين . ويقول عن الغرض في القيام برحلته : « أثارت الأوضاع في الأمبراطورية العثمانية ، ابتداءً من التغييرات التي أحدثها السلطان الحالي ، وانتهاءً بانفصال مصر وسوريا عندي الفضول بشكل قوي . فأردت أن أكتشف هذا اللغز في موقع الأحداث ، ولم أستند لا على حكايات الصحفيين ، ولا على الآراء التي كانت تسمع من مكاتب الوزراء الأوروپيين لذلك قررت أن أتثبت بنفسي عما يمكن انتظاره من هؤلاء »[٣] .

وهكذا زار ڤسيڤولوژسكي القسطنطينية ، وبروسه ، وبعض المواقع على شواطىء بحر إيجة ، والأرخبيل ، وبنغازي في أفريقيا .

ويصف المؤلف بطرافة شوارع القسطنطينية التي كان يشاهدها من نوافذ فندقه : « أرى أمامي يتزاحم الناس وهم من مختلف القبائل والشعوب ، أشاهد الترك بزيهم العسكري ، وملابسهم القديمة ، وعمائمهم ؛ والأرمن بقبعاتهم الكبيرة ، واليونانيين ، والأوروپيين . . . وأخيراً هناك النساء ، إنهن مغطيات بشكل لا يمكن معرفة انتمائهن القومي إلاّ من لون أحذيتهن . وها هي العربات ( وهي

---

(١) مصادر معجم الكتاب الروسي ، جمع س . أ . ڤينگيروڤ ، المجلد ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٠ ، ص ٦٥٨ ـ ٦٥٩ .

(٢) ن . س . ڤسيڤولوژسكي ، رحلة عن طريق روسيا الجنوبية والقرم وأوديسا ، إلى القسطنطينية ، وآسيا الصغرى ، وأفريقيا الشمالية ، ومالطا ، وصقيليا ، وإيطاليا ، وفرنسا الجنوبية ، وپاريس ، المجلد ١ و٢ ، موسكو ، ١٨٣٩ ( فيما بعد : رحلة عن طريق روسيا الجنوبية ) .

(٣) المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٣ .

من عربات النقل التي لها سقوف ) يجرها طاقم من الثيران ، وهي مزركشة بالأشرطة والأوشحة ، أو مزينة بقصاصات من الجوخ والأجراس . وهذه هي مركبة السيدات التركيات . ثم الجمال وصفوف من الحمير وهي تحمل قرب المياه أو الحطب ؛ كانت كل هذه الأشياء تجتمع في شوارع ضيقة لا تتسع لهذا الازدحام ، وكان كل شيء يدفع ما بجواره . وبالإضافة إلى ذلك كان قطعان من الكلاب القبيحة الجائعة تتجول بين هؤلاء الناس ، ولا أحد يقتلها »[1] .

وفي بروسة تسلق ڤسيڤولوژسكي على جبل أوليمپ[2] ، ثم زار أطلال وخرائب طروادة .

وعندما زار ڤسيڤولوژسكي كورينف وميكينا في اليونان في طريقة إلى مالطا كانت العواصف قد جرفته إلى شواطىء أفريقيا إلى بنغازي .

« تقع بنغازي في أقصى زاوية من صحراء البربر الرملية . والبدو وغالباً ما يرحلون إلى هنا للمتاجرة مع السفن القادمة من مالطا وجينوه . وهم ينتظرون أصحاب السفن بفارغ الصبر ، يبيعون الثيران ، والجلود ، وكميات كبيرة من وبر الجمال ، ويتلقون بالمقابل البارود ، والرصاص ، ومقادير غير قليلة من الجوخ السميك ، والبضائع الدقيقة ، ومختلف أنواع الأمتعة والحاجيات الأخرى اللازمة للتسليح ، وبالإضافة إلى ذلك كميات كثيرة من الطحين والغلال[3] .

وانتهز ڤسيڤولوژسكي فرصة وجوده في بنغازي ، فزار مضارب البدو ، وكانت تقع على بعد مسيرة خمس ساعات من المدينة على الجمال في واحة صغيرة . ويحتل وصف الاستقبال الحافل بالاحترام والضيافة عند الشيخ مكاناً مهماً وممتعاً ورائعاً في الكتاب[4] .

وكان لكتاب ڤسيڤولوژسكي صدى إيجابياً عند ن . كَ . چيرنيشيڤسكي .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) جبال أوليمب تقع بالقرب من بروسة ؛ وهي غير الجبال المعروفة في اليونان على شاطىء خليج سالونكي التي تحمل نفس الاسم .

(٣) ن . س . ڤسيڤولوژسكي ، رحلة عن طريق روسيا الجنوبية ، المجلد ١ ، ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٠٣ - ٤١٨ .

## التسلق على جبال آرارات
## ( آگـري داغ )

قام أستاذ الفيزياء في جامعة ديرپـت فريدريك پـاروت في سنة ١٨٢٩ بالتسلق على جبال آرارات بالاشتراك مع مجموعـة من العلماء الشبـاب العاملـين في جامعـة ديرپـت أيضاً من أمثال : ادلير سكرون ، وگـانك ، وشيمان ، وفيودوروڤ ( الفلكي تلميذ ڤ .ى . ستروڤي ) .

لقد كانت تلك أول عملية تسلق لهذه القمة التي كانت تعتبر حتى ذلك الوقت من القمم المنيعة . ويسجل المؤلف بهذه المناسبة إنطباعاته عن الرحلـة في جورجيا وأرمينيا ، وتسلقه جبال آرارات ، وملاحظاته عن الكرد والنسطـوريين في كتابـه[١] المنشور في سنة ١٨٣٤ .

وفي نفس السنـة ١٨٣٤ التـي صدر فيهـا هذا الكتـاب صعـد على آرارات سـپـاسكي أيضاً ، وفي سنة ١٨٣٥ تسلق الجبل كارل بيرينس ، أما في سنة ١٨٤٨ فكان التسلق من نصيب الانكليزي سيمور .

وفي آب سنة ١٨٥٠ تسلقت على جبال آرارات بعثة قوامها ٦٠ شخصاً بقيادة رئيس المسح المثلثي لما وراء القفقاس إ . خودزكو .

وبالإضافة إلى إنجاز الدراسات الجيوديسية فقد قامت البعثة بالأرصاد الجوي أيضاً[١] .

## رحلة چـيخاچـيف

بدأ پـيوتر اليكساندروڤيـچ چـيخاچـيڤ في أواسط الثلاثينيات بدراسة تركيا . وقد وجد نشاطه مجالاً أوسع في السنـوات العشرين القادمـة ( ١٨٤٧ ـ ١٨٦٣ ) ،

---

(1) «Reize zum Ararat von Dr. Freidrich Parrot», Berlin, 1834.

(٢) سڤينكسي ، عرض لأهم الرحلات والاكتشافات الجغرافية في الخمس سنوات من ١٨٤٨ وحتى ١٨٥٣ ، المجلد ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٥ ، ص ١٧٦ ـ ١٧٧ .

ولهذا السبب فقط نتخطى إلى حد ما التتابع الزمني الذي وضعناه كنهج لعرض الآراء ، وننتقل إلى التكلم عنه .

أدركت مؤلفات هذا الدارس الروسي الشهير لألتاي وآسيا الصغرى ، وأعظم سائح من بين سيّاح القرن التاسع عشر مصيراً فريداً من نوعه . لا شك بأن اسمه معروف بصورة جيدة ، تناولته مجموعة كبيرة من المعاجم ودوائر المعارف ، ولا زالت صورته الشخصية معلقة في أحد مصانع الجمعية الجغرافية لعموم الاتحاد السوفياتي ، غير أن الناس الذين قرأوا أعماله قليلون ليس في روسيا ما قبل الثورة فقط وإنما في الاتحاد السوفياتي أيضاً . وقد سمع الناس عنه أكثر مما قرأوا له ، وسبب ذلك يعود بالدرجة الأولى ، إلى أن پ .أ .چيخاچيف كتب باللغات الأجنبية ( الفرنسية والألمانية ) إلاّ فيما ندر ، ونشر أعماله في الخارج ، وهي لم تترجم مطلقاً إلى اللغة الروسية في فترة ما قبل الثورة ، باستثناء جزء ضئيل منها فقط[1] .

ولهذا السبب على ما نظن كتب عنه الأكاديمي ڤ .ڤ . بارتولد : « إن كتاب چيخاچيف عن ألتاي ، أو بالأحرى جميع نشاط هذا العالم مرتبط بشكل أوثق بالمؤلفات العلمية الأوروپية الغربية منه بالروسية »[2] . ثم يستطرد قائلاً : « قام چيخاچيف في آسيا الصغرى وخلال ١٦ سنة ( ١٨٤٧ ـ ١٨٦٣ ) بعدد من الرحلات . . . وكانت الأعمال الواسعة لچيخاچيف عن آسيا الصغرى والمكرسة بالدرجة الأولى للوصف الجيولوجي للبلاد ( ١٨٥٣ ـ ١٨٦٩ ) قد نشرت باللغة الفرنسية وهي كبقية إنتاجات هذا العالم لا يمكن أن تعد ضمن الأدبيات العلمية الروسية »[3] .

وقد ورد في المعجم الانسيكلوپيدي لبروكهاوزن ـ ييفرون[4] في المادة الخاصة

---

(١) قائمة أعمال پ . أ . چيخاچيف ، وضعتها ن .أ . بيلوزيرسكايا ، يراجع : « أخبار الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية » ، المجلد ٢٧ ، النشرة ٦ ، ١٨٩١ ، ص ٦١٠ ـ ٦١٤ ؛ ڤ .ڤ . تسيبولسكي ، پ .أ . چيخاچيف ـ الباحث والسائح ، موسكو ، ١٩٦١ .

(٢) ڤ .ڤ . بارتولد ، تاريخ دراسة الشرق في أوروپا وروسيا ، الطبعة ٢ ، موسكو ، لينينغراد ، ١٩٢٥ ، ص ٢٣٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

(٤) المعجم الانسيكلوپيدي لبروكهاوزن ـ ييفرون ، المجلد ٣٨ ، ( ٧٦ ) ، ص ٨٨٤ . المادة

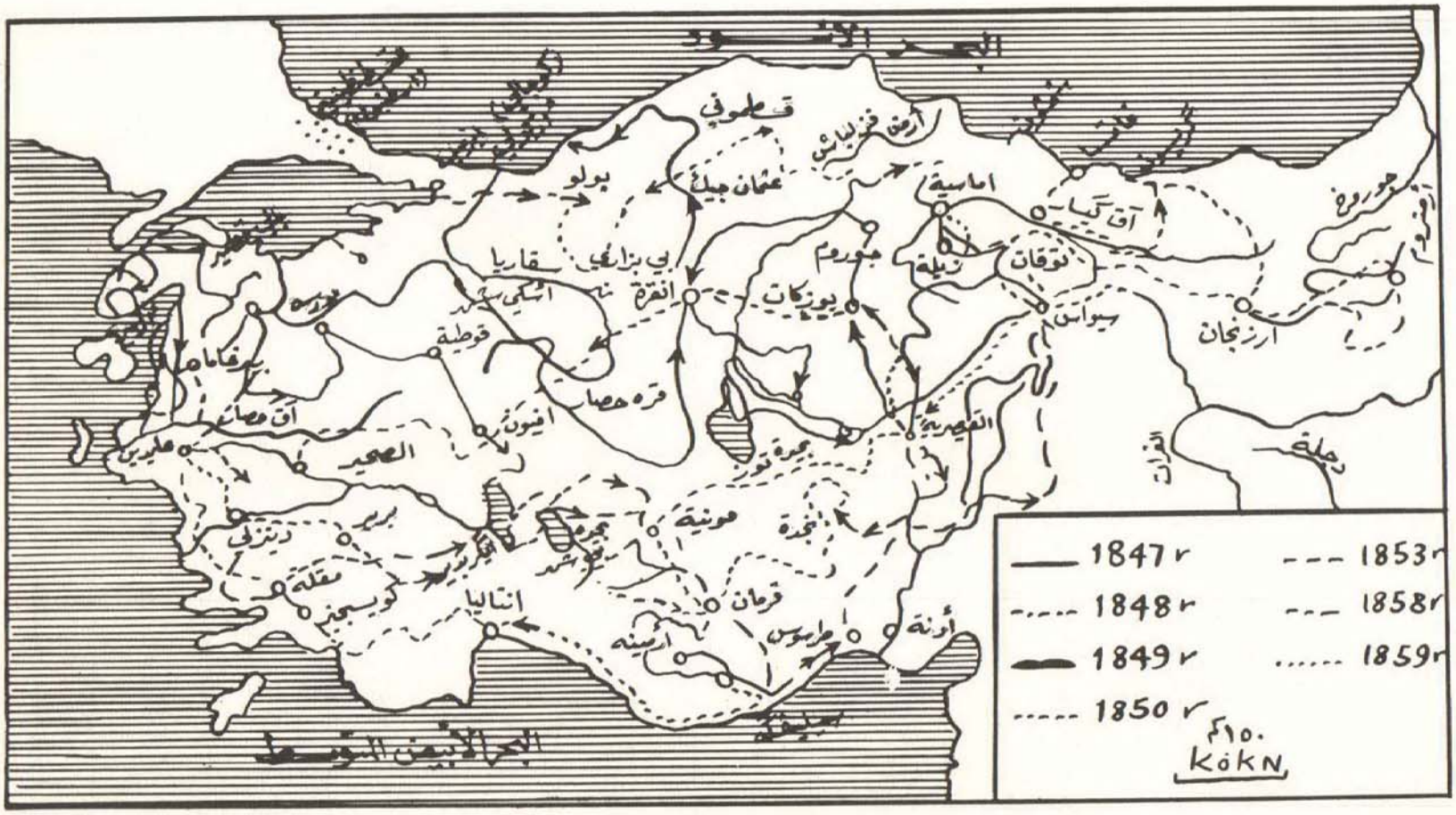


خارطة رحلات پ . أ . چيخاچيف

خط ورسم خالد الخالدي

بـ پ . أ . چيخاچيف ما يلي : « تلقى چيخاچيف ثقافته العلمية في الخارج ، ونشر جميع أعماله باللغة الفرنسية أو اللغة الألمانية ، وقضى في الخارج ( الجزء الأكبر في پاريس ) القسم الأعظم من حياته ، لذا لا يمكن أن يُعد چيخاچيف عالماً روسياً ، ولكن العلم الروسي مدين له بالعمل المهم جداً عن جيولوجية وجغرافية ألتاي » . بهذه السهولة يحذف چيخاچيف من العلم الروسي ، وفي نفس الوقت لا يوجد هناك أدنى شك في عدم شرعية الأدعاء بأن چيخاچيف لم يكن عالماً وسائحاً روسياً . وإن خدمات چيخاچيف وخصوصاً كعالم وسائح روسي تم تثبيتها أكثر من مرة في أدبياتنا لما قبل الثورة . وهكذا كتب إ . إ . ستيبنيتسكي (١٨٣٢ - ١٨٩٧ ) الذي يرتبط اسمه بمجموعة أعمال تخص رسم الخرائط الجغرافية ، والتقدير الدقيق للأبعاد ، والمسح الجغرافي في القفقاس ، وفي آسيا الصغرى : « توفي في ١٣ تشرين الأول سنة ١٨٩٠ في فلورنسا واحد من أشهر جغرافي ورحالة الروس : پيوتر اليكساندروفيچ چيخاچيف »[١] .

ويشير ستيبنيتسكي إلى أن پ . أ . چيخاچيف « كان واحداً من أشهر علماء وجغرافيي القرن التاسع عشر ، وقد شيد برحلاته وأعماله نصباً لنفسه تعجز القدرة الإنسانية صنعه »[٢] .

وفي كلمة رثاء خاصة بـچيخاچيف أُشير إلى أن اسم چيخاچيف كان أشهر بكثير في الخارج منه في روسيا « إلاّ أنه بالرغم من أن چيخاچيف قد قضى حياته في بلاد الغربة ، غير أنه بدون ريب بقي إنساناً روسياً في اهتماماته وأعماله ، ويعتبر ممثلاً لامعاً للعقلية والموهبة الروسية بين علماء العالم وأوروپا الغربية »[٣] .

---

موقعة باسم ب . پ . پود ، وهو الاسم الذي كان يستعمله الجيولوجي ب . ك . پولينوڤ في كتاباته .

(١) « أخبار الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية » ، المجلد ٢٧ ، النشرة ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩١ ، ص ١ .

(٢) إ . إ . ستيبنيتسكي ، پيوتر اليكساندروڤيچ چيخاچيڤ ، « أخبار الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية » ، المجلد ٢٧ ، النشرة ١ ، ١٨٩١ ، ص ١ - ١٠ . مع ملحق بالصور والخرائط المتعلقة بالطرق في آسيا الصغرى .

(٣) « مجلة وزارة المعارف الوطنية » ، القسم ٢٧٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٠ ، كانون الأول ، ص ٨٧ .

ولد پيوتر اليكساندروڤيچ چيخاچيف في سنة ١٨٠٨ في أسرة غنية أرستقراطية على رأسها عقيد فوج الحرس لمنطقة پريوبراژينسكي ، ومدير قصر الأمبراطورة ماريا فيودوروڤنا في گاتچينا(*) . كانت والدة چيخاچيف وهي آنا فيودوروڤنا چيخاچيڤا التي كانت كنيتها قبل الزواج بيستوژيڤا ـ رومينا من قريبات الديسمبرى الشهير الذي يحمل نفس اللقب .

تلقى چيخاچيف الدراسة في طفولته في بيت أبويه على يد أساتذة مدرسة القرية القيصرية ، ودرس العلوم التطبيقية الصرفة ( علم النبات ، والفيزياء ، وعلم الحيوان ) فيما بعد ، ثم استمع إلى محاضرات أكاديمية فريبورغ الطبيعية في سكسونيا لمدة سنتين . ودرس الكيمياء ، والجيولوجيا ، وعلم التعدين ، وعلم الحفريات في ميونيخ ، وبرلين ، وپاريس .

ويخبرنا معجم أ . ڤ . ستارچيڤسكي(١) بأن پ . أ . چيخاچيف كان في السفارة الروسية في القسطنطينية إعتباراً من سنة ١٨٣٠ ، ثم سافر من هناك إلى مصر ، وسوريا ، واليونان أكثر من مرة ، وأما في سنة ١٨٣٥ فقد عمل بالجيولوجيا في فريبورغ . ويصادف المرء نفس المعلومات تقريباً في المعجم الروسي للسير(٢) . وبالإضافة إلى ذلك تحدد سيرة چيخاچيف التي كتبتها ن . أ . بيلوزير سكايا في فترة دراسته في فريبورغ وهي تعود إلى ما قبل سنة ١٨٣٥ ، أما ما يتعلق برحلته إلى الشرق ، فهي تقول بأنه بعد إكمال دراسته في الخارج « بدأ برحلته إلى الشرق ، وقد

---

(*) گاتچينا : مدينة في منطقة لينينغراد في الجنوب الغربي منها ، وتبعد عنها بمسافة ٤٥ كم ، فيها قصور بنيت في القرن الثامن عشر ، كانت من ممتلكات القياصرة الروس ، وتحولت بعد ثورة أوكتوبر إلى متاحف ، وقد عبث بها الغزاة النازيون في الحرب العالمية الثانية غير أنها أعيدت إلى حالتها الأصلية ( المترجم ) .

(١) المعجم الانسيكلوپيدي للاستعلام ، إعداد : أ . ڤ . ستارچيڤسكي ، المجلد ١٢ ، طبعة ك . كرايي ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٧ ، ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

(٢) المعجم الروسي للسير ، ( المجلد چاداييڤ ـ شڤيتكوڤ ) ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٥ ، ص ٤١٥ ـ ٤١٨

جذبه ماضي الشرق الشاعري وما يتعلق به من الذكريات التاريخية بشكل خاص . ويظهر من الحكايات الشفاهية التي احتفظت بها ذاكرة أحد أقربائه وهو فيودور پلاتونوڤيچ چيخاچيڤ ، إنه زار مصر في هذه الفترة ، ومن هناك توجه إلى فلسطين عبر صحراء ليبيا ، وسيناء ، وصحراء سوريا ، ثم عرج على القسطنطينية أيضاً . وقد سحرت عاصمة الأمبراطورية العثمانية پ . أ . چيخاچيڤ ، بميزاتها الخاصة وشمسها الجنوبية إلى حد وجد لنفسه مكاناً في السفارة الروسية في سنة ١٨٣٥ ، وأشغل هنا منصب مساعد السكرتير ، ثم عين بوظيفة المترجم في سنة ١٨٣٧ بالإضافة إلى وظيفته السابقة ، وهكذا نعتقد بأنه استطاع في هذه الفترة أن يتعلم اللغة التركية »[١] .

كان چيخاچيڤ في سنة ١٨٣٥ في القسطنطينية بدون شك ويعمل في السفارة . وكان قد التقى به داڤيدوڤ في تلك السنة في القسطنطينية كما أشير إلى ذلك سابقاً . ونجد هذه المعلومات في تقويم السنة الكبيسة[٢] أيضاً بأنه بقي في تركيا منذ سنة ١٨٣٤ وحتى سنة ١٨٣٦ ثم توجه فيما بعد إلى إيطاليا . وقام هناك في ضواحي نيتسا وتورين بدراسات جيولوجية ، وصدرت في برلين لأول مرة أعماله باللغتين الألمانية والفرنسية [٣] التي أصبحت سبباً مباشراً لاختياره عضواً في الجمعية العلمية في مدينة ريجي ياكالابريا بإيطاليا .

ثم كلف چيخاچيڤ في سنة ١٨٤٢ عندما كان يشغل وظيفة في وزارة المالية من قبل قسم التعدين بصورة رسمية للقيام بدراسة القسم الشرقي من ألتاي وسلسلة جبال سايانس .

وبعد رحلة استغرقت خمسة أشهر في ألتاي هيأ پ . أ . چيخاچيڤ تقريراً

---

(١) ن . بيلوزيرسكايا ، پ . أ . چيخاچيڤ ، « بشير أوروبا » ، ١٨٩٣ ، تشرين الأول ، ص ١٦٢ - ٢١٣ .

(٢) تقويم السنة الكبيسة ١٨٣٦ ، سانت پيترسبورغ .

(٣) «Geognostische Schilderung des Monte Gargano in den, Jahren 1839 und 1840 Leonhard's N. Jahrbuch für Mineralogie. 1841», P.39 - 58. «Coup d'œil sur la constitution géologique des provinces méridionales du Royaume de Naples. Suivi de quelques notions sur Nice et ses environs». Berlin, 1842

تمهيدياً[1] عن الأعمال التي أنجزها قدمه إلى وزير المالية ى .ف . كانكرين . وكان التقرير قد طبع في المانيا في سنة ١٨٤٢ ، ثم قدم پ .أ . چيخاچيف في سنة ١٨٤٤ إلى أكاديمية العلوم في پاريس النتائج الرئيسية لملاحظاته العلمية بمذكرة بعنوان « ملاحظات عامة عن طبيعة ألتاي »[2] .

ونشر في سنة ١٨٤٥ في پاريس التقرير الكامل عن رحلته في ألتاي بعد أن أقرته لجنة خاصة لأكاديمية العلوم في پاريس[3] .

وبعد العودة من ألتاي عاش في القسطنطينية لمدة سنتين كملحق في السفارة الروسية . واستمر في دراسته للغة التركية حيث استطاع بسرعة فائقة أن يتقنها منتهى الاتقان ، وخصوصاً اللغة العامية منها . وبطلب من الحكومة الروسية زار سوريا ومصر ، والتقى بمحمد علي وتحدث معه بدون الاستعانة بالمترجم ، وشاهد المعالم الأثرية المصرية . وقد رسم الفنان ك . بريولوف بريشته پ . أ . چيخاچيف بالبزة الرسمية المصرية وبكامل الأسلحة التي أنعم بها عليه محمد علي ، وكانت صورة ناجحة .

وتشير بيلوزيرسكايا إلى أن چيخاچيف لم يستطع الحصول على البعثة على نفقة الحكومة إلى آسيا الصغرى ، والأمر هذا حدى به أن يترك الخدمة في سنة ١٨٤٤ وأن يتوجه إلى هناك على حسابه الخاص . ولتحقيق هذه الرغبة باع چيخاچيف عقاراً ورثه من أمه بما يساوي ( ألفي ورقة من ذوات العشر روبلات ) في محافظة ساراتوف .

---

(١) يراجع : ن .أ . بيلوزيرسكايا ، پ . أ . چيخاچيف ، « بشير أوروبا » ، ١٨٩٣ ، تشرين الثاني ، ص ١٧١ ( الهامش ١ ) .

(٢) «Comptes rendus, Paris, 1844, t.XIX, p. 970- 980.

(٣) Voyage scientifique dans l'Altai Oriental et les parties adjacentes de la frontière de Chine, Paris, 1845, par. Pierre de Tchichatchef.

وكان چيخاچيف يختلف عن بقية الرحالة ، لأنه لم يهتم بالتاريخ والآثار في آسيا وحسب وإنما اهتم بدراسة الجغرافية الطبيعية بالرغم من أنه عمل في الآثار أيضاً . ولم يهتم چيخاچيف ، بخلاف غيره من الرحالة بتاريخ وآثار آسيا الصغرى ، وإنما اهتم بالبحث في جغرافيتها الطبيعية على الرغم من أنه درس آثارها أيضاً[1] .

وكان يرافق پ . أ . چيخاچيف في رحلاته خادم فرنسي ( مات في سنة ١٨٤٩ بمرض الكوليرا ) ، وتاتار ( وهذا ليس بشخص تاتاري كما ترجمته خطأ بيلوزيرسكايا وإنما هو ساعي البريد ) ، وأدلاء مع دوابهم لنقل أمتعة السفر .

قام چيخاچيف من سنة ١٨٤٧ وحتى سنة ١٨٥٨ بعدد من الرحلات المتعاقبة إلى آسيا الصغرى وأرمينيا ، ومن ثم في سنة ١٨٦٣ قام بسفرات في ضواحي القسطنطينية[2] . وكان مجموع بعثاته العلمية التي نفذها في آسيا الصغرى ، وأرمينيا ، وشرقي فراكيا ، وكردستان ثماني رحلات . ويجد المرء وصف جميع هذه الرحلات في دفتر رحلات[3] چيخاچيف .

وفي الفترة الواقعة بين رحلة ورحلة كان چيخاچيف يترك تركيا ويعيش في أوروبا ؛ وسافر إلى روسيا أيضاً ، إلاّ أنه كما يصرح بنفسه « كان عليه ولأسباب خاصة وبشكل غير متوقع أن يسافر من روسيا في أوائل سنة ١٨٥٠ »[4] . أما أن نعتبره

---

(١) Asie Mineure, description physique, statistique et archéologique de cette contrée par P. de Tchichatchef.

(٢) تشرين الأول ـ كانون الأول ١٨٤٧ ؛ مايس ـ كانون الأول ١٨٤٨ ؛ نيسان ـ تشرين الأول ١٨٤٩ ؛ تموز ـ آب ١٨٥٠ ؛ مايس ـ آب ١٨٥٣ ؛ مايس ـ أيلول ١٨٥٨ ؛ تموز ـ أيلول ١٨٦٣ في ضواحي القسطنطينية . أما إلى آسيا الصغرى فإنه سافر إليها قبل ذلك ، فعلى سبيل المثال في سنة ١٨٤٦ ( يراجع : Revue des deux Mondes, juin 1850, p.84)ترجم إلى اللغة الروسية قسم من « دفتر مذكرات پ . چيخاچيف في آسيا الصغرى » مقترنة بملاحظات كيپيرت الملحقة بالمجلد الرابع من « أخبار قسم القفقاس من الجمعية الجغرافية الروسية » ، تفليس ، ١٨٧٦ .

(٣) P.V. Tschichatschefs Reisen in Kleinen Asien und Armenien 1847-1863. Itinerare redigirt und nit einer neuen construction der Karte von Klein Asien begleitet von H. Kiepert Gotha. 1867

(٤) ن . أ . بيلوزير سكايا ، پ . أ . چيخاچيف ، « بشير أوروبا » ، ١٨٩٣ ، تشرين الثاني ، ص ١٨٢ .

لاجئاً سياسياً فلا يوجد هناك أي دليل على ذلك . وهو نفسه لم يتطرق مطلقاً بتفصيل أكثر من هذا عن أسباب خروجه من روسيا .

وكان چيخاچيف يصف في دفتر يومياته بشكل مستمر الطرق التي كان يقطعها ، ويشير إلى المسافات بين القرى والمدن والمواقع والمحطات ، ويذكر علو ومميزات الأماكن . وبالإضافة إلى ذلك هناك في مذكراته كثير من المعلومات المفيدة المهمة عن الوضع المعاشي وهي تعكس الموقف الذي تمت فيه الرحلة والصعوبات التي تعرض لها المسافرون .

وكان پ . أ . چيخاچيف قد عرض ملاحظاته وانطباعاته عن الرحلتين الأوليتين في سنة ١٨٤٧ و١٨٤٨ في رسائل بعثها إلى البروفيسور ليونارد في هايديلبيرغ ، ثم نشرها بين آونة وأخرى في الجريدة الألمانية « البلدان الأجنبية » .

وفي روسيا كانوا يتابعون باهتمام رحلات پ . أ . چيخاچيف في الجمعية الجغرافية . وهكذا ذكرت[1] « الأخبار الجغرافية » في سنة ١٨٤٨ عن ذلك ما يلي :

« يستفاد من الأخبار الواردة من القسطنطينية أن السيد چيخاچيف ( پيوتر اليكساندروڤيچ) مواطننا وممثلنا لشؤون الدولة الخارجية وصل إلى سواحل البوسفور في رحلته من آسيا الصغرى في نهاية السنة المنصرمة [ يظهر في دفتره بأنه وصلها في ٢١ كانون الأول سنة ١٨٤٧ ] .

كانت رحلة السيد چيخاچيف تلك التي استمرت ثمانية أشهر قاسية ، رافقه فيها كثير من الحرمان الشديد والمشقات ، وقد شملت أجزاء كبيرة من پاشالقات سيواس ، وقونية ، وأدنه[2] . . . ولم يخش السائح الشجاع من التوغل حتى إلى قبائل الإفشار والكرد المتعصبة والتي تسكن بلاداً لم تدرسها العلوم الطبيعية إلاّ قليلاً . . . إلاّ أن الأهم من ذلك كله هو أنه أسس في كثير من المواقع في آسيا الصغرى مؤسسات على طراز محطات الأرصاد الجوي زودها بالآلات والأدوات

---

(١) « الأخبار الجغرافية » ، النشرة ١ ، ١٨٤٨ ، ص ١٤ .

(٢) إن المعلومات الواردة عن الأراضي التي زارها في سنة ١٨٤٧ ليست صحيحة بأكملها ، فهو لم يزر في سنة ١٨٤٧ منطقة سيواس .

اللازمة . . . وقام بتسليمها إلى من توسم فيه من السكان المحليين الأهلية والاستعداد على أن يستعملها بنجاح » .

ونشرت « الأخبار الجغرافية » في نفس سنة ١٨٤٨ مضمون رسائل پ . أ . چيخاچيف إلى البروفيسور ليونارد في هايديلبيرغ بشكل موجز جداً : « من أجل أن لا يحرم الروس من أن ينعموا بالبطولات والإنجازات العلمية لابن جلدتهم ، نرى من الضروري أن نطرح هنا ولو بإيجاز مضامين هذه الرسائل المهمة التي يبلغ عددها العشرة » . لا تحمل الرسالة الأولى والثانية أي تاريخ . أما البقية فهي مؤرخة . وهي تعود إلى الفترة من ١٠ حزيران سنة ١٨٤٧ حتى ١٥ آذار سنة ١٨٤٨ . وقد بعث هذه الرسائل من القيصرية ، وسامسون ، وسيواس ، وسميرنا ، والقسطنطينية . ولا شك بأن مجموع المسائل والقضايا التي كان يهتم بها الرحال كانت كبيرة جداً ، وهي تخرج إلى حد بعيد عن نطاق الحقل الجغرافي والجيولوجي . فهو كان يهتم بقضايا الملاحة بين القسطنطينية وطرابزون ، وتطور التجارة الانكليزية باتساع في السواحل الشمالية من آسيا الصغرى ( وبشكل عام آسيا كلها ) ، والنظام المالي في تركيا . وهو يصف أوضاع انتاج مصانع النحاس في البلاد . وفي رسائله التي بعث بها من القسطنطينية يشرح الأحوال السياسية في البلاد ، والأحداث المختلفة في المدينة[1] .

ومن الضروري الإشارة إلى حقيقة غير معروفة جيداً وهي أن الاهتمام برحلات چيخاچيف لم يقتصر على الجمعية الجغرافية وحدها . فهي جلبت انتباه الأوساط الحكومية . وتشهد على هذا نسخة مذكرات پيوتر چيخاچيف عن آسيا الصغرى المحفوظة في أرشيف الوثائق القديمة الحكومي « آسيا الصغرى من وضع پيوتر چيخاچيف القنصل العام في القسطنطينية ، ١٨٤٩ »[2] .

والمذكرات هذه هي باللغة الفرنسية ، وتتألف من ٩٨ صفحة من القطع الكبير ، وتتضمن الفصول التالية :

---

(١) « الأخبار الجغرافية » ، النشرة ٤ ، ١٨٤٨ ، ص ١١١ - ١١٣ .

(٢) الأرشيف المركزي للوثائق القديمة الحكومي . الدليل ، القسم ١ ، موسكو ، ١٩٤٦ ، ص ١٧٩ .

١ ـ الوضع التوپوغرافي ، والمصادر والموارد الطبيعية ، والصناعة ، والحبوب ، والمحصولات الصناعية ( يقصد بها محاصيل النباتات التي تروى ) .

٢ ـ تربية الماعز الانغوري .

٣ ـ الطرق والمواصلات .

٤ ـ الموانىء .

٥ ـ التجارة .

٦ ـ المناجم .

٧ ـ إدارة المناجم .

وهناك فصول خاصة عن الوضع المالي ، والعسكري في تركيا ، والإصلاحات التي تمت فيها بموجب مرسوم گولخانه . ويظهر من مضامين المذكرات بأن چيخاچيف كان يعرف بشكل جيد اقتصاد البلاد ، وحياتها الاجتماعية والمعاشية ، والوضع السياسي وما إلى ذلك . وقد تطرق پ . أ . چيخاچيف إلى هذه القضايا في مقالته المطولة المنشورة في سنة ١٨٥٠ في المجلة الفرنسية « مجلة العالمين » بعنوان « آسيا الصغرى والأمبراطورية العثمانية »[١] . وتعكس هذه المقالة الأوضاع الاقتصادية ، والثروة الطبيعية ، في آسيا الصغرى ، وكذلك الوضع العسكري والسياسي والمالي في تركيا . ومما يجدر ذكره هو أنه قبل صدور المقالة المشار إليها في « المجلة الحربية »[٢] ، كانت قد نشرت مقالة بعنوان « معلومات عسكرية ـ إحصائية عن الأمبراطورية التركية » . وفي تعليق من هيئة تحرير المجلة وردت : « ان مؤلف هذه المقالة المهمة پيوتر اليكيساندروڤيچ چيخاچيف الذي يشغل مكاناً كبيراً في الأدبيات الأوروپية برحلاته العلمية في شمالي أفريقيا وشرقي سيبيريا سمح لهيئة التحرير أن تزيّن صفحات « المجلة الحربية » بنشر ما معروض هنا مقتطفات ومقتبسات من كتاباته غير المطبوعة لحد الآن عن رحلاته المختلفة في سنوات ١٨٤٦ ، ١٨٤٧ ، ١٨٤٨ في آسيا الصغرى » .

---

(١) «Revue des deux Mondes», 1850, tome sixième, 15 mai, p.705-732; 15 juin, p.840-863.

(٢) يراجع : « المجلة الحربية » ، العدد ١ ، ١٨٥٠ ، ص ١٤٥ ـ ١٦٤ .

وخلال رحلاته الكثيرة كان چيخاچيف قد سافر وعرج على جميع أنحاء شبه جزيرة آسيا الصغرى وجهاتها المختلفة ، من بحر مرمرة وبحر إيجة حتى أرمينيا وبلاد فارس ، ومن البحر الأسود حتى بحر الأبيض المتوسط . وقد قام بأكثر من ستين سفرة ، وجمع مجموعات كبيرة من المكنونات الطبيعية المفيدة ، النباتات ، وحدد ارتفاع ٧٥٠ موقعاً ، وقام بتتبعات ورصد جيولوجي وفلكي بشكل واسع .

أما الطرق التي سلكها چيخاچيف كانت في الاتجاهات التالية :

١ ـ الشمالية : من أسكودار إلى أزمد ، وبول ، وقسطموني ، وأماسيا ، وتوكات ، وأرضروم مع تفرع إلى الشمال نحو البحر الأسود ـ سامسون ، وگيريسون ، وأخرى .

٢ ـ الوسطى : إزمير ، وكوتاهيا ، وأنقرة ، ويوزگاد ، والقيصرية .

٣ ـ الجنوبية : من آيدن إلى قونية ، والقيصرية ، والبستان .

٤ ـ بمحاذاة البحر الأبيض المتوسط : آيدن ، وموگلا ، وأنتاليا ، وطرطوس .

كانت هذه الطرق الرئيسية قد أضيف إليها طرق ثانوية كانت تخترق في بعض الأماكن سلاسل طوروس وانتي طوروس . وبلغ مدى الطرق التي قطعت في هذه الرحلات ١٤ ألف فرسخاً .

وكانت الخريطة التي توضح الطرق التي سلكت في الرحلات قد هيأها كيپيرت ونشرها في سنة ١٨٦٨ في المانيا بمقياس ( ١ : ٢٠٠٠٠٠٠ ) .

وكانت نتائج رحلة چيخاچيف قد تمخضت عن نشر عمل كبير جداً في ثمانية مجلدات باللغة الفرنسية ، فظهر المجلد الأول في سنة ١٨٥٣ والمجلد الأخير في سنة ١٨٦٩[1] . ولا يوجد في المجلدات الثمانية المشار إليها عدا عنوان المجلد الأول أي

---

(١) Asie Mineure, description physique, statistique et archéologique de cette contrée par P. de Tchichatchef - Premiere partie: Géographie physique comparée, Paris, 1853.

Asie Mineure, Climatologie et zoologie Deuxième partie, Paris, 1856.

Asie Mineure, Botanique I. Paris, 1866.

وصف لآسيا الصغرى من حيث الآثار والإحصاء ( أي الوصف الاقتصادي ـ الجغرافي ) .

ولدراسات چيخاچيف في علم الحفريات أهمية أكثر ، إذ أن المجموعات التي جمعها أسفرت عن اكتشاف ٣٢٣ نموذجاً جديداً من العاديات والثروات المخزونة في باطن الأرض . وقدم الجيولوجي الانكليزي المعروف رودريك مورچيسون تثميناً عالياً للأعمال الجيولوجية التي قام بها چيخاچيف في آسيا الصغرى . وهو واحد من مؤسسي علم الجيولوجيا الستراتيگرافية المعاصرة . ففي كلمة ألقاها مورچيسون في ٢٤ مايس سنة ١٨٦٩ في الجمعية الجغرافية الملكية عدّد خدمات پ . أ . چيخاچيف ، واختتم خطبته بكلمات من رسالة دي أرشياك ، مضيفاً إليها بأنه يشارك تماماً رأى الجيولوجي الفرنسي الشهير : « إنني وضعت لنفسي هدفاً ينحصر في البرهنة عملياً على أن أعمال پ . چيخاچيف عن آسيا الصغرى تدخل بصورة حقيقية في عداد الآثار العلمية الرائعة العظيمة في القرن الحالي ، لأن أي باحث في البلدان غير المعروفة لم يقدم بشكل جيد أعمالاً أكثر تفصيلاً ودقة بشأن كافة حقول العلوم الطبيعية كما فعل چيخاچيف ، كان يدرس بلاداً نصف متوحشة وصعبة المنال خطوة خطوة وخلال بضع سنين ، وهي لا تبلغ فرنسا من حيث السعة والمساحة[1] .

أما مورچيسون نفسه فقد قال عن عمل پ . أ . چيخاچيف : « إن صديقي الكريم الفاضل السيد پيوتر چيخاچيف الذي صرف من عمره ثماني سنوات للقيام بالدراسات الشخصية ، وعشرين سنة تقريباً للأعمال العلمية والأدبية

---

Asie Mineure, Botanique II. Paris, 1866.

Asie Mineure, Description phyşique de cette contrée par P. de Tchichatchef. Paléonthologie. Par A. d'Archiac, P. Fischer et E. de Verneuil. Ouvrage accompagthé d'un Atlas grand in 4°. Paris, 1866,

Asie Mineure, Description physique de catte contrée par P. Tchichatchef. Quatrième partie. Geologie I. Paris 1867; Geologie II. Paris 1869; Geologie III. Paris, 1869

(١) ن . بيلوزير سكاپا ، پ . أ . چيخاچيف ، « بشير أوروپا » ، ١٨٩٣ ، تشرين الثاني ، ص ١٩٦ .

اختار في مجال اختصاصه آسيا الصغرى ، وسجل جهوده التي لا تكل في مجلدين عن الطبقة الثانية والثالثة في هذا البلد الكلاسيكي . . . وهي حصيلة أعمال سنوات كثيرة ، وصرف مبالغ طائلة ، وتعرض لأخطار لا حدود لها ، هكذا قضى حياته ؛ جمع بتحمس لا يقهر معلومات عن الجغرافيا ، والنبات ، والتاريخ الطبيعي ، والجيولوجيا لبلاد واسعة ، وهي جديرة باحترامنا البالغ . . . »[1] .

وهناك في أعماله مجلدات مخصصة لعلم المناخ ، وعلم الحيوان ، وعلم النبات لآسيا الصغرى .

وفي باب تثمين أعمال چيخاچيف كتبت « مجلة وزارة المعارف الوطنية » في سنة ١٨٦٨ : « يخرج مؤلف السيد چيخاچيف من صفوف الأشياء الاعتيادية . فكل ما كان مدوناً عن آسيا الصغرى ابتداءً من الكتاب القدماء وانتهاءً بنا نحن المعاصرين ، استنفذ تماماً وتم تدقيقه وفحصه بالملاحظات الانتقادية الشخصية للمؤلف »[2] .

أما عمل چيخاچيف « البوسفور والقسطنطينية » يعتبر مصدراً مكملاً للمعلومات التي تضمنتها المجلدات الثمانية ، وقد وسع المؤلف إلى درجة كبيرة هنا هذا الفصل المشابه الخاص بالبوسفور في العمل الأول . وفيه يصف المؤلف تكوين الأرض من حيث التربة ، وتوزيع المياه ، وتاريخ جيولوجية ضواحي القسطنطينية ، ويتطرق إلى مسائل عن تجمد البوسفور وما إلى ذلك[3] .

وفي القسم الختامي الذي يجلب الانتباه بشكل خاص يقدم چيخاچيف صورة واضحة للحياة في القسطنطينية في ستينيات القرن التاسع عشر .

وفي سنة ١٨٦٨ نشر چيخاچيف عملاً جديداً ليس كبيراً من حيث الحجم في

---

(١) « كشوف موسكو » ، ١٩ آب ١٨٦٩ .

(٢) « مجلة وزارة المعارف الوطنية » ، القسم ١٣٨ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٨ ، نيسان ، ص ٢٤٣ .

(٣) Le Bosphore et Constantinople avec perspectives des pays limitrophes Paris, 1864 (1866) Par P. de Tchichatchef.

جغرافية آسيا الصغرى[1]، وهو يعتبر نصاً مبسطاً موجزاً لعمله الكبير المنشور في المجلدات الثمانية . وقد ألحق بالكتاب وعرضاً عاماً للثروات الطبيعية في آسيا الصغرى .

ولم يدرس پ . أ . چيخاچيڤ الجغرافية الطبيعية لآسيا الصغرى وجيولوجيتها ، وحيواناتها ، ونباتاتها فقط ، وإنما عرف بشكل جيد اقتصاد البلاد ، والوضع المالي ، والبناء السياسي ، والحياة الاجتماعية والمعيشية ، والتركيب القومي للسكان أيضاً . ولقد وضح هذه الجوانب من حياة الأمبراطورية العثمانية في عدد من الكراريس السياسية الخاصة .

وفي التقرير الانتقادي عن الكراسة « رسائل عن تركيا »[2] المنشور في المجلة الفرنسية « مجلة الآراء » كتب الأكاديمي سين مار ژيراردين : « قرأت كتباً كثيرة عن الشرق ، وبصورة خاصة عن تركيا . إنه [ چيخاچيڤ ] العالم الأوروپي من الطراز الأول ، ويمكن قراءة دراساته ورحلاته في آسيا الصغرى بمتعة وثقة . وقد أعجبتني بشكل خاص من رسائل چيخاچيڤ ميزتان : الأولى ، أن المؤلف يهوى الحقيقة أكثر من أي شيء آخر ، والثانية للمؤلف شخصيته المميزة الخاصة ، وطابعه الخاص وذكاؤه الخاص »[3] .

وفي الكراسة «La Turquie Mirés»[4] يقدم چيخاچيڤ عرضاً للوضع المالي السيء في تركيا ، والسبب لذلك كما يعتقد المؤلف هو تعسف السلطات واستبدادها ، ووقوع الدولة التركية تحت طائلة قروض ضخمة وكبيرة .

---

(١) Une page sur l'orient. Paris, 1868 par P. de Tchichatchef.
في سنة ١٨٨٧ كان قد نشر النص الموجز للمجلدات الثمانية باللغة الألمانية أيضاً . وبدلاً عن الفصل الخاص بالوضع السياسي في تركيا الذي حذف من الكتاب فقد تم نشر فصل عن شعوب آسيا الصغرى فيه .

(٢) Letters sur la Turquie par M.P. de Tchichatchef, Bruxelles - Paris, 1859.
في سنة ١٩٦٠ كانت قد نشرت هذه الرسائلة باللغة الروسية ، يراجع : پ . أ . چيخاچيڤ ، رسائل عن تركيا ، قدم له وعلق عليه ڤ . ڤ . تسيبولسكي ، موسكو ، ١٩٦٠

(٣) يراجع : « المكتبة الروسية للصور » ، المجلد ٥ ، العدد ١٥ ، ١٨٥٩ ، ص ١١٥ ..

(٤) La Turquie Mirés, Paris, 1861.

وفي الوقت الذي يفضح فيه چيخاچيف سياسة فرنسا وانكلتره اللتين تعملان من أجل مصالحهما بحجة الدفاع عن تركيا ، فهو في نفس الوقت يرسم لوحات عن السيطرة الكولونيالية القاسية للانكليز على الهند والبلدان الأخرى التابعة لها .

ومن الجدير هنا أن نذكر بضع كلمات عن رحلة چيخاچيف إلى الجزائر وتونس . وقد قام بها في سنة ١٨٧٧ حيث كان يبلغ من العمر التاسعة والتسين . وكانت حصيلة الرحلة كتاب نشر في سنة ١٨٨٠ في شكل رسائل موجهة إلى صديقه ميشيل شيڤاليه[١] . وإن كتاب چيخاچيف هذا كبير ومهم ، ومكتوب بشكل بديع وفي مجلد واحد ، يقدم عرضاً للجغرافية الطبيعية ، وجيولوجية البلدان التي قام بزيارتها ، وكذلك وصف الوضع الاجتماعي ، ويتصف إلى حد بعيد بالسطحية ، وهو لا يشكل دراسة مستقلة ، ويختلف بشكل جوهري من هذه الناحية عن الأعمال الأخرى التي أنتجها عن آسيا الصغرى .

أما في الوقت الحاضر فإن اسم پ . أ . چيخاچيف في الواقع منسي عندنا في بلادنا ، إلاّ أنه في طريقه إلى بعث جديد حيث تتناوله مجموعة من أعمال الباحثين السوڤيات . منهم ڤ . ڤ . تسيبولسكي الذي كرّس سنوات كثيرة من عمره لدراسة حياة ونتاج پ . أ . چيخاچيف[٢] .

وكتب ج . بيكر في كتابه[٣] : « إن الدراسات التي قدمها كيپيرت عن آسيا الصغرى لا تنافسها إلاّ دراسات السائح الروسي پ . چيخاچيف »

وخصص پ . أ . چيخاچيف سنين طويلة من حياته لآسيا الصغرى ، دارساً تركيبها الجيولوجي ، والأوروغرافي ( علم وصف الجبال والسهول ـ م.خ. ) ، والمناخ ، والتربة ، والنباتات ، وعالم الحيوان ، وقد تكلم عن الشعوب التي تسكنها ، وعن تاريخها وثقافتها .

وهكذا أضافت أعمال چيخاچيف أشياء جديدة كثيرة في دراسات آسيا

---

(١) Espagne, Algérie et Tunisie Lettres à Michel Chevalier, par P. de Tchichatchef, Paris, 1880.

(٢) ڤ . ڤ . تسيبولسكي ، پ . أ . چيخاچيڤ ـ الباحث البارز لألتاي ، كيميروڤو ، ١٩٥٩ ، وله أيضاً ، پ . أ . چيخاچيڤ ـ الباحث والسائح ، موسكو ، ١٩٦١ .

(٣) ج . بيكر ، تاريخ الاكتشافات والدراسات الجغرافية ، ترجمة من الانكليزية باشراف وتعليق إ . پ . ماجدوڤيچ ، موسكو ، ١٩٥٠ ، ص ٢٩٣ .

الصغرى . وهي تحتفظ بأهميتها إلى يومنا هذا ، وتعتبر مصادر مهمة جداً لجميع الذين يدرسون تركيا .

## رحلة نوروف

قام المستشرق والكاتب الشهير أفرآم سيميونوفيچ نوروف ( ١٧٩٥ ـ ١٨٦٩ ) برحلته الأولى الى الشرق في سنة ١٨٣٥ .

ولقد اشترك في الحرب الوطنية ، وجرح في معركة بوردينو بشظية ، وعلى أثرها فقد احدى رجليه ، فاضطر أن يترك الخدمة العسكرية في سنة ١٨٢٣ وكان برتبة العقيد ، فالتحق بالخدمة في وزارة الشؤون الداخلية ، ثم عينّ مساعداً لوزير المعارف الوطنية في سنة ١٨٥٠ ، وأما في سنة ١٨٥٤ فتم تعيينه وزيراً . وكان يتقن عدداً من اللغات الأجنبية ( الفرنسية ، والألمانية ، والانكليزية ، والايطالية ، وفيما بعد تعلم اللغات اللاتينية ، واليونانية ، والعبرية القديمة ) .

وقام بسفرة الى أوروبا في سنة ١٨٢١ ، زار فيها المانيا ، وفرنسا وايطاليا ، وكتب كتاباً عن صقليا .

واشتهر أ.س. نوروف كمتضلع في الأدب أيضاً ، وخبير وهاو للكتب ، فقد أسس مكتبة فريدة خاصة . وكان عضواً أصيلاً في أكاديمية العلوم في قسم اللغة الروسية وآدابها .

وزار أ.س. نوروف فلسطين ، ومصر ، وبلاد النوبة . وفي طريق عودته عرج على ساحل البحر الأبيض المتوسط في آسيا الصغرى . وكانت حصيلة رحلاته ان ظهر له عدد من الكتب . ففي الكتاب الأول « رحلة في الأرض المقدسة »[1] ، يصف

---

(١) أ.س. نوروف ، رحلة في الأرض المقدسة في سنة ١٨٣٥ ، القسم ١ ـ ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٤ .

المؤلف الرحلة من مصر عن طريق برزخ السويس الى فلسطين . وخصص القسم الأعظم من الكتاب لمدينة القدس وضواحيها . والفصول التي يصف فيها المدن تعكس صوراً حية عن حياة البدو ، وتطرح الاهتمام الذي يخرج بعيداً عن إطار واجبات الحجيج الضيقة . وان هذا « بدون شك أفضل وأجمل وصف للأرض المقدسة وأكثرها تفصيلاً من جميع ما موجود في الأدبيات الروسية »[1] . وقد أبدى هنا رأياً ظهر بطلانه فيما بعد ، ومفاده انه لا يمكن شق قناة خلال برزخ السويس لأسباب فنية ، ولقلة سكان مصر . وبالإضافة إلى ذلك فهو يستطرد : « وعلاوة على ذلك ان مثل هذا الطريق يفيد الانكليز أكثر مما يفيد مصر ، ومن الممكن أنه يستعبد أوروبا »[2] .

وترد في الكتاب معلومات عن الطبيعة ، والاقتصاد ، والمدن ، والحياة الإجتماعية والمعيشية ، والوضع السياسي في فلسطين .

وهكذا يشير إلى : « إن قسماً صغيراً من أفخاذ البدو يسمون بالرعاة ، فهم يعملون في زراعة الحقول ؛ والآخرون أحرار كالهواء ، يرحلون مع قطعان الخيول ، والجمال ، والجواميس ، ومع قطعان مواشيهم من سهوب تدمر حتى الأطلسي . وفي مصر وحدها هناك ٥٠ فخذاً من البدو منهم ١٥ من الرعاة »[3] .

ولدى وصفه الطريق من دمياط عبر صحراء برزخ السويس وحتى مدينة القدس يذكر معلومات مهمة وممتعة كثيرة : « في هذه الصحراء المليئة بالأحراج في منطقة السويس يمكن مشاهدة الأثل الذي يسميه علماء النبات بـ « Tamarix manifera» أي حامل المنّ . . . والمنّ نادراً ما يظهر،ومن أفضله ما موجود في الصحراء العربية ، وفي شبه جزيرة سيناء ؛ وأن هذا الشيء عبارة عن نوع من الندى حلو المذاق وطيب الرائحة ، يظهر في أشهر الصيف الحارة على أوراق بعض النباتات بعد المطر ، وبشكل خاص على الأثل » ، والعرب يجمعونه قبل شروق الشمس ، وذلك قبل أن

(١) ف . خيتروفو ، فلسطين وسيناء ، ص ٤٦ - ٤٧ .
(٢) أ.س. نوروف ، رحلة في الأرض المقدسة في سنة ١٨٣٥ ، القسم ١ ، ص ١٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٣ - ١٤ .

يذوب بتأثير الحرارة ، ثم يحولونه الى أقراص شبيهة بالكعكة الرقيقة الصفراء »[1] .

ومن مدينة القدس توجه نوروف الى البحر الميت ، زار يافا ، ونابلس ، والسامرة ، ونازاريت ( الناصرة ) ، وبحيرة طبرية . وكان إعجابه شديداً بصورة خاصة بمدينة يافا : « . . . تنبسط بشكل جميل بين البساتين الكثيفة على هضبة في ساحل البحر . يملأ أريج أشجار البرتقال والنارنج الاجواء المحيطة ، ويزحف الى أماكن بعيدة . وفي جانبي الطريق أحراج كثيفة في ظلال الأشجار البديعة ، وهي تمتزج بأشجار الغار والآس ودالية الكروم الملفوفة وهي تغوي وتغري الانظار . والأحواض المرمرية المزينة بكتابات من القرآن ترحب بالمسافر المتعب عند أول دخوله الى المدينة . ويافا مدينة تحيط بها الأسوار ، ويرى المرء عدداً من الأبراج في زوايا السور . والشوارع غير منسقة ، إلاّ انها تضم محلات تجارية كثيرة ، وفيها حركة كبيرة ، وبرك المياه وفيرة ؛ ورغم ان المرفأ خطر غير أن الناس يرتادونه بكثرة . . .[2]

وأن عدد المسيحيين في يافا لا يزيد عن ٦٠٠ شخص ، وأما عدد المسلمين فيبلغ أكثر من ٤٠٠٠ شخصاً . وتجارتها مع مصر واسعة ومزدهرة ، ولا شك بأنه كان من الممكن أن تكون التجارة أكثر أهمية وازدهاراً لو لم يكن المرفأ خطراً إلى هذه الدرجة ، ولنا أن نقول بأنه لا يوجد هناك مرفأ أساساً ، فالبواخر تقف بعيدة ، متأهبة على الدوام للأبحار »[3] .

ويعتبر كتاب « رحلة الى الأرض المقدسة » مكملاً للكتاب الذي يروي أحداث الرحلة إلى مصر وبلاد النوبة[4] ؛ على الرغم من أنه الف قبله . وللكتاب أهمية كبيرة جداً ، لما ورد فيه من وصف لمصر في الثلاثينيات من القرن المنصرم ، في عهد إدارة محمد علي . وفيه معلومات وأخبار عن التجارة ، والمالية ، وأسطول البلاد . ويتكلم نوروف بشكل دقيق وشامل عن توپوغرافية البلاد ، ومناخها ، وسكانها . وهناك

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٢) المصدر السابق ، القسم ٢ ، ص ١٢٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٤) «رحلة في مصر وبلاد النوبة في سنتي ١٨٣٤ ـ ١٨٣٥ لأفرآم نوروف » ، القسم ١ و٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٠ .

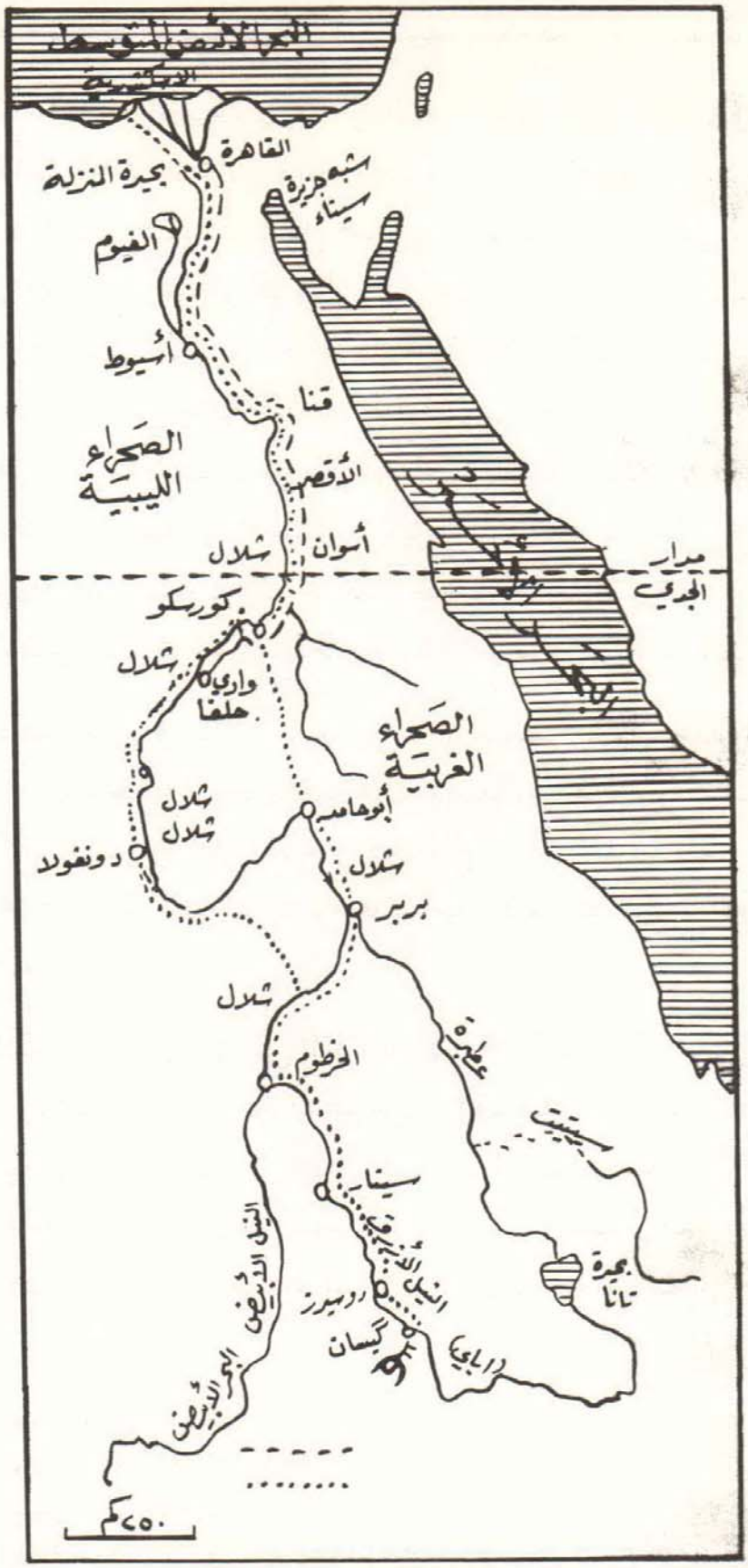


**خارطة رحلات أ . س . نوروث** خط ورسم خالد الخالدي

فصول خاصة مكرسة للزراعة ، والصناعة .

ويشير نوروف الى « الزراعة » الخريفية والربيعية ، وفلاحة الأرض . ويعدد المزروعات الأكثر أهمية كالدخن الافريقي ، والذرة ، والقمح ، والشعير ، والفول ، والارز ، والكتان ، والقطن ، والتبغ ، والزيتون ؛ ثم يتوصل الى الإستنتاجات التالية :

« بغض النظر عن هذا الإختلاف والتنوع في الأشجار والنباتات في مصر ، فأن زراعة هذا البلد الباهر الفخم لا تزال في دور الطفولة . وأن العرب الحاليين يستعملون نفس الآلات والأدوات الزراعية التي كانت تستعمل قبل أربعة آلاف سنة تقريباً والمنقوشة صورها على قبور قدماء المصريين » . وعن اقتصاد البلد يقول بأن « الصناعة المحلية لم تترسخ في مصر لحد الآن ، وبأن تأسيس المعامل الذي يكلف مبالغ ضخمة ، لم يبرر حتى الآن المصروفات التي انفقها عليها محمد علي »[1] .

ويكتب نوروف بأن « مصر تظهر أمام أعين الرحالة والسيّاح أرضاً قليلة السكان الى أقصى حد . وإذا حكمنا على أساس عدد البيوت والأكواخ التي هجرها أهلها ، يظهر أن المدن والقرى كانت من قبل أكثر سكاناً بكثير مما عليها الآن . والشيء الذي يذهل حقاً هو انه هناك في الحقول عدد قليل من الفلاحين في سن الفتوة . وأن التجنيد الإجباري اختطف جميع السكان الذين هم في عمر الزهور. . . »[2] . ويعتقد بأن المجموع العام للسكان هو عبارة عن مليونين ونصف المليون نسمة .

وبجانب وصف مناظر الطبيعة ، والحياة الإجتماعية والمعيشية ، والإقتصاد ان لرحلة نوروف بلا شك أهميتها في اللقاءات الخاصة بمحمد علي والمقربين إليه من الوجوه أمثال كلوت بك ، وابراهيم ، وسليمان باشا ، وآخرين .

ثم توجه نوروف من فلسطين عن طريق البحر إلى سميرنا ( إزمير ) ، إلاّ انه

---

(١) المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٥٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠٣ .

غيرّ طريقه أثناء السفر عندما وصل الى أتاليا ، قرر أن يسافر الى أعماق آسيا الصغرى وعن طريق بوردور ، ودينيزلي عاد إلى سميرنا[1] .

وفي أتاليا يشير نوروف : « بسبب العداوة والكراهية بين تركيا ومصر ، التحصينات هنا في حالة مقبولة . فيها حصن وقلاع كثيرة ؛ وأسوار متينة وأبراج فيها أقواس على الطريقة العربية وبعضها بيزنطية ، وهي تحمي المدينة في جميع الأطراف والإتجاهات »[2]

وفي طريقه إلى بوردور مرّ نوروف بالتركمان الرحل : « كل قطعة من الأرض إذا كانت خالية تصبح ملكاً خاصاً بالتركمان بصورة موقتة . وهم يستقرون بالتناوب لرعي قطعانهم الكثيرة ، أو للبذر والزرع ، وهم كالجراد الذي يحمل القحط ، يدمرون المروج ، ويقلعون الغلة والمحصولات ، ثم يتوجهون الى مكان آخر ؛ وأما عند قدوم الشتاء فأنهم يختبؤ ون خوفاً من هبوب الرياح في شعاب الجبال ، حيث يحفرون الكهوف أو يشغلون أكواخ القبائل الأخرى ، التي كانت تتنقل هناك في سابق الأزمان او أكواخهم الخاصة في بعض الأحيان »[3] .

وبعد بوردور سافر نوروف عن طريق دينيزلي ، ووادي ميندريس ، وآلاشهر ، وخرائب ساردا ، وآق گيسار الى سميرنا ، ومن سميرنا توجه الى بيرگاما .

وعلى العموم إن الكتاب يضم تأملات في موضوعات مختلفة وردت في الكتاب المقدس والوصايا الجديدة وهي من وحي الآثار التاريخية و« الأراضي المقدسة » التي قام المؤلف بزيارتها . وتحتل المناظر الطبيعية مكاناً بارزاً بجانب الزراعة ، والحياة الإجتماعية والمعيشية . وقد زود الرحلة بملحق خاص وهودراسة عن أطلانتيس[*] .

---

(١) أ.س. نوروف ، رحلة الى الكنائس السبع المذكورة في سفر الرؤيا ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦١ - ٦٢ ، ان الوصف بأكمله مقتبس من كتاب ڤرونچينكو الذي يستند عليه أ. نوروف .

(*) اطلانتيس وردت في الأساطير بأنها جزيرة في المحيط الاطلسي غربي جبل طارق ، غارت في المياه ، وكان يسكنها شعب ( الاطلنت ) ( المترجم ) .

وأما القضايا الأخرى المتعلقة بأطلانتيس لقد قام نوروف بتوضيحها في عمل آخر له أيضاً[1] . ويعتقد نوروف بأن أطلانتيس لم تكن في المحيط الأطلسي ، وإنما كانت في القسم الشرقي من بحر الأبيض المتوسط ، وكانت تشغل المساحات من قبرص وحتى صقليا ولسبوس ، وللبرهنة على فرضيته هذه يستند إلى الحقيقة التي تنحصر في أن هذه المنطقة بأجمعها كانت تحت تأثير القوى البركانية . ويطرح نوروف مجموعة من الآراء ، وفيها يشير إلى أن عنوان البحر الأطلنتي الذي يذكره أفلاطون يجب أن نفهم منه بأنه هو عبارة عن القسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، وأما جزيرة قبرص يجب أن ينظر إليها كجزء يقع في بحر اطلانتيس . والأكاديمي ل . س . بيرگ يشير إلى أن مقال أ . س . نوروف « يقدم لوحده حلاً صحيحاً لهذا اللغز الذي كان يقلق المفكرين منذ أكثر من ألفي سنة »[2] .

ومن سميرنا عن طريق أطلال ظروادة توجه نوروف إلى القسطنطينية .

أما عن الكتابين الأولين اللذين نشرهما أ . س . نوروف ، يقول ن . گ . چيرنيشيڤسكي بأن « الكتابين يشغلان مكاناً بارزاً من الناحية العلمية بين جميع المؤلفات في هذا الموضوع ، كنتاج في مستوى عالم ، وباحث ، وسائح له مكانة كبيرة ، وقد تعرّف بأيجاز على جميع البحوث التي أنتجها السلف ، كنتاج باحث مدقق يعتمد على ذاته ، ويوضح النتائج الاضافية الكاملة التي نالها العلم »[3] . وعن كتاب « رحلة الى الكنائس السبع » يقول نيكولاي گافريلوڤيچ(*) بأنه « يتميز بحسن الغرض بقدر تميزه بالجدارة العلمية »[4] .

---

(١) أ . س . نوروف ، دراسة عن أطلانتيس . « التقارير العلمية للقسم الثاني من أكاديمية العلوم الامبراطورية » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٤ ، الكتاب ١ ، ص ٣٣ - ٦٤ .

(٢) ل . س . بيرگ ، مقالات في تاريخ الاكتشافات الجغرافية الروسية ، الطبعة ٢ ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٤٦ ، ص ٢٢٨ .

(٣) ن . گ . چيرنيشيڤسكي ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢ ، موسكو ، ١٩٤٩ ، ص . ٥٢ - ٥٢١ .

(*) هو اسم چيرنيشيڤسكي واسم ابيه ، والتعبير روسي وهو من تقاليد الحياة الاجتماعية الروسية حيث يذكر وينادي الانسان باسمه واسم ابيه احتراماً له ، فهذه الصيغة تقابل كلمة « السيد » وما شابهها في اللغات الأخرى حين الحاقها بالاسم أو اللقب ( المترجم ) .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٣٨ .

ونتيجة لدراسة عمل نوروف فقد ثمنه ن. كَ. چيرنيشيڤسكي ونظر اليه كعمل كبير. وأشار بهذا الشأن الى أن « هذه الأعمال تشغل مكاناً عالياً ليس في الأدب الروسي فقط وإنما في الأدب الأوروبي بشكل عام، لأنها دفعَت العلم إلى الأمام الى حد بعيد، ثم طرحت وحلت مجموعة من المسائل والقضايا المهمة العويصة في التاريخ القديم والجغرافيا والآثار »[1].

وبعد مرور سنوات طويلة وفي سنة ١٨٦١، وفي سن السادسة والستين قام نوروف برحلته الثانية الى الشرق[2]، زار في هذه المرة الاسكندرية، ومدينة القدس، وسيناء التي لم يكن باستطاعته زيارتها في رحلته الأولى. وهو يشير الى أنه خلال ٢٧ سنة التي مضت على الزيارة الأولى له فان الاسكندرية مدينة أعيد تنظيمها حيث: « اختفت نهائياً الوحشة التي كانت تلف هذا الشاطىء، والمرفأ أصبح نشطاً، فيه عدد كبير من الأساطيل، والسفن، والبواخر الحربية، والتجارية »[3].

ومن الاسكندرية توجه نوروف بالباخرة الى يافا، وفيما بعد سار مع القافلة عن طريق اللد إلى مدينة القدس؛ زار المدينة وضواحيها، وعاد مرة أخرى الى يافا. ومن يافا سافر الى الاسكندرية، ثم إلى القاهرة. واستمر السائح في سفره حتى انتهى به المطاف في السويس حيث وصلها بالقطار، ومن هناك ركب الباخرة وأبحر في البحر الأحمر.

« ها هي سلاسل من الجبال الهائلة العارية الرائعة بقممها المختلفة المتنوعة ترتفع الواحد من وراء الأخرى، قد غطت الأفق الشرقي كله، وامتزجت بالسماء الزرقاء الصافية؛ إن هذه هي جبال شبه جزيرة سيناء »[4]. وبعد مرور ١٧ ساعة من الابحار في السويس وصلوا إلى الطور. ومن هناك قطعوا الصحراء برفقة قافلة كبيرة من الجمال ووصلوا إلى دير سيناء. ثم يذكر نوروف بأن حوالي أربعمائة أسرة من

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٤٣.

(٢) « مدينة القدس وسيناء. مذكرات الرحلة الثانية التي قام بها الى الشرق أ. س. نوروف »، سانت پيترسبورغ، ١٨٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٩.

أحفاد العبيد الذين يُقال بأن الأمبراطور جوستينيان أسكنهم في أطراف سيناء ، وكان بينهم بعض الغجر الولاكيين أيضاً ، لا يزالون لحد الآن يقومون برحلاتهم حول سيناء . « يعيش هؤلاء في الشتاء كالإنسان الأول في الكهوف . . . وفي الصيف يرحلون بصحبة قطعانهم الصغيرة من واد إلى واد ، إلى حيث يجدون المراعي . وبالرغم من أنهم اعتنقوا الإسلام إلاّ أنه يسمون أنفسهم بالجبليين ، ويعتبرون ذواتهم عبيداً للدير ويفتخرون بهذه العبودية . . . وفي أيام معينة ، وحسب عادة قديمة متوارثة يجتمعون عند جدران الدير . . . وفي ساعة محددة يُنزلون لهم من حائط الدير عدداً من السلال المليئة بالخبز الذي يهيء لهم اللذة الحقيقية . وبالرغم من تمتعهم بلقب عبيد الدير ، إلاّ أن أهل الدير لا يدعون أن يدخل هؤلاء الضيوف الوحوش إلى داخل الدير أبداً ؛ وبالإضافة إلى ذلك أن أهل الدير لا يستقبلون الرحالة ، والسياح ، والمسافرين في داخل الدير أيضاً ، ولا يمكن أن يدخل الدير إلاّ من يحمل خطاب توصية . . . وعندئذ يرفعون الزوار كلا على حدة بمساعدة المحالة ( البكرة ) . وأما عبيد الدير فإنهم يحرسون بدقة الرهبان والحجيج في رحلاتهم ، ويعملون بدأب في عمل معين في البساتين التي تعود ملكيتها إلى الدير مقابل أجرة محدودة »[1] .

ومن سيناء عاد نوروف إلى القاهرة ، ثم عن طريق الاسكندرية توجه إلى تركيا . ومما يجدر ذكره هو أن وصف الرحلة الأخيرة أقل أهمية بكثير من الرحلتين السابقتين .

## رحلة ييفيموف

ترك الفنان د . ى . ييفيموف ذكرياته عن رحلته إلى الشرق الأوسط . وكان ديمتري بيگورييفيچ ييفيموف ( ١٨١١ - ١٨٦٤ ) قد درس في الأكاديمية الفنية . وبعد إكماله الدراسة في الأكاديمية بدرجة نال عليها الوسام الذهبي توجه في سنة ١٨٣٣ إلى إيطاليا لإكمال دراسته ، ومنها قام بسفرة إلى مصر ، وفلسطين ، وسوريا ، حيث

(١) المصدر السابق ، ٩٩ .

درس الآثار القديمة في فن العمارة ، وعلى وجه الخصوص هندسة البناء المصري القديم[1] .

وعن انطباعاته كتب د . ى . يفيموف في نهاية سنة ١٨٣٤ إلى أصدقائه المهندسين المعماريين : « تمتد في جانبي نهر النيل أخصب الأراضي في الوادي الأخضر ، وهي الأرض التي كانت في زمن ما تمور بالعسل والحليب ، والناس . وتتناثر هنا وهناك غابات النخيل وهي تغطي بظلها القرى الصغيرة التي أعمتها القذارة ؛ وبالقرب من المياه تنبسط بساتين البقول والخضر ، ومزارع قصب السكر ، وحقول القطن الذي يعتبر في الوقت الحاضر واحداً من أهم مصادر الثروة المصرية »[2] . ثم يصف فيما بعد آثار الثقافة والحضارة المصرية القديمة ويختتم رسالته قائلاً : « إن المصريين في تكوين هندستهم المعمارية[3] لم يقتبسوا من الشعوب الأخرى ، وإنما كانوا يقلدون الطبيعة المحلية التي يعيشون فيها فقط » .

غير أن اهتمامات الفنان والمهندس المعماري لم تخف عن عينيه الصور الواقعية ، لذلك يلاحظ د . ى . يفيموف بأن : « الناس يخشون سلطة الرجل الواحد الذي هو كحدأة هرمة مفترسة في عشها ، تلمح من بعيد فريستها ، إنهم يهربون منها إلى أعماق الصحراء ، لكن السلسلة الحديدية تدركهم وتغلهم في أعناقهم وتقودهم إليها في القاهرة حيث يتحولون إلى جنود جدد . ومع ذلك يذيعون بأنه قد قبض على هؤلاء أثناء السلب والسرقة »[4] .

ويستمر الفنان في كلامه ويقول بأن الفلاح العربي يعيش في منتهى الهوان والفقر المدقع : « يدهش الإنسان من العربي الحافي العاري أكثر من دهشته من الأردية الملونة الزاهية التي يلبسها الترك الذين يشكلون بصورة استثنائية طبقة الأفندية

---

(١) « منار المعارف والثقافة الحديثة » . « أعمال العلماء والأدباء الروس والأجانب » ، القسم ٥ ، الفصل ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٠ ، ص ٧

(٢) المصدر السابق ، ص ١١ - ١٢ .

(٣) تقصد بالهندسة المعمارية توافق وتمازج معين في الخطوط والزوايا والأشكال التي يتم بموجبها تنفيذ النتاج الفني ( البناء ) ، وقد تكونت خلال التاريخ الطويل مدارس وأساليب مختلفة في هذا النوع من الفن .

(٤) « منار المعارف والثقافة الحديثة » . « أعمال العلماء والأدباء الروس والأجانب » ، القسم ٥ ، ص ١٧ .

والتجار التي تستعبد الشرق[1] .

ثم يتكلم يفيموف عن الأسلوب البدائي الذي يمارسه العرب لإرواء الحقول : « تشق القناة القديمة طريقها في الضفة الغربية من نهر النيل وحول بحيرة الفيوم في محافظة الفيوم حتى قرية دندر تقريباً . وهي تسمى في الوقت الحاضر بنهر يوسف . ويساعد هذا النهر الذي يبعد عن نهر النيل بمسافة كبيرة جداً مساعدة كبيرة في خصوبة المحافظة المشار إليها ، كما إن الفلاحين في مصر يقومون بالزرع في فصول السنة كلها ، ويبذرون أنواع الحبوب وأحياناً في الأراضي غير المحروثة ، وذلك لسقي تلك الأراضي بالمياه عندما تكون أوطأ من مستوى النيل في الشتاء ، ويقوم العرب برفع المياه ليلاً ونهاراً وبدون توقف بمساعدة آلة تتألف من عجلة أفقية مسننة ومتاريس تتحرك بقوة الثور أو البقر ؛ ويمكنهم الحصول على المياه بوساطة دلو من الجلد يصبها في الميزاب وهو يوزعها عن طريق قناة صغيرة تمتد إلى جانب أحواض الأرض المزروعة أو التربة الممزوجة بالرمل التي جمعتها الأيدي . ويرافق جميع هذه الأعمال دوماً بالدعاء إلى الخالق ، وإلى واهب جميع الخيرات النيل ، وإلى الروح الحزينة التي تمزق الأغنية التي تسمع من بعيد في أوقات الليل الصامتة مع صرير العجلات المتحركة للماكنة »[2] .

ثم يكتب يفيموف بوفاء عن مواهب السكان المحليين : « لا يعمل العربي أي شيء بدون أغنية . فإنه يؤلفها في نفس اللحظة التي يقوم فيها بالعمل ، وتكون الأغنية عن الشيء الذي يقوم به ، وهي دليل على سعة قريحته الشعرية ، والمعلومات السريعة التي حصل عليها في أفضل مراحل حياته خلال بضعة قرون »[3] .

## رحلة پروسكوریاكوف

كان ضابط الشعبة التوپوغرافية الملازم الثاني ى . س . پروسكوریاكوف قد

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١١ .

انضم في نيسان سنة ١٨٤٢ إلى البعثة المؤلفة لمراقبة الحدود الروسية ـ التركية في گوريا ، وكان العقيد داينيزه يشرف على البعثة . وخلال عدد من السنين شارك هو في المفاوضات بشأن تحديد الحدود بين روسيا وتركيا ، وفي فترة لاحقة شارك في أعمال اللجنة الدولية لتخطيط الحدود بين فارس وتركيا .

وكانت حصيلة عمل متواصل لست سنوات تقريباً مذكرات وملاحظات ى . س . پروسكورياكوف عن تركيا ، وقد كتبها في سنة ١٨٦٧ إلاّ أنها رقدت مدة عشرة سنوات في القسم الحربي ـ التوپوغرافي في القفقاس ، ثم طبعها في سنة ١٩٠٥ فقط[1] .

زار پروسكورياكوف مدينة باطوم التي كانت في ذلك الوقت تحت السيادة التركية، ثم وصل إلى أرضروم عن طريق آتفين وأولتا ، ومنها توجه إلى تفليس ثم عاد ثانية إلى أرضروم ؛ وقد مكث پروسكورياكوف بعض الوقت في طرابزون . وهنا شارك في المفاوضات التي جرت بصدد تخطيط الحدود بين فارس وتركيا ، وكانت انكلترة وروسيا هما الدولتان اللتان توسطتا في حل الموضوع . وكان على پروسكورياكوف بحكم عمله ونوعية وظيفته أن يسافر إلى مواقع مختلفة من المنطقة . وقد توفرت له الأسباب لأن يدرس المنطقة بصورة دقيقة وشاملة ، وان يقوم بمسح المنطقة . ولا شك بأن لهذه الظاهرة أهميتها الخاصة بالنسبة إلى الرحلة . ويشير فيها إلى سير المفاوضات والوضع السياسي الداخلي في تركيا .

ومن حصيلة أعمال پروسكورياكوف تجدر الإشارة إلى خرائط وادي أرضروم حتى سفوح جبل بينگول ـ داغ، نهر چوروخ ، وبحيرة تورتوم ، وكذلك الخرائط

---

(١) ى . س . پروسكورياكوف ، ملاحظات عن تركيا ، « منشورات الجمعية الجغرافية الروسية ـ قسم القفقاس » ، الكتاب ٢٥ ، النشرة ١ ، تفليس ، ١٩٠٥ . والعنوان الأصلي هو « ملاحظات عن الحدود الروسية ـ التركية في گوريا ، والمفاوضات في أرضروم حول تخطيط الحدود بين تركيا وإيران ، ووصف مفصل لأعمال المسح والأعمال الأخرى التي أنجزت خلال المفاوضات المستمرة ، وهي مقتبسة من المذكرات اليومية التي سجلت منذ سنة ١٨٤٢ وحتى سنة ١٨٤٨ » ، يراجع أيضاً « عرض تاريخي لنشاط الشعبة الحربية ـ التوپوغرافية ( ١٨٢٢ ـ ١٨٧٢ ) » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٢ ، القائمة رقم ١ ، الهامش ص ٢٤ .

التي تخص طرق المواصلات من طرابزون حتى سورمينه ، ومن أرضروم حتى طرابزون .

وكان قد تعلم اللغة التركية العامية المتداولة ميدانياً ، فكان پروسكورياكوف يستوضح ويتساءل بطلاقة من المرافقين عن كل شيء يجلب اهتمامه .

وفي كتابه يصف پروسكورياكوف الاقتصاد ، والطرق من طرابزون حتى أرضروم ، وبايبورت . ويذكر : « خلال مكوثنا في الأناضول في سنة ١٨٤٢ حتى سنة ١٨٤٨ لم نجد أي مصنع في طرابزون ، وإنما كانت ولا تزال توجد حتى الآن ورشات صغيرة للمنتجات الحريرية والقطنية والصوفية التي كانت تنسج في البيوت الخاصة . . . أما عدد مشاريع الصبغ ونقش النسيج فيبلغ عشرين وحدة ، ويبلغ عدد مؤسسات دباغة الجلود والسختيان الثلاثين . وعدد معامل صناعة الصابون يبلغ عشر وحدات ، وهناك مصنع لصناعة الآلات الحديدية[١] .

ويصف پروسكورياكوف بصورة مفصلة انتاج السلع الزراعية ، والتجارة ومن الأهمية بمكان هنا الإشارة إلى أن پلاتانا التي تقع على بعد ١٧ فرسخاً عن طرابزون « هي عبارة عن ملجأ للمهربين الذين يجلبون بضائعهم ليس فقط إلى الساحل الجنوبي ، وإنما إلى الساحل الشرقي أيضاً ، وإلى القبائل المختلفة التي تتألف منها الشعوب الجبلية . فإنهم ينقلون مختلف الرسل والمبعوثين ويقومون بإرشادهم ، وكذلك ينقلون أنواع الأسلحة ، والرصاص ، والبارود ، ومختلف الأجهزة ، والأدوات ، والقذائف الحربية الأخرى ، ومنتوجات المعامل والمصانع . ويجلبون مقابل السلع والبضائع المنقولة الفتيات الشركسيات الجميلات التي تم شراؤهن ، وحتى المسروقات من قبلهم أنفسهم ، وبالإضافة إلى كل ذلك يحملون بعض المنتوجات المحلية للشعوب الجبلية »[٢] .

ويقدم پروسكورياكوف وصفاً رائعاً لأرضروم وضواحيها ، ولسلسلة جبال

---

(١) ى . س . پروسكورياكوف ، ملاحظات عن تركيا ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

دوملو ـ داغ ، وبحيرة تورتوم ، وحوض نهر تورتوم ـ سو ، وأعالي نهر الفرات ، وكذلك أعالي مجرى چوروخ ومواقع أخرى[1] .

ويذكر المؤلف بأنه هناك في أرضروم معمل لنسيج الجوخ ، ومعمل للمنسوجات الصوفية ، ومعمل للصبغ ، ومصانع لطبع ونقش النسيج ، وصناعة الجلود ، والسختيان ، ومصانع للأواني الفخارية وغيرها . ويشير پروسكورياكوف إلى الأهمية التجارية الكبيرة لأرضروم التي « يمكن إعتبارها المركز التجاري لآسيا الصغرى ، لأن الوضع الجغرافي لكردستان التي تقع على الطرق المباشرة التي تربط تبريز بطرابزون والقسطنطينية ، . . . جعلت من أرضروم محطة لخزن السلع والبضائع بين هذه المدن . فالقوافل تتقاطر من الأماكن المختلفة من تركيا وفارس إلى هنا على مدار السنة ، وهنا تجري مقايضة البضائع أو بيعها وخزنها لكي تنقل فيما بعد إلى أماكن مختلفة . أما الأمتعة والبضائع التجارية التي تصدرها فارس إلى تركيا للبيع عن طريق أرضروم فهي : كميات كبيرة من الحرير الخام ، والحرير المهيأ للنسج ، والشال الثمين ، والسجاجيد الإيرانية والهندية ، والأصباغ ، والتبغ الشيرازي أو تبغ النرجيلة ، والشُبُّق المصنوع من أغصان شجرة الكرز وقصب الكتابة . أما الحديد ومنتجات المعامل الأوروبية فيمكن الحصول على أغلبها عن طريق أستراخان ورشت ، ولهذا السبب هناك عدد كبير من التجار الإيرانيين يعيشون في أرضروم . . . وفيها تجارة الخيول رائجة حيث يتم التعامل ، والبيع ، والشراء في أسواق تقام أسبوعياً ، وغالباً ما يستطيع المرء أن يجد هناك الخيول العربية الأصيلة جلبت من مكة ، والمدينة ، وأماكن أخرى من الجزيرة العربية عن طريق قوافل التجار وحجاج مرقد محمد »[2] .

## رحلة أومانيتس

أرسلت لجنة خاصة بالحجر الصحي إلى الشرق في سنة ١٨٤٢ بطلب من المحافظ العام لنوفوروسيسك ، بيسارابيا ، ونائب القفقاس م . س . ڤورونتسوف .

---

(١) المصدر السابق ، ٤٥ ـ ٦٨ .

(٢) المصدر السابق ، ٥٨ ـ ٥٩ .

وكان الطبيب ڤراچكو يرأس اللجنة ، أما الأعضاء فكانوا مدير دار الحجر الصحي أ . أومانيتس ، وطبيب الملاك چيريبيكوف . وكان يعمل في اللجنة إثنان من ضباط الصف هما كيسيليف ، وبولوسوخين ؛ مات الأخير بوباء الطاعون في القاهرة في فترة القيام بالتجارب . وكان على اللجنة أن تقوم « باجراء تجارب في تطهير الأشياء الموبوءة عن طريق الحرارة العالية » .

خرجت اللجنة من أوديسا في مايس سنة ١٨٤٢ . وكان أحد أعضاء اللجنة وهو أ . أومانيتس قد سافر إلى مصر العليا قبل البدء بالتجارب ( وصل إلى تخوم الشلال الأول وجزيرة الفيل ) ، وبعد الانتهاء من العمل زار سيناء ثم عاد إلى القاهرة . ومن القاهرة وعن طريق البحر توجه إلى يافا ثم إلى مدينة القدس . وفي أثناء سفرته هذه زار الناصرة ، وصيدا ، وصور ، وبيروت ، ودمشق . ثم عرج على إزمير ، ونيقية ، وبروسة . وكان أومانيتس يدون مذكراته اليومية في الطريق ، وقد دخلت المذكرات مع جميع المقالات التي كان قد نشرها سابقاً في مضمون كتابه الذي أصدره في سنة ١٨٥٠[1] .

يرد في الكتاب وصف تام وشامل عن الرحلة إلى سيناء في سنة ١٨٤٣ ، والمعلومات الواردة فيه من حيث الثراء والأهمية تتجاوز جميع الأعمال التي أشرنا إليها سابقاً كأعمال گاگارا ، وگريگوروڤيچ ـ بارسكى ، وكير برونيكوف .

وإن الفصل المكرس لمصر مهمة وذلك لأنه يتضمن بعض المعلومات عن محمد علي الذي التقى به أومانيتس مرتين . وهناك تفاصيل أخرى طريفة ومهمة عن الواقع الاجتماعي والمعيشة ، وإننا نقف في هذه العجالة عند واحد من تلك التفاصيل التي تعرض الوضع الممتاز والأولوية التي يتمتع بها الكولونياليون الأوروبيون ( الناس « الذين يلبسون القبعات المستديرة » ) : « إن تأثير الأوروبيين هنا يخرج بعيداً عن حدود العدالة أحياناً : إذا ما خطر لأوروبي أن يلهو بشكل خاص ، يتناول سوطه ويصفع به أذني أول فلاح يصادفه ، يقف الفلاح كأنه مذنب ، ثم يبتعد ويدفع الخطر عن نفسه بالهرب ، أما أبناء جلدته شهود مثل هذه المسرحية فإنه يوقفونه ،

(١) « سفرة إلى سيناء ، مع ملحقات تتضمن نبذاً عن مصر ، والأرض المقدسة لأومانيتس » ، القسم ١ و٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٠ .

ويأخذون بالضحك عليه ومنظرهم يشير إلى تعطشهم إلى مزيد من التسلية . وإذا ما قدمت بالإضافة إلى ذلك لأصحاب القبعات المستديرة شكوى ملفقة على المظلوم المهان من قبل الرؤساء المحليين ، فإنهم يعرفون ماذا يعملون به »[1] .

ويذكر أومانيتس بأنه كان قد شهد اللقاء الذي تم بين محمد علي والقنصل الروسي العام حول الطلب الذي تقدم به محمد علي لإرسال مهندسين روس متخصصين في التعدين لغرض القيام بتعليم العرب شطف وغسل الذهب . في منطقة فازوغا وكان قد استدعى فيما بعد كما هو معروف ى . پ . كوڤاليڤسكي لتحقيق هذا المطلب . ومن الطرافة بمكان حكاية أومانيتس عن الأعمال التي جرت لإقامة قناة يوسف في الأقسام العليا من مصر : « آلاف من الناس نصف عراة ، ومن جميع الأعمار ، من سبع سنوات حتى ستين سنة ، من الجنسين ، الرجال والنساء ، حتى النساء الحوامل كن منتشرات حول القناة على بعد فرسخين أو ثلاثة فراسخ ، وكن يعملن تحت أشعة الشمس المحرقة . وكان العرق يتصبب بغزارة من جسد العاملين في شق القناة ، وبالإضافة إلى ذلك كان هناك عشرات بل مئات من المشرفين على العمل يصرخون ويضربون رؤوس العمال وذلك لدفعهم إلى إنجاز العمل بأقصر وقت ممكن . . . إن أشعة الشمس الحامية المتوهجة ، وضرب السياط ، وإنزال الأذى على العاملين ولا سيما على رؤوس الأطفال كانت مذهلة ، وكان الناظر [ الرئيس ] يتنقل حول القناة ، إن كل هذه الأشياء مجتمعة تعرض صورة مدهشة للغاية »[2] . وشقت قناة المحمودية هي الأخرى أيضاً تحت رعب السياط ، وكانت ضحيتها ٢٨ ألف فلاح . وأخيراً يقول أومانيتس بأن نقود محمد علي « اصطبغت بعرق ودماء فلاحي ومزارعي حوض النيل » .

## رحلة ديتيل

قام في سنة ١٨٤٢ كل من ويليام فرانتسييڤيچ ديتيل (١٨١٦ ـ ١٨٤٨) وإيليا نيكولاييڤيچ بيريزين ببعثة علمية الى الشرق لغرض اتقان اللغات الشرقية . ففي

(١) المصدر السابق ، القسم ٢ ، ص ١٨٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

تموز سنة ١٨٤٢ خرج ديتيل من أستراخان الى فارس ، ثم زار بلاد ما بين النهرين ، وسوريا ، وفلسطين ، ومصر ، وأفريقيا ، وآسيا الصغرى . وبعد عودته من الرحلة[١] التي استغرقت ثلاث سنوات (١٨٤٢ ـ ١٨٤٥) وكان في التاسعة والعشرين من عمره عُين في منصب البروفيسور فوق العادة في كرسي اللغة التركية ( العثمانية ) في جامعة سانت پترسبورغ . ولم يمهله الموت المبكر ( بسبب مرض الكوليرا في سنة ١٨٤٨ ) من دراسة المواد والمصادر التي كان قد جمعها .

كان ديتيل مستشرقاً مثقفاً يهتم بجوانب متعددة في الدراسات الشرقية ، يشهد على ذلك بوضوح مقالته غير الإعتيادية الحية المهمة الممتعة عن رحلته[٢] .

وفي منطقة الموصل زار ديتيل الدير اليزيدي شيخ عادي : « تعود هذه الرحلة الى المحاولات الأولى للأوروپيين المنجزة بحزم إلى مكان بعيد جداً حيث تعيش فيه هذه القبيلة العنيفة . وكما تطلبت رحلته الى كردستان المسماة بحق « الأرض المجهولة » ان يكون دقيقاً في ملاحظاته ، فأنه في طريقه إلى حلب خلال ماردين ، ونصيبين ، وديار بكر ، وأورفة ، عنى السائح وركز اهتمامه على وصف القبائل المتعددة المختلفة من حيث لهجاتها ، والآثار القديمة الباقية في هذه البلاد . وعدد القبائل الذي قام بدراسته يفوق على ما يعتقد هو ما قام بوصفه الأوروپيون . . . » .

وفي كردستان اهتم ديتيل بشكل خاص بالدراسات التي تخص الجانب اللغوي والأتنوغرافي . فقد كتب هو : « انني عرفت هنا حوالي ٢٥٠ قبيلة ، يعرف الأوروپيون منها حوالي السبعين فقط » .

وقدم ديتيل دراسة رائعة عن الكرد ، بالرغم من أنه لم يتجنب الصفة التي كانت نمطاً جامداً في ذلك الوقت وهي أنهم قطاع طرق .

---

(١) « عرض للرحلة التي استغرقت ثلاث سنوات إلى الشرق قام بها الماجستير ويليام ديتيل » . « مجلة وزارة المعارف الوطنية » ، القسم ٥٦ ، الفصل ٤ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٧ ، ص ١ ـ ٣٠ ؛ المحاضر السنوية في جامعة پيترسبورغ الأمبراطورية لما قبل ٨ شباط سنة ١٨٤٧ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٧ ، ص ٥٢ ـ ٦١ ؛ « بشير الجمعية الجغرافية لسنة ١٨٥١ » ، القسم ١ ، الكتاب ١ ، الفصل ٣ ، ص ١١٦ .

(٢) « مكتبة للمطالعة » ، المجلد ٩٥ عن سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٩ مايس ، « مقالة عن الرحلة إلى الشرق من سنة ١٨٤٢ حتى سنة ١٨٤٥ » ، ص ١ ـ ٥٦ .

« . . . ان جميع هذه القبائل والأجيال تعيش بصورة اعتيادية بشكل مجموعات من القرى ، أو في المضارب ؛ غير أن بعضاً منهم ، بالرغم من أنهم يعيشون في موسم الشتاء في القرى ، إلاّ أنهم في الصيف عموماً ينتشرون في أودية كردستان الواسعة وراء قطعانهم وينتقلون من مكان إلى مكان ، ويحملون معهم كالبدو جميع امتعتهم وممتلكاتهم .

ويظهر من كل ما مرّ بأن قسماً من هذه القبائل تعيش حياة متحضرة ، وقسماً آخر في ترحال دائم ، أو انهم نصف متحضرين . ويبدو أن عدد الكرد الرحل قليل . . أما الرئاسة والحكم فعلى رأس كل قبيلة في الغالب يقف خان ، وهو يتصرف بشكل مستقل تماماً ، ويفعل ما يشاء ، يفرض الضرائب المعتادة على الرعية أو الأسر الرحالة . . . إلاّ انه ليس من المفروض أن يكون لكل قبيلة خان ؛ فالسكان المتحضرون يحُكمون من قبل الرؤساء المحليين . . .

والقبائل الكردية تتكلم بلهجات متباينة ، وتختلف الواحدة عن الأخرى بشكل أو بآخر بمسحة ظاهرة . . . »[1]

« يقدم بدرخان بك الى كل شخص قطعة صغيرة من الأرض ، ويدفع عنها كل كردي بضعة قروش . . . وبالاضافة الى ذلك ، فأنه يفرض ضريبة الرأس على الماشية . إلاّ ان هذه الأجرة زهيدة أيضاً . ومقابل ما يحصل عليه الكردي يقدم الى الخان ثلث الكمية التي تنتجها أرضه . . .

وان الكرد بشكل عام أثرياء بقطعانهم ، وهي مبعث شوقهم وهواهم ، والمصدر الأساسي لوجودهم ، إنهم يسوقون خرافهم حتى سوريا ، قادمين من أبعد الاصقاع المجاورة للقفقاس . وأما أراضيهم فهي خصبة ومثمرة »[2] . خرج ديتيل من الموصل وعن طريق ديار بكر وصل الى حلب ، وبيروت ، ومن هناك عن طريق بعلبك ودمشق دخل مدينة القدس ، ثم عاد من جديد الى بيروت ، وبهذا الشكل مرّ بجميع أراضي لبنان . ثم توجه الى مصر عن طريق البحر فزار الاسكندرية والقاهرة .

---

(١) « مكتبة للمطالعة » ، المجلد ٩٥ ، ١٨٤٩ حزيران ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

## رحلة بيريزين

كان قد اتخذ في وقت واحد وفي نفس سنة ١٨٤٢ قرار بأرسال كل من ديتيل الذي مرّ ذكره ، والماجستير في الآداب الشرقية إيليا نيكولاييڤيـچ بيريزين (١٨١٨ - ١٨٩٦) ببعثة الى الشرق ، وهو مستشرق معـروف مختص بالدراسـات التـركية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

وقد كان مشهوراً بصورة جيدة كمختص في الدراسات اللغوية ومؤ رخ ورحال في روسيا ما قبل الثورة . وكان يعرفه مستشرقو الفترة السوڤياتية أيضاً، وقد ذاع صيته كناشر للمعجم الروسي للسير (١٨٧٣ - ١٨٧٩).

وبعد مروره بجميع أنحاء فارس من الشمال حتى الجنوب ، ومن أردبيل حتى جزيرة خارج في خليج فارس ( يقصد الخليج العربي - م.خ. ) ، اتجه الى البصرة فوصلها في منتصف سنة ١٨٤٣ ، ثم تعرف على بلاد ما بين النهرين ، وسوريا ، وفلسطين، وأما في بداية سنة ١٨٤٤ فقد سافر إلى مصر ، وعكف على دراستها خلال البضعة أشهر التي عاش فيها ، وفي منتصف السنة نفسها وصل الى القسطنطينية . وانصرف فيها لمدة سنة كاملة تقريباً لتعلم ودراسة اللغة التركية . فكتـب ك.ف. سڤينسكي في سنة ١٨٥١ بهذا الصدد : « انه حصل على مجموعة قيمة - بعضها - جديد من المواد عن تاريخ وجغرافية الشرق ، والتقط صوراً لعدد كبير من النقوش والمدونات القديمة بلغ حوالي أربعـين مخططـاً وتصـميماً ، وثلاثمائـة صورة ، وجمـع معلومات كثيرة عن العادات ، والتقاليد ، وعقائد سكان الشرق . ومن الممكن أن نتوقع بأن وصف هذه الرحلة التي تقع ضمن أخصب الرحلات التي تمت من روسيا الى الأصقاع الغريبة ، سوف ترى النور قريباً »[١]

وتعتبر الأعمال التي كتبها إ.ن. بيريزين عن رحلتـه الى تركيا أقـل شهـرة ،

---

(١) « إستعراض الرحلات والاكتشافات الأساسية في العشر سنوات من ١٨٣٨ حتى ١٨٤٨ » . بشير الجمعية الجغرافية الروسية لسنة ١٨٥١ ، القسم ١ ، الكتاب ١ ، الفصل ٣ ، ص ١١٦ - ١١٧ . قائمة المقالات من إعداد إ.ن . بيريزين . يراجع : ڤ.ڤ . گـريـگـوريـيڤ . جامعة سانـت پـيترسبـورغ الأمبراطورية خلال الخمسين سنة الأولى من عمرها ، سانـت پـيترسبـورغ ، ١٨٧٠ ( أعـد الهـوامش ، والملاحظات ، والحواشي ، والإضافات إ.ن . بيريزين ) ، ص ٦٧ - ٦٨ .

والسبب الرئيسي هو أن هذه الأعمال في الأساس نشرت في مختلف المجلات والدوريات خلال خمس عشرة سنة بعد عودة بريزين من تركيا ، لذلك أصبحت من النوادر ، ولم تكن في متناول الجمهور الواسع . وبالإضافة الى ذلك لا تنحصر أهمية تلك الأعمال في الفترة التي كتبت فيها وإنما لها أهميتها في الوقت الحاضر أيضاً لدراسة تركيا في منتصف القرن الماضي .

وجمع بريزين أثناء رحلاته كثيراً من المصادر والمواد الأساسية الأصيلة . واهتم بحماس بالجغرافيا ، والتوپوغرافيا ، والأتنوغرافيا ، والتاريخ . ومنذ السنوات الأولى من نشاط الجمعية الجغرافية الروسية شارك في أعمالها[1] . كتب الأكاديمي س.ف. أولدينبورغ في سنة ١٩١٩ بهذا الصدد : « اننا نطالع رحلات بريزين بشوق ، ونجني منها الفوائد حتى في وقتنا الحاضر ، بعد مرور سبعين سنة ؛ فيها معلومات لا نشك في قيمتها لنا ، وفيها صفحات من تاريخ الاستشراق الروسي »[2] . وبعد مرور أكثر من أربعين سنة اننا نستطيع أيضاً أن نعيد نفس كلام أولدينبورغ .

وفي مقالاته عن الشرق « مشاهد على الفرات » وصف بريزين طريقه في شط العرب . فهو يتكلم عن الثروة الطبيعية في المناطق المتاخمة لضفاف النهر ، وعن بساتين وأحراج النخيل التي لا نهاية لها : « لا شك انه هناك إمكانات في أن يعيش الانسان هنا حياة حرة رغيدة ، ولكن بالرغم من ذلك نرى الغابات الزاهرة هنا خالية ، لأن الانسان يرحل منها ويتركها ، انه يهرب من استبداد الترك . وإذا كان هناك بعض القرى فانها تقع بعيدة عن ضفة النهر ؛ ونادراً ما يشاهد المرء أكواخاً صغيرة يعيش فيها حراس من العرب ، ولا وجود هنا لسكان يعيشون حياة مستقرة ، لأن البدو يفضلون الصحراء على البستان النضر والحرية على السلطة التركية »[3] .

---

(١) پ . پ . سيميونوڤ ، تاريخ نشاط الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية في نصف قرن ، القسم ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٦ ، ص ٣ .

(٢) « مذكرات جماعة المستشرقين التابعة للمتحف الآسيوي في أكاديمية العلوم الروسية » ، المجلد ١ ، لينينغراد ، ١٩٢٥ ، ص ١٧٦ .

(٣) مقالات عن الشرق « مشاهد على الفرات » . « المعاصر » ، المجلد ١١ ، ١٨٤٨ ، أيلول ؛ إ . بيريزين ، مشاهد في الصحراء . في الخان [ الخانات ] . « البشير الروسي » ، المجلد ٢٥ ، الكتاب ٢ ، شباط ـ آذار ١٨٦٠ ، ص ٦٨٩ ـ ٧٢٣ ؛ المجلد ٢٦ ، آذار ، الكتاب ١ ، ص ٤٩ ـ ٩١

وبعد أن مكث بريزين مدة شهر في البصرة ، توجه على متن باخرة انكليزية الى بغداد[1] . وفي أثناء وجوده في بغداد زار خرائب طيسفون وبابل ، ومدينتي الحلة وكربلاء[2] . ولقد صادفت زيارة بريزين لمدينة كربلاء مباشرة بعد الأحداث الدامية في بداية سنة ١٨٤٣ عندما انتفض العرب الشيعة والفرس ضد السلطة التركية . وقد تم قمع الانتفاضة بجيش پاشا بغداد.

فالوصف الذي كتبه عن الأماكن المقدسة الشيعية ، والحجيج الشيعة طريف ومهم جداً . وفي ضوء المعلومات التي يوردها بيريزين يمكن الإستنتاج بأن خمسين ألفاً من الحجيج يزورون هذه الأماكن خلال السنة ، ويجلبون اليها للدفن ما يقارب الثلاثة آلاف جثة من البلدان الأخرى .

« . . . توازي مدينة كربلاء بسعتها مدننا التي هي مراكز أقضية ، أما عدد السكان هنا فهو أكثر بكثير مما عندنا ، وذلك لأن الشوارع في البلدان الشرقية أضيق بكثير من أزقتنا ، والدور تبنى غالباً متلاصقة الواحدة بالأحرى ، وفي جميع مدينة كربلاء لا وجود للساحات والميادين . يحيط المدينة سور من الطابوق ( الطابوق المجفف بأشعة الشمس ) وهو في صفين ، الصف العالي يكون بمثابة مدارج ومشارف ، وأما الصف الواطىء يتكون من أقسام أمامية خالية ومكشوفة يفصل بعضها عن البعض بالحواجز ، وتكون هذه الفروع أحياناً مأوى للفقراء الذين لا دور لهم ، كما هي الحال في بغداد تماماً . . .

ويتكون سكان كربلاء من الفرس الذين يعيشون هنا منذ زمان ، والعرب

---

(١) « مقتطفات من التقرير السنوي للماجستير بيريزين الذي قام برحلة إلى الشرق » « مجلة وزارة المعارف العمومية » ، القسم ٤٦ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٥ ، ص ٢٣ ـ ٥٠ ؛ « عرض للرحلة التي استغرقت ثلاث سنوات التي.قام بها إلى الشرق الماجستير في جامعة قازان إ . بيريزين » . « مجلة وزارة المعارف الوطنية » . القسم ٥٥ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٧ ، ص ١ ـ ٢٥ ؛ « مشاهد في الصحراء . بين البصرة وبغداد » . « البشير الروسي » ، المجلد ١٣ ، الكتاب ٢ ، ١٨٥٨ ، كانون الثاني ، ص ٣٢٧ ـ ٣٤٨ .

(٢) مقالات عن الشرق « مشاهد على الفرات » . « المعاصر » ، المجلد ١١ ، ١٨٤٨ ، أيلول؛ « البشير الروسي » ، الكتاب ٢ ، شباط ، الكتاب ١ ، آذار ، ١٨٦٠ ؛ مقالة « كربلاء » وهي مكرسة للتحدث عن كربلاء ، « مجلة دراسة الأرض والرحلات » . المجموعة الجغرافية التي أصدرها ن . فرولوڤ ، المجلد ٥ ، موسكو ، ١٨٥٨ ، ص ٢٠٦ ـ ٢٣٠ .

الشيعة ، والعثمانيين ؛ والفرس هم الفئة السائدة هنا بين السكان ، لهذا السبب يمكن أن يقال بأن لكربلاء طابع فارسي بالأساس . . . الاّ ان الفرس الذين يعيشون هنا يتكلمون اللغة الفارسية واللغة العربية ، أما اللغة الغالبة والأكثر استعمالاً فهي اللغة العربية ، وأما العادات والتقاليد لسكان المدينة فهي خليطة عربية وفارسية »[1]

وفي أيلول سنة ١٨٤٣ توجه بريزين الى الموصل عن طريق كركوك وأربيل ، ومن الموصل قام بسفرة لمدة شهر الى المكان المقدس عند اليزيديين[2] : « للموصل مزيتها أيضاً ، كما لبغداد ، وحلب ، ودمشق ، فهي رمادية اللون ، لأن جميع مساكنها وبناياتها مبنية بالحجر الرمادي ، وبالمرمر المحلى وهو في لون رمادي أيضاً . ولفن العمارة فيها خصائصه المتميزة كذلك؛ وان قباب المساجد في بعض الأماكن مخروطية الشكل ، وهي في أضلاع سداسية أو محورية ، وأما داخل المساكن فهناك صالونات مفتوحة ، وبجانبها غرف في طابقين تماماً كما في قصر الأمير ڤورونتسوف في ألويكا[3](*) . . .

والأكثرية الساحقة من السكان هنا هم من العرب سكان المدن ، الذين يختلفون عن سكان الصحراء «البدو» ؛ أما العثمانيون فهم في العادة ينحصرون في الموظفين وإلى حد ما الجنود . . . والكرد يشكلون قسماً كبيراً من السكان ، ثم المسيحيون من الكلدان واليعقوبيين والنساطرة ، واليهود . وأخيراً يوجد هنا الأوروبيون أيضاً : الفرنسيون ، والانكليز ، وأناس من اميريكا الشمالية . . . وتعطى اللغة العربية السائدة هنا والتي يتكلم بها جميع سكان المدينة بعض الوحدة لهذا الخليط من القبائل . أما اللغة التركية فهي لغة غريبة وأجنبية هنا ، وبدلاً منها

---

(١) المصدر السابق ، « كربلاء » ، ص ٢١٣ .

(٢) إ. ن. بيريزين، الموصل، « مكتبة للمطالعة » ، المجلد ١٣٣ ، ١٨٥٥ ، تشرين الأول ، ص ١٧٠ ـ ١٩٠ ؛ وله أيضاً ، مشاهد في الصحراء « البشير الروسي » ، المجلد ٢٦ ، آذار ؛ المسيحيون في الموصل ، مجلة « الموسكوبيون » ، المجلد ٤، ٥، ١٨٥٩ ؛ اليزيديون ، « مجلة دراسة الأرض والرحلات » ، المجلد ٣ ، موسكو ، ١٨٥٤ ، ص ٤٢٨ ـ ٤٥٤ . ( اليزيديون هم من الكرد ينتمون الى مذهب ديني خاص ) .

(٣) إ. ن. بيريزين ، الموصل ، « مكتبة للمطالعة » ، ١٨٥٥ ، تشرين الأول ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

(*) ألويكا : مدينة في شبه جزيرة القرم على ساحل البحر الأسود ( المترجم ) .

يتكلم عدد كثير من السكان في المدينة اللغة الكردية »[1] .

ومن الموصل توجه بيريزين عن طريق نصيبين وماردين إلى دياربكر ، حيث استطاع أن يتعرف عن قرب على السكان الكرد في المنطقة ، وعلى حياتهم الإجتماعية والمعيشة اليومية ، ثم عن طريق سوفيريك ، وأورفه ، وحلب ، وانطاكيا ، واللاذقية ، وطرابلس ، وبيروت ، توجه إلى مدينة القدس ثم إلى دمشق . ومكث ثمانية أشهر في بلاد ما بين النهرين ، وسوريا .

وفي نهاية شهر شباط سنة ١٨٤٤ أبحر الى الاسكندرية ، ثم زار القاهرة . وبقى في مصر مدة أربعة أشهر . وفي تموز سنة ١٨٤٤ دخل بيريزين الى استانبول حيث عاش فيها حوالي السنة .

وعن مقال بيريزين « اليزيديون » كتب ن.كَ . چيرنيشيڤسكي : « ان المجلد الثالث من « مجلة دراسة الأرض والرحلات » يضم مقالين أتنوغرافيين صغيرين فقط هما : « اليزيديون » لبيريزين ، و« ذكريات عن سيبيريا الشرقية » لكورنيلوڤ . انهما بدون شك سوف يُقرأن باهتمام زائد ، بالرغم من أن المؤلفين المبجلين يقدمان لنا عرضاً مختصراً للأراضي والشعوب التي شاهدها فقط »[2] .

وبعد مضي عشرة أو اثنتي عشرة سنة على عودته من الرحلة نشر إ.پ . بيريزين عدداً آخر من المقالات التاريخية عن تركيا وبلدان شرقية أخرى[3] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٢) ن.كَ. چيرنيشيڤسكي ، مجموعة الأعمال الكاملة ، ١٩٤٩ ، المجلد ٢ ، ص ٦٢٠.

(٣) إ.ن. بيريزين ، الكنيسة الأرثوذوكسية والكنائس المسيحية الأخرى في تركيا ، « مكتبة للمطالعة » ، المجلد ٨٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٥ ، ص ١ - ٧ ؛ وله أيضاً ، تركيا المعاصرة ، « المذكرات الوطنية »، ١٨٥٦ ، كانون الثاني وشباط ؛ وله أيضاً ، المصلحون الشرقيون ، « المعاصر » ، العدد ١٠ ، ١٨٥٧ ؛ إ ن.بيريزين ، الدين الإسلامي وعلاقته بالثقافة ، « المذكرات الوطنية » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٥ ، كانون الثاني وشباط .

# الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسيـــة

## (١)

كان قد تطور نشاط المعنيين الروس بشكل أوسع في دراسة الشرق الأوسط في منتصف القرن التاسع عشر .

وكان قد وقع أهم يوم مشهود في تاريخ العلم الجغرافي الروسي في سنة ١٨٤٥ حينما تأسست الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية التي لعبت دوراً كبيراً في الإنجازات التي حققها الباحثون الروس . وكان من بين مؤسسيها كل من ضابطي الأركان العامة ف. ف. بيرگ ، وم . پ . ڤرونچينكو اللذين مرّ ذكرهما .

وشارك في الإجتماع الأول للجمعية الذي انعقد في ٧ تشرين الأول سنة ١٨٤٥ الجيوديسي م. پ . ڤرونچينكو والباحث الشهير لألتاي وآسيا الصغرى پ . أ. چيخاچيف[1] .

كما وتم انتخاب البحار والجغرافي الروسي الكبير ف. پ . ليتكي نائباً لرئيس الجمعية . وحينما قدم ف. پ .ليتكي خطبته المطولة أشار إلى ضرورة دراسة تركيا وفارس .

« ان كلا من تركيا ، وفارس وهما من جاراتنا القريبات . . . لهما مع روسيا تجارة مستمرة ، وعلاقات اجتماعية وسياسية ، ينبغي أن تستمر هذه العلاقات وتتعدد جوانبها يوماً بعد يوم بصورة طبيعية وبدون أي تكلف . . .

وأن الساحة التي عليكم أن تفلحوها هي واسعة جداً وموسم الحصاد يوحي بالثراء »[2] . وفيما بعد ، ولغرض دراسة البلدان المجاورة ، ومن ضمنها تركيا ،

---

(١) ل. س. بيرگ ، الجمعية الجغرافية لعموم الإتحاد السوفياتي في مائة سنة، ص ٣٨ .

(٢) « الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية في ذكراها الخامس والعشرين » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٢ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ « تاريخ نشاط الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية في نصف قرن » ، تأليف پ . پ . سيميونوف ، المجلد ٣، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٦ ، ص ١٣١٧ - ١٣١٩ ؛ « نشرات الجمعية الجغرافية الروسية » ، الكتاب ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٦ ، ص ٢٩ - ٣١ .

أسست الجمعية علاقات مباشرة لتحقيق هذا الغرض ، بالرغم من أنه لم يكن لجميع السفرات والرحلات إلى تركيا علاقة بنشاط الجمعية .

## رحلة أوسپينسكي

عاش الأسقف پورفيري أوسپينسكي مدة طويلة في مدينة القدس ، وكان على معرفة تامة بفلسطين ، وسوريا ، ولبنان .

« لم يكن هذا الرجل بأي شكل من الأشكال مختصاً في الدراسات العربية ، ولا بالدراسات اللغوية العربية ، ولم يكن يتقن بعمق اللغة العربية ، إلاّ انه واحد من الأوائل في تاريخ العلم الذين وجهوا اهتمامهم إلى مصادر الآثار التاريخية المتعلقة بالآداب المسيحية العربية ، وقد حافظ على مجموعة من الأسماء غير قليلة من الفقدان والضياع ، ونشر مقتطفات باللغة الروسية لطائفة من الاسفار والمدونات التاريخية التي اكتشفها هو ، غير أن أهم خدمة له في هذا المجال تتركز في حصوله على احدى أفضل نسخة من مخطوطه تاريخ يحيى الانطاكي التي أصبحت فيما بعد النسخة الأساس للدراسة المعروفة التي أنجزها ف.ر. روزين . وأن المكتبة العامة في لينينغراد تقدم التقدير الفائق عندما يأتي الكلام عن مجموعة المخطوطات الشرقية وقيمتها الكبيرة وهي مأثرة من مآثر هذا الرجل تلقتها المكتبة منه »[1]

وقد قام ببعثته في سنة ١٨٤٣ إلى الشرق عندما عينّ رئيساً للكنيسة التابعة للسفارة الروسية في فيينا . وخلال سنوات ثلاث سافر وتجول في أنحاء فلسطين وسوريا ، ثم أشغل منصب رئيس البعثة في مدينة القدس حتى سنة ١٨٥٣ . وفي سنة ١٨٥٨ عاد من بعثته إلى الشرق للمرة الثانية ولمدة ثلاث سنوات أخرى ، حيث حمل معه في هذه الرحلة مجموعة كبيرة جداً من الكتب القديمة والمخطوطات .

ولا شك بأن لمقالات أوسپينسكي عن رحلته ، وكذلك يومياته ومدوناته عن سيرة حياته لها أهمية كبيرة جداً .[2]

---

(١) إ.ي. كراچكوڤسكي ، مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي ، ص ١٥٤ .

(٢) « كتاب عن حياتي . اليوميات والسيرة الذاتية والمذكرات التي كتبها الأسقف پورفيري أوسپينسكي » ، المجلد ١ ـ ٤ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٤ ، ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ .

وقد وردت في مذكراته معلومات عن رحلته الى دير سيناء في سنة ١٨٤٥[١] ، وعن حياة العرب ، ومميزات معيشتهم ، وحياتهم الإجتماعية ، وأعمالهم . وكان الدير يملك بساتين الفواكه ، وحقول الخضار ، وغابات الزيتون والنخيل في سيناء : « لا توجد أراضي صالحة للزراعة بوجه عام في سيناء الصخرية . وسكان شبه الجزيرة والرهبان يشترون القمح من مصر ، وينقلونه على ظهور الجمال مما يكلفهم مالاً كثيراً جداً »[٢] . ويمكن للمرء أن يستنتج من كلام پورفيرى أوسپينسكي بأن دير سيناء كان يملك أراضي ، وعقارات واسعة ، ودوراً مربحة في مصر ، وسوريا ، واليونان ، والهند ، وآسيا الصغرى ، وروسيا . ويشير پورفيرى أوسپينسكي الى أنه تعيش حول الدير مجموعة من القبائل الرحالة العربية . وتعتبر بعض هذه القبائل نفسها عبداً للدير ، وقبائل أخرى يعتقدون بأنهم حماة للدير ، أما البقية فلا علاقة لها بالدير بأي شكل من الأشكال . وكان عدد العبيد الذين يتكلمون اللغة العربية حوالي ٢٠٠٠ شخص بضمنهم النساء والأطفال . يعمل هؤلاء في أراضي الدير ويتلقون مقابل ذلك غذاءً زهيداً : « كان أولئك الناس الفقراء نصف عراة ، وانهم يضطرون أحياناً أن يملأوا بطونهم بالحشائش وجذور الأعشاب البرية ، وهم أكثر الكائنات ذلة ومهانة »[٣] وتعيش هناك في المنطقة ثلاث قبائل : على قات ، وأولاد سعيد ، وأبريم وهي أفخاذ تتحد فيما بينها وتحمل اسماً عاماً هو كافري ، وعلى هذه القبائل بموجب معاهدات خاصة مع الدير أن تدافع عنه في حالة الأغارات والاعتداءات ، وأن تهيء الأرزاق والمؤن الضرورية للحياة بمعونة جمالهم ، وأن يستقبلوا ، ويرافقوا ، ويودعوا جميع الرحالة والمسافرين . وليس للدير الحق في الإحتفاظ بالخيول والدواب التي تستخدم للنقل .

وفي عمله الآخر[٤] يصف پورفيري أوسپينسكي رحلته البحرية من يافا حتى الاسكندرية ، وبقائه في الاسكندرية والقاهرة ، وسفرته النهرية في النيل .

---

(١) « الرحلة الأولى الى دير سيناء في سنة ١٨٤٥ للأسقف پورفيرى أوسپينسكي » سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٥ .

(٤) « رحلة الاسقف پورفيري أوسپينسكي الى مصر ودير أنتوني الكبير المقدس ودير پاڤل فيڤييسكي في سنة ١٨٥٠ » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٦ ، ص ٣٩ .

« يجري النيل بنشاط ، وهناك سفن ومراكب كبيرة وصغيرة ، وباحجام مختلفة ، وألوان متنوعة تمخر فيه الى كافة الجهات . ها هم صيادو السمك يلقون شباكهم في الماء ، وها هو القارب يحمل القطن ويمر بسرعة بجانبنا تحت شراع واحد . . . وها هو النوبى الاسود العاري يعوّم الأصص والأباريق في الماء ؛ ويصنع منها رمثاً ، ثم يقف عليه ، ويجدف بقوة ، ويصرخ ببشاعة »[1]

وفي يوميات پورفيري أوسپينسكي يثير اهتماماً كبيراً وصفه للأماكن ، ويقدم ملاحظات أتنوغرافية ، وآثارية ، وتوپوغرافية ، ويخصص مكاناً بارزاً وكبيراً لوضع الكنائس وأحوالها . وفي الواقع أن هذه اليوميات ليست يوميات راهب وحاج ، وإنما هي ملاحظات وانطباعات رجل شاهد كثيراً ، وعرف كثيراً بحكم وضعه وعمله في الخدمة ، وخلال قيامه بالواجبات الرسمية .

تعتبر رحلات پورفيري مصدراً ضرورياً لجميع الذين يبحثون ويدرسون شبه جزيرة سيناء ، وهي في الحقيقة تشكل العمل العلمي الوحيد تقريباً المدونة عن ادبيات الحجيج ، وهي في مستوى يمكننا أن نقارنها بأعمال العلماء الغربيين[2] .

## رحلة أدليربيرگ

كان الضابط الشاب المشارك في حرب القفقاس نيكولاي ڤلاديمبروڤيچ أدليربيرگ (١٨١٩ ـ ١٨٩٢) قد قام برحلة إلى الشرق في سنة ١٨٤٦[3] . زار فيها اليونان ، ومصر ، وفلسطين ، وعرج على كورفو ، وآثينا ، والاسكندرية ، وبيروت ، ويافا ، ومدينة القدس .

صادفت زيارته لمصر فترة السنوات الأخيرة من حكم محمد علي ، وكان قد وجه اهتمامه الى الأوضاع المزرية التي كان يعيشها أبناء الشعب كغيره من الرحالة الروس

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٢) «رحلة الاسقف پورفيري أوسپينسكي الى مصر في سنة ١٨٥٠»، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٦ .

(٣) عين فيما بعد محافظاً عاماً في فنلندة (١٨٦٦ ـ ١٨٨١) .

الآخرين الكثيرين : « الشعب في حالة فقر مدقع ، ونائب الملك الـذي يملك مصر كمستأجر لها،لا يعلم عن جميع أنحاء البلاد قاطبة أي شيء سوى ممتلكاته الشخصية الخاصة . فهو يقدم الأتاوة إلى سلطان العثمانيين في كل سنة ، ويتمتع مقابل ذلك بالسلطة الحقيقية الكاملة في حكمه . أما الشعب فهو في حالة مزرية من جراء الفقر ، والأعمال الشاقة »[1] .

ويصف أدلير بيرگ بشكل مفصل سوق الجواري السوداوات ، ويذكر شواهد مهمة أخرى كثيرة في هذا الصدد .

وفي مقالة انتقادية عن كتاب أدليربيرگ وردت إشارات الى أن مذكراته عن الاسكندرية بصورة عامة ، وما وردت عن الحياة الإجتماعية والمعيشية للسكان وحتى الوضع السياسي في البلاد على وجه الخصوص قد طرحت « بصورة حية ومعبرة ، فيها البساطة والرقة والجمال »[2] .

وبعد مرور خمس عشرة سنة قام أدليبيرگ برحلته الثانية إلى الشرق . زار فيها الاسكندرية ، والقاهرة ، ويافا ، ومدينة القدس ، وحيفا ، وبيروت ، ودمشق ، وبعلبك ، وسميرنا ، والقسطنطينية . ثم صنف كتاباً عن نتائج سفراته باللغة الفرنسية[3] . والكتاب في مجلدين يتألفان من أكثر من ألف صفحة . ولقد كانت زيارته في هذه المرة بعد موت محمد علي ، لذلك وصف الإصلاحات التي قام بها الپاشا بتفصيل أكثر ، ويشير إلى فقر السكان المريع : « لا يوجد هناك عربي من الفقراء يعرف أي شيء يتعلق بتحسين ومضاعفة رفاهية السكان . ولم يحدث أي تغيير نحو الأفضل في مصائرهم ، بل ازداد فقرهم نتيجة ازدياد الضرائب المفروضة من قبل الپاشا الذي يبغي من وراء ذلك ثراءه الخاص أكثر مما يرغب في تنفيذ مطاليب الشعب »[4] .

---

(١) ن . ڤ . دلير بيرگ،من روما الى مدينة القدس ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٣ ، ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(٢) « المعاصر » ، المجلد ٣٩، القسم ٤ ، ١٨٥٣ ، ص ٤٥ ـ ٥٢ .

(٣) «En Orient Impressions et reminiscences», vol. 1-2, St. Pet., 1853, p.75-76.

(٤) المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٥١ ـ ٥٢ .

## رحلة رافالوڤيـــچ

يثير نشاط السائح الروسي المختص في الطب أرتيمي اليكسييڤيـــچ رافالوڤيـــچ (١٨١٦ ـ ١٨٥٦) اهتماماً كبيراً جداً .

كان رافالوفيـــچ مدرس الطب العدلي في مدرسة ريشيليو في أوديسا ، ومنذ سنة ١٨٤١ أختير عضواً في عدد من الجمعيات الطبية في روسيا والخارج ، وابتداءً من سنة ١٨٤٥ شرع في دراسة وباء الطاعون . ولتحقيق هذا الغرض توجه إلى الشرق كعضو عن أقدم بعثة خاصة شكلت لدراسة وباء الطاعون . وخلال رحلته قصد وزار هذا العالم الـطبيب كلاً من تركيا ، ومصر ، وسـوريا ، وفلسطين ، والجزائـر ، وتونس . وكانت حصيلة رحلته أن ظهرت له مقالات وكتاب واحد[١] . يقول عنه إ.ي. كراچكوڤسكي ، بأنه : « يشكل مصدراً قيماً لفهم جوانب كثيرة من الحياة الإجتماعية ـ الإقتصادية في مصر في هذا العصر ، وهو في الواقع ظاهرة فريدة من بين جميع أدبياتنا لذلك الوقت[٢] » . وأما ڤ.ڤ. بارتولد فهو يشير الى أن رافالـوڤيـــچ « حاول أن يجمع معلومات عن الوضع المعاصر في البلاد بعكس أكثر الرحالة الذين انصب اهتمامهم على الآثار القديمة فقط »[٣] .

وفي الوقت الذي كان فيه يركز رافالوڤيـــچ دراسته على وباء الطاعون ، كان يوجه اهتمامه إلى الميزات التوپـوغرافية ، والمناخية ، والإقتصادية ، والأتنوغـرافية في البلاد أيضاً . وهناك تقارير مفصلة عن ملاحظاته وانطباعاتـه كانـت تنشر بشـكل دوري في « مجلة وزارة الشؤ ون الداخلية » تحـت عنـوان عام « مـذكرات الـطبيب الروسي » ، وكانت تترجم المذكرات مباشرة الى اللغات الأخرى في الخارج .

وفي أثناء وجوده في القسطنطينية وسميرنا درس رافالوڤيـــچ أوضاع الشـؤ ون الطبية في البلاد ، والأمـراض السائدة فيها ووصف مدرسة الطب والجراحة في قلعة

---

(١) « رحلة أ. رافالوڤيـــچ في مصر السفلى والمناطق الداخلية من الدلتا » ، سانـت پيترسبـورغ ، ١٨٥٠ .

(٢) إ.ي. كراچكوڤسكي ، مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي ، ١١٩ .

(٣) ڤ.ڤ. بارتولد ، تاريخ دراسة الشرق في أوروپا وروسيا ، موسكو . لينينغراد ، ١٩٢٥ ، ص ٢٩٠ .

سراي ، والمستشفيات الإسلامية والمسيحية . ثم قدّم وصفاً مفصلاً للاسكندرية وإجراءات محمد علي لأعادة بناء المدينة : « ان الشيء الذي يحتاج إلى نفقات ضخمة في أوروبا ، ويستدعي مراسلات لا نهاية لها ، ويولد الخصام بين الخزينة والملاكين ، يتحقق هنا بصمت حيث ينصاع كل شيء إلى اليد الحديدية للباشا الهرم الذي لا يرحم ، وان توفرت الرغبة تهيأت السعادة كما يقول المثل ، وهكذا استطاع بتعنته المميز وتحقيقاً لفكرته التي انحصرت في تجميل الاسكندرية ، وبقسوة متناهية وبدون شفقة أن يغتصب المواقع والأماكن ، وأن يطرد أصحاب البيوت والمستأجرين ، بشكل اعتيادي وبدون أي تعويض ، وأخيراً أن يأمر بنقل المقابر إلى خارج المدينة ، ولا شك بأن هذا العمل الأخير في ذلك الوقت قد منح للمدينة وجهاً مغايراً تماماً للخصائص التي تتمتع بها المدن الشرقية المشابهة . . . غير أنه هناك مع ذلك بعض الأحياء التي لم تنلها يد التغيير . . . والمراقب يشاهد توحيد جميع التأثيرات الضارة الممكنة في « القرى » التي نصادفها في أماكن مختلفة داخل المدينة أو في خارج أسوارها . تسكن هذه الأحياء أسر الفلاحين الذين يعيشون في الاسكندرية ، وكذلك نساء وأولاد الجنود الذين يؤلفون في المدينة حامية عسكرية دائمة . . . وأن حالة هؤلاء المتميزة بعدم الراحة ، والوضع السيء ، والقذارة لا يمكن وصفها وتصويرها مطلقاً »[1] .

ويصف رافالوڤيچ بتفصيل المأكولات والأطعمة ، والألبسة ومظهر السكان ، وضواحي الاسكندرية ، والمؤسسة الطبية . ومن الاسكندرية توجه رافالوڤيچ الى القاهرة ، وزار مصر السفلى حتى مدينة الرشيد ، ودمياط ، وشاهد بناء الاستحكامات ، وقضى بضعة أيام عند قناة المحمودية حيث تعرف على العمل في تنظيف القناة .

أما وصفه لدلتا النيل فهو شيء رائع : « ان الدلتا تشبه روضة فاتنة في الشتاء والربيع . . غير أن مساكن الفلاحين لا تتجاوب مع أوضاع هذه الأرض الطيبة المباركة ، والصورة هنا معكوسة ، وأن كل ما يمكن أن نتصوره من عدم وجود أسباب

---

(١) « مجلة وزارة الشؤون الداخلية » ، القسم ١٨ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٤٧ ، ص ٤٩٧ - ٤٩٩ .

الراحة والقذارة وكل ما يضر الصحة يفوق التصور . وأن أعضاء جسم الفلاح تحمل الآثار الحقيقية للتأثير الضار الذي يأتى من شكل الكوخ الذي يعش فيه ، ومن الطعام الذي يتناوله ، وعموماً من الفقر الذي وصل إليه خصوصاً في عهد محمد علي . وإن المصريين كلهم تقريباً نحاف البنية ، وضعاف الجسم ، ويحملون أمراضاً كثيرة منها : الحمى ، والزحار ( الديزينتيريا ) ، والتهاب العين ، والأمراض الجلدية ، وأمراض أخرى كثيرة . . . والنساء والأطفال يرتدون نوعاً واحداً من الأردية صيفاً وشتاءً ، ولا ينزعونه أو يبدلونه إلاّ عندما يتحول الى خرقة بالية لا يمكن استعمالها . ومناظر القرى محزنة وهي مبعث للأسى في القسم الأعظم من الدلتا ، وأما وضع المدن في جميع أنحاء مصر السفلى فهو أكثر ردائه من وضع الدلتا . . . فالسكان فقراء ، يرتدون الاسمال ، ويتبعون الزوار والمسافرين والرحالة ملتمسين الصدقة والإحسان . . عندما تشاهد هذا المنظر المخيف من الخراب ، والدمار ، والفقر ، والفاقة ، تتساءل أو تسأل نفسك : هل حدثت زلازل ، أو اعتداء خصوم حتى يؤدي الى اخلاء هذه المدن المزدهرة منذ غابر الأزمان ؟ « ان حكم الباشا الكبير هو السبب في تدميرنا » ، هذا ما يجيب عنه بتأوه السكان . . . »[1] .

ثم سافر رافالوفيچ من مصر الى سوريا ، وعبر جبال لبنان وانطاكيا دخل السائح إلى حلب ، ويشير هنا الى انه كان يوجد في حلب سابقاً اثني عشر الفاً من الأنوال لغزل النسيج الحريري ، غير أنه بقى في الوقت الحاضر ما يقارب الألف فقط . ومن حلب وعن طريق حماة ، وحمص ، زار رافالوفيچ بيروت مرة أخرى . وخلال رحلته توصل إلى نتيجة تنحصر في أن وباء الطاعون في سوريا هو ليس من الأمراض المستوطنة وانما يأتي في العادة من مصر أو من البلدان الأخرى .

ومن سوريا عاد رافالوفيچ مرة أخرى إلى مصر ، زار الاسكندرية ، ثم سافر الى القاهرة ومنها خرج عن طريق نهر النيل إلى مصر العليا ، وبلاد النوبة السفلى . وقد قام بوصف جميع أنحاء المنطقة حتى وادي حلفا ، يتطرق فيه إلى المميزات

---

(١) « مجلة وزارة الشؤون الداخلية » ، القسم ١٩ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٤٧ ، ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

التوپوغرافية ، والجهاز الإداري ، والخدمات الطبية ، والإقتصاد[1] .

وبعد عودته من بلاد النوبة السفلى مكث رافالوڤيچ بضعة أشهر في القاهرة ، ثم زار دلتا النيل مرة أخرى . وعن الغرض من رحلته كتب : « ان معرفة الأوضاع الحالية لضفاف نهر النيل من حيث الصحة العامة ، والزراعة ، والصناعة ، تشكل الغرض الرئيسي لرحلتي . وكان اكتسابي معرفة اللغة العربية وهي حصيلة وجودي المستمر في سوريا ، ومصر ، وتعرفي على الحياة الإجتماعية والمعيشية للشعب قد يسرّ لي عملي وحدد مسار ملاحظاتي وانطباعاتي[2] . »

ثم درس رافالوڤيچ أوضاع الزراعة ، والصناعة في مصر ، وحالة السكان فيها . وعن انطباعاته يقول :

« هناك في الفيوم . . . عدد كبير جداً من مغازل القطن ، ومعمل لصنع الطرابيش يسمى بمعمل ابراهيم پاشا يعمل فيها بضع مئات من العمال ، وقد بقي في المدينة المقعدون ، والعميان ، والعرجان ، والكهول ، والعجزة فقط ؛ أما بقية السكان فقد هربوا خوفاً من سوقهم إلى المعامل عنوة ، ولا يدفعون إلى العمال الاّ اجوراً قليلة جداً ، ولا تقدم الأجور اليهم نقداً وإنما يتسلمون بدلاً عنها الطرابيش ( القبعات الحمراء ) ، والأقمشة الكتانية محسوبة عليهم بأثمان غالية متعسفة ، عليهم أن يبيعوها بأقل مما احتسبت . . .

ولا شك ان وجود المعامل الكبيرة في مصر . . . يؤدي الى اخلاء المدن من السكان . ولقد شاهدت بنفسي هذه الظاهرة في أماكن كثيرة جداً ، يحتفظ فيها الپاشا بمعامله الخاصة . وهناك أسباب أخرى تؤدي إلى النقص في السكان فيها ، منها كوليرا سنة ١٨٣١ ، وطاعون سنة ١٨٣٥ ، والحملة السورية في سنة ١٨٤٠ [ أي قمع الانتفاضة في سوريا ضد السيطرة المصرية ] ، والوباء الذي قضى على الحيوانات في سنة ١٨٤٣ ، والأوبئة لم تنته نهائياً حتى الوقت الحاضر »[3] .

(١) « مجلة وزارة الشؤون الداخلية » ، القسم ٢٤ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٨ ، ص ٣٢٩ - ٣٤٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) « مجلة وزارة الشؤون الداخلية » ، القسم ١٩ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٧ ، ص ٤٨٧ - ٤٨٨ .

ثم يكتب أ.أ.رافالوفيـــچ: «ان الـپـاشا لا يوافق على تخفيض الضرائب أبداً، بالرغم من أن القسم الأعظم من القرى ليس في وضع يستـطيع فيه دفـع المطلوب أو الواجب دفعه. لذلك يلجأون إلى سلب الأموال المنقولة للفلاحين لأكمال البقية الباقية من الضريبة المستحقة، وأخيراً، استولى الـپـاشا على القرى ووضعها تحت ادارته الخاصة أو وزعها على أولاده وأحبائه، وألزم هؤلاء المالكين الجدد أن يدفعوا ما يستحق عليها الضرائب وإعطائهم الحق في أن يستعيدوا ما دفعـوه من مدخولات القرى بأي أسلوب يشاؤون. وبهذا الشكل يعود القسم الأعظم من الدلتا إلى ممتلكات أولاد الـپـاشا أو أصحاب المقامات العليا...»[1]

بهذه الصورة وبشجاعة متناهية فضح الطبيب الروسي رافالوفيـــچ طغيان نظام محمد علي في مصر على صفحات النشرة المطبوعة لوزارة الشؤون الداخلية في عهد نيكولاي الأول، إذ لم يقدم أي رحال أو سائح أوروبي مثل هذه الصورة.

ثم توجه رافالوفيـــچ من القاهرة الى فلسطين عن طريق برزخ السويس. ووصف ببراعة الصحراء ومدن غزة، ويافا، والرملة، ومدينة القدس: «هنا بين حوانيت المواد الغذائية... بالقرب من كنيسة القبر الأقدس (يقصد كنيسة القيامة - م.خ.) يزدحم الناس وهم نحيفون شاحبو الوجوه، رثو الثياب، حتى أنـك لتعتقد بأنهم يتألفون من الفقراء فقط إذا حكمت على أساس شراهتهم التي تطالعك وهم يطلبون منك الصدقة والإحسان. ان فقر السكان في الواقع لا حدود له. ولا وجود للنشاط التجاري والصناعي، والقسم الأكبر من المسيحيين يعيش على هبات الأديرة، في حين يعيش اليهود على المبالغ التي يتبرع بها اخوانهم في الدين في مختلف أنحاء العالم. أما المسلمون فليسوا اكثر ثراءً»[2].

ومن مدينة القدس توجه رافالـوفيـــچ إلى بـيروت، ثم الى طرابلس، وعـن طريق جبال لبنان وانتي لبنان دخل دمشق: «كانت معامل الحـرير سابقـاً تشـكل الصناعة الأساسية في المدينة، أما في الوقت الحاضر فقد أغلق معظمها بسبب المنافسة

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٨٨.

(٢) «مجلة وزارة الشؤون الداخلية»، القسم ٢٠، سانت بيترسبورغ، ١٨٤٧، ص ١٥٦ - ١٥٧.

القاتلة من جانب النسيج القطني الانكليزي والسويسري ، حيث يكون لونه اكثر حيوية ، وزخرفته اكثر جمالاً ، وأما سعره فلا يمكن أن يقارن بالنسيج الدمشقي لأنه أرخص بكثير من أفضل أنواع النسيج الحريري الذي يتم إنتاجه هنا » .

ومن دمشق عاد رافالوڤيـچ الى بيروت ، وبعد مرور عدة أيام أبحر الى اللاذقية ثم فيما بعد دخل الأسكندرونة .

وعاد رافالوڤيـچ الى روسيا في أواخر خريف سنة ١٨٤٨ ، بعد أربعة وثلاثين شهراً من التغيب . وفي مقدمته لكتابه أشار رافالوڤيـچ : « كتبتْ أشياء كثيرة من قبل الرحالـة والسياح من مختلف القـوميات والأجنـاس ، وأكثـر من ذلك كان الـكلام المحكى ، وأعيدت كتابة ما كتب وما قيل في الصحف عن المؤسسات الفاخرة لمحمد علي على ضفاف النيل ، وعن اجراءاته الانسانية لتحسين حياة الفلاحين ، والقضاء على الظروف المحلية الضارة التي تسبب الطاعون وما شابه ذلك. . .[1] » « انني وضعت أمام نفسي واجباً رئيسياً أرغب في تحقيقه ، بتجرد وبقدر الإمكان في وجهة نظر موضوعية ينحصر في تشخيص الوضع الواقعي للقـرى وسكانها من الفلاحين في مصر السفلي والدلتا ، لأجل أن أوضح عن أية بدعة من بدع الـپاشا الشهير التـي تحققت فعلاً ، وإلى أي مدى انتصرت تلك التقاليع ! إن وصفي لا يتفـق دائماً مع الصورة الرائعة لمصر الموجودة في كتب الباحثين الآخرين ؛ أما سبب هذا التنـاقض فيعود في الغالب الى اسلوب وطريقة الرحلة في هذه المناطق . من الطبيعي أن السيّاح الغربيين يمكثون بعض الوقت في الاسكندرية والقاهرة فقط، وهم يعيشون في فنادق ممتازة تعود للأوروپيين ، ويشاهدون من القرى تلك الواقعة على ضفاف نهر النيل فقط ، وتكون مشاهداتهم من ظهر زورقهم أو سفينتهم السريعـة السـير ، وتجلـب الآثار العتيقة ، والخرائب ، والأطلال ، والمومياء بدون شك انتباههم أكثر من حياة الفلاحين والقرى في وضعها الراهن ؛ وانهم يقومون بأبحـاثهم عن طريق المترجم ، وأخيراً يستندون في أحكامهـم عن وضـع المنطقـة وسكانهـا على التقـارير الرسـمية للسلطات المحلية ، والظاهر بأن هذا لا يشكل الأداة الموثوقة لدراسة البلاد »[2] .

---

(١) « رحلة أ. رافالوڤيـح الى مصر السـفلى والمناطـق الـداخلية للدلتـا » ، سانـت پيترسبـورغ ، ١٨٥٠ ، ص ٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦ - ٧ .

وهكذا يختلف الانسان والشخصية التقدمية أريتمي اليكسييڤيـچ رافالـوڤيـچ عن الرحالة الأوروپيين ، وقد أنجز الواجبات والمهام التي وضعها على عاتقه بعمق ونجاح باهر حين درس واقع البلاد ، ووضع الفلاحين .

وقد ثمن عالياً پ . پ . سيميونوف ـ تيان ـ شانسكي[1] أعمال رافالوڤيـچ في دراسة الشرق الأوسط .

وخلال ثلاث سنوات زار فيهـا أ . أ . رافالـوڤيـچ تركيا ، ومصر ، وسـوريا ، وفلسطين ، والجزائر ، وتونس ، وقد مكث في كل بلد من هذه البلدان بشـكل أو بآخر مدة طويلة . وبعد تعلمـه للغتين التركية والعربية ، اهتم بشكل خاص بحياة سكان البلـدان المختلفـة ، وجمـع أهـم المواد والمصـادر الغنية عن أتنوغـرافية هذه المنطقة .

## السائح المجهول

تعـود مذكرات أحـد المسافـرين الى سوريا وفلسطـين[2] الى سنـة ١٨٤٤ ـ ١٨٤٧ ، فالمؤلف غير معروف لدينا ( اننا نعرف عنه فقط ، بأنه قد وصل الى بيروت في ١٤ نيسان سنة ١٨٤٤ على متن السفينة الحربية « نيارك » ) . ولمذكراته أهمية الى حد ما ، لأنهـا تطـرح بعض القضـايا عن ميزات الطبيعـة في سوريا وفلسطـين ، والأحوال الزراعية فيهما ، وعن مقابلات ولقاءات المؤلف بممثلي الإدارة التركية ، وعن ادارة الطوائف المختلفة وملاحظات تتعلق بالحياة اليومية .

والمؤلف يصف بوضوح الأوضاع الطبيعية في البلاد : « التربة هنـا وفي نفس الوقت في جميع الأماكن ليست واحدة ؛ ففي المناطق الداخلية والجبلية تكون التربة أكثر خصوبة من الأراضي الواقعة على شواطىء البحر ، ولا تتميز ضواحي بـيروت وطرابلس بأية خصائص معينة في النوعية والكمية في إنتاجها عن المناطق الأخرى .

---

(١) پ . پ . سيميونوف ، تاريخ نشاط الجمعية الجغرافية الروسية في نصف قرن ، القسم ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٦ ، ص ٣١ .

(٢) « مذكرات مسافر الى سوريا وفلسطين ١٨٤٤ ـ ١٨٤٧ » ، « مكتبة للمطالعة » ، المجلد ١٠٢ ، ١٨٥٠ ، تموز .

ونباتات البساتين من نوع واحد ، والأزهار قليلة وذابلة . . . وتستطيع ضواحي حيفا وصيدا أن تضاهي الأودية المثمرة في انطاكية ، ودمشق . أما جبال لبنان وانتي لبنان فهي غنية بمحصولاتها المتنوعة من النباتات والحيوانات ، لذلك كله لا يجوز الحكم على سوريا ومناخها بأنها غير منتجة لأن بعض المناطق على شواطىء البحر عقيمة ، حيث الأرض اما أن تكون صخرية أو رملية أو ملحية ، وبالأضافة الى ذلك لا يوجد هناك أي شيء يحفظ الأرض من تأثير الشمس المحرقة ، والرياح العاتية ، وبخار البحر المضر . . . ولكن كلما يتوغل المرء في أعماق البلاد يشعر بالتغير ، حيث يكون مستوى ارتفاع الأرض أعلى ، والمياه العذبة الصالحة للزراعة أوفر ، والوضع الواقي للجبال يخفف مفعول الحر ؛ والرطوبة ، والرياح ، وتتضح جودة المناخ تدريجياً مع زيادة الشعور بالبرد . ودمشق على سبيل المثال ، وبالرغم من بعدها عن البحر ، تحيط بها سلسلتان من الجبال ومع ذلك تشتهر بمناخها الحسن المعتدل »[1]

ويصف المؤلف بتفصيل النباتات وعالم الحيوان في البلاد ، ويقدم معلومات موجزة عن السكان ، ويتكلم عن العلاقات بين القوميات المتعددة، وعن أوضاع المعارف والمدارس التي أسسها الرهابنة الكاثوليكيون ، والروحانيون الارثوذوكس ، والمبشرون الأميريكيون ، وعن المطبعة المؤسسة برعاية القنصل الروسي العام ك.م.بازيلي .

ويكشف المؤلف عن أسباب الوضع السيء للشعب في سوريا : « سوريا في الوقت الحاضر ، ثروة بحوزة التجار ، وضحية المرتشين المنسوبين الى الپاشا ، والموظفين الآخرين في الباب العالي ؛ فان جشعهم لا حدود له وهو يقضي على الشعور بالعزة القومية بين السكان ، تكون الضرائب غالباً مفرطة ، وغير عادلة وهي تقضي فيهم على أي ميل أو انعطاف الى الصناعة والتجارة الحرة. . . والباب العالي ينظر بلا اكتراث . . . شأنه في ذلك شأن الأجانب عموماً الذين يستغلون التضييق على صناعة الأهالي فيتجمعون كالسحب ويزدادون سمنة وثراءً لأنهم يحتكرون ثروة البلاد كلها دون مقابل . وأن فقر الشعب المدقع واضح إلى درجة بحيث يصعب على أي مشاهد مهما كان ضعيف الإنتباه أن يلاحظ الوضع المحزن للسكان الذين يعيشون

(١) المصدر السابق، ص ١٠ - ١١ .

وسط كل هذه الثروات الطبيعية . . .[1] » .

« ونشاهد في الوسط المسيحي في سوريا الإضطرابات وارتكاب الجرائم بشكل مستمر ، وسبب هذه الأحداث يرجع الى غلو بعض مبعوثي روما الذين يستحقون اللوم بدون شك ، وأكثر من ذلك عمل المبشرين الأميريكيين الذي يشكل أحد الأسباب المهمة للعداء الماحق بين المارونيين والدروز ، وبالإضافة الى ذلك كان المبشرون الأميريكيون يؤسسون المدارس بمساعدة الدروز في قرى المارونيين . وكانوا يستأجرون التلاميذ بين أردأ القوى المغرورة . . . وكان المارونيون لهذا السبب بالذات يكرهون هؤلاء المبشرين كرهاً شديداً الى درجة انهم سوف يحرقونهم ويحرقون منازلهم في ضواحي بيروت بالتأكيد بعد أول انتصار لهم على أعدائهم . والدروز من جانبهم يقولون بأن صداقتهم مع الانكليز ترتكز على شيء واحد فقط هو أن الانكليز ليسوا مسيحيين . وتحمل جميع القبائل الخشنة في سوريا هذه الفكرة عن البروتستانتيين[2] » .

لا نشك في أن هذه المقالة القصيرة المنسية منذ زمان طويل لمواطننا المجهول تفيد لدراسة سوريا في الأربعينيات من القرن التاسع عشر .

## رحلة آيڤازوڤسكي

زار القسطنطينية في سنة ١٨٤٥ الفنان الشهير المختص برسم المناظر البحرية إ.ك. آيڤازوڤسكي (١٨١٧ - ١٩٠٠) .

وقد رافق الأمير الكبير كونستنتين نيكولاييڤيچ منذ نيسان سنة ١٨٤٥ وحتى تموز سنة ١٨٤٦ في رحلته الخارجية إلى سواحل تركيا الأوروبية ، والأرخبيل ، وآسيا الصغرى . وبالإضافة الى القسطنطينية زار جزائر خيوس ، وپاتموس ، وساموس ،

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٢ - ٢٤ .

(٢) المصدر السابق، ص ٤٠ . في عملنا هذا هناك اشارة الى نشاط البعثات الأميريكية في الشرق الأوسط وقد ذكره الرحالة الروس اكثر من مرة . ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي تصادف فيها اشارة مفادها ان الاميريكان كثيراً ما اعتبروا انكليزاً .

وميتيلينا ، ورودوس ، وخرائب ، واطلال طروادة القديمة ، وسينوپ . وكانت حصيلة هذه الرحلة ان حمل إ.ك. آيڤازوڤسكي معه عدداً كبيراً من الرسوم التخطيطية[1] . ومن ثم رسم الفنان بعض اللوحات الشهيرة نتيجة لانطباعاته ومشاهداته في هذه الرحلة منها : ( « جزائر پريتسيڤ » ، « طروادة » ، « المقهى التركي » ، « المركب والتركيات » ) . وقد زار القسطنطينية للمرة الثانية في سنة ١٨٦٧[2] . وأما في تشرين الثاني سنة ١٨٦٩ فزار مصر وحضر في حفلة افتتاح قناة السويس ، فانعكست هذه الرحلة أيضاً في احدى لوحاته فيما بعد .

## رحلة گوگول

قام ن.ڤ. گوگول بزيارة الى فلسطين في سنة ١٨٤٨ . وكان قد كتب ثماني رسائل مشهورة ، نصفها في مدينة القدس ، والنصف الآخر في بيروت . ففي رسالة له من بيروت الى س.پ . شيڤيريڤ وهي مؤرخة في ١٨ (٣٠) آذار سنة ١٨٤٨ ، يشير ن.ڤ. گوگول الى أن ك.م. بازيلي ساعده في سفره الى مدينة القدس عن طريق صيدا ، وصور ، وعكا ، والناصرة . وفي طريق عودته أقام في بيروت ردحاً من الزمن ثم سافر الى القسطنطينية[3] .

وبعد أن عاد الى موسكو كتب ن.ڤ. گوگول وهو يستجيب الى رغبة ڤ.أ. ژوكوڤسكى مقالة عن فلسطين : « ان فلسطين وجبالها الرتيبة المتشابهة تشبه أمواجاً رمادية لا نهاية لها تتحرك في البحر . . . وأنك تصادف أحياناً ، أو بالأحرى بشكل نادر عدداً من أشجار الزيتون لا يتجاوز الخمسة أو الستة في جميع منحدرات الجبال . أما لون التربة فهو رصاصي أو رمادي ، كالصخور الموجودة في نفس الجبال ، وأنك أحياناً تشاهد غشاء طحلب رقيق واحد فقط بشكل خاطف ، وترى قطعة صغيرة من الأرض مخضرة بالحشائش في وسط هذه الأرض العارية المتموجة

---

(١) «ايڤان كونستنتينوڤيچ آيڤازوڤسكي ونشاطه الفني خلال اثنتين وأربعين سنة »، «عهود الروس القديمة»، ١٨٧٨ ، أيلول، ص ٥٧ ـ ٥٨ .

(٢) المصدر السابق، ١٨٧٨ ، تشرين الأول، ص ٢٨٣ .

(٣) يراجع : مؤلفات ورسائل ن.ڤ. گوگول ، المجلد ٦، سانت پيترسبورغ، ١٨٥٧ ، ص ٤٥١ ـ ٤٥٧ .

الصخرية ، وخلال سيرك ما يقارب الخمس أو الست ساعات تلتقي أحياناً بكوخ ملتصق بالجبل يسكنه عربي ، وهو يشبه القدر الخزفي ، أو الموقد ، أو كهف الوحوش الكاسرة أكثر مما يشبه مسكن الانسان . . .

وفي وسط مثل هذه الصحراء تشبه مدينة القدس وبيت لحم وجميع المدن الشرقية مجموعة من الأحجار والطابوق مرمية بلا نظام ولا تنسيق »[1] .

## رحلة ڤيازيمسكي

قام برحلته الى الشرق الشاعر والناقد المشهور پيوترااليكساندروڤيچ ڤيازيمسكي في سنتي ١٨٤٩ ـ ١٨٥٠ ، هو صديق أ . س . پوشكين .

ولقد خرج من ضيعته اوستافييف في ضواحي موسكو في حزيران سنة ١٨٤٩ ، وزار القسطنطينية ، وإزمير ، وجزيرة رودوس ، ومدينة القدس ، وبيروت[2] . وقصد طروادة منوجهاً اليها من القسطنطينية على ظهور الدواب ؛ ورافقه في رحلاته أندريه موراڤييف الذي كان قد قام برحلة أخرى سابقاً الى الشرق ، وكانت هذه رحلته الثانية .

كان اهتمام پ . أ . ڤيازيمسكي ضئيلاً بالطبيعة والإقتصاد في البلدان التي قام بزيارتها . وأنه أحياناً وبشكل عابر يشير إلى ظاهرة أو أخرى من الظواهر التي تخص الطبيعة الجغرافية : « ان النقص الكبير في مدينة القدس وفي ضواحيها ، وفي الشرق عموماً ينحصر في عدم وجود المروج »[3] .

وكان ڤيازيمسكي قد نزل في بيروت عند القنصل الروس ك . م . بازيلي الذي عرّفه ( كما عرّف ن . ڤ . گوگول أيضاً ) بكتابه عن سوريا .

ومن بيروت توجه ڤيازيمسكي الى بعلبك . وعند عودته الى بلاده أشار الى أنه في

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٧٧ ـ ٤٧٩ .

(٢) «رحلة الأمير پ . أ . ڤيازيمسكي (١٨٤٩ ـ ١٨٥٠) الى الشرق»، سانت پيترسبورغ، ١٨٨٣ .

(٣) المصدر السابق، ص ٦٩ .

جزيرة ميتيلين أدخلوا الباخرة حوالي مائة من العبيد السود من الرجال والنساء ينقلونهم الى القسطنطينية للبيع . . . هذه هي نتائج تجارة الرقيق التي يتحدثون ضدها ( ينتقدونها ) بحرية وبليبيرالية يطوفون البحار البعيدة ، ولكنها هنا تجري بشكل علني ومفضوح وتحت العلم النمساوي » .

## رحلة كوڤاليڤسكي وتسينكوڤسكي

من الأهمية بمكان أن نشير هنا الى الرحلة الشهيرة التي قام بها ايگور پيتروڤيچ كوڤاليڤسكي (١٨١١ ـ ١٨٦٨)[١] الى الشرق .

دعي في سنة ١٨٤٧ من قبل محمد علي لأن يتوجه الى مصر لاجراء التنقيب عن مكامن الذهب في القسم الشرقي من السودان والقيام بتعدينه . وقبل سنة من هذه الدعوة كان قد رافق كوڤاليڤسكي مهندسين مصريين قدموا الى روسيا للقيام بدراسة شؤون التعدين في أورال .

كان لأحد أشهر علماء الطبيعيات في القرن التاسع عشر وهو الأكاديمي الروسي ك.م.بير[٢] الدور الكبير في تنظيم رحلة ي.پ ـ كوڤاليڤسكي . وحينما علم مدير قسم الجغرافيا العام في الجمعية الجغرافية الروسية ف.پ .ڤرانگيل بأن ي.پ . كوڤاليڤسكي سوف يتوجه الى مصر ، تقدم بمقترح الى مجلس الجمعية للعمل على ترشيح عالم يصاحب كوڤاليڤسكي في رحلته على أن يكون « عالماً يتقن معلومات أساسية في العلوم الطبيعية ، وأن يقوم بالبحوث المتعلقة بالجغرافيا الطبيعية واتنوغرافيا البلاد بأشراف كوڤاليڤسكي وهي قضايا لا نعلم عنها الاّ الشيء الضئيل » . وقد وقع اختيار ڤرانگيل على الماجستير في جامعة سانت پيترسبورغ ل.س. تسينكوڤسكي (١٨٢٢ ـ ١٨٨٧) . ثم اقترح مجلس الجمعية الجغرافية على ك.م.بير ، وف.ر.براندت ، وي.خ. لينتس أن يقوموا بتهيئة التعليمات

---

(١) ب.أ. ڤالسكايا، رحلة ايگور پيتروڤيچ كوڤاليڤسكي، موسكو، ١٩٥٦ .

(٢) ب.أ.ڤالسكايا ، الأكاديمي ك.م.بير عن رحلات إ.پ . كوڤاليڤسكي الى مصر والصين في الأربعينيات من القرن التاسع عشر . « بلدان وشعوب الشرق » ، النشرة ١ ، موسكو، ١٩٥٩ ، ص ٢٦٣ ـ ٢٨٥ .

والإرشادات لتسينكوفسكي ينفذها مع ما يستجد هناك من قضايا تتعلق بالموضوع .

وتسلم تسينكوفسكي من تشرين الثاني سنة ١٨٤٧ التعليمات التي كانت تحمل عنوان « العمل العلمي في أفريقيا » ، وهي مقررة من قبل مجلس الجمعية الجغرافية . ورد في التعليمات اقتراح يقضي بوجوب القيام عند دراسة منظومة نهر النيل بوصف « يتضمن معلومات عن المرتفعات والمنخفضات على سطح الأرض من حيث علم المناخ ، وعن خصائص النباتات والصفات المميزة لعالم الحيوان ؛ وعند وصف السكان يجب الإهتمام بشكل خاص ليس فقط بالمظهر الجسماني ، وإنما بنمط الحياة والتطور الفكري أيضاً »[١] .

وكان على ل . س . تسينكوفسكي أن يقدم وصفاً لمنظومة نهر النيل بأسلوب يكون في متناول يد كل رجل مثقف . وطُلب منه أن يقدم صور السكان الأصليين من القبائل المختلفة في داخل أفريقيا ، ومعلومات عن المأكولات والأطعمة ، وخصائص الحبوب والغلال .

وصل ي . پ . كوڤاليڤسكي الى القاهرة في نهاية كانون الأول سنة ١٨٤٧ ، أقام هناك أسبوعين ، وكان غالباً ما يلتقى بمحمد علي . وفي بداية شهر كانون الثاني وبمرافقة ضباط مصريين خرج من القاهرة مبحراً على متن الباخرة حتى أسوان التي تقع على بعد ألف فرسخ من القاهرة ، ومن هناك استمروا في السفر على متن زورق حتى كوروسك . وفي كلابس اجتازوا المدار ( مدار السرطان) .

« ينعطف النيل من كوروسك انعطافاً شديداً نحو الغرب ، يرسم قوساً في شكل حدوة حصان ، وفي هذا الفضاء الواسع تشاهد الشلالات ومساقط المياه الواحدة بعد الأخرى ؛ ويمكن للمرء أن يعبر النهر سباحة في أوقات الفيضان فقط . وكان على المسافرين أن يتركوا الزورق ويسافروا على الجمال ، أو السير في ضفاف النيل بجميع منعطفاته ، أو خلال صحراء النوبة الواسعة »[٢] . أما كوڤاليڤسكي فقد اختار الطريق الثاني ، لأنه أقصر ، ودخل في أعماق الصحراء بمرافقة بضع عشرات

(١) المصدر السابق، ص ٢٧٠ .

(٢) «الأخبار الجغرافية»، النشرة ١ ، ١٨٤٩، ص ١٠ .

من البدو . وفي الطريق كان يحدد مستوى علو الصحراء بالبارومتر . ثم عادوا الى استعمال الزوارق في بربر مرة أخرى . وفي بداية شباط وصلوا إلى موقع ملتقى النيل الأبيض بالنيل الأزرق ، وفيما بعد وخلال ثلاثة أسابيع من السفر بالزوارق وصلوا الى روسيروس ، وكانوا يخرجون بين الحين والآخر الى ضفاف النيل الأزرق ، وساحل سنّار او الشاطىء الحبشي للارصاد والمتابعة والمراقبة[1] .

وعند روسيروس ترك المسافرون النيل الأزرق ، وعادوا إلى ظهور الجمال حيث استمروا في السفر بين الجبال حتى تومات في الفرع الأيسر للنيل الأزرق . وكانت تنتظر كوڤاليڤسكي فرقة حربية قوامها ألفين وخمسمائة شخص بقيادة المحافظ العام لشرقي السودان في تومات على سفوح جبال كاسان . ثم شرعوا بالبحث عن رواسب الذهب ، وقد نجحوا في ذلك نجاحاً باهراً . وفي تومات تم تأسيس أول مشروع لاستخراج الذهب . وبغية دراسة منابع النيل واكتشاف أهم منطقة في أفريقيا الوسطى التي كانت من مقتضيات المصلحة العلمية كان كوڤاليڤسكي قد بدأ بالسفر في ٣ (٢٥) آذار ، وبعد أن أقام علاقات مسبقة بالمالكين من أصحاب بعض الجبال والقبائل المستقلة . فساروا مسافات طويلة من الطريق مشياً على الاقدام ، ثم وصل الباحثون الى قمم تومات حيث لم يدرك هذه القمم قبل ذلك الوقت أي شخص أوروبي . وفي الجانب الأيسر من تومات كان يجري نهر النيل الأبيض[2] .

ثم عاد كوڤاليڤسكي الى الاسكندرية بطريق آخر خلال دونغلا .

وبخلاف رأي هومبولدت وعلماء آخرين عن أن نهر النيل وفي مدى امتداده ابتداءً من التقاء النيل الأبيض بالنيل الأزرق وحتى المصب في البحر الأبيض المتوسط يستقبل رافداً واحداً فقط وهو عطبرة ، اكتشف كوڤاليڤسكى في صحراء النوبة الصغرى رافداً في الجهة اليسرى وهو يشتهر بين السكان المحلين باسم أبود .

وبعد عودته من افريقيا قدّم إ. پ . كوڤاليڤسكي تقريراً أمام اجتماع الجمعية الجغرافية .

---

(١) المصدر السابق، ص ١١ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٣ .

وعن مسألة أصل الزنج وضّح بأنه « حاول أن يفند جميع الآراء غير المعقولة عن هذا الجيل الكبير من الجنس البشري الذي قالوا عنه مؤخراً بأنه يشكل مرحلة الإنتقال من الإنسان إلى الحيوان ، وحاول البرهنة على أساس الفيسيولـوجيا بأن تكوين الجسم والمخ عند الزنجي هو كما عند الأبيض »[1]

وكانت حصيلة الرحلة ظهور كتاب[2] كبير استقبل باهتمام عظيم جداً. كرس المؤلف نصف كتابه لوصف مصر ، والنصف الآخر عن السودان .

ويذكر إ. پ . كوڤاليڤسكي بأن الاجراءات التي اتخذها محمد علي لتنظيف المدينة أدت الى أن تظهر مدينة الاسكندرية بمظهر أوروبي أنيق ونظيف . وهو يشير بأن انشاء قناة المحمودية التي تربط الاسكندرية بنهر النيل كلّف الدولة ملايين عديدة من الروبلات ، ومن جراء البناء قتل ثلاثون الف شخص .

لقد ظهرت لوحات فريدة أمام أعين السائح : « كلما تظهر بين حين وآخر غابة كثيفة من أشجار النخيل ، انها دليل على أن في هذا المكان تربض قرية ، ولكنكم لا تشاهدونها بسبب انخفاض الشواطىء ، أو انكم تشاهدون ما يشبه اكداس الركام وهي أكثر شبهاً بعرين الوحوش المفترسة ومأوى الحيوانات اكثر منها بمنازل للناس »[3] . وأما مدينة بني سويف بالقرب من قناة بحر يوسف « فتشتهر بسجاجيدها ، وأقمشتها القطنية ، ومن الطبيعي انها من أبسط أنواع الأقمشة المقلمة التي تستعملها النساء بصورة خاصة للملابس الخارجية »[4]

ويصادف المرء بعدئذ في الأقسام العليا من نهر النيل « ليس الاحراج فقط وإنما غابات من النخيل واسعة . وشجرة النخلة تكون جميلة هنا وهي تقف وحيدة في الصحراء التي لا حياة فيها ، أو عندما تكون ثلاثة أو أربعة أشجار ؛ أما الغابة هنا فهي متكاملة ورتيبة لا ظل فيها تقريباً ، لا يرى المرء اخضراراً ناصعاً ، ولا وجود لأية

---

(١) «الأخبار الجغرافية»، النشرة ١، ١٨٤٩، ص ٩ ـ ١٥، «المعاصر»، العدد ١٢، ١٨٤٨ «صحراء النوبة الكبرى».

(٢) إ. پ. كوڤاليڤسكي ، رحلة في أعماق أفريقيا ، القسم ١ و٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٩ .

(٣) المصدر السابق، القسم ١ ، ص ٦٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٧٥ .

شجرة من نوع آخر سوى أشجار النخيل وحدها »[1] . وكان كوڤاليڤسكي يلمح من الباخرة كيف تسبح بجانبه القرى والمدن : « وان أسوأ ما تتصف به هذه المدن والقرى هو منظرها الذي يوحى الى الأوحال المجففة ، والسبب لهذا الأمر طبيعي جداً ، لأنها مبنية سن الأوحال أو الطابوق المصنوع من الطمى الممزوج بشيء من التبن ويجفف بأشعة الشمس . هناك ظاهرة واحدة تضفي التنوع على المباني هي برج الحمام. . . [2]

ولا تشاهدون في منازل القسم الأعظم من الفلاحين أي شيء ، اللهم الآجرة واحدة وكثيراً من الأطفال ، ويستعمل سعف النخيل كأثاث ، وتقوم حصيرة مصنوعة من الجريد مقام الفراش ، وتوجد هذه الحصيرة عند كل واحد تقريباً »[3] .

ومن الطرافة بمكان وصف الارواث من الأواني الخزفية المعروضة للبيع ، وهي تعوم في النهر : « ان هذا ابتكار جدّي . آلاف القدور والجرار مرتبطة بعضها بالبعض الآخر بثلاث طبقات ، الطبقة السفلى موضوعة تحت الرقبة ، وهي تطفو بنفسها بشكل رمث كبير جداً طوله ١٥ ساژين (*) ، العرض بنفس المقياس تقريباً ؛ وهناك أربعة مجاديف تديره الى الأعلى ، ويحملون في أيديهم سعف النخيل عوضاً عن المجداف . . . وهكذا يعوّمونه في نهر النيل الى مسافة آلاف الفراسخ »[4](**) .

ويعبر كوڤاليڤسكي في تقريره الذي ألقاه في إجتماع الجمعية الجغرافية وفي مؤلفاته أيضاً عن آرائه التي تقف ضد العنصرية بشأن وضع الشعوب الافريقية . وهو يكتب بسخط: «هناك أناس لا زالوا ولحد الآن يضعون الزنجي في أحط درجات الجنس البشري ، أي درجة الانتقال الى جنس القرود . وفي الأيام الأخيرة قرأنا رأياً من هذا النوع في الدوريات الأجنبية ، وبعضهم كما سترى. . . مستعد لرميه نهائياً من السلم الذي حددوا فيه لأنفسهم مكاناً في اعلاه ». وينتهي كوڤاليڤسكي الى رأي

---

(١) المصدر السابق ، ٧٦ ـ ٧٧ .

(٢) المصدر السابق، ص ٨٠ .

(٣) المصدر السابق، ص ٦٥ .

(٤) المصدر السابق، ص ٦٦ .

(*) ساژين عبارة عن (متر و١٣ سم) (المترجم).

(**) الفرسخ عبارة عن (١٠٦٠ مترا) (المترجم).

وهو أن هذه الظاهرة عبارة عن «غواية المغرور بنفسه عند الناس الذين يعتبرون أنفسهم السلالة الممتازة للبشرية . . .

إنني بعيد جداً عن أن أكون مدافعاً بشكل أعمى ، ولكنني أدافع عن إنسان يريدون أن ينتزعوا منه الكرامة الإنسانية وأعرض كذلك عيوبه باعتبارها مميزات حتمية لشعب مهمل ومحتقر . إن ذنبه من عيوبه هذه أقل من الآخرين . . . إنني أدافع عن إنسان يريدون أن ينتزعوا منه الكرامة الإنسانية . . . إنهم مدينون بتطورهم للطبيعة الخيرة وللخصائص الفطرية التي هي عند الزنجي ليست أقل مما عند الناس الآخرين ، وإنما أعلى مما عند الكثيرين منهم »[1] .

كان ن . گ . چيرنيشيڤسكي قد طالع « إلى الزنجي »[2] لكوڤاليڤسكي ، وقال بأن المؤلف قد أعجبه لأنه « يتكلم عن الزنوج بحيث يساويهم بنا تماماً عندما يعقد المقارنة بهذا الصدد ، وإنني أوافق على هذا من صميم قلبي . وعندما يتكلمون كلاماً مقرفاً يتراءى لي دائماً ، أن هذا أيضاً هراء وسخف مثل كلمات أرسطو طاليس التي يقول فيها بأن الشعوب التي تعيش إلى الشمالي من اليونان محكوم عليها بالعبودية والبربرية بحكم مناخها وعرقها »[3] .

أما الأكاديمي إ . ى . كراچكوڤسكي فقال بأن كتاب كوڤاليڤسكي « قد حدد أهمية كبيرة لعصرنا كذلك بوصفه الحي للشعوب والقبائل الافريقية »[4]

وتعتبر دراسة كوڤاليڤسكي للحياة الاجتماعية والمعيشية للسكان الأصيلين للمنطقة ، والقبائل الكثيرة في أعالي النيل وشرقي السودان إضافة كبيرة في علم الاتنوغرافيا .

وكان كتاب إ . پ . كوڤاليڤسكي قد قُدم إلى مسابقة ديميدوڤسكي في أكاديمية العلوم غير أنه لم ينل الجائزة . تقول ب . أ . ڤالسكايا في هذا الصدد بأن المقامات

---

(١) المصدر السابق ، القسم ٢ ، ص ٨٦ ـ ٩٤

(٢) « المذكرات الوطنية » ، ١٨٤٩ ، المجلد ٦٢ ، العدد ١ ، ص ١١٦ ـ ١٢٨ .

(٣) ن . گ . چيرنيشيڤسكي ، مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد ١ ، ١٩٣٩ ، ص ٢٣٤ .

(٤) إ . ى . كراچكوڤسكي ، مقالات عن تاريخ الاستعراب الروسي ، ص ١١٩ .

العليا كانت تنظر إليه نظرة استنكار واستهجان شديدة لأنها اكتشفت قضايا في الكتاب عن طريق لجنة الرقابة السرية غير مقبولة ومرغوبة لدى الحكومة ، منها مقارنة الزنوج العبيد بالمواطنين الروس المكبلين بالأغلال الذين التقى بهم كوڤاليڤسكى في أثناء رحلته إلى سيبيريا[١] .

كان رفيق سفر كوڤاليڤسكي كما أشير سابقاً هو ليف سيميونوڤيچ تسينكوڤسكي[٢] الذي أصبح فيما بعد العالم الكبير في علم النبات ، وهو ذو شهرة عالمية : « رافق تسينكوڤسكي في سفرته كوڤاليڤسكي في سنة ١٨٤٧ ، وفي بداية سنة ١٨٤٨ افترق عنه وأقام بضعة أشهر في الإقليم الريفي فازوغلو حيث عمل في دراسة النباتات والتتبعات الجغرافية ، ثم أقام مدة أخرى في وادي النيل بالقرب من الخرطوم بعد سفر كوڤاليڤسكي . . . أما المجموعات التي جمعها تسينكوڤسكي فقد فقدت مع المركب الذي كانت المجموعات قد أرسلت على متنه »[٣] .

وبعد عودته إلى الوطن كان اهتمام تسينكوڤسكي منصباً على دراساته في حقل علم النبات ، لذلك لم يستطع ، ولم يجد أية فرصة لوصف رحلته . ولهذا السبب وصلت إلينا المقالات التي نشرها في الجريدة البولونية « جريدة وارشو » ( ١٨٥٣ ) فقط ، وهي مع ذلك تقدم لنا المبررات للحكم على حيوية آرائه وملاحظاته التي كانت لمعرفته المباشرة للغة الأثر الكبير في نجاحه فيها[٤] . كما ونشرت كذلك باللغة الروسية تقارير ل . س . تسينكوڤسكي[٥] .

---

(١) يراجع : ب . أ . ڤالسكايا ، « الأكاديمي ك . م . بير عن رحلات إ . پ . كوڤاليڤسكي إلى مصر والصين . . . » ، ص ٢٦٨ .

(٢) ل . س . تسينكوڤسكي ، فيما بعد البروفيسور ، ورئيس جمعية المختصين في العلوم الطبيعية في نوڤوروسيسك . وقد خصصت مقالة كبيرة لسيرة حياته في « نشرات جمعية المختصين في العلوم الطبيعية في نوڤوروسيسك » ( المجلد ١٣ ، النشرة ١ ، أوديسا ، ١٨٨٨ ) .

(٣) پ . پ . سيميونوڤ ، تاريخ نشاط الجمعية الجغرافية الروسية في نصف قرن ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٦ ، ص ٣٠ .

(٤) إ . ى . كراچكوڤسكي ، مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٥) يراجع : « الأخبار الجغرافية » لسنة ١٨٥٠ ، النشرة ٢ ، ص ٢٠٢ - ٢٢٥ ؛ بشير الجمعية الجغرافية لسنة ١٨٥١ ، القسم ٣ ، الفصل ٧ ، ص ١ - ٢٢ .

ولا شك أن ملاحظات تسينكوفسكي الاتنوغرافية تعتبر من المصادر الممتعة للغاية ، وأما دراساته في حقل النباتات وعالم الحيوان فلها أهمية كبيرة جداً .

## رحلة چيريكوف

قضت المعاهدة الموقعة في أرضروم في سنة ١٨٤٧ بين تركيا وإيران عن تخطيط الحدود بأن تحديد الحدود الدولية سوف يتم بإشراف لجنة خاصة بالاشتراك مع ممثلي الدول الأربع : روسيا ، وانگلترة ، وإيران ، وتركيا . وكان العقيد ى . إ . چيريكوف هو المندوب المفوض والوسيط الروسي .

وقد حددت بغداد لتكون مكاناً لالتقاء جميع الممثلين في اللجنة للأطراف الأربعة ، وتنفيذاً لهذا المطلب توجه ممثلو روسيا[١] من القسطنطينية بحراً حتى سمسون ، وعن طريق أماسيا ، وتوكات ، وسيواس ، وملاطية ، وديار بكر ، وماردين دخلوا مدينة الموصل في ٢٤ نيسان سنة ١٨٤٩ . ثم خرجوا من الموصل في ١٠ مايس وعن طريق دجلة انحدروا نحو بغداد على متن كلك كبير جداً[٢] كان قد صنع بصورة خاصة لهم من ( ٥٠٠ ) قربة مع اكشاك كمأوى ومظلة كبيرة عامة .

كان من المفروض ، وفي ضوء التعليمات أن يقوم ى . إ . چيريكوف بوصف الطرق والقيام برسمها ، ووضع التخطيطات اللازمة لها كلما سنحت الإمكانية والفرصة اللازمة لذلك : « إنني كنت أعتقد بهذه المناسبة ، أن مسح وتصوير المدن الآسيوية بشكل مفصل ، وخصوصاً القسم الأكبر من المدن التاريخية يمكن أن يكون ذا فائدة ليس للاجتهادات والدراسات الجغرافية فحسب ، وإنما من حيث وجهة النظر الآثارية أيضاً ، وقد استعملت شخصياً جميع الإمكانيات المتوفرة لأجل أن لا

---

(١) كان ضمن اللجنة كل من المترجم م . أ . گامازوف وپروسكورياكوف الذي مرّ ذكره ، ( حل محله تسيكاريف فيما بعد ) ، والتوپوغرافي أگرانوفيچ . وكانت القافلة تتألف من ٤١ فرساً ، ٢٢ شخصاً كانوا يقومون بخدمة الهيئة .

(٢) يستعمل المؤلف لفظة « كلك » ، ويوضحها بهذا الشكل ( كلك : هو رمث يتكون من مجموعة من زقاق الأغنام مليئة بالهواء تغطى في الأعلى بألواح من الخشب .

تُغفل أية مدينة ، وأي موقع تاريخي في طريق اللجنة الروسية حتى وإن لم تدخل في المخططات والتصاميم المفصلة[1] .

وقد قامت اللجنة في بغداد خلال سبعة أشهر بمباحثات تمهيدية . وفي هذه الأثناء زار چيريكوف خرائب بابل ، وطيسفون ، ومدن كربلاء ، والنجف ، والكوفة ، ومنطقة المجرى الأسفل لنهر الفرات .

ثم توجهت اللجنة في كانون الأول سنة ١٨٤٩ على ظهر البواخر في نهر دجلة وشط العرب حتى الخليج الفارسي ( يقصد الخليج العربي - م .خ . ) . وفي ربيع سنة ١٨٥٠ زارت اللجنة بندر بوشهر وشيراز . وأما في خريف نفس السنة فتوجهت اللجنة إلى أصفهان . وفيما بعد كان طريقها بمحاذاة الحدود التركية ـ الإيرانية جميعها حتى آرارات . هنا أنهت اللجنة في تشرين الثاني سنة ١٨٥٢ أعمالها في تخطيط الحدود التي استغرقت أربع سنوات .

وبهذه الصورة درست اللجنة الحدود جميعها على امتداد ١٠ درجات عرضاً ، وهي تبلغ مع المنعطفات أكثر من ١٥٠٠ فرسخ . وقد دخل قسم من بلاد ما بين النهرين في المناطق التي تمت دراستها[2] .

وبعد مرور أكثر من عشرين سنة على انتهاء عمل اللجنة كان قد نُشر دفتر مذكرات سفر ى . إ . چيريكوف وهو من إعداد م .أ . گامازوف[3] السكرتير السابق للجنة الوسيطة .

يطرح دفتر مذكرات سفر چيريكوف وصف الأحداث والإنطباعات بشكل مباشر . وهو يكمل يوميات گامازوف ، وفيه وصف للطريق من القسطنطينية حتى

---

(١) « مطالعات ى .إ . چيريكوف عن أعمال اللجنة الروسية المكلفة لتخطيط الحدود الإيرانية ـ التركية » ، « بشير الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية » ، القسم ٢٦ ، العدد ٦ ، الجزء ٥ ، ١٨٥٩ ، ص ١٧ ـ ٢٣ .

(٢) قدمت اللجنة إلى الجمعية الجغرافية أكثر من خمسين مخططاً لمناطق ومدن مختلفة .

(٣) يقول إ .ى . كراچكوفسكي عن م .أ . گامازوف ( ١٨١٢ ـ ١٨٩٣ ) المهندس والضابط السابق بأنه مترجم موهوب جداً ، وقد أنجز مجموعة كبيرة من المهام المعقدة عند زيارته لبلاد ما بين النهرين ومصر . وگامازوف مؤلف مجموعة من الرسوم والتخطيطات التمهيدية الاتنوغرافية ومقالات عن رحلته .

بغداد . وكان الدفتر في حينه قد سلم إلى رئيس القسم الحربي ـ التوبوغرافي في الدائرة الحربية في القفقاس إ . إ . ستيبنيتسكي وأصبح معروفاً لدى قسم القفقاس من الجمعية الجغرافية ، وأخيراً قام القسم بطبعه ونشره في سنة ١٨٧٥ [١] .

وإن القسم الأكبر من دفتر المذكرات مكرس لوصف بلاد فارس . أما القطاع الواقع على الحدود الذي مرت به اللجنة فهو يضم سكاناً من القبائل النصف الإقطاعية من اللر ، والبختياريين ، والعرب ، والكرد . ولا شك بأن لملاحظات چيريكوف عن القبائل أهمية كبيرة جداً .

وكان إ . إ . ستيبنيتسكي قد تعرف على دفتر چيريكوف قبل صدوره ، فكان تثمينه له عالياً : « إن هذا الجهد المتكامل الذي لا يوجد أي شك في المعلومات الواردة فيه ، عبارة عن عمل جغرافي بالنسبة للمعلومات التي جاء بها ، عمل لا يوجد مثله في الأدبيات المدونة ، وإن وجد فهو قليل ونادر »[٢] . وسجلت في الدفتر مجموعة من المعلومات الجغرافية الجديدة للفترة التي كان فيها صاحبه يدون يومياته ، وأهم ما في المذكرات هو الفصول التي تتحدث عن بغداد وضواحيها ، ووصف السفرة إلى بابل ، والنجف ، وكربلاء .

وألحقت بدفتر مذكرات المسافر ى . إ . چيريكوف معلومات وأخبار متنوعة مقتبسة من المذكرات اليومية للمسافر م . أ . گامازوف ، ومن بينها وصف طريق اللجنة الروسية من القسطنطينية حتى بغداد .

وأما مذكرات م . أ . گامازوف نفسه ، فإن القسم الأعظم منها مخصص لبلاد فارس أيضاً ؛ ففي الفصل الذي يتكلم فيه عن تركيا يقدم معلومات عن العرب ، ويذكر گامازوف أخباراً عن محمد علي كذلك .

ولقد أعد گامازوف وترجم ( كان يعرف بطلاقة اللغات العربية ،

---

(١) يراجع : « دفتر مذكرات سفر ى . إ . چيريكوف » ، « تقارير الجمعية الجغرافية الروسية ، قسم القفقاس » ، الكتاب ٩ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٥ .

(٢) « نشرات الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية ، قسم القفقاس » ، المجلد ١ ، تفليس ، ١٨٧٢ ـ ١٨٧٣ ، ص ٤٧ .

والفارسية ، والتركية ، واليونانية الحديثة ) في سنة ١٨٧٧ الكتاب التركي الذي ألفه خورشيد أفندي سكرتير المندوب التركي في اللجنة . والكتاب مكرس للمناطق التركية ، أي ولايات البصرة ، وبغداد ، والموصل ويتضمن معلومات جغرافية واتنوغرافية مهمة وممتعة عن المواقع بين آرارات وخليج فارس[1] ( يقصد الخليج العربي - م .خ . ) . ولقد زود گامازوف الكتاب بـ ( ٥٣٢ ) من الملاحظات والفهارس القيمة التي نظمت على حروف الهجاء ، ثم أشار بصدق بأنه « يتضمن بشكل واسع قضايا جدية ، لم ترد فيها مسائل لا فائدة فيها ، أو معلومات ليست لها أهمية عن مواقع مدروسة بصورة ضئيلة جداً في الشريط الحدودي بين جبال آرارات وخليج فارس ( يقصد الخليج العربي - م .خ . ) .

وننقل هنا فقرات من الوصف الذي ورد في دفتر چيريكوف :

« إن بغداد محاطة بسور مرتفع ، وقد تهدم من الجهة الشرقية منذ فيضانات سنة ١٨٣١ . ولا يوجد هناك أي مسجد فخم من حيث البناء ، ولا توجد منارة أو مئذنة جميلة ؛ وهي جميعها غير عالية ، وثقيلة ، ولا ذوق في أبنيتها ، وهي مغطاة بشكل عام بترابيع إعتيادية . والحمامات رديئة وقذرة . . . والأسواق قديمة ، إلاّ أن أبنيتها جيدة ، والممرات فيها تحت القناطر والقباب ، أما البضائع والسلع الموجودة في الحوانيت فهي متواضعة ، وأحياناً فقيرة تعلوها الأتربة والأوساخ ؛ والأعمال فيها جامدة . . . أما الشوارع فهي جيدة ، والقسم الأكبر منها عبارة عن أزقة وحارات ضيقة . وأما عن المنظر الخارجي للمساكن فالمرء لا يستطيع أن يقول شيئاً ، إنها تتكون من جدران فقط كما هي الحال في جميع أنحاء الشرق ، والظاهرة هذه بدون شك كان من شأنها أن تضفي على المدينة وجهاً حزيناً جداً ، لولا الحدائق والمساجد . أما المنظر الداخلي للمنازل فهو في الغالب على الأسلوب المغربي ، فيه ذوق رفيع ، وزخارف جميلة وبديعة بشكل خارق . . . وهناك في كل مكان نافورات وقنوات المياه ، وأزاهير . . . ثم بساتين النخيل والبرتقال التي تظلل الممرات فهي بديعة جداً . وإن أفضل دار في بغداد فيها أجمل حديقة ، وتتمتع بأسباب الرفاهية

---

(١) سياحت نامهء حدود ، وصف الرحلة في الحدود التركية ـ الإيرانية ، تأليف خورشيد أفندي ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٧ .

الأوروبية هي دار مقيمية شركة الهند الشرقية . . . فيها عدد هائل من الخدم ، خمسون شخصاً من المتطوعين(*) ، والجنود السود ، وعشرة من القواسين »[1] .

وإليكم بعض الملاحظات الطريفة عن العرب :

« يستعمل العرب نوعاً من الطعام يهيؤ ونه من التمر المخلوط ببذور السمسم ، والجراد المطبوخ ، الأصغر منه فقط ويجففونه بأشعة الشمس ، أما الجراد الأحمر فلا يصلح للأكل ، وبعض النباتات القرنية البرية تشبه الباقلاء ، ويصنعون الخبز من هذه النباتات القرنية ، ويستعمل لحم الضبع عندهم أيضاً في الطعام . . . والعرب مسلحون دائماً بالهراوي ، وهي من نوعين : أحدهما هراوة طويلة تشبه عود الرمح ، والأخرى في مؤخرتها قطعة حجر أو كرة من الزفت .

وأسنان العربي قوية جداً . كان أحد عبيد الشيخ أحمد وهو الزنجي سعيد قد بلع أربع حبات من الحشيش، ومضغ رصاصات واحتفظ بهما في فمه في سبيل أن يُعبىء سلاحه بأسرع وقت ممكن . . .

واعتاد العرب بشكل طبيعي أن ينطلقوا إلى مثل هذه الحملات على ظهور الجمال السريعة ، وذلك رأفة بالخيول التي يقودونها معهم ثم يركبونها أثناء الهجوم ويعيدون الجمال السريعة في حين يعودون هم على ظهور الخيل . وتنقل العرب في الصحراء يتم على ظهور الجمال . وهم لا يمزجون الجمال السريعة بالجمال الاعتيادية ، كما هو الأمر تماماً عندهم في الخيول حيث لا يخلطون بين الخيول الأصلية والخيول العادية . والعرب يحملون سيوفهم في أوقات الرحلة فقط ، أما في الغزوات البعيدة فإنهم لا يحملونها بل يكتفون في هذه الحالة بالحراب والرماح التي يزركشون أسنتها بريش النعامة ، غير أن التزويق الأخير يستطيع القيام به الرجال الشجعان فقط الذين يحملون على أسنة رماحهم رؤوس الأعداء. والعرب لا يقتلون الراقد أو المنبطح

---

(*) يستعمل المؤلف هنا لفظة «سپاهي» وهي تعني ( الجندي ، والمتطوع ، والعسكر ، والجيش ) ، وهي تستعمل عند الروس كمصطلح للجيش الذي كان المستعمرون يشكلونه من السكان المحليين في الولايات الهندية التابعة للأمبراطورية البريطانية ( المترجم )

(١) « دفتر مذكرات سفر ى . إ . چيريكوف » ، ص ١ - ٢ .

مطلقاً وإنما يذهبون بفرسه فقط »[1] .

وحينما يصف چيريكوف رحلة اللجنة الروسية من بغداد إلى بابل ، والنجف ، وكربلاء في سنة ١٨٤٩ فهو يعير أهمية خاصة إلى النجف وكربلاء المدينتين المقدستين عند الشيعة :

« تشتهر هاتان المدينتان كربلاء والنجف عند الشيعة باسم ( عتبات الأئمة ) . تتوجه إلى هنا ومن جميع البقاع التي يسكنها الشيعة وبدون انقطاع قوافل الحجيج [ الزوار ] التي لا تعدو لا تحص ، وهم يحملون معهم هدايا كثيرة إلى المسجدين من النقود والأشياء ، وغالباً ما تكون الهدايا ثمينة جداً ، وهم يجلبون معهم جثث موتاهم أيضاً لدفنها في هذه الأرض المقدسة . . . وهنا يعيش كذلك خلق كثير من التجار الأغنياء ، والوجهاء المغضوب عليهم ، والأمراء الذين هم في أواخر أيامهم ، وينتظرون الموت . . . وفي سنة ١٨٤٩ مرّ زوار يبلغ عددهم الثلاثين ألف شخصاً عن طريق بغداد من كربلاء ، ويبلغ في الأحوال الاعتيادية عددهم في السنة الواحدة حوالي العشرين ألف شخصاً . . . وينقلون في الغالب جثث موتاهم إلى كربلاء في فصل الشتاء . . . ويبلغ عدد التوابيت التي تستقبلها كربلاء الخمسة آلاف ، وأحياناً تصل إلى العشرة آلاف في السنة الواحدة . وثمن النقل يبلغ قراناً واحداً ( ٣٠ كوپيكا ) عن خمسة توابيت ( وهي ضريبة المرور ) . ويطالب رئيس مركز الشرطة التركية للحجر الصحي بفحص التوابيت أحياناً ؛ غير أن الفرس لا يرضون بهذا الاجراء بسبب التعصب المذهبي ، بالرغم من أن هذه الإجراءات هي موجهة ضد المهربين . أما أجرة الدفن في أسوار كربلاء والنجف فتبلغ حوالي الألف قران ، وهي تختلف بمدى بُعد أو قرب مكان الدفن عن المسجد ؛ أما في خارج المدينة فتصل أجرة الدفن إلى المائة قران . فالحكومة التركية هي التي تضع هذه التسعيرة ؛ وأما الملالي فلهم حصصهم الخاصة من النقود ، حيث يقبضون عن كل جثة مائة قران في المدينة ، وفي خارج المدينة تكون حصتهم عن كل جثة خمسة وعشرين قراناً . وهناك من يدفن في الصحراء على بعد ساعة عن المدينة . وإذا ما حدث أن نهب الحجاج في الطريق ولم يكن باستطاعتهم دفع ثمن دفن الموتى الذين جلبوهم ، فيتم دفن هذه

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠ - ٤٢ .

الجثث على مسافة ثلاث أو أربع ساعات بعيداً عن المدينة »[1] .

وأخيراً يشكل بدون شك دفتر مذكرات سفر چيريكوف مع إضافات گامازوف عملاً مستقلاً ضخماً ، وهو مشبع بالمواد والمعلومات التاريخية والجغرافية ، ويعتبر مصدراً مهماً لدراسة الشرق الأوسط وبشكل خاص فارس .

## رحلة زاخاروف

كان الفنان إيڤان ديميتريييڤيچ زاخاروف قد زار القسطنطينية في آب سنة ١٨٤٩ ، وأقام فيها بضعة أشهر ، وترك لنا مذكرات طريفة عن رحلته[2] . وتنحصر أهميتها في تصويرها للحياة الاجتماعية ، وذكرها اللقاءات بممثلي الأوساط العليا بصورة مفصلة .

شاهد إ .د . زاخاروف في فترة وجوده في القسطنطينية أشياء كثيرة : « أطلع على الأقسام الداخلية لجميع قصور السلطان ، والحياة الداخلية للحريم وراء الكواليس ، والاهتمامات الشخصية والعائلية للسلطان وأبناء السلطان ، أعمالهم ، وهواياتهم ، واهتماماتهم الشخصية ؛ وزار المؤسسات التعليمية ، والمعامل ، والمصانع ، وإدارة الأسطول البحري ، والسفن والبواخر ، والثكنات العسكرية ، والجنود ، والقلاع والتحصينات . . . وشاهد مختلف أنواع الطقوس ، والأعياد ، والاحتفالات الرسمية ، والاستعراضات العسكرية ، ومخازن التحف ، والأشياء النادرة ، وزار الباب العالي حيث يجتمع فيه مجلس الدولة . . . »[3] .

فوضع الفنان الخطط والتصاميم لرسم صورة السلطان ( پورتريت ) ؛ ولقد حضر خلال شهر عدة مرات لرؤية السلطان عندما كان يتوجه إلى المسجد ، وفي ضوء الانطباعات والتخيلات التي جمعها في ذهنه أنجز رسم صورة له .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣ ـ ٢٥ .

(٢) « مذكرات سفر الفنان الروسي إ . زاخاروف التي جمعت أثناء رحلته في روسيا ، وتركيا ، واليونان ، وإيطاليا ، والمانيا » ، القسم ١ ـ ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٤ .

(٣) المصدر السابق ، القسم ١ ، ص ٢٠ .

وبعد لقاء مع وزير البحرية ، تلقى الموافقة الخاصة على حضوره ليقوم بعرض الصورة على السلطان . وبعد ذلك منح حق الدخول في القصر للقيام برسم صور لأولاد السلطان . ونظم زخاروف فيما بعد معرضاً في القصر لصوره ، ومجموعة من اللوحات والتخطيطات الأخرى التي أنجزها في القسطنطينية . وإن هذا الحدث شهير إلى درجة كبيرة في تاريخ الثقافة . فكان هذا المعرض أول معرض فني يُقام في القسطنطينية .

ويخبرنا زاخاروف عن لقائه بالتاجر الروسي نوفيكوف الذي يعيش في القسطنطينية منذ أكثر من عشرين سنة و« يتاجر بالأقمشة المستعملة في صنع الأشرعة ، وحبال المرساة ، وأشياء أخرى كثيرة من الأجهزة التي تحتاجها صناعة السفن ، وقد زود الأسطول الحربي التركي بجميع المواد التي تحتاجها تقريباً ، وإن وزارة البحرية مدينة له بمبالغ ضخمة وكبيرة بصورة مستمرة » .

وإن مذكرات إ . د . زاخاروف لم تفقد قيمتها الكبيرة حتى في أيامنا هذه .

## الحرب الروسية ـ التركية
## ( حرب القرم )
## ١٨٥٣ ـ ١٨٥٦
## رحلة خودزكو وموراڤييڤ وليخوتين

منذ بداية العمليات الحربية في جبهة القفقاس ( في حرب سنوات ١٨٥٣ ـ ١٨٥٦ ) وزحف القوات الروسية إلى أعماق تركيا الآسيوية بدأت أعمال فرقة جيوفيزيائية تأسست بصورة خاصة بقيادة اللواء ( الميجر جنرال ) ى . إ . خودزكو[1] . قامت الفرقة في سنة ١٨٥٣ برئاسته وإرشاده بمسح منطقة ما وراء

(١) يوسف إيڤانوڤيچ خودزكو ( ١٨٠٠ ـ ١٨٨١ ) العسكري الجيوديسي التوبوغرافي الأكبر . شارك في الاستطلاعات التوبوغرافية والفلكية في محافظات ڤيلينسك گرودنينسكي ، ومينسك ، وكورلياندسكي ، عندما كان لا يزال ضابطاً شاباً . وقام في سنة ١٨٣١ بالتخطيط في مولداڤيا وڤالاكيا ، ثم في البوسفور مع فرقة ن . ن . موراڤييڤ . وفي سنة ١٨٣٤ وضع وصفاً للوضع الإحصائي الحربي في مولداڤيا وڤالاخيا . ورأس منذ سنة ١٨٤٠ في القفقاس أعمال المسح التوبوغرافي . وإن جميع إنجازات المسح لمنطقة ما وواء القفقاس مرتبطة باسمه .

القفقاس . وأنجزت تخطيط الأراضي التي تمتد من اليكساندروبول حتى أرضروم فيما بعد . وفي الفترات التي كانت تعقب العمليات الحربية كان التوپوغرافيون يعملون في التخطيط التوپوغرافي للمواقع . وكانت مناطق التخطيط متناثرة في فضاء واسع جداً ، وقد ربط خودزكو عمله هذا بشكل مباشر بالمسح أيضاً .

وهكذا تم في تركيا الآسيوية في سنة ١٨٥٦ تحديد وضع اثنين وأربعين موقعاً من حيث المسح المثلثي أو البعد المثلثي ، كما وتم تحديد مدى ارتفاع ستة وثلاثين موقعاً ونقطة أخرى عن سطح البحر .

ومن الذكريات الكثيرة للمشاركين في حرب ١٨٥٣ ـ ١٨٥٦ من الجدير الإشارة إلى كتاب[1] ن . ن . موراڤييڤ القائد العام في القفقاس ، وهو معروف عندنا كمؤلف لكتاب « الروس على البوسفور » . فقد دوّن هذا الكتاب الجديد في ضوء مواد ومصادر تاريخية غنية . وأهم ما في الكتاب وصفه للمناطق المختلفة في آسيا الصغرى ، وعلى الأخص منطقة الحدود الروسية ـ التركية حتى أرضروم ، وقارص ، والمدن الأخرى .

وإننا نرى وصفاً رائعاً للشعب الكردي في مذكرات المشارك الآخر في الحرب وهو اللواء م . ليخوتين[2] ، حيث كانت كردستان مسرحاً لأكثر العمليات التي نفذتها الفرقة التي كان يقودها في أيام الحرب .

يشير بهذا الصدد إلى أن « الكرد عبارة عن شعب خاص . . . يعيشون في الأراضي الجبلية التي تمتد في روسيا ، وإيران ، وتركيا بمحاذاة سلاسل جبال آگري داغ حتى السهول الرملية الممتدة لنهري دجلة والفرات في الجنوب . . . ويعملون بشكل أساسي في الرعي ، وهناك عدد قليل من السكان يقومون بزراعة الحبوب ؛ أما منازلهم الشتوية فهي مبنية بشكل بسيط جداً وبسرعة ؛ وإنهم يعيشون حياة نصف

---

(١) يراجع : ن . ن . موراڤييڤ ، الحرب في القفقاس في سنة ١٨٥٥ ، المجلد ١ ـ ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٧ .

(٢) « الروس في تركيا الآسيوية في سنتي ١٨٥٤ و١٨٥٥ . من مذكرات اللواء م . ليخوتين عن العمليات الحربية لفرقة أريڤان » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٣ .

رحالة من موسم الربيع المبكر حتى موسم الخريف المتأخر ، وإذا ما أرغمتهم الظروف فإنهم يستطيعون قضاء الشتاء كله في خيام دافئة كبيرة ، يسمونها هنا بـ ( الچادر ) وهي شبيهة بالخيام القره غيزية . وهذه الخيام تكون واسعة وكبيرة إلى حد تسع الواحدة منها لجميع أفراد العائلة مع ممتلكاتها ؛ غير أن الأغنياء يملكون أكثر من خيمة واحدة . . .

والكرد جميعهم جبليون يحبون الأماكن المعتدلة والباردة العالية ؛ وإن السلاسل الجبلية والكهوف الحصينة التي يعيشون فيها تمنحهم بصورة أكثر إمكانية البقاء والحفاظ على ذاتيتهم واستقلالهم . . .

ثم إن الكرد ينقسمون إلى مجاميع كثيرة ومتعددة ، وإلى قبائل وأجيال ، وهم جميعاً يتكلمون لغة واحدة ، أما الإدارة فهي بيد كبير القبيلة أو رئيس العشيرة ، ويكون هؤلاء مستقلون بعضهم عن البعض الآخر »[1] .

وتهيأت الظروف أن يتعرف ليخوتين بشكل خاص وعن قرب بالقبائل الكردية في كردستان الصغرى ، أي جميع أنحاء پاشالق بايزيد ، وهي في القسم الشمالي من پاشالق وان وموش ، والقسم الجنوبي من پاشالق قارص ، وكذلك الأقسام الجنوبية من محافظة أريڤان والأقاليم الفارسية في خانية ماكو[2] .

ويمكن أخيراً مشاهدة الصور الفريدة في فيضان نهر آراس ، ومدينة بايزيد ، والقلعة ، والتجويف الأرضي بالقرب من ديادين ؛ أما وصف البوابة الجبلية ( في الطريق من ديادين حتى أرضروم ) المسماة قره دربند ( البوابة السوداء ) ، ووادي نهر حسن قلا في الطريق إلى أرضروم فهو ظريف وممتع .

## الدراسات الشرقية ( الاستشراق )
## في پيترسبورغ

يتصف النصف الثاني من القرن التاسع عشر بانتعاش الدراسات الشرقية إلى

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٤ - ١٤٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

درجة كبيرة ، وكان مركز هذه الدراسات مدينة پيترسبورغ . وفي هذه المدينة قام المتحف الآسيوي بواجبه منذ سنة ١٨١٨(*) ، وكان يقف على رأس هذه المؤسسة الاستشراقية الأكاديمي خ .ب . فرين . ومنذ سنة ١٨٢٣ تم فتح قسم تعليمي لدراسة اللغات الشرقية في وزارة الشؤ ون الخارجية . وقد جمعت في المتحف الآسيوي مجموعة كبيرة من المخطوطات الشرقية . أما في جامعة پيترسبورغ وخلال عدد من السنين ( ١٨٢٢ ـ ١٨٤٧ ) فقد ترأس قسم اللغة العربية أو .إ . سينكوفسكي وهو المختص والعارف والخبير بشؤ ون الشرق ، المعاصر له ومؤسس مدرسة متكاملة للمستعربين . وتأسست في سنة ١٨٥٥ في جامعة پيترسبورغ كلية اللغات الشرقية . وبعد غلق القسم الشرقي في جامعة قازان تم نقل الپروفيسورين إ .ن . بيريزين وأ .ك . كاظم بك إلى پيترسبورغ الذي عينّ أول عميد لكلية اللغات الشرقية .

وكان النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مرحلة لامعة في تطور الاستشراق الروسي .

وفي عملنا الحالي لا يمكننا أن نقدم وصفاً لنشاط المؤسسات الاستشراقية في پيترسبورغ وموسكو حيث تأسس فيها في سنة ١٨١٥ معهد لازاريف . إلاّ اننا نقف فيما يأتي عند إسهام الجمعية الجغرافية في دراسة الشرق الأوسط .

## رحلة أبيخ

قامت طائفة من المواطنين الروس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعدد من الرحلات في الشرق الأوسط .

ولعب الجيولوجي الشهير والباحث البارز في الدراسات القفقاسية گيرمان ڤيليهليموڤيچ أبيخ ( ١٨٠١ ـ ١٨٨٦ ) دوراً بارزاً في دراسة جيولوجية أرمينيا والمناطق المتاخمة لها .

---

(*) يراجع : ( تاريخ الاستشراق والدراسات العربية والكردية في المتحف الآسيوي ومعهد الدراسات الشرقية في لينينغراد ١٨١٨ ـ ١٩٦٨ ، ألفه باللغة الروسية مجموعة من المستشرقين السوڤيات ، ترجمه وعلق عليه وقدم له مترجم هذا الكتاب ، بغداد ، ١٩٨٠ ) .

قدم ك. ف. أبيخ إلى روسيا من المانيا في سنة ١٨٤٢ بمناسبة انتخابه أستاذاً في جامعة ديرپت. وقد خصص القسم الأكبر من نشاطه منذ سنة ١٨٤٤ لروسيا، ودراسة القفقاس والمناطق المجاورة لها من الأراضي الفارسية والتركية. ولغرض التعرف على البنية الجيولوجية لأرمينيا شرع أبيخ في سنة ١٨٤٥ بالتسلق على جبال آرارات، القمة الشرقية منها، وهي أوطأ من القمة الغربية بمقدار ١٢٠ قدماً، وقام برحلته الأولى في سنة ١٨٤٦ إلى ما تسمى بأرمينيا التركية. فإنه عبر الحدود عند بحيرة چالدير بمحاذاة وادي نهر آراس حتى وصل إلى أرضروم، وزار مضايق نهر الفرات، ثم سار بمحاذاة خط تقسيم المياه في منطقة چورخوفرات، ثم عاد عن طريق آرتفين وباطوم إلى كوتاييس[١].

أما الرحلة الثانية لأبيخ فقد قام بها في سنة ١٨٥٩

« لقد تجنبت في هذه المرة الطرق السابقة، ونقلت ملاحظاتي من منطقة الفرات النهرية إلى بعض أقسام منطقة چوروخ حيث سرتُ من بايبورت في الطريق المؤدي إلى أرزنجان خلال مضيق سيپينكور وقطعت السهل الذي يحمل نفس الاسم في مختلف الاتجاهات، وتوجهت بعد ذلك من ماما خاتون عن طريق جبال ميرم إلى آش قلا وأرضروم . . . ثم أخذت طريقي من حسن قلا، وخلال وادي پاسين حتى وصلت إلى أعماق وادي آزاس وقاقزمان خلال السلاسل الجبلية العالية، ثم رجعت . . . إلى اليكساندروپول »[٢].

وكانت حصيلة دراساته عن أرمينيا أن كتب كتاباً[٣] يتضمن على وجه الخصوص الأقسام : هضبة اليكساندروپول، وهضبة قارص، ومنطقة پاسين، والمنطقة السهلية والجبلية في گارين أو أرضروم، ونتوءات وادي نهر الفرات عند آش قلا، والنتوءات العليا لوادي چوروخ، ونتوءات أرزنجان في وادي نهر الفرات،

(١) يراجع : « أخبار الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية، قسم القفقاس »، المجلد ٩، موسكو، ١٨٨٥، ص ٢٠٦. قائمة بأسماء أعمال .ح .ف. أبيخ وكلمة رثاء قصيرة، يراجع : « أخبار اللجنة الجيولوجية »، المجلد ٥، العدد ٩ ـ ١٠، ١٨٨٦.

(٢) ج. أبيخ، جيولوجية السلاسل الأرمنية. القسم الغربي. وصف أوروغرافي وجيولوجي، ترجمه من الألمانية ب. ز. كولينكو، پياتيگورسك، ١٨٨٩، ص ١٣.

(٣) المصدر السابق.

ونتوءات ترجان في وادي نهر الفرات ، والمناطق المتاخمة للحدود بين پاسين وقاقزمان ، ونتوءات قاقزمان وكولپين في وادي آراس ، وأخرى .

ويقول أبيخ في المقدمة التي كتبها لكتابه : « إن اسم أرمينيا ظاهرة تاريخية واتنوغرافية تامة ، لها علاقة مباشرة بقريبتها من حيث الانتماء العرقي المسماة جورجيا وهي إبيريا القديمة ، وقد أطلق هذا الاسم منذ القديم على تلك البلاد الجبلية التي تبدأ من الجنوب من سلاسل القفقاس وتمتد إلى الجهة اليمنى لوادي كوره حتى المرتفعات المحاذية لحدود منخفض بلاد ما بين النهرين ، ثم تلتصق بالمناطق القريبة من هضاب طوروس ، وتضم في امتدادها الغربي القسم الأعظم من بر آسيا الصغرى الشرقية . . . ومن وسط هذه الوحدة الجغرافية تتميز هضبة أرمينيا نفسها باعتبارها أعلى هضبة مركزية كبيرة في مقدمة آسيا . . .

وتجري الأنهار متتبعة الاتجاه الرئيسي لانحدار الأرض ، على شكل أزواج ، فمن جهة هناك كوره وأراكس اللذان يتجهان نحو الجنوب الشرقي إلى بحر قزوين حيث يرسم الأول قوساً كبيراً باتجاه الشمال . ومن الجهة الأخرى هناك الفرات بفرعية ( فرات ومراد ) ودجلة الذي ينحدر من السفوح الجنوبية للهضبة ، اللذان يغيران اتجاههما الغربي السابق نحو الجنوب والجنوب الشرقي فيحملان مياههما إلى المنخفض العظيم الذي يحتله الخليج العربي ( ورد في الأصل تعبير الخليج الفارسي ) . وتنبع روافد النهر الجبلي الكبير الخامس چوروخ من السفوح الشمالية الغربية الشديدة الانحدار .

والشيء المهم هنا هو أن جميع السلاسل الجبلية التي تتألف منها هضبة أرمينيا مع الأجزاء الواقعة في أطرافها والمتاخمة لها من جهة الشرق تقع على خطوط إتجاه واحد ، وهي الخطوط التي يمكن أن تعتبر في الوقت الحاضر بفضل الجهود التي بذلها الباحثون الجغرافيون الروس ، خطوطاً سائدة بالنسبة للمنظومات الجبلية في وسط القارة الآسيوية ، بشكل أكثر دقة مما كان ممكناً في عهد ك . ريتتبر وأ . هومبولدت اللذين يؤلفان عهداً كاملاً من الدراسات الانتقادية . وإن الاتجاه السائد لتيان شان الذي يتغير باستمرار بين WS و ON مقترناً باتجاه آلاتا وSO - NW واتجاه كوئين لونيا WNW يظهر أيضاً في سلاسل القفقاس الجبلية وكذلك في جميع أنحاء النصف

الشرقي من المرتفعات الأرمنية ـ الجورجية النائئة . وكلما اقتربنا من منطقة وسط هضبة أرمينيا يتضح بشكل محدد وجود مرتفعات طولية تعود إلى الأزمنة الحديثة وأصلها بركاني . . . »[1]

وإن أهم خط لانتصاف النهار هو الذي يكوّن موضع توزيع المياه بين آراس والفرات ؛ وهو يحدد وضع فوهتين من البراكين الجبارة الفريدة من نوعها ، وهما پالان تيكين ، وبينگول ، اللتين تقعان في موقع يقع فيه محور خط انتصاف النهار بمحاذاة خط العرض . . . »[2] .

وفيما يلي نعرض مقتطفاً آخر من كتاب أبيخ : « إن البلاد القديمة گارين ( كارين ) بضمنها المدينة الرئيسية التي تحمل نفس الاسم ، وهي تسمى أرضروم في الوقت الحاضر كانت في عصر فيودوسي الصغير ( الابن ) عبارة عن جزء من أرمينيا الكبرى ، وقد سميت المدينة في سنة ٤١٥ م تكريماً لفيودوسي باسم فيودوسوپوليس . واشتهرت في الشرق باسم أرضروم كأعظم مدن أرمينيا ، أما اسمها القديم فهو گارين الذي احتفظ به الأرمن حتى الوقت الحاضر .

ومنذ النظرة الأولى عند المرور من مضيق ديوى ـ بوين نحو الغرب يخلق السهل المرتفع لأرضروم بأبعاده المهيبة الطولية والعرضية ( طولاً وعرضاً ) انطباعات قوية معبرة ؛ وتظهر الجهة التي تحيط به فيها الأراضي الجبلية تبايناً مدهشاً مع وادي پاسين الذي يقع في الجهة الشرقية »[3] .

وأخيراً إن أهمية عمل أبيخ لدراسة أوروغرافيا وجيولوجيا أرمينيا عظيمة جداً . ولأعمال أبيخ عن القفقاس عموماً شهرة كبيرة ، وقد استغرقت دراسات هذا العالم مدة اثنتين وأربعين سنة تطرق فيها إلى : وصف وضع القفقاس الجيولوجي ، ومواقع الثروات الطبيعية المفيدة . وتعتبر أعمال هذا العالم لحد الآن مصدر معلومات قيمة لجيولوجية البلدان التي بحثها .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١ ـ ٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٩ .

# رحلة ميليوكوف

زار الكاتب اليكساندر بيتروفيـچ ميليوكوف في سنة ١٨٥٧ اليونـان وتـركيا وترك مذكرات سفره[١] .

ففي فصل « أسرار القسطنطينية » يرسم ميليوكوف التناقضات في المدينة على الوجه التالي : « هنا تجد أروع منظر شامـل على وجه البسيطة ، وبجانبهـا شوارع قذرة ، ومسجداً فخماً بالقرب من بقايا آثار الحريق ، ودكاكين رخامية بجانب الأكواخ المهدمة الخربة ، ومقابر داخل السوق المزدحمة ، وأريج النارجيلة التي تنفث الدخان وهي في هيئة مزبلة ، وعيوناً جميلة للحسناوات بجانب جروح الفقير المتسول التـي يعرضها على الناس[٢] . . .

وتشاهد في جميع الشوارع أكوام القمامة والقذارة ، هناك أكوام العظام والخضار الفاسدة ملقاة على قارعة الطريق . والظاهر أنهم هنا لم يغسلوا ولم ينظفوا ولا شارعاً واحداً منذ أيام الأمبراطور قسطنطين . وفي وسط هذه النتانة والقذارة تستقر كلاب قبيحة ، أما منظر المتسولين فليس أقل قبحاً . . . وفي الواقع إن كلاب القسطنطينية هم الأصحاب الحقيقيون للشوارع . . . يصل عدد هذه الكلاب في بعض الأماكن من حيث الكثرة إلى درجة يظهر كأن الشارع بأجمعه مليء بالكلاب . . . »[٣]

وزار ميليوكوف في أيام العيد ( بـايرام )[*] المساجـد والتـكايا حيث يميل الدراويش المولـوية في رقصاتهـم ، وشاهـد صلـوات أصحـاب مذهـب الشـمس ( رقصـات بالخناجـر ) ، وصهـاريج تحـت الأرض ، وسـوق ( بيزستـان ) ، والحمامات .

---

(١) يراجـع : « آثينـا والقسطنـطينية . مذكرات سفـر أ . ميليوكوف في سنـة ١٨٥٧ » ، سانـت بيترسبورغ ، ١٨٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(*) بايرام : لفظة تركية تعني « العيد » ( المترجم )

# رحلة بيركَ (ن. ف.)

اننا نجد قضايا طريفة ومهمة في مقالات[1] الكاتب والمترجم الشهير نيكولاي ڤاسيلييڤيـچ بيركَ عن رحلاته في سوريا ، وفلسطين، ومصر خلال سنتين من سنة ١٨٦٠ حتى سنة ١٨٦٢ . فيها ملاحظات وانطباعات غزيرة عن الحياة، وبشكل خاص عن حياة البدو .

وان اللقاء الطريف بين بيركَ وبين أحد البرتغاليين واسمه فرانـچ في القاهرة . عن علاقة البدو ونظرتهم الى الأجانب جدير بالاهتمام : « ان هذا الشعب يحب الروس ، ويميل اليهم بالقياس الى جميع الأوروبيين الآخرين ، وهل تعرفون لماذا : لأن الروس يظهرون البساطة معهم ، ويعاملونهم معاملة انسانية . أما الفرنسيون والانكليز ، وعلى وجه الخصوص الانـكليز فيعاملونهم كما يعاملـون الحيوانـات . فالانكليزي لا يمكن أن يتكلم معهم لأي سبب من الأسباب ، ويقذف لهم الجنيه كما يُرمى الأكل الى الكلاب . وهذا الشعب كما يظهر عديم المرح ، وهو نصف عار ، يلف نفسه بقطعة من قماش الكتان الممزق القذر ، وهو فقير وبائس ، وفي ضائقة الى أدنى الدرجات ، وهو حساس أكثر من غيره ، يرنو الى لطف وبشاشة الجوالين الذين يأتون الى صحرائه . إعطِله أقل ، ولكن اعطه بانسانية ، وهو يتذكر هذه الانسانية لمدة طويلة ، وينقل اسمك من جيل الى جيل »[2] .

أقام بيركَ في سوريا أكثر من سنتين . وكتب في سنة ١٨٦٢ تحت تأثير الأحداث السورية مقالة ، يذكر فيها أسباب الأحداث الدامية بين المارونيين والدروز ، ففي رأيه انها حصيلة التناقضات الموجودة بين الانكليز والفرنسيين . وفي هذه الحالـة لا ينكر الكاتب حصول صدامات دامية بين هذه القبائل أحياناً بشكل أو بآخر ، ووجود خصومات قبلية قديمة تنبع و« تنمو على قاعدة محلية » ، وقد تعقـدت أكثـر بسبب تدخل الدول الأوروبية .

---

(١) عن قائمة مقالات بيركَ ، يراجع : ڤينـگـيروڤ ، معجم السير الإنتقادي ، المجلد ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٢ ، ص ٢٦ - ٣١ .

(٢) ن. ف. بيركَ ، رحلة الى مصر ، « المذكرات الوطنية » ، ١٨٦٢ ، تشرين الثاني ، ص ٣٢٦ .

وفي طريق عودته الى روسيا في آب سنة ١٨٦٢ توقف بيركّ في القسطنطينية[١] . الاّ اننا لا نصف رحلته في هذا المجال . لكننا نشير فقط الى أن ن . ف. بيركّ قد نشر « دليل مدينة القدس والضواحي القريبة منها » في سنة ١٨٦٣ في پيترسبورغ .

ومن المقالات الكثيرة التي نشرها ن . ف. بيركّ نُشير هنا أيضاً الى « جولاتي في الدنيا » المنشورة في المجلات المتنوعة[٢] ، وبشكل خاص المتعلقة بالفترة التي زار فيها سوريا ولبنان في سنة ١٨٦٢ . وفي تلك المقالات صور طريفة عن الحياة في بيروت ودمشق . والمؤلف يتكلم عن العلاقات بين العرب الأُونيين[*] والمسيحيين الارثوذوكس ، وعن جهود القنصل الروسي في دمشق بصدد تقوية تأثير الكنائس الارثوذوكسية ، وعن لقائه مع أحد شيوخ البدو وليد علي .

## السائح المجهول (س . ن . )

ترك لنا مؤلف مجهول كتب باسم مستعار (س . ن . )[٣] « رسائل القسطنطينية »[٤] للفترة ١٨٦١ - ١٨٦٦ يشير فيها الى مجمل نشاط السلطان عبد المجيد الذي انتهت الحرب الشرقية باستعباد تركيا التام من قبل الدول الشرقية[**] في عهده ، ويصف الوضع السياسي في البلاد .

وقد كتب المؤلف نفسه مقالة بعنوان « رحلتان الى بروسة »[٥] يسرد فيها

---

(١) يراجع : « بشير روسيا » ، المجلد ٧١ ، العدد ٩ ، ١٨٦٧ .

(٢) ن . ف. بيركّ ، جولاتي في الدنيا ، « المعاصر » ، العدد ١ ، ٦٢ ، ١٠ ، ١٨٦٣ ، العدد ٧ ، ١٨٦٤ .

(*) الأونى من الكلمة اللاتينية «unio» ومعناها ( الاتحاد ، الوحدة ) وهو مذهب من المذاهب المسيحية تأسس نتيجة وحدة بين الكنيسة الارثوذوكسية والكنيسة الكاثوليكية بزعامة البابا ( المترجم ) .

(٣) من الممكن اعتباره واحداً من موظفي البعثة الروسية في القسطنطينية في ضوء القرائن الموجودة في هذا الشأن ، وقد يكون هو مستشار السفارة نوڤيكوف ، وهو الوحيد من الديبلوماسيين الروس في تركيا في هذه السنوات يحمل اللقب العائلي الذي يبدأ بالحرف «ن» . يراجع :

«Annuaire Diplomatique de l'empire de Russie pour l'année 1864», St.Petersbourg, 1864, p.56.

(٤) «البشير الروسي»، العدد ٥، ١٨٦٧، ص ٥ - ٦٠ .

(**) لعله خطأ مطبعي ، يقصد المؤلف الدول الغربية ( المترجم ) .

(٥) « البشير الروسي » ، العدد ٧ ، ١٨٦٧ ، ص ٢٦٣ - ٢٨٤ .

أحداث رحلتيه في سنة ١٨٦١ وسنة ١٨٦٥ ، ويطرح وصفاً مقتضباً لمساجد بروسة ، وحماماتها ، والمنابع الكبريتية ، ومعامل الأقمشة الحريرية ، ويتكلم عن التسلق على جبل أولمب .

وعندما يقارن المؤلف وضع صناعة الحرير في سنة ١٨٦٥ بوضعها في سنة ١٨٦١ يستنتج ان إنتاج الأقمشة الحريرية قد انخفض بشدة خلال السنوات الأربع الأخيرة: « جميع الناس هنا يتوجهون نحو الفقر ، ولكنه سير بطيء وتدريجي ، وإن ذلك يلاحظ بوضوح كبير في كل مكان ولكنه يلاحظ هنا في بروسه اكثر من أي مكان آخر . . . كان سابقاً يعمل عشرون معملاً في صناعة الحرير ، غير أنه بقيت ستة أو خمسة معامل فقط . ولم تساعد على غلق المعامل الأخرى سنوات القحط الأخيرة بقدر ما ساعدت على ذلك الضرائب الفاحشة التي تفرض حالياً على أشجار التوت مما أدى الى الإقلال من زراعتها ، وقد سبب هذا الاجراء الى هبوط في انتاج الحرير . . . ومن الطبيعي ان غلق هذا العدد الكبير من المعامل حيث تعمل وتكسب العيش فيها آلاف الايدي ، لا يمكن الاّ ان تؤدي الى اشاعة الفقر والفاقه بين السكان المحليين في المدينة »[١]

ومن ثم يكشف المؤلف عن الاسباب التي تؤدي الى التجاء عدد كبير من مواطني تركيا الى السلب والنهب.

« إن اليأس الذي تسببه الظروف المحزنة العصيبة هو الذي دفع الكثيرين الى هذا الطريق . وأنه من الطبيعي ان تضطهد السلطة التركية الناس من جراء هذه الأعمال والمواقف . وهكذا نرى ان أشهر قاطع طريق في الوقت الحاضر هو رجل يوناني يلقب بليڤكوراكي ( بيلينكي ) ، كان في السابق قروياً مسالماً يحب عمله ، فاضطر أن يترك مسقط رأسه الذي ولد فيه ، وهرب الى الغابات لأن پاشا بروسه نهب كل ما يملكه ، واستولى على مواشيه ، وحجزه مدة طويلة جداً في السجن ، ونتيجة لهذه الاجراءات ماتت زوجته البائسة حزناً . كان الحقد هو الدافع الرئيسي الذي دفع ليڤكوراكي الى أن يقسم بأن يكرس كل حياته لغاية واحدة هي الإنتقام والثأر »[٢] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .

## رحلة گيرگاس

كانت كلية اللغات الشرقية في جامعة پيترسبورغ قد أرسلت ف. ف. گيرگاس ببعثة علمية الى الشرق في ١٧ شباط سنة ١٨٦١ . وفي فترة رحلته التي استمرت منذ سنة ١٨٦١ وحتى سنة ١٨٦٤ زار فيها سوريا ، وفلسطين ، ومصر[١] .

توجه گيرگاس الى الشرق في آب سنة ١٨٦١ فأقام في مصر وسوريا حتى ١ مايس سنة ١٨٦٤ .

كان گيرگاس قد كلف القيام بواجبات معينة وهي « زيارة المناطق الرئيسية التي تسود فيها اللغة العربية أمثال : سوريا مع فلسطين ، ومصر ، والمواقع التي يمكن للأوروپي أن يزورها في شبه الجزيرة العربية ، ويخصص بعض الوقت لزيارة بلاد ما بين النهرين ، والعراق العربي ؛ ولتحقيق هذا الغرض كان عليه ليس فقط الاعتكاف على دراسة الأدب العربي. . . وانما كان من واجبه أيضاً أن يهتم بوضع المعارف ومستوى التعليم والوضع الثقافي في البلدان المشار اليها »[٢] .

وفي تقرير گيرگاس نجد وصفاً لـ « نظام التعليم الإسلامي » وتقييماً للغة العامية في الشرق العربي .

ويشير گيرگاس في وصفه المفصل لنظام التعليم في الأزهر الى أن « في الوقت الحاضر وبشكل استثنائي يوجهون اهتمامهم الى علوم اللاهوت والحقوق ، ويتركون تدريس الجغرافيا ، والتاريخ ، والرياضيات، والعلوم الطبيعية كموضوعات لا تتصل بالدين . . .

وأن اقتصار الدراسة على علوم اللآهوت والحقوق بهذه الصورة الخارقة ينهك

---

(١) يراجع : « مواد لتاريخ كلية اللغات الشرقية » ، عرض لنشاط الكلية في ١٨٥٥ ـ ١٩٠٥ ، من تأليف الپروفيسور ف. ف. بارتولد ، سانت پيترسبورغ ، المجلد ٤ ، ١٩٠٩ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٢) عن مصدر هذه الفقرة ، والمقتبسات الأخرى من التقارير غير المنشورة لگيرگاس ، وعن كل ما ورد عن گيرگاس بصورة عامة ، يراجع : إ. ي. كراچكوڤسكي ، ف. ف. گيرگاس بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته ، « مذكرات لجنة المستشرقين » ، المجلد ٣ ، النشرة ١ ، لينينغراد ، ١٩٢٨ ، ص ٦٧ .

القلوب والعقول ، فهذه العلوم تملأ العقل بالمصطلحات التكنيكية وحدها ، وليست لها أية علاقة مباشرة بالحياة . ويمكننا أن نلاحظ تخلفاً غير اعتيادي عند العلماء المسلمين وغياب المبادىء الأولية عن الجغرافيا ، والتاريخ ، ولا مجال طبعاً لكلام عن العلوم الطبيعية والرياضية »[1] .

ثم يشير گيرگاس الى أن القسم الأكبر من المدارس التي تأسّست من قبل محمد علي ، كان خلفه قد قضى عليها ، فقد بقيت مدرسة واحدة للطب فقط .

وبعد أن تعرف گيرگاس على أوضاع التعليم والثقافة لدى المسيحيين العرب توصل إلى نتيجة تتلخص في « ان السكان المسيحيين في الشرق يقفون في قضية التعليم في مستوى أعلى بكثير من المسلمين » .

ويلفت گيرگاس الأنظار الى نشاط البعثات الأميريكية : « ان البعثة الأميريكية التي ظهرت في سوريا في بداية الثلاثينيات ، وفي مصر في الأربعينيات بهدف استمالة السكان المسيحيين هناك الى مذاهبها ، أسست في بيروت ، ودمشق ، ومدينة القدس ، والاسكندرية ، والقاهرة ومدن أخرى في الشرق مدارس لتربية أطفال المسيحيين الشرقيين من كلا الجنسين . . . وقد وضع المبشرون الأميريكيون كتب التعليم باللغة العربية ؛ كما أسسوا داراً للطباعة في بيروت . وكان التعليم بجميع أشكاله بالتأكيد موجهاً في سبيل تهيئة التابعين من الجيل الناشىء[2] .

وان تأسيس المدارس من قبل المبشرين الأميريكيين في الشرق بنظر گيرگاس ظاهرة ايجابية ، ولم ير فيها سلاحاً سياسياً بيد البلدان الرأسمالية لتقوية نفوذها . ولكن الحقائق التي يشير إليها تشهد بالتأكيد على أن التوسع الآيديولوجي للاستعمار الأميريكي في بلدان الشرق الأوسط الذي بدأ في فترة تبعد أكثر من مائة سنة قبل الآن ، أتت بثمارها اليوم وإلى درجة كبيرة للولايات المتحدة الأميريكية .

ثم عاد ڤلاديمير فيودوروڤيچ گيرگاس الى پيترسبورغ في سنة ١٨٦٥ ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٧١ ـ ٧٢ .

ودافع عن رسالة الماجستير في موضوع « حقوق المسيحيين في الشرق بنظر النظم والقوانين الإسلامية ». وفي سنة ١٨٧٣ دافع عن رسالة الدكتوراه في موضوع نظريات قواعد اللغة العربية .

## رحلة دوختوروف

كانت إدارة تربية الخيول التابعة للدولة قد بعثت الى الشرق الأوسط العقيد م. ن. دوختوروف[١] في سنة ١٨٦٢ ، وذلك للقيام بمهمة خاصة تتعلق بانتقاء فحول جديدة للحصول على الخيول العربية الأصيلة في إدارات تربية الخيول التابعة للدولة .

فزار دوختوروف القسطنطينية ، وبيروت ، والاسكندرونة ، وحلب ، وأورفة ، وحماة ، وحمص ، وبعلبك ؛ وتوجه من سوريا الى مصر ، ثم سافر إلى مدينة القدس ، ودمشق .

وفي بيروت التقى دوختوروف باللجنة الأوروبية التي قدمت للتحقيق في أسباب قيام المذابح بين الدروز والمارونيين في سنة ١٨٦٠ . وعن أحداث تلك الأيام يقول دوختوروف : « أما العداء بين المارونيين والدروز حتى وإن لم يفعل فعله ، فأنه في أحسن الأحوال يؤيد الإعتقاد بأنه حصيلة للدعايات بين الكاثوليكية والإنكليكانية المتخاصمتين . . .

ومهما قيل عن مذابح سوريا ، الاّ أن الأسباب لتلك المذابح بدون شك ليس التعصب الإسلامي وحده فقط »[٢] .

ومن الاسكندرونة توجه دوختوروف مع مرافقيه الى حلب :

« تلعب حلب دوراً مهماً في تجارة تركيا ، فهي تعتبر مخزناً للبضائع والسلع القادمة من أرمينيا وديار بكر ، ومركزاً مهماً للقوافل القادمة من ايران ، وشبه الجزيرة العربية ومصر »[٣] .

---

(١) م. ن. دوختوروف ، رحلة الى الشرق ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

ومن حلب توجه م. ن. دوختوروف في ١٤ مارت إلى مضارب القبيلة البدوية المسماة البرازي التي تنتقل بين حلب وأورفة.

« انهم يغيرون أماكنهم في السنة مرتين ، عدا الشيخ الذي يعيش بصورة دائمة في داره . وأن الحكومة تقدم لهم هذه الأراضي مقابل عُشر من حصول الحبوب ، لهذا يعمل قسم من البرازيين في الفلاحة ؛ ويبدأ موسم البذر عندهم في كانون الأول ، أما الحصاد ففي منتصف نيسان . وبالأضافة إلى ما يقدمونه إلى الحكومة فأن هؤلاء البدو معرضون لابتزاز رؤسائهم وشيوخهم والسلطات التركية المدنية »[١]

عبرت قافلة السائح عند بيره جك نهر الفرات . وفي أورفه شاهد دوختوروف تجنيد العساكر : « كانوا يأخذون المجندين بالقرعة ، كانوا يلبسون كل من تقع عليه القرعة قبقاباً من الخشب في رجله ، ويسوقونه في الحال إلى السجن حيث يبقى فيه الى أن يرسل الى الفوج الذي يخدم فيه »[٢]

ثم توجه دوختوروف في ٢٥ مارت من أورفه مع أصحابه إلى مضارب القبيلة البدوية شمر . وقد استقبل أخ رئيس القبيلة عبد الكريم رزاق المسافرين ، وقد زاروا جميع قطاعات البدو ، ثم استعراضوا وفحصوا الخيول . وفي ٦ نيسان عادوا الى حلب ، ثم سافروا إلى حماة . وفيما بعد زار دوختوروف قبيلتي عنزة وإربولي .

وكان قد زار دوختوروف حمص ، وبعلبك ، وبيروت . وفي ٢٤ مايس سنة ١٨٦٣ سافر من بيروت إلى دمشق .

ومن دمشق توجه دوختوروف الى حوران حيث تعيش قبيلة ولد على : « القبيلة تتألف من ستين ألف أسرة ، منها ٢٣ ألف أسرة من الفرسان ، والبقية من المشاة ، يرعون قطعان الماشية . . .

لا يوجد عندهم القرآن ولا المساجد ، ولا الملا ولا الأئمة ، كما لا يحملون أي تعصب ديني . وأن عادات وتقاليد الأجداد هي عبارة عن دستور وقانون لأدارة القبيلة على النظام الأبوي التقليدي القديم . ويطمرون موتاهم في الصحراء ، ولا

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

يضعون أية علامة على القبور أما مجال رحلاتهم فيمتد حتى المدينة »[1] . ( يقصد بها المدينة المنورة في بلاد الحجاز ـ م.خ. ) استضاف الشيخ محمد دوحى السائح دوختوروف . وبعد شراء الخيول عاد دوختوروف الى دمشق وقام بزيارة لعبد القادر .

لا شك ان مذكرات دوختوروف التي تصف وتقيم حياة ومعيشة مجموعة من القبائل البدوية الرحالة لها أهميتها بشكل عام حتى في الوقت الحاضر للاتنوغرافيين ، والجغرافيين ، والمؤرخين .

## رحلة سميشلياييڤ

كان الباحث الشهير لمنطقة پيرمسكي[*] ديمترى ديميتريييڤيچ سميشلياييڤ (١٨٢٨ ـ ١٨٩٣) قد قام برحلة إلى الشرق في سنة ١٨٦١ . وعن نتائج رحلته نشر مقالات وكتباً[2] .

يصف السائح بلغة واضحة ومعبرة الأماكن والمواقع التي زارها . وهي ليست صورة سطحية ، وإنما مليئة بتحليل عميق لمشاهد الطبيعة ، والحياة الإجتماعية والواقع اليومي للسكان المحليين :

« من السويس تبدأ صحراء عارية ، وفيها يشاهد المرء أول واحة صغيرة تسمى عيون موسى ، وعلى مسافة قريبة منها وادي غرندل . فهذا الفضاء الواسع عبارة عن أراضي منبسطة تماماً ، ما عدا بعض المرتفعات غير المحسوسة التي تمتد بشكل متوازي فتكون مجموعة أودية شبيهة بالأودية الموجودة في منطقة البراري عندنا . ثم ترتفع

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

(*) پيرمسكي : منطقة في أصقاع فولغا الوسطى في البر الروسي ( المترجم ) .

(٢) يراجع : د. سميشلياييڤ ، من مذكرات سفر المختص بمنطقة پيرمسكي ، « نشرات للمطالعة » ، الملحق الشهري لـ « إدارات البورصة » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٧ ، شباط وآذار ، ص ٩٥ ـ ٢١١ ؛ وله أيضاً ، من مذكرات سفر المختص بمنطقة پيرمسكي ، الملحق العلمي والأدبي لـ « إدارات البورصة » ، الكتاب ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٦ ، مايس ، ص ١ ـ ٢٦ ؛ وله أيضاً ، في الطريق الى سيناء ، پيرم ، ١٨٧٦ ؛ سيناء وفلسطين ، پيرم ، ١٨٧٧ .

المواقع بالتدريج ، وتتحول التلال الرملية في البداية الى أراضي كلسية ، ثم الى جبال غرانيتية ، وهذه الأخيرة ترتفع أكثر فأكثر وتتصل أخيراً بالسلسلة الجبلية لمجموعة سيناء المستعرضة التي تؤلف أعلى جبال في جميع أنحاء شبه الجزيرة بحيث لا يفصلها عنها الاّ وادي سولاف الضيق . أما الرمال التي تمتد من السويس فهي سريعة الانهيار ومغطاة أحياناً بلافا ( حمى براكين ) . كثيرة حمراء ، وسوداء ، أو رمادية اللون ؛ وهذا الجزء من الصحراء وحتى الجبال الغرانيتية الضخمة يخلو من أي نبات ، ولا يوجد أي أثر للخضرة ، وعدا الواحات التي أشير اليها سابقاً ، يشاهد المرء هناك شجرتين أو ثلاث من الشجيرات اليابسة ذات الأشواك ، تهجم عليها الجمال بنهم أحياناً . . . وأن جميع النباتات التي يصادفها المرء في الطريق هي هشة ويابسة وذات أشواك إلى حد كبير ، وهي في لون أخضر شاحب باهت ، ويتحول أحياناً الى أصفر شاحب باهت . . . أما الماء فلا يصادفه المرء في جميع أنحاء الجزيرة الاّ نادراً جداً ، وهو في آبار طبيعية ارتوازية مياهها قليلة ، وطعمها في طعم الملح وهي مرة ومالحة . والمياه في هذه الديار غير صالحة للإستعمال مطلقاً ، عدا العيون في وادي براك وفي ثغور النقب . . وفي وسط هذه الطبيعة الفقيرة تتجول القبائل وهي تنقسم الى ثلاثة أقسام : على كات ( ربما العليقات ـ م.خ. ) ويعيشون بين وادي نصب ووادي غرندل ، وأولاد سليمان ويستقرون في ضواحي قرية طور المطلة على البحر ، وأخيراً الجبليون . . .

إن هذا القسم الأخير ( الجبليين ) هم خدم الأديرة ، وهم يعشعشون حول الصخور التي تحيط بالدير . ليس لديهم أية ممتلكات أو أمتعة ، انهم يعيشون على صدقات الدير وإحسانه ، ويقومون بجميع الأشغال والأعمال التي يكلفون بها : يزرعون البساتين ، ويخدمون في القرى ، ويعملون كأدلاء وما شابه ذلك . . . والفقر هو من نصيب البدو كلهم ، وأما المعرفة فهي من نصيب قليل منهم ، إنه شيء مدهش حقاً . وأن المرء يصادف دوماً البدوي شبه العاري الهزيل ، الجائع أبداً ، والنائم في الليالي الباردة تحت السماء المفتوحة ، لا شك أن هذا المنظر يثير الرأفة والشفقة بشكل عفوي .

وكلمة البدو وهي تعني « سكان البراري » عند الترجمة : أناس من المسلمين ،

إلاّ أن المرء يشك في الواقع أن يكونوا على دين أو مذهب معين . . . إننا لم نرهم يؤدون الصلاة ولو مرة واحدة ، انهم يقولون في هذا الصدد : « إننا لا نستطيع القيام بالوضوء ، لأنه لا وجود للمياه في الصحراء ، ولا نتمكن أن نقدم الصدقة والزكاة لأننا فقراء ، ولا نقدر أن نصوم شهر رمضان لأننا جياع على مدار السنة ؛ وليس لدينا المال للذهاب الى مكة لأن الله موجود في كل مكان »[1] .

ويتحدث سميشلياييڤ في كراس صغير « في الطريق الى سيناء » عن الاسكندرية والقاهرة ، حيث زارهما في نهاية سنة ١٨٦٤ وبداية سنة ١٨٦٥ .

أما كتاب « سيناء وفلسطين » من حيث المحتوى فهو إعادة للمقالات التي أشرنا اليها سابقاً ، إلاّ أنه دخلت فيه إضافات كثيرة في وصف فلسطين ( يافا ، ومدينة القدس ، والخليل ، وبيت لحم ، ونهر الاردن ، والناصرة ، وحيفا ) .

وبعد مرور مدة طويلة ، وفي سنة ١٨٨٥ سافر د.د. سميشلياييڤ وهو مندوب الجمعية الارثوذوكسية الفلسطينية في پيرم ( مدينة في الفولغا الوسطى في الأورال ـ م.خ. ) الى فلسطين مرة أخرى ، حيث قام بانجاز مجموعة من المهام التي كلف بها من قبل الجمعية ، وقد أقام في فلسطين حتى سنة ١٨٨٩ .

## مذكرات أحد أعضاء السفارة الروسية في القسطنطينية

إننا نجد في مذكرات أحد أعضاء السفارة التي تحمل اسم « اضطرابات القسطنطينية[3] » الوصف التالي للوضع في تركيا : « ان ديون الدولة عبارة عن أفعى

---

(١) د. سميشلياييڤ ، من مذكرات سفر المختص بمنطقة پيرمسكي ، الملحق العلمي والأدبي لـ « إدارات البورصة » ، الكتاب ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٦ ، مايس ، ص ٢٦ .

(٢) أ. أ. ديميتريڤسكي ، الجمعية الارثوذوكسية الفلسطينية الامبراطورية ونشاطها خلال الربع قرن المنصرم (١٨٨٢ ـ ١٩٠٧) ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٧ ، ص ٣١٨ ـ ٣٢٧ .

(٣) الملحق العلمي والأدبي لـ « إدارات البورصة » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٦ ، نيسان ، ص ٢٦٢ .

هائلة تلتف حول جميع أنحاء الامبراطورية التركية ، وهي سوف تخنقها بدون شك عاجلاً أم آجلاً ، فالضرائب الجمركية كانت مرهونة ، ومناجم الفحم الحجري في آسيا الصغرى كانت مرهونة أيضاً ، والعقارات والقرى الكبيرة ، وضرائب الارض ، ونقود جيوب أتباع السلطان ، وبعبارة أخرى جميع الأرباح التي تأتي من جزر رودوس ، وخيوس ، وقبرص كلها مرهونة ؛ جميع القصور ، والغابات ، والمناجم ، والمقالع ، والمجوهرات ، والإمتيازات الإحتكارية ، وبقية مدخولات الدولة ، كلّ هذه مرهونة لدى الرأسماليين في القسطنطينية ، وازمير ، ومانچستر ، ولندن . أما السلطان ، والأمة ، والدولة فأنهم غارقون في الديون إلى آذانهم ، وهذا الدين ينمو ، وينمو ، وهو مستمر في نموه . . . ولكن من الذي يدفع ، وأي دخل يستطيع أن يغطي هذه الفوائد ، كان الصرف على الحريم ، وعلى بناء جميع هذه القصور ، وعلى الجيش ، وعلى الأسطول ، وعلى البيروقراطية ؟ من يدفع ؟ اسألوا هؤلاء الجنود المنهكين والممزقي الثياب الذين يأكلون في ثكناتهم قشرة الخبز اليابس ، الى أي حد يمكن انتزاع الرواتب منهم حتى يكون بالإمكان اشباع هؤلاء المتخمين السفهاء من خصيان السراي . . .

ما الذي يدعم هذا الوضع المترنح لهذه الدولة الغارقة في الديون ؟ تدعمه النوعية الجيدة للمواطنين الترك : الصبر ، والإخلاص ، وحب العمل بدون كلل . وهناك في أوروبا نظرة خاطئة تماماً عن الترك ، يعتقدون بأنهم نوع من الناس الذين يدخنون دائماً ، ويحلمون بالمدافع الرشاشة . انظروا الى الفلاح . . كيف يكدح بنشاط طوال النهار في حقله ويسوق ثيرانه . . ومن الذي يقوم بجميع الأعمال الشاقة العنيفة في المدن ؟ انهم الحمالون ، وسواق عربات البضائع ، والذين يسوقون عربات نقل الأشخاص ، والبستانيون ، والإسكافيون ، والحدادون ، والخياطون ، والقصابون ، وسعاة البريد ، وأصحاب الحرف اليدوية المختلفة ، انهم جميعاً من الأتراك الأصليين »[1] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

## رحلة راددە

قام مدير متحف القفقاس والمكتبة العامة في تفليس ، والإختصاصي في علم الحيوان والجغرافي كَ . إ. راددە برحلة الى ما تسمى بأرمينيا التركية في سنة ١٨٦٧ .

وقد تجول في الهضبة التي يقدر ارتفاعها بستة آلاف وخمسمائة قدم ، والممتدة من طوروس حتى سفوح جبال أدجاريا المتاخمة للساحل .

خرج كَ . إ. راددە من أخاليتسيخ في ٤ آب سنة ١٨٦٧ ، وعبر الحدود عند مركز كاچكاييڤسكى الجمركي على الحدود ،ووصل فيما بعد عن طريق أردهان وخلال مضيق ساوق پوار الى أردهان :

« لا تبعد منابع كوره من أردهان . . واننا مدينون بدون شك الى التوپوغرافيين الروس لما قاموا به من مسح جيد لهذه المواقع في أثناء الحرب الأخيرة ، ولكن بقدر ما هو معروف لدينا ، لم ينشر أحد منهم شيئاً عن هذه المنطقة . ثم توجه من أردهان نحو الجهة الجنوبية ، وعبر السائح أربع سلاسل جبلية غيرعالية ، وهناك بين تلك السلاسل ثلاثة أودية طويلة ، فيها مروج وحشائش وأعشاب غزيرة . وتقع خلف الوادي الرابع والأخير من هذه الأودية ، أرض مسطحة واسعة جداً في زاوبتها الشرقية منابع كثيرة للأنهار التي تؤلف نهر الى كوره . ثم علينا أن نعلم بأن مجرى النهر الأساسي هو ليس الذي من أطول المجاري ، وإنما الذي مياهه أوفر . . . وعندما يتوجه المرء من هنا الى قارص ينبغي عليه العبور خلال السلاسل التي توزع المياه ، وهي تفصل منظومة آراس عن منظومة كوره . . وعند الهبوط الى قارص چاي بمحاذاة أحد روافده وهو بيرديوك سو . وصل السيد راددە الى قارص في اليوم التاسع من الشهر . . . وفي ١٣ آب كان السيد راددە على ضفاف بحيرة چالدير . . ومن بحيرة چالدير سلك الجهة الشمالية الشرقية فوصل راددە مركز خوزياپين الجمركى على الحدود »[١] .

---

(١) « عرض موجز لرحلة گ . إ. راددە الى أرمينيا التركية في ١٨٦٧ » ، كتب في ضوء حكاية الرحال نفسه ، « أخبار الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية » ، المجلد ٤ ، العدد ٣ ، ١٨٦٨ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

يأتي كَ . إ. راددە بمعلومات مهمة عن اقتصاد وأتنوغرافيا أرمينيا التركية : « أن هذه المنطقة ملائمة لتربية المواشي والأغنام . . . ونظام الحياة في هذه البلاد في الغالب هو حياة الرحلة . والسكان الرحل هنا ينتمون إلى القبائل الجورجية ، والأرمنية ، والتركية ، والكردية ، التركمانية ، وهناك في بعض الأماكن يعيش القره قلباغيون ، وهم نموذج رائع لفقدان التعصب الإسلامي ؛ انهم يتكونون من السنة والشيعة غير أنهم يعيشون في وفاق تام . أما الحضر هنا فهم من الأرمن والترك وعدد صغير جداً من الجورجيين . وبالرغم من أنه لا تتمتع أية قبيلة من هذه القبائل بوضع مالي جيد إلاّ ان المرء يدرك بدون شك بأن أفقر جميع هذه القبائل هم الترك . . . »[1]

وعند منابع كانـي چاي وصلـوا الى المنطقـة التـي تقطنهـا القبائـل الرحالـة التركمينية في دوگور ( توكور ):«انهم يعتنقون الدين المحمدي (يقصد الدين الاسلامي - م.خ. ) ، ولكن مع ذلك يشربون الخمر ، وبصورة عامة لا يلتزمون بتعاليم نبيهم بشكل متين . وأما كرههم للترك فأنه معروف لدى الجميع لأنهم يضطهدونهم بشدة .

ويشتهر هؤلاء بمهارتهم في فن نسج السجاجيد والأفرشة ، وتقوم نساؤهم بهذه الأعمال ، وهن مجيدات في عملهن[2] .

هناك أردهان أو أردخان ، ابنيتها غير جيدة ، وهي قرية مشتتة لا نظام فيها ، تضم بيوتاً يتراوح عددها بين ٢٠٠ و٢٣٠ . . . والتجارة المزدهرة فيها هي تجارة الحبوب ، ثم تجارة ماشية الذبح . . . ويرسل القسم الأعظم من قطعان المواشي من هنا الى أرمينيا الروسية حتى يصل إلى أريڤان . والفرع الثالث من صناعة أردهان هو جذوع شجر الصنوبر .

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال هو الإشارة الى بضاعة نادرة جداً لها أهمية كبيرة لا متناهية للتجار الترك ، وهي في نفس الوقت نموذج للتجارة الإعتيادية الرائجة كالسلع والبضائع الأخرى ، أعني بها البنات المسيحيات المسروقات ، فبالرغم من

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) « تقرير تمهيدي عن رحلة الدكتور گ . راددە الى القفقاس في صيف سنة ١٨٦٧ » ، « نشرات الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية - قسم القفقاس » ، الكتاب ٨، تفليس ، ١٨٧٣ ، ص ٦٠ .

يقظة وحذر الحكومة الروسية ، الاّ انه حتى الوقت الحاضر ، وبصورة مألوفة تسرق هؤ لاء البنات عن طريق الإكراه من گوريا ، ثم يأتون بهن عن طريق جبال أدجار ، ويبيعونهن كحريم إلى وجهاء الترك الأغنياء . وقد ذكروا لي عن وقوع أحداث من هذا القبيل في قرية كابوليتي التي تقع بالقرب من اوزوگيت في گوريا ، فالسكان المحليون يهتمون بهذا الأمر ويرغبون في تلقي بعض المعلومات عن هذه البضاعة . ومنذ بضع سنوات كانوا قد جلبوا من هناك فتاتين بهذه الصورة »[1]

وكان گ . إ. راددە قد سافر مرتين أخريتين الى أرمينيا فيما بعد في سنة ١٨٧١ وسنة ١٨٧٤ : وصل الى أعالي نهر الفرات ، وأنجز عملية التسلق على جبال آرارات ، ودرس وديان كوبلان چاي ، وچوروخ ، ومنطقة أرضروم . ففي رحلة سنة ١٨٧٤ رافقه الدكتور في العلوم الطبيعية سيڤيرس . وكان قد جمع مجموعات كبيرة وغنية من النباتات .

« كانت لهذه الرحلة أهمية خاصة في نواحي كثيرة . لأن مجالها كان واسعاً وكبيراً في الغرب والجنوب من المناطق التي تمت دراستها في أرمينيا وفي منابع نهر آراس ، وچوروخ ، والفرات حيث هيأت الفرص والإمكانية لدراسة المواقع التي لم تدرس في قبل العلماء لحد الآن . . . وكانت نتيجة القيام بدراسة خاصة للمجموعات الغنية التي جمعت أن ظهرت إمكانية القيام بالمقارنة بين نباتات منطقة الألب العليا لسلسلتي آرارات ، وآلاگز ، وبين بينگول داغ وجبال كاپوج وذلك ليس فقط من الناحية المورفولوجية(*) ، وإنما من حيث توزيع هذه المناطق بصورة عامة في القفقاس[2] » .

وبعد دراسة توزيع النباتات على سفوح جبل آرارات الكبير ، يتوصل راددە إلى نتيجة وهي أن الحدود العليا للجبل في هذه المواقع هي أعلى بكثير من سلسلة جبال القفقاس الرئيسية[3] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٣ - ٦٥ .

(*) مورفولوجيا : علم التركيب العضوي للاحياء ( الحيوان والنبات ). ( المترجم ) .

(٢) پ . پ . سيميونوڤ ، تاريخ نشاط الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية ، القسم ٢ ، ص ٨٥٤.

(٣) « تقرير الجمعية الجغرافية الروسية لسنة ١٨٧١ » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٢ ، ص ٨١ .

وفي رحلة سنة ١٨٧٤ كان السيدگ . إ. راددە قد قام بدراسة عميقة ومستفيضة لبينگول داغ[1] ( جبال الألف بحيرة ، منطقة منابع نهر آراس ) وقدم وصفاً رائعاً لنباتاتها الكثيرة المتنوعة .

ثم توجه راددە ورفقاؤه من بينگول داغ الى سهل خنيس : « الذي تنحدر اليه اللاقا المتجمدة على شكل بضعة سيول واسعة وخفيفة الانحدار » ، وكانوا يجمعون النباتات للتجفيف في كل مكان وموقع ومنطقة يمرون بها .

ولا شك بأنه كانت لأعمال گ . إ. راددە أهمية علمية كبيرة للفترة التي ألفت فيها ، وانها حافظت على قيمتها بشكل محسوس والى درجة ملحوظة حتى يومنا هذا . والمؤلف لم يصف الظواهر الجغرافية بصورة سطحية وانما اكتشف العلاقات المشتركة بينها ، وذكر الشيء الكثير من المعلومات المفيدة في الجغرافيا ، والاتنوغرافيا ، والاقتصاد للاماكن التي تمت زيارتها .

## رحلة مالاما

كان الضابط الروسي ى . د . مالاما قد عين سكرتيراً للقنصلية الروسية في أرضروم في سنة ١٨٧٩ .

وأشغل مدة ثلاث سنوات منصب السكرتير في القنصلية الروسية في أرضروم ، مما هيأ له الظروف أن يقوم بسفرات كثيرة في المنطقة ساعدته أن يقدم وصفاً رائعاً لولاية أرضروم ، وهو يضم فصولاً عن التقسيمات الإدارية ، والسكان ، والضرائب ، والتوبوغرافيا ، والمناخ ، والمياه المعدنية ، ونظام ملكية الأرض ، والمزروعات ، والمواشي ، والرعي ، والمعادن والفلزات ، والصناعات ، والطرق والمواصلات .

وبالإضافة إلى وصف الولاية يقدم ى . د . مالاما معلومات عن أوضاع الكنائس ، والمعارف الوطنية ، والمالية ، والتجارية وما إلى ذلك . وفي كتابه يقدم

---

(١) « أخبار الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية»، المجلد ٥، النشرة ٣، تفليس ، ١٨٧٧ - ١٨٧٨ ، ص ٢٠٧ - ٢٣٢ .

وصفاً لسنجق ( منطقه ) أرضروم : چالدير ، وقارص ، وبايزيد ، ووان ، وموش ، وأرزنجان . وهناك معلومات عن المساحة ، والحدود ، والمناخ ، والسكان ، والنظام الضريبي ، والزراعة ، والصناعة ، والطرق والمواصلات . وهكذا يذكر مالاما بأنه يعيش في الولاية ٦١٠٧٤٤ شخصاً ، منهم ١٨٩ ألفاً من الترك ، و٢٠٧ آلاف من الكرد ، و١٥٧ ألفاً من الأرمن . وخلال سرده للأوضاع يؤكد بأن الحكومة ليس فقط لم تستطع حتى الوقت الحاضر القيام بالسيطرة التامة على الكرد الرحالة التابعين لها ، وإنما لم تتمكن حتى في جلبهم إلى جانبها واستمالتهم لها ، ولهذا السبب ترى فيهم : « العنصر الذي يعادي الحكومة ، وهي متهيء عند أول فرصة سانحة له أن ينضم إلى جانب العدو . . . » .

أما الفصل المخصص لوضع العقارات ، وملكية الأرض ، وأحوال الزراعة في ولاية أرضروم فيثير الاهتمام : « بالرغم من أنه هناك ظروفاً ملائمة تماماً لتطوير بذر وزراعة القمح على نطاق واسع جداً ، إلاّ أنها محدودة بصورة طبيعية ، وهي تفي بحاجة السكان المحليين ، أما سبب هذه الحالة في الزراعة فهو محدودية البيع ، وعدم وجود ضمان للمتلكات ، والضرائب العالية المفروضة عليها ، وعبء جبايتها وغير ذلك من الأسباب »[١] .

وكان اهتمام مالاما منصباً على النظام الضريبي بشكل واضح .

فيقول المؤلف عن الضريبة التي تجبى عن الأموال غير المنقولة في تركيا : « إن الخطأ ليس فقط في تحديد الدخل الصافي ، وإنما حتى في تقييم الممتلكات التي تحدد إلى درجة كبيرة بشكل غير صحيح ، فإنهم يخفضون قيمة ممتلكات الناس الأغنياء والمتنفذين ، ويرفعون قيمة أكواخ الفقراء »[٢] .

وعندما يصف ضريبة العشر وأسلوب جبايتها ، يستنتج مالاما بأن لهذه الضريبة تأثيرها الكبير أيضاً « في تخفيض مستوى الحرث والفلاحة » .

---

(١) « وصف ولاية أرضروم ، كتبه ى . د . مالاما » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٤ ، ص ١٠٧ .

(٢) المصدر السابق .

# رحلة كازبيك

كان لنشاط العقيد كَ . ن . كازبيك أهمية كبيرة في هذا المجال حيث كتب عملين اثنين[1] عن جورجيا التركية[2]، أو بشكل أدق عن سنجق لازستان في ضوء انطباعاته وملاحظاته الشخصية في رحلته سنة ١٨٧٤ والتخطيطات والرسوم الذي هيأها رفيقه في السفر إيلين . ففي مقالته الموسومة « ثلاثة أشهر في جورجيا التركية » يصف الوضع الجغرافي للمنطقة ، ويذكر معلومات قيمة عن الطبيعة ، والسكان ، والعلاقات الاجتماعية .

وقد سلك كَ . ن . كازبيك طريقاً امتد خلال شِعاب عباس تومان ، وكوابليان چاي ، القرية الروسية على الحدود في محافظة أدجاريا الشمالية . ولم يمكن كَ . ن . كازبيك في هذه المحافظة التركية مدة طويلة ، خرج منها متوجهاً إلى شافشيت ، ومن هناك عن طريق أردانوج وآرتفين وصل إلى لازستان . وقد تهيأت الظروف للسائح كَ . ن . كازبيك أن يزور تلك الأجزاء في جورجيا التركية التي لم تكن موجودة على الخرائط ، أو انها وردت بصورة عامة فقط .

وفي أدجاريا الشمالية زار كازبيك عاصمتها خولو ومجموعة من القرى : « إن السكان الأدجاريين كلهم من عرق الشعب الكارتڤيلي[*] . . . فالملابس هنا

(١) كَ . ن . كازبيك ، ثلاثة أشهر في جورجيا التركية ، « منشورات الجمعية الجغرافية الروسية ، قسم القفقاس » ، الكتاب ١٠ ، النشرة ١ ، تفليس ، ١٨٧٦ ؛ « مقالة حربية ، وإحصائية ، وستراتيجية عن سنجق لازستان » ، تفليس ، ١٨٧٦ .

(٢) يسمى كَ . ن . كازبيك جورجيا التركية وبضمنها سنجق لازستان ؛ بالقسم الشرقي لساحل البحر الأسود في الأمبراطورية العثمانية ، أي بعض أجزاء من أدجاريا الحالية مع باطوم . ولهذه الأقاليم علاقة مباشرة بتاريخ الشعب الجورجي ، كانت في زمن ما جزءً من مملكة جورجيا الغربية المسماة كولخيد ، ثم دخلت فيما بعد ضمن إمارة تاوكلارجيت ، وبعد ذلك أصبحت ضمن جورجيا الاقطاعية الموحدة التي انقسمت فيما بعد إلى دول منفردة .

وبنتيجة الحروب التركية ـ الجورجية في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر استولى الترك على أدجاريا . وبعد الحرب الروسية ـ التركية في ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ وبموجب إتفاقية برلين لسنة ١٨٧٨ ألحقت باطوم ( تسمى باطومي في الوقت الحاضر ) والأقاليم التي تعود لها بروسيا ، وتوحدت مع جورجيا (دائرة المعارف التاريخية السوڤياتية ، المجلد ٤ ، موسكو ، ١٩٦٣ ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ) .

(*) كارتڤيل أوكارتڤيلكا : اسم للشعب الجورجي وأقربائهم من شعوب القفقاس ( لاز ، ومينگريل ، وسڤان ) ، وهي من شعوب ما وراء القفقاس ( المترجم ) .

گـورية . أما الدين فإن الأدجاريين مسلمون وملتزمـون بالديانـة بشـكل صارم . ويستعملون اللغة الجورجية في حياتهم البيتية وعلاقاتهم الاجتماعية ، وأما البالغون من السكان فيعرفون كلهم اللغة التركية أيضاً »[1] .

أقام السائح في شافشيت مدة أسبوعين ، وكان غالباً ما يسافـر إلى أقضيتهـا ونواحيها :

« يتألف سكان شافشيت من شعبين : الجـورج ، والأرمن . أمـا المجمـوع العام للسكان . . . فيتراوح بين ١٢ و١٤ ألف شخص . . . والسكان كلهم فيما عدا ١٤٥ أسرة أرمنية ( حوالي ٩٠٠ نسمة ) هم من عرق الشعب الكارتفيلي ، ويتكلمون فيما بينهـم بلغـة جورجية صافية فيهـا نبـرة تشبـه نبـرة سكان المناطـق الجبلية في جورجيا . . . وبالإضافة إلى ذلك يجـد المرء في اللهجـة السائـدة كلمات كثـيرة من اللهجة الخيڤسورية المحلية . . . أما سكان القرى الواقعة في محاذاة الطـريق العـام فإنهم نسوا تماماً وبشكل عام اللغة الجورجية ، إلاّ أنهم يقولون بصراحة بأن آباءهم كانوا من الجورج . . . وكلما تقدمنا من أردانوج ، كلما التقينا بصورة أقل بالنـاس الذي يتقنون اللغة الجورجية ، على الرغم من أن اثنتي عشرة قرية من القرى الواقعة في مشـارف جبـال گـوميخڤيتسى يسميهـا النـاس فيما بينهـم بـگـورجستـان ( بـلاد الجورج )[2] . . .

ويعرف السكان في شافشيت بأن بلادهم قد سلخت بالقوة من جورجيا ، وبأن ديانة أجدادهم كانت المسيحية . . . ولا تزال بعض التقـاليد سائـدة حتـى الوقـت الحاضر وخصوصاً ما يتعلق باحترامهم للمعبد الجورجي الموجود هنا »[3] .

ثم سافر كازبيك خلال نهر چوروخ ، من آرتفين وحتى بورچـخ عن طريق النهر على ظهر القوارب . ولا شك بأن ملاحظاتـه بهـذا الصـدد جديرة بالاهتمام : « وهكذا شرعت شركات التجار الانكليز في السنة التالية بشراء الحبوب في قارص ،

---

(١) گ . ن . كازبيك ، ثلاثة أشهر في جورجيا التركية ، ص ٣٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٧٠ .

وشافشيت ، وكانت ترسل الحمولة إلى باطوم عن طريق نهر چوروخ . . . وكانت الحبوب تنقل عموماً إلى آرتفين من قبل الكرد بوساطة الثيران والدواب المستعملة للحمل ، ثم ترسل بالقوارب عن طريق النهر . . . ففي سنة ١٨٧٤ الحالية بعث وكيل إحدى الشركات من آرتڤين ٤٤ ألف پور(*) من الحبوب .

إن سكان سلاسل چوروخ الجبلية يتكلمون بلغة جورجية رائقة وصافية جداً . . . وكانت هذه البلاد ومنذ القدم مهداً للعرق الجورجي الأصيل »[١] .

ولا ريب بأن مجموع مذكرات كَ . كازبيك تؤلف مصدراً قيماً لدراسة سنجق لازستان في السبعينيات من القرن التاسع عشر .

## قناة السويس
## و
## رحلة كوڤاليڤسكي

هناك أعمال روسية كثيرة وكذلك مجموعة من المصادر الأجنبية المكرسة لتركيا ، ولقد أصبحت تلك الأعمال أساساً ومصدراً لتأليف المنتخبات الحربية الإحصائية المسماة « الأمبراطورية التركية » في سنة ١٨٦٨ . وكانت لهذه الطبعة أهمية كبيرة جداً للفترة التي صدرت فيها[٢] .

وكان بناء قناة السويس قد جلب انتباه الأوساط العلمية والاجتماعية في روسيا . ويجدر بنا بهذه المناسبة أن نقف عند مقالة الضابط البحري [ الملازم ] الشاب اليكساندر كوڤاليڤسكي المنشورة في سنة ١٨٦٢ في جريدة « بشير أوديسا » ، وفي « المجموعة البحرية »[٣] . وفيها يتكلم كوڤاليڤسكي عن أهمية بناء القناة للملاحة

---

(*) پود : وحدة للوزن ، زنتها ١٦/٣٨ كيلوغراماً ، أو ٣٦ رطلاً مصرياً ( المترجم ) .

(١) المصدر السابق ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) « الأمبراطورية التركية » ، مجموعة حربية - إحصائية ، النشرة ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٨ ، بإشراف ن . ن . أوبروچيڤ ، وهناك طبعة مستقلة أيضاً .

(٣) عن مقالة أ . م . ليوبارسكايا « السائح والبحار الروسي في بناء قناة السويس » ، يراجع : « بلدان وشعوب الشرق » ، النشرة ١ ، موسكو ، ١٩٥٩ ، ص ١٤٨ - ١٦١ .

البحرية العالمية ، وبالأخص للملاحة الروسية . وقد أوضح بأن المستعمرين الأوروبيين لم يبنوا القناة ، بل إن البناة الحقيقيين للقناة هم الفلاحون المصريون ، ولا شك أن هذه الفكرة كان رأياً شجاعاً جداً لذلك الوقت: « إن الذين قدموا من فرنسا وبلجيكا وهم يحاولون أن يصبحوا أغنياء من حفر القناة ، أناس لا يحملون أي نوع من الاختصاص في أي قسم من الأقسام ، ولهذا السبب بالضبط غالباً ما يربطون أنفسهم بوظيفة رئيس الحسابات ، أو أمانة الصندوق ، أو وظائف بوليسية متنوعة أخرى تتعلق بالعمل في القناة[1] . . .

إنني شاهدت العمل من ماكفرو سبع أبيار وحتى نيوفيل . . . هناك عشرة آلاف عامل يشقون القناة حتى البحيرة تحت إشراف الشرطة الصارم ، المسلحة بالهراوات وبالقضبان . ويسير العمل بكل بساطة وبدون أية تطبيقات خاصة ، العرب ينقلون الأتربة في سلال محلية »[2] .

وكان كوثاليفسكي مستاءً بشكل عميق من المعاملة القاسية التي يعامل بها المستعمرون السكان المحليين : « ليس بإمكان المرء أن لا يعطف على العربي الجاهل ولكنه الموهوب القدير ، عندما يشاهد كيف أن المثقفين المتنورين يجلدون بالقضبان والهراوات هؤلاء العشرة آلاف وهو جيش من العمال . . . وهم لا يقبضون أية مكافئة ولا يرون نهاية كدهم وعملهم ولا يتمتعون بها » . وهو يدين بغضب تصرفات وسلوك الإدارة الفرنسية : « وضع الفرنسيون في عصر الإنسانية والتقدم في كل قطاع شيخاً أو حتى مستخدماً وبيدهم القضبان وهي شبيهة بالعيدان المألوفة عندنا »[3] .

وبناء القناة انعكس بصورة واسعة على صفحات مطبوعات الجمعية الجغرافية وفي الصحف الدورية أيضاً .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥١ .

(٣) المصدر السابق .

# الاحتفال بافتتاح قناة السويس
# ورحلة سولوگـوب

تلقى كثير من الناس في روسيا الدعوات للحضور في الاحتفـال الـذي يُقـام بمناسبة افتتاح قناة السويس . ففي ٢٧ تشرين الأول سنة ١٨٦٩ ومن مرفأ أوديسا أبحرت إلى مصر باخرتان وهما « الجنرال كوتسيبو » و« ڤلاديمير » ، مع ستين ضيفـاً على ظهر كل منهما والسفينة الشراعية الحربية « پـيسيزواپـسي » والباخرة « أوليـگ » ، واليخت « الياقوت » تحت راية اللواء البحري بوتاكوف .

وكان هناك بين الضيوف كل من الموظف في وزارة الشؤ ون الداخلية الكاتب ڤ . أ . سولوگـوب ( ١٨١٤ ـ ١٨٨٢ ) ، والفنان إ . ك . آيڤازوڤسكي ، والسفير الروسي ن . پ . ايـگـناتييڤ . وبالإضافة إلى ذلك كانت زوجة نابوليون الثالث وعبد القادر من بين الحاضرين في الاحتفال .

ويصف ڤ . أ . سولوگـوب مراسيم الاحتفال بافتتاح القنـاة ، والسفـرة في القناة التي افتتحت لتوها من پورت سعيد حتى السويس ، والاحتفالات المتعلقة بهذا الحدث العظيم الهائل[1] .

ويرسم الكاتب بإيجاز تاريخ حكم محمد علي ، ويطرح انطباعات وملاحظات سفره . وهو يشير إلى أنه قبل سنة ١٨٢٠ لم تعرف مصر القطن ، فالتجربة والمحاولة الأولى لزراعته بدأت في سنة ١٨٢٠ فقط ، وأما في أميريكا وفي سنوات الحرب بين الشمال والجنوب كانت زراعة القطن قد وصلت إلى درجة عالية من الرقي . ثم زار سولوگـوب الإسكندرية ، وپـورت سعيد ، والسويس ، والاسماعيلية ، والقاهرة .

وملاحظة سولوگـوب الدقيقة التالية جديرة بالاهتمام : « إنني لم أشاهد حتى فرنسياً واحداً لم يكن متأكداً مسبقاً بأنه عاجلاً أم آجلاً سوف يزيح الانكليز الفرنسيين

---

(١) ڤ . أ . سولوگـوب ، مصر الجديدة ـ تقرير عام وانطباعـات سفـر ، سانـت پيترسبـورغ ، ١٨٧١ .

من البرزخ كما أزاحوهم في الهند »[1] .

ولقد حصل هذا بالتأكيد فيما بعد كما هو معلوم .

## رحلة سكالكوفسكي

### (١)

كان الصحفي العامل في « كشوف سانت پيترسبورغ » ، وفيما بعد في « الأزمنة الحديثة » ك . ف . سكالكوفسكي قد قام برحلة إلى الشرق في سنة ١٨٦٩ . وعن طريق البحر توجه من أوديسا إلى مصر ، فأقام بعض الوقت في القسطنطينية . وكانت رحلته في نفس فترة الاحتفالات في پورت سعيد بمناسبة افتتاح قناة السويس . فهو بجانب وصفه المفصل لمراسيم الافتتاح يشير إلى حدث طريف : « إنني لاحظت حالاً بأن جميع الحراس والبحارة كانوا في أزياء رسمية حمراء جميلة فاخرة غير أنهم حفاة . وإن هذه الحلل تعبر بصورة أفضل عن الوضع الحالي في مصر . ففي الوقت الذي يعيش فيه نائب السلطان حياة بذخ . . . وحينما يقبض وزراؤه رواتب تصل إلى ٣٠٠ أو ٤٠٠ ألف فرنك في السنة ، أي أكثر بست مرات من مكافئات الوزراء البروسيين ، ففي نفس هذا الوقت يعيش الناس البسطاء ، والفلاحون في فقر مدقع . بينما تستطيع مصر أن تحتل مكاناً في الصف الأول من حيث الغنى والثراء لما تملكه من تربة جيدة وخصبة والوضع الجغرافي الخاص »[2] .

ثم أنجز ك . ف . سكالكوفسكي سفرته إلى الهند عن طريق قناة السويس على ظهر الباخرة الروسية « ناخيموف » . وهو واحد من الرحالة الروس الأوائل الذين وصفوا عدن بعد استيلاء الانكليز عليها في سنة ١٨٣٩ : « تظهر في المرتفعات التي تحيط بخليج عدن التحصينات والاستحكامات المعززة بالمدافع في كل مكان .

أما اختيار طريق عدن فكان بشكل عام نتيجة لفكرة سديدة ومعقولة . وذلك لوضعها الجغرافي الفريد حيث تقع في منتصف الطريق تماماً بين مصر والهند ، وإن

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٢) ك . سكالكوفسكي ، انطباعات مسافر إلى اسپانيا ، ومصر ، شبه الجزيرة العربية ، والهند ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٣ ، ص ٣٣ .

هذه المناطق تشرف على البحر الأحمر ، وخليج عدن ، وخليج فارس ( يقصد الخليج العربي - م .خ . ) ، والبحر العربي بشكل متجانس . . . أما ميناء عدن فهو مفتوح لرياح قليلة فقط ، وهو واسع جداً يستطيع استقبال الأساطيل من أي حجم كان . وهذا السبب هو الذي حدى بالانـكـليز ومنذ سنة ١٨٣٩ أن لا يحجموا عن النفقات والتكاليف الباهضة لبناء هذه المدينة »[١] .

## رحلة ڤينيوكوف

كان الجغرفي والاتنوغرافي والرحالة الروسي الشهير ، وعضو الجمعية الجغرافية الروسية ، والمختص في دراسات الشرق الأقصى وتيان شان ، وپامير ، والقفقاس الشمالية وكذلك الجزر اليابانية ميخائيل ايڤانوڤيـچ ڤينيـوكوف (١٨٣٢ - ١٩٠١) قد سافر الى تركيا مرتين، في سنة ١٨٦٧ وسنة ١٨٧٤ . وعن هذه الرحلة الأخيرة ذكر طائفة من الأخبار والمعلومات المهمة والطريفة .[٢]

وبعد مشاهدته للبوسفور وتوصله إلى انطباعـات واستنتاجـات خاصـة قدّم م .إ . ڤينيوكوف إقتراحاً إلى الجمعية الجغرافية حول ضرورة القيام بدراسة الجغرافيا الطبيعية للمضيق ، وقدم تقريراً عميقاً وشاملاً في هذا الموضوع . وقد أشار إلى أن في المضيقين البوسفور والدردنيل توجد تيارات معاكسة ومضادة ، وأنه يعتقـد بأن البحر الأسود هو أعلى من حيث المستوى من البحر الأبيض المتوسط ، وفي البحـر الأسود مياه زائدة ، ولهذا من المرغوب تحديد حجم تجويفاته ومنخفضاته ، وتحديد مناسيب البوسفور والدردنيل .

وقد تحقق مقترح م.إ. ڤينيوكوف بعد مرور عشرين سنة فقط .

وفي رسالة بعنـوان « في الاسكندرونـة » يتكلـم ڤينيوكوف فيهـا عن التطـور

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٩ - ١١٢ .

(٢) « من الطريق الى تركيا » ( من رسائل الرحال بتوقيع «ڤ» ) ، « المجموعة الحربية » ، العدد ٨ ، ١٨٧٤ ، ص ٣٦٥ - ٣٩٢ ؛ « بعض القضايا عن الجغرافيا الطبيعية لتركيا » ، « أخبار الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية » ، المجلد ١٠ ، العدد ٦ ، ١٨٧٤ ، ص ٢٠٣ - ٢١٣ . ويذكر م.إ. ڤينيوكوف معلومات عن رحلته الى تركيا في كتاب « من المذكرات » ، الكتاب ٢ ، أمستردام ، ١٨٩٦ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

البطيء لوسائل المواصلات بين الأقسام المختلفة في تركيا . وهو يشير خاصة الى أن : « قناة السويس مهمة جداً لمصر ، ولانكلتره ، ولفرنسا ، ومفيدة لروسيا ، أما لتركيا التي يسيطر على تجارتها الخارجية الأجانب واليونانيون الذين يعتبرون نصف مواطنين ، والتي تمتلك في البحر الأبيض المتوسط والبحر الاسود أسطولاً صغيراً واحداً لملاحة السواحل ، فهي تسبب العناء والمشاكل أكثر من الفائدة »[1] .

ويقدم م . إ . ڤينيوكوف تقييماً صحيحاً للمشاريع التي خططت في ذلك الوقت لبناء السكك الحديدية . وهو يعتقد أن المشاريع وكذلك السكك الحديدية التي أنجزت فعلاً ( ڤارنا ـ روشوك ، أسكودار ـ إسميد ، إزمير ـ أدنه ، إزمير ـ كاسابا ) « قد روعيت فيها قبل كل شيء خدمة مصالح التجارة الأوروبية ، وحتى السياسية بصورة تامة وكاملة . وأنها لم تلتفت ولم تحسب إلاّ بشكل ضئيل المصالح الخاصة للوطن التركي »[2] . ويتأمل بتفصيل في المشاريع الانكليزية ، منها الصيغة الأولى لخط سكك حديد بغداد الذي سوف يربط القسطنطينية بخليج فارس ( يقصد الخليج العربي - م . خ . ) .

إلاّ أن ڤينيوكوف يعترف بوضوح : « بأن كل خط حديدي جديد يؤسسه الأجانب ، يصبح قيداً حديدياً جديداً لتركيا ، يفرضه عليها الأصدقاء الغربيون »[3] .

ويذكر ڤينيوكوف بأن موانيء تركيا أمثال : إزمير ، ومرسينا ، والاسكندرونة هي في حالة يرثى لها ، وإن العقبة التي تعيق إعادة بنائها هي الوضع الإقتصادي المتدهور في البلاد .

ثم يقدم وصفاً رائعاً للوضع الطبيعي لولاية آيدن التي كانت في ذلك الوقت أغنى منطقة في البلاد ، ويستنتج من كل ذلك : « كان بالإمكان ، بدون أي شك ، أن يكون الإنتاج الزراعي والحيواني أغزر وأوفر بكثير إن لم يكن القسم الأكبر من

---

(١) « المجموعة الحربية » ، العدد ٨ ، ١٨٧٤ ، ص ٣٧٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٨٤ .

الأراضي متروكاً ، وبالإضافة الى ذلك فأن الخزينة التركية تضايق الصناعة بضرائبها الكثيرة التي تفرضها على الأراضي المزروعة أيضاً ، وأخيراً مراكز الجمارك الداخلية التي لم تغلق إلاّ منذ عهد قريب فقط »[1] .

غير ان ڤينيوكوف لم يشر في مقالاته الى أن السبب الأساسي الذي يعرقل تطور الوضع الإقتصادي في البلاد هو بقاء العلاقات الإقطاعية وانه ينسب كل شيء الى « الرتابة ( الروتين ) ونظام ( البقشيش ) ، وحتى إلى الخمول والإيمان بالقضاء والقدر التي ولدت على ما أعتقد من الفكرة القائلة بأن عصر العثمانيين قد انتهى » .

وكتب م. إ. ڤينيوكوف مقاله أخرى بعنوان « بعض القضايا عن الجغرافيا الطبيعية لتركيا والبحار المجاورة لها » وفيها يتطرق الى مسألة التيارات في البوسفور والدردنيل ، وعن قياس أعماق البحر الأسود ، وتمدد حدود آسيا الصغرى على حساب توسع القطاعات الساحلية برواسب الغرين والطمى[2] .

## رحلة سكالكوڤسكي

## (٢)

قام الصحفي ك. سكالكوڤسكي[3] برحلته الثانية في سنة ١٨٧٢ الى الشرق الأوسط . توجه من باطوم ( كانت مدينة تركية في ذلك الوقت ) بمحاذاة الساحل الأناضولي الى القسطنطينية ، وتوقف في طرابزون ، وكيراسوند ، وأوردو ، وسامسون حيث يقول عنها : « إن للمدينة أهميتها التجارية الخاصة في آسيا الصغرى ، يمتد إليها طريق القوافل من دياربكر ، وتوكات . وتصدر مدينة سامسون سنوياً كميات كبيرة من المرعز ( شعر الماعز ) ، والجلود ، والشموع ، والقنب ، والبذور ، وبصورة خاصة التبغ[4] .

---

(١) المصدر السابق ، ٣٩٠ .

(٢) « أخبار الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية » ، المجلد ١٠ ، العدد ٦ ، ١٨٧٤ .

(٣) ك. سكالكوڤسكي ، في بلاد الإضطهاد والحرية ، انطباعات مسافر ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٧٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٨٢.

وفى طريقه كان السائح يتأمل في مصير هذه المنطقة :

« هناك جزء واسع من الساحل الأناضولي [ من سينوپ حتى البوسفور ] يتميّز عموماً بالفقر والفاقة ، وفي الفترة التي قمت فيها برحلتي كان يعاني القحط الـذي تحول حتى إلى المجاعة في ناحية أنغـورا . وأما إنيبولي فهي الوحيدة التـي لا تزال تزدهر فيها التجارة في هذا الساحل الذي كانت تكثـر فيه في وقـت ما المستعمـرات التجارية . غير أن السلطة التركية حولت هذه المنطقة الى صحراء . وهي ليست غنية بشكل مدهش في جميع النواحي فقط ، وإنما تتمتع بوضع جيد ومقبول للتجـارة لما تتميز به من وضع جغرافي مقبول . كان مواطننـا پ . چيخـاچيڤ الـذي كرس سنوات طويلة لدراسة آسيا الصغرى من جميع النواحي مقتنعاً بأنها في ظل نظام جديد تستطيع الآن أيضاً أن تطعم عدداً كبيراً جداً من السكان وذلك على الضد من رأي ليبيخ وغيره الذين نسبوا تدهورها الى إنهاك تربتها »[1] .

## رحلة تيـپـلوڤ

تطرق الديبلوماسي الروسي الشاب ڤ. تيـپـلوڤ[2] الى أدرنة وفراكيا ، وكان قد زارهما في سنة ١٨٧٤ . ففي مقالاته وردت معلومات عن اقتصاد الأماكن التي تجول فيها ، وكذلك عن أوضاع السكان ، وبصورة خاصة طبقة الفلاحين .

« لا يختلف وضع طبقة الفقراء والفلاحين في وضعها المعيشي بشكل محسوس عن الرعايا المسيحيين ، فالضرائب والأتاوات تخنق هؤلاء أيضاً »[3] .

ولا شك بأن كلمات تيـپـلوڤ الحارة مليئة بالسخط ، والاحتقار ، عن أنظمة الإدارة التركية : « . . . إنه وضع جيد للإداريين ، حتى وإن كانت الفترة قصيرة جداً للشخص الذي يشغل منصب [ القائمقام ] ، فأنه يفلح في أن يبتز من الشعب جميع ما

---

(١) المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٢) ڤ. تيـپـلوڤ ، أدريانوپـول [ أدرنه ] وفراكيا في سنة ١٨٧٤ ( من مذكرات مسافر ) ، « بشير روسيا » ، العدد ٥ ـ ٦ ، ١٨٨٠ ، مايس ، ص ٤١٠ ـ ٤٣٥ .

(٣) المصدر السابق ، ٤٢٦ .

عنده ليؤ من على حياته وحده . وأن نهب السكان يبدو كما لو أن الحكومة قد اعتبرته شرعياً وذلك بسبب قلة الرواتب التي يتقاضاها الموظفون إلى درجة مضحكة . . . أما الرشوة فهي عبارة عن الحجر الأساس لجميع مرافق الأدارة التركية . . . »[1]

ويشير تيـپـلوڤ بأنه منذ سنة ١٨٦٨ كان مستوى الأتاوة العسكرية ، أو بعبارة أخرى فدية المسيحيين عن التجنيد الإجباري قد ارتفع بشكل هائل . وكانت الفدية تدفع قبل هذه الفترة عن الذين يبلغون العشرين من عمرهم فقط ، وفي سنة ١٨٦٨ فرضت على كل من يبلغ الثانية عشرة من عمره ، وأما في سنة ١٨٧٤ فأن الحكومة فرضت الفدية على جميع المسيحيين من الذكور ابتداءً من الولادة . وقد عانى السكان المحليون من المسيحيين وبصورة خاصة البلغار الأمرين من هذه الضريبة .

« من الغرابة أن يكون الفلاح البولغاري غنياً وفقيراً في آن واحـد . فالأرض تعطيه الثروة والحكومة تأخذها منه عن طريق سلطاتها المحلية . . ان انعدام حقوق الرعايا المسيحيين في الأقاليم التركية شيء فظيع جداً . . . حاول الترك بعد الحرب الشرقية أن يقنعوا أوروپـا بأن وضع هؤلاء الرعايا تتغير بشكل جذري بعد نشر خط همايون والفرمانات الليبيرالية السلطانية . ولا شك بأن الفرمانات السلطانية تنشر لتهدئة أوروپـا فقط »[2]

وتجسد المقالة الصغيرة التي كتبها تيـپـلوڤ قبل انتفاضة البولغار في سنة ١٨٧٦ وضع البولغارقبل الحرب الروسية التركية في ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨[3] .

## رحلة ستيبنيتسكي

هناك مذكرات كثيرة وشهيرة للمشاركين في حرب سنتي ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ . فأننا لا نجد في هذه المذكرات صور ومشاهد العمليات الحربية فقط ، وإنما نقرأ عن الحياة الإجتماعية ، ونرى صوراً متنوعة ذات طابع اتنوغرافي وجغرافي .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٢٧

(٢) المصدر السابق ، ٤٣٠ ـ ٤٣١ .

(٣) كتب ڤ. تيـپـلوف كتاب « أدريانوپـول [ أدرنه ] في سنة ١٨٧٤ » ، ( سانت پـيترسبورغ ، ١٨٧٧ ) أيضاً ، وهو في الواقع عبارة عن إعادة طبع للمقالة المشار اليها .

ومن نتائج العمليات الحربية في القسمين الأوروبي والآسيوي لتركيا في سنتي ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ كانت قد التقطت صور ورسمت تخطيطات للمواقع ، ودونت الإنطباعات الفلكية ، وهي بلا شك أغنت العلم الجغرافي بمعلومات جديدة .

وبعد بدء العمليات الحربية مباشرة في نيسان سنة ١٨٧٧ تأسست في الفيلق العامل في القفقاس فرقة توبوغرافية بقيادة رئيس القسم الحربي التوبوغرافي في القفقاس اللواء إ. إ. ستيبنيتسكي .

ويمكننا أن نقرأ عن نشاط الفرقة الحربية التوبوغرافية فيما وراء القفقاس ما يلي : « لقد بدأت عمليات المسح سوية مع هجوم قواتنا في حدود تركيا الآسيوية في مناطق أردهان ، وقارص ، وبايزيد ، وسنجق لازستان . وأما في سنة ١٨٧٨ فاستمرت العملية في مناطق أرضروم ، ونواحي قارص ، وأصقاع باطوم . وكان العمل يجري في ظروف صعبة وشاقة جداً ، إلاّ أن أي شيء لم يقف عائقاً أمام إنجاز المهمة ، لا قسوة الشتاء ، ولا ضراوة التيفوس الذي انتشر بقوة وبشكل غير اعتيادي ، ولا الصعوبة في البحث عن المؤ ن في الأماكن التي تركها سكانها ، ولا غارات الكرد ، ولا الأخطار الأخرى التي كانت تحيط بالمصورين الذين كانوا غالباً ما يعملون بدون أية حماية ، وهي لم تستطع أن توقف توبوغرافيينا في إنجاز واجباتهم . . . ففي الوقت الذي فيه كانوا يقومون بالتصوير والتخطيط التوبوغرافي كانوا يقومون بأعمال تتعلق بالفلك والجيوديسيا أيضاً . وأن جميع ما جمع من المعلومات بهذا الصدد يشكل مراجع ومصادر غنية جداً لا تقدر بثمن لتحديد ورسم الخريطة الموجودة عندنا الآن لتركيا الآسيوية »[١] .

وأنجزت في تركيا الأوروبية أيضاً أعمال باهرة في هذا الموضوع : « قبل دخول القوات إلى بولغاريا، بدأ الإستطلاع في الجانب الأيسر من نهر الدانوب ، بين مصب نهر أرجيس ونهر أولتا ، وتم تحديد الإختلافات الموجودة في خطوط الطول بمساعدة البرق للمواقع كيشينييف ، وياسي ، وگالاتس ، وبوخارست . وعند الرحلة خلال نهر الدانوب رسمت خطط مفصلة لنيكوبول ، وسيستون ، وزيمنيتسا وضواحيها ،

---

(١) « مقالة تاريخية عن نشاط الفرقة الحربية التوبوغرافية في فترة السنوات العشرين الأولى ١٨٥٥ ـ ١٨٨٠ » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٠ ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .

كما وجرى مسح لقسم من المواقع بين قره لوم ، وبانترويا . . . وقد قام جميع مراتب الفرقة بتحديد ستة وعشرين مركزاً فلكياً ، وتم مسح لرقعة من الأرض في مساحة ٩٨٥٩ فرسخاً مربعاً .

كما وأنجزت شبكة المسح المثلثي لجميع أصقاع الامارة البولغارية ، والأقسام الشرقية من روميلي منذ نهاية سنة ١٨٧٧ وحتى تشرين الأول سنة ١٨٧٩ . وبالإضافة الى ذلك كانت قد أنجزت مجموعة أخرى من المسح المثلثي من يامبول ومصطفى پاشا وحتى أدرنه ، ومن هناك في طريق چورلو حتى القسطنطينية وخلال كيركيليس حتى بورگاس ، وأنهى المسح المثلثي لجميع الأراضي الواقعة في المثلث بين ادريانوپول ـ ديدياگاچ ـ رودوستو . . .

ولقد قسمت البلقان اعتباراً من البحر الأسود وحتى صربيا الى ثمانية صفوف من حيث الموقع المثلثي ( المسح المثلثي ) تسير من الشمال الى الجنوب ، وهناك بين هذه الصفوف ارتباطات كثيرة ، زد على ذلك بأنه لا توجد مراكز ومواقع في جميع سلاسل جبال البلقان تبعد بأكثر من خمسة وعشرين فرسخاً عن أقرب نقطة مثلثية . وبهذا الشكل أيضاً تمت دراسة جبال رودون وريلوداغ »[1] .

ونتيجة لهذه الدراسات كانت قد زودت خريطة تركيا الآسيوية بمعلومات جديدة مكملة . وقد ثمن پ . پ . سيميونوف هذه الأعمال تثميناً عالياً :

« إن الأعمال لتهيئة الخرائط في القفقاس خلال خمس سنوات ١٨٧١ ـ ١٨٧٥ انتهت بنجاح باهر ، والفضل يعود الى إشراف الرئيس الماهر والعضو الجدير بالإحترام إ. إ. ستيبنيتسكي ، وانهم لم ينجزوا فقط أعمالاً كبيرة في إعداد الخرائط ، وهي تقابل من حيث قيمتها أعمال أفضل المؤسسات التي تهيء الخرائط في أوروبا ، وإنما أنجزوا كذلك بعض الأعمال التي لها أهمية علمية عالية ، كإعداد الخرائط التي تخص تركيا الآسيوية وايران . . . »[2] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٩ ـ ٥٤ .

(٢) « تاريخ نشاط الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية في نصف قرن » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٦ ، القسم ٢ ، ص ٨٥٥ .

وانتهز إ. إ. ستيبنيتسكي الذي يشتهر بأعماله الغزيرة في ميدان رسم الخرائط والتوپوغرافيا فرصة وجوده في القسطنطينية في سنة ١٨٧٩ ضمن الوفد الذي كان مكلفاً بتعيين الحدود بين روسيا وتركيا ، فقد شخص وحدد من جديد وبصورة أدق الوضع الجغرافي لمدينة القسطنطينية[١] .

وفي أثناء الحرب كان الأطباء الروس الذين يديرون فرق الوقاية الصحية العاملة في المناطق التركية التي استولت عليها القوات الروسية قد شرعوا في القيام بوصف الوضع الطبي التوپوغرافي ، وقد تضمن وصفهم معلومات غير قليلة عن الجغرافيا والاتنوغرافيا . وهو يتناول بصورة عامة « الوصف الطبي التوپوغرافي لمنطقة أرضروم » وقد كتبه ل . ر . رييتلينگر[٢] .

ويقدم إ. إ. ستيبنيتسكي وصفاً مهماً وطريفاً للبوسفور والقسطنطينية . فتوصل في هذا الصدد إلى أنه هناك في البوسفور تياران ، إلاّ أن استنتاجاته لم تؤ يد في حينه ، وقد قام بانجاز هذا العمل بعده س . او. ماكاروڤ . وأخيراً يقدم ستيبنيتسكي معلومات عن حالات تجمد البوسفور عندما تكون درجة الحرارة و واطئة لفترة طويلة[٣] .

## رحلة ماكاروڤ

كان قائد الأسطول الروسي الشهير نائب الأميرال س . أو . ماكاروڤ ، يقود في سنة ١٨٨١ الباخرة « تامان » التي توقفت في القسطنطينية ، فقام بدراسة التيارات

---

(١) « اخبار الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية ـ قسم القفقاس » ، العدد ١ ، المجلد ٦ ، ١٨٧٩ ، ص ١٢٩ .

(٢) المجموعة الطبية ، تصدرها الجمعية الطبية الامبراطورية في القفقاس ، العدد ٢٨ ، تفليس ، ١٨٧٨ ، الفصل ٤ ، ص ٤٦ ـ ٨٤ .

(٣) ملحق المجلد الخامس من « أخبار الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية ـ قسم القفقاس » ، تفليس ، ١٨٧٩ .

الموجودة في مضيق البوسفور .

عرف الباحث من صيادي السمك بأنه هناك في البوسفور عدا التيار الذي يجري من البحر الأسود والمعروف لدى الجميع هناك تيار آخر يقع إلى الأسفل منه . ولم ترد كما هو معلوم في أي مصدر من أدبيات الملاحة في هذه الفترة ولو كلمة واحدة عن التيار الأسفل تحت الماء يجري من بحر مرمرة إلى البحر الأسود . قام ماكاروف بتجربته الأولى على الوجه التالي : استعمل برميلاً صغيراً من الذي يستعمل لحفظ المياه الاحتياطية في الزوارق ، وسق البرميل بشكل بحيث يغوص في الماء ، وأنزله بحبل إلى الأسفل ، وراقبه لمعرفة الاتجاه الذي يحمله التيار إليه . وظهر بأنه يتوجه به إلى بحر مرمرة ( من البحر الأسود ) . وعندئذ بدأ بانزاله بشكل أعمق وأعمق ، وكلما كان البرميل ينفذ في الماء بصورة أعمق كلما كان يقل توجهه إلى بحر مرمرة نسبياً . وأخيراً أصبح الحبل عمودياً ، ثم توجه إلى الجهة المعاكسة ، وعندما وصل إلى عمق العشرين والثلاثين متراً أخذ البرميل ينحرف إلى الجهة المعاكسة ( أي جهة البحر الأسود ) بقوة كبيرة إلى درجة سحب معه الزورق ضد التيار السطحي . وقد استمر ماكاروف في تجاربه فيما بعد حتى خريف سنة ١٨٨٢ فاجتمعت لديه مواد ومصادر واسعة وكبيرة ، وقد درست ونسقت تلك المواد بدقة فيما بعد ، وفي سنة ١٨٨٥ نشرت في كتاب يحمل عنوان « حول تبادل المياه بين البحرين الأسود والأبيض المتوسط »[١] . فنال الكتاب فيما بعد جائزة أكاديمية العلوم .

واكتشف ماكاروف تياراً سطحياً في المضيق يجري من البحر الأسود إلى بحر مرمرة ، وتياراً معاكساً سفلياً إلى البحر الأسود ، ووضح بأن هذين التيارين يتباين أحدهما عن الآخر بصورة أساسية في سماتهما من حيث الملوحة والكثافة وطبيعة الجريان ، وتفصلهما عن بعضهما طبقة وسطية محايدة أصبحت منذ ذلك الحين تسمى في الأوساط العلمية بطبقة ماكاروف .

« فقد أوضح هو بأن هذا التيار السفلي من حيث وجوده هو حصيلة الاختلاف في كثافة الماء بين البحر الأسود وبحر مرمرة . فالمسألة تنحصر في أن الماء في بحر مرمرة

---

(١) س . أو . ماكاروف ، الأعمال الأوكيانوغرافية ، موسكو ، ١٩٥٠ ، ص ٣١ ـ ٩٢ .

يكون أكثر ملوحة بكثير من الماء في البحر الأسود حيث يتحول الماء إلى العذوبة بسبب ورود الماء العذب الوافر من الأنهار . لهذا السبب تماماً يكون الضغط في نفس الأعماق في بحر مرمرة هو أقوى مما في البحر الأسود ، وهكذا تتكون درجة معينة من الضغط الموجه نحو البحر الأسود ، وهي بدون شك تكون من أسباب حركة المياه في الطبقات السفلى من البوسفور .

أما التيار السطحي فقد وجد بسبب مياه الأنهار ( وكذلك سقوط الأمطار ) ، فإن هذه الأنهار تزود البحر الأسود بالمياه بنسبة أكثر مما تتبخر إلى الجو . لهذا السبب أن الملوحة والثقل النوعي ( الذي يتعلق به الارتباط الوظيفي ) ، يؤثران بصورة أقل بكثير في العملية ، أما مستوى المياه فهو أعلى مما عليه في بحر مرمرة »[1] .

## رحلة كونداكوف

قام الآثاري الروسي الشهير والمختص في الدراسات البيزنطية ن . پ . كونداكوف ( ١٨٤٤ ـ ١٩٢٩ ) برحلات كثيرة في الشرق . ففي سنة ١٨٨١ توجه إلى سيناء ، وزار القسطنطينية في سنة ١٨٨٤ ، وفي سنة ١٨٩٨ قام برحلة زار فيها أيون والأرض السلافية ، وتوجه إلى كل من سوريا وفلسطين في سنة ١٨٩١[2] .

وكانت رحلة ن . پ . كونداكوف في سيناء لأسباب تتعلق بالآثار . فقد رغب في مشاهدة دير كاترين المقدسة ، والآثار القديمة ، والمخطوطات ، والمكتبات ، والقيام بالتصوير ورسم التخطيطات . وقد وصف ن . پ . كونداكوف رحلته إلى سيناء بصورة مفصلة جداً[3] .

سافر كونداكوف من الاسكندرية إلى السويس بالقطار ، ومن هناك أبحر بالزورق خلال البحر الأحمر حتى الطور ( رايفا القديمة ) ، ثم سلك أقصر طريق على ظهور الجمال وخلال شعاب إشلي وصل إلى دير سيناء .

---

(١) س . أو . ماكاروف ، الأعمال الأوكيانوغرافية ، موسكو ، ١٩٥٠ ، المقدمة بقلم ن . ن . زوبوف ، وأ . د . دوبروفولسكي ، ص ٧ ـ ٨ .

(٢) ف . لازاريف ، ن . پ . كونداكوف ، موسكو ، ١٩٢٥ ، ص ١٠ .

(٣) « رحلة إلى سيناء في سنة ١٨٨١ ، من انطباعات الرحال ن . كونداكوف » ، أوديسا ، ١٨٨٢ .

وتثير ملاحظته عن العرب أهمية خاصة ، وهي مليئة بروح الصداقة والودّ : « في هذا المكان القاحل ، حيث لا حرية ، وفي ظروف عمل شاقة ، وحرمان شديد ، كان يوجد في هذا المكان نموذج الحياة المتطورة أكثر مما عند الإيطالي ، هناك أصوات وضجيج وثرثرة لا تهدأ . . . وهناك روح الأمزجة المرحة السارة بصورة دائمة ، وأما خلق الوئام والصداقة والمحبة مع هؤلاء المعذبين كل ذلك يجعل المرء يميل إليهم »[١] .

وكان هناك تقليد في سيناء ألغي قبل خمس سنوات من وصول كونداكوف وهو رفع الرحالة إلى الدير خلال الحائط بوساطة السلال ، لأنه كانوا لا يفتحون البوابة خوفاً من غارات البدو . وإن هذه الغارات قد انتهت منذ زمان بعيد : « إن الجوع ، وأنواع الحرمان ، والاهتمام اليومي بالحصول على الخبز الضروري ، واستنفاذ جميع الحرف والصناعات السابقة للحصول عليه قد غضت منذ وقت طويل من قوة أبناء الصحراء التي لا تقهر . لقد غضت منها ولكنها لم تقض عليها نهائياً ، لأن البدو أصبحوا في الوقت الحاضر من الموالين والتابعين للدير تقريباً ، فإنهم يقومون بمختلف أنواع الخدمات له ، ويتزاحمون بالمئات حول الحائط عند توزيع الخبز بالرغم من أنه لا يوجد بينهم أي نصراني . . . »[٢] .

« يبلغ عمر الدير أكثر من ١٥٠٠ سنة . . . وإذا تجاوزنا برج الأجراس الحديث الذي أنشيء فيه منذ وقت ليس بالبعيد فمن الصعوبة أن نجد فيه أي شيء جديد غير ما رآه . . . تروفيم كوروبيينيكوف . . . »[٣] .

« هناك في بعض الأماكن نباتات غزيرة وعلى رأسها شجرة منّ السماء ، يجمع الدير من هذه الأشجار المنّ ويوزعه للبركة ، وهي مادة نصف سائلة كثيفة ، غير أنها تتصلب عندما تجف ، وهي كقطع القار ، أما طعمها فيكون حلواً »[٤] .

ونجد هناك معلومات عن الرحلة الأخيرة التي قام بها ن . پ . كونداكوف إلى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢ ـ ٣٣ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٦ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٥٨ .

سوريا وفلسطين في سنة ١٨٩١ في كتاب « رحلة آثارية إلى سوريا وفلسطين » . وكان المؤلف قد أنجز كتابه في ضوء مواد رحلته من بيروت إلى دمشق وحوران عن طريق شرق الأردن حتى مدينة القدس ضمن بعثة علمية نظمتها جمعية فلسطين الأرثوذوكسية .

ويشير ن . پ . كونداكوف إلى أن « الرحلة اقتصرت بسبب الوضع القلق في أنحاء كثيرة من سوريا ، وظهور الكوليرا في نهاية سنة ١٨٩١ على حوران ، وشرق الأردن حتى البحر الميت ، ومدينة القدس وضواحيها ، ثم نحو الشرق حتى أريحا[١] . . .

وفي بيروت لا يشاهد المرء على سطح الأرض أي أثر قديم ، وحتى إن الأشياء القديمة قليلة جداً . . . في الوقت الذي فيه نجد أن طرابلس المجاورة تشتهر بسوقها الرائعة ، وبناياتها الكثيرة الباقية من عهود الصليبيين ، وهناك محلات وقطاعات في المدينة ذات طابع شرقي .

ولقد خرجنا من بيروت مع قافلة في بداية أيلول سنة ١٨٩١ . فتوجهنا عن طريق شتوره إلى بعلبك ، وكان اهتمامنا منصباً على الأطلال والخرائب القديمة فيها باعتبارها نموذجاً أصيلاً للبنايات المزخرفة في حوران وشرق الأردن ولجميع العصور اليونانية والرومانية لفلسطين بشكل عام »[٢] .

وعن طريق بلدة عاليه ، وشتوره وصل الرحال إلى موالله : « إنها قرية كبيرة فيها دير لليسوعيين ، وتكثر بساتين الكروم على سفوح جبالها ، وهي تنتج أفضل أنواع الخمور في سوريا . ولهذا المكان بالإضافة إلى ذلك تاريخ ثقافي عريق ، وفي الوادي الخصب المحاذي للأودية الصغيرة ، والتلال الحمراء ، والمروج البديعة تنحدر إلى الأسفل وتشاهد الأطلال والخرائب والآثار للعصور القديمة والمتأخرة . . . في كل مكان هنا تجد مجاميع كبيرة من الحقول زرعت بالقمح ، والشعير ، والذرة ، وهناك

---

(١) ن . پ . كونداكوف ، رحلة آثارية في سوريا وفلسطين ، سانت بيترسبورغ ، ١٩٠٤ ، ص ٤٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

مزارع متنوعة وكثيرة للخضار والفواكه . وإن هذا الثراء بدون شك حمل إلى هنا معه بذوراً وبشكل دائم تجسدت في الغزوات والاحتلال »[1] .

ثم زارت البعثة مجموعة من القرى الصغيرة ، وأطلال بعلبك ، وفي المنعرجات والمنعطفات الجبلية انحدروا في الوادي الضيق سورغاي الواقع على علو يقدر بـ ٤٥٠٠ قدم : « كان النهار حاراً وخانقاً في هذا المضيق ، وكانت درجة الحرارة ٣٨° عندما كنا هناك ، أما في الليل فقد انخفضت الحرارة إلى درجة ٧° »[2] .

ثم توجهت البعثة إلى دمشق . كانت دهشة المسافرين شديدة عند رؤ يتهم المسجد الأ موي الذائع الصيت ، وهو أكبر مسجد في دمشق ، وكذلك مسجد الداغر : « كان العمل الأول الذي قاموا به هو التقاط الصور الفوتوغرافية الكبيرة والصغيرة ، الدقيقة المفصلة التي أصبحت لها أهميتها الخاصة كمصدر وثائقي في الوقت الحاضر بعد الحريق الرهيب الذي تهدم القسم الأعظم من المسجد من جرائه ، وكان قد حدث بعد عدة سنوات من زيارتنا »[3] .

ويخلص كونداكوف إلى نتيجة بأن : « جميع أحلامه في اكتشاف خطة البناء المسيحي القديم في الجامع قد باءت بالفشل . وإن المسجد الأموي . . . بناء إسلامي خالص ومتكامل بدون أي شك ، وقد استعمل المعماريون مواد البناء القديمة فقط ، إلاّ أنهم أعادوا بناءه من جديد وفق خطة جديدة »[4] .

ومن دمشق توجهت البعثة إلى حوران .

« ومن القسطل بدأت ليجا وهي عبارة عن تراخونيتيدا[5] القديمة ، فيها طبقة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(٤) المصدر السابق ، ٦٥ .

(٥) تراخونيتيدا ( أو منطقة تراخونيتسكي باللغة الروسية ) وردت في أسطورة يسوع المسيح . وكانت المنطقة المسماة بهذا الاسم تقع بين جبال أنتي لبنان وجبال شبه الجزيرة العربية إلى الجنوب من دمشق . وفي فترة رحلة ن . پ . كونداكوف كانت المنطقة تسمى ليجا . وتشاهد في هذه المنطقة بقايا آثار مدونات كثيرة لعصور الأباطرة الرومانيين .

من اللافا السوداء وهو بمثابة التربة ، وطبقة طينية يحرثون فيها ، ويستغلونها أينما وجدت برغم صغر هذه القطع من الأرض . وأما القرى في المروج التي تظللها الأشجار فتظهر كأنها مداد مسكوب »[1] .

ثم زار المسافرون شرق الأردن ، وقاموا بتنقيبات آثارية في أريحا في رقعة الأرض التي تعود إلى الجمعية الفلسطينية : « إن البستان الذي تمتلكه الجمعية الفلسطينية ، وكذلك البساتين التي تحيط به والصحراء تقع في موقع المدينة القديمة . . . وفي مساحة كبيرة من الأرض تظهر آثار خرائب المنازل والبيوت . . . »[2] .

وبعد مشاهدة ضواحي أريحا سافرت البعثة إلى مدينة القدس .

ولم ترد في الكتاب أية معلومات عن اقتصاد واتنوغرافيا المنطقة ، وكذلك لا يوجد فيه أي نوع من الانطباعات والملاحظات ذات الطابع الاجتماعي أو السياسي .

وكان الاهتمام الأساسي لكونداكوف موجهاً إلى جانب الفن البيزنطي الذي استطاع به أن ينجح في دراسة المجموعات المعقدة جداً للآثار القديمة في القسطنطينية، وآسيا الصغرى ، وسوريا ، وفلسطين ، ومصر ، وشبه جزيرة البلقان ، والقفقاس ، وإيطاليا ، وروسيا[3] .

## رحلة يونكر

يشتهر اسم العالم الروسي الكبير المختص في الدراسات الإفريقية ف . ف . يونكر في نطاق واسع . وفي هذا المجال اننا نشير فقط إلى رحلته في شمال ، وشمال شرق أفريقيا فقط .

عاش يونكر في الفترة بين سنتي ١٨٧٣ - ١٨٧٤ في تونس ، وفي نهاية سنة

---

(١) ن . پ . كونداكوف ، رحلة آثارية إلى سوريا وفلسطين ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٤ ، ص ٧٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٣) ف ، لازاريف ، ن . پ . كونداكوف ، موسكو ، ١٩٢٥ .

١٨٧٥ قام برحلة في صحراء ليبيا ، وفي بداية سنة ١٨٧٦ توجه إلى السودان ، ومن الخرطوم قام برحلة في النيل الأبيض .

وكانت حصيلة رحلته أن دحض يونكر نهائياً الاعتقاد السائد بوجود المجرى القديم لنهر النيل في صحراء ليبيا . واقتنع بأن الواحات الموجودة هنا هي أكثر ارتفاعاً وليس أقل إنخفاضاً من مستوى البحر ، كما كانوا يعتقدون سابقاً . وقد أثبت أيضاً بأن البدو الذين كانوا يقومون برحلاتهم هنا تحولوا إلى حياة الاستقرار والحضارة بالتدريج[١] .

وفي عمل ف . ف . يونكر الذي دونه في ضوء الانطباعات والملاحظات الشخصية الخاصة هناك معلومات قيمة عن جغرافيا ، واتنوغرافيا ، وتاريخ القسم الجنوبي من السودان الشرقية وأوغندة .

وفي الاجتماع الاستثنائي للجمعية الجغرافية الروسية المكرس ليونكر والمنعقد في ٩ نيسان سنة ١٨٨٧ ، خطب پ . پ . سيميونوف : «إنه [يونكر] منذ رحلته الأولى في افريقيا الوسطى التي استمرت في سنة ١٨٧٦ حتى سنة ١٨٧٨ ، . . . ترك لنفسه شهرة واسعة بدراسته توزيع المياه بين الشبكة اليسرى لمنابع النيل الممتدة كالمروحة ، وبين أعالي نهر أوئيل الغامض . . . »[٢] .

وتعرف السائح على الشعوب الكثيرة التي تسكن السودان . واهتم بصورة خاصة بالتكنيك العالي لصناعة الأسلحة ، ودرس معرفة السكان بمزايا المعادن وخواصها . ثم يصف الحالة المزرية السيئة التي تعيشها القبائل الزنجية في ظل سلطة المحتلين الذين « لم يجدوا مخرجاً آخر ، عدا الاغتصاب بطريقة النهب والسلب والحملات التأديبة بأزاء الذين يعادونهم ، أو بعبارة أصح ضد الزنوج الذين يدافعون عن استقلالهم ، فينهب المحتلون منهم قطعان الماشية والغلال »[٣] .

---

(١) إ . إ . بابكوف ، رحلة في أفريقيا ، موسكو ، ١٩٤٩ ؛ م . پ . زابرود سكايا ، الرحالة الروس في أفريقيا ، موسكو ، ١٩٥٥ .

(٢) « أخبار الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية » ، المجلد ٢٣ ، ١٨٨٧ ، ص ٢٤٥ .

(٣) ف . ف . يونكر ، رحلة في أفريقيا ، موسكو ، ١٩٤٩ ، ص ٦٣ .

وكانت دراسات ف . ف . يونكر إضافة كبيرة في حقول الأبحاث الجغرافية لمجموعة من المناطق في شمالي وأواسط أفريقيا .

## رحلة كارتسوف

كان ى . س . كارتسوف في سنوات ١٨٧٩ ـ ١٨٨٦ يعيش في الشرق وهو يشغل منصب سكرتير القنصل العام في القسطنطينية . ثم أشغل منصب القنصل في أدرنة ، والقنصل العام في الموصل . وكانت حصيلة حياته الطويلة في الشرق أن كتب كتاباً[١] وردت فيه فصول لها أهميتها الخاصة وهي مكرسة لوصف الطائفة الكلدانية ، والطائفة اليعقوبية في المناطق الجبلية من الموصل . وبالإضافة إلى ذلك ترك وصفاً مفصلاً لسفرة قام بها من تفليس إلى الموصل عن طريق أرضروم ، وبتليس ، وسعرت ، والجزيرة[٢] .

## رحلة پيتكوڤيچ

أشغل ك . پيتكوڤيچ منصب القنصل العام في بيروت مدة طويلة ، درس المنطقة بصورة جيدة ، وجمع معلومات إحصائية قيمة ثم كتب كتاباً عن لبنان[٣] . وفي الواقع كان هذا الكتاب أول عمل جامع لمؤلف روسي عن لبنان . وردت فيه معلومات وأخبار عن الطبيعة ، والزراعة ، والصناعة ، والسكان . وفي مؤلفه يتطرق المؤلف إلى قضايا التجارة ، والنظام السياسي ، والمالي ، والمعارف الوطنية .

---

(١) ى . كارتسوف ، سبع سنوات في الشرق الأوسط ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٦ .

(٢) « مجموعة المواد الجغرافية والتوپوغراغية والإحصائية عن آسيا » ، النشرة ١٩ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٥ ، ص ٢٧١ ـ ٢٨٤ .

(٣) ك . پيتكوڤيچ ، لبنان واللبنانيون ـ بحوث عن الوضع الحالي لمحافظة لبنان العامة ذات الحكم الذاتي من حيث الوضع الجغرافي والاتنوغرافي والاقتصادي والسياسي والديني ، « مجموعة المواد الجغرافية والتوپوغرافية والإحصائية عن آسيا » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٥ ، ص ٩٧ ـ ٢٧٠ .

# رحلة ييليسييف

زار في نهاية القرن التاسع عشر أحد الرحالة الروس العظام الشرق الأوسط وهو الطبيب اليكساندر ڤاسيلييڤيـچ ييليسييف ( ١٨٥٨ ـ ١٨٩٥ ) . ففي سنة ١٨٨١ زار مصر وفلسطين ، وفي سنة ١٨٨٤ عاد من جديد إلى فلسطين ، ثم توجه إلى تونس وإلى الصحراء الكبرى ، وفي سنة ١٨٨٦ قام برحلة في آسيا الصغرى[١] . وفي سنة ١٨٩٣ حاول الوصول إلى السودان التي كانت بيد المهديين حينذاك ، غير أن قافلته قد نهبت ودمرت ، وفي ظروف شاقة وصعبة استطاع أن يهرب عن طريق الصحراء إلى ضفاف النيل وأن ينجو من الموت .

ترك أ . ڤ . ييليسييف أعمالاً علمية كثيرة . وقد نشر جزء منها في كتب مستقلة ، والجزء الآخر نشر في مجلة « أخبار الجمعية الجغرافية الروسية » ومجلة « المعارف الروسية . ثم دخل القسم الأعظم من أعماله في كتاب « جولة في الدنيا »[٢] . وبالإضافة إلى ذلك هناك أكثر من مائة مقالة مختلفة ومتنوعة لييليسييف وهي معروفة في الأوساط العلمية تعالج المسائل الخاصة والعامة في هذا الموضوع . وكان يهتم بشكل خاص بالانتروپولوجيا ، والاتنوغرافيا ، والجغرافيا .

ولكننا هنا نقف بشكل أكثر تفصيلاً عند رحلاته . زار أ . ڤ . ييليسييف الاسكندرية ، والقاهرة ، وأطلال ممفس ، وبحيرة المنزلة ، وتوجه إلى الشمال بمحاذاة النيل حتى أسيوط . ثم عاد إلى القاهرة ، وعبر بعد ذلك الجزيرة العربية الصخرية وفلسطين ، ثم عاد من يافا بالباخرة إلى روسيا .

أما رحلته الثانية إلى الشرق فقد قام بها أ . ڤ . ييليسييف في كانون الثاني سنة ١٨٨٣ . وكان تأثير منظر تدمير مدينة الاسكندرية من قبل الانكليز منذ فترة وجيزة بالغاً في نفسه . فقد كتب بسخط واستياء : « إن الانطباع الأول عن المدينة الرائعة التي تهدمت أفضل وأجمل قطاعاتها بفعل القصف ، لم يكن لصالح الانكليز

(١) « تاريخ الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية في خمسين سنة » ، القسم ٢ ، ص ٩٥٢ .

(٢) جولة في الدنيا ، أبحاث وخرائط من الرحلات إلى الأقسام الثلاثة للعالم القديم للدكتور أ . ڤ . ييليسييڤ » ، المجلد ١ ـ ٤ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٣ ـ ١٨٩٦ .

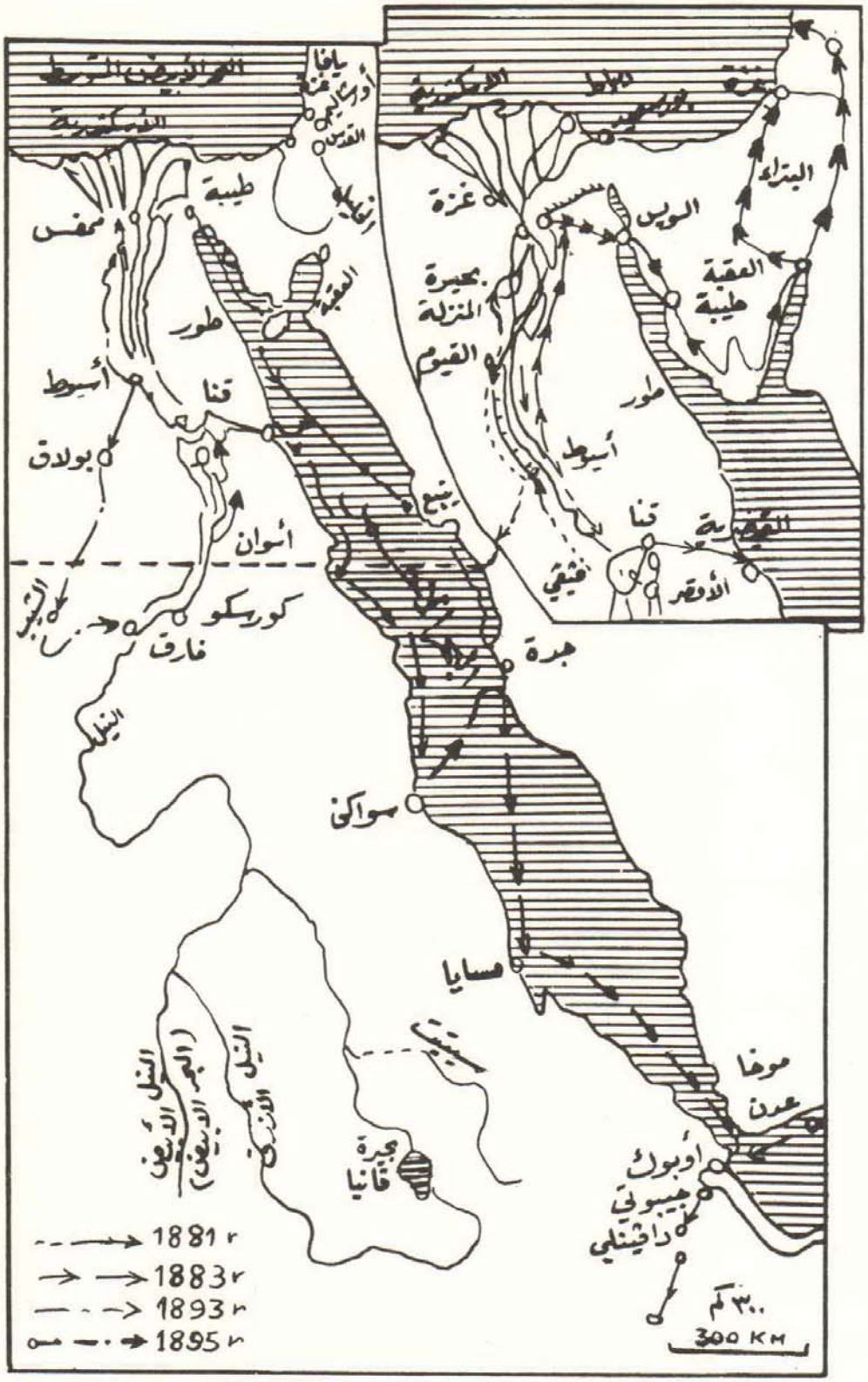


خارطة رحلة أ . ڤ ييليسييڤ في مصر

خط ورسم خالد الخالدي

المتغطرسين الذين يسيرون الآن بفخر في شوارع الاسكندرية . ثم كان التعرف فيما بعد على الأنظمة الجديدة التي يتبعها الذين انتصروا على عرابي پاشا في مصر ، ولا شك أن هذه الأنظمة قد أدت إلى تعميق هذا النفور ، وهكذا أصبحت بسرعة أشارك باخلاص أكثر اعتقاد جميع المصريين الشرفاء الذين يكرهون الانكليز الأدعياء الدخلاء . . .

وكان قصف الاسكندرية قد حول محلات وقطاعات كثيرة فيها إلى كومة من الأحجار والأنقاض ، تناثر فيها الحطام ، وهي مليئة بالغبار والأتربة الكلسية اللاذعة ، وهذا القصف بدون شك هو صفحة عار في تاريخ الأسطول الانكليز الذي قصف بقنابل ثقيلة المدينة غير المحمية »[1] .

وفي هذه الرحلة الثانية التي استغرقت حوالي السنة كان سائحنا قد زار مصر ، وأسوان ، ثم توجه على ظهر باخرة إيطالية إلى سواكن على البحر الأحمر ، وزار مصوّع ، وعدن ، وجدة . ثم توجه إلى فلسطين ، وأخيراً عاد إلى روسيا عن طريق يافا .

وسافر في سنة ١٨٨٤ إلى الشرق مرة أخرى تلبية لطلب من الجمعية الفلسطينية . ففي هذه السفرة كان يتجول بهيئة حاج بسيط ، فقام بدراسة أوضاع وواقع حياة الحجيج الروس في فلسطين ، وبالإضافة إلى ذلك كان يدون ملاحظاته عن الطبيعية ، والسكان ، والمدن[2] .

وسمع أ . ڤ . ييليسييڤ لأول مرة في القاهرة عن أحداث السودان ، وانتفاضة المهدي . وهو يشير بهذا الصدد إلى أن لمصر علاقة طيبة بالتمرد الحاصل في السودان ، أما سوق القاهرة فكانت أفضل مكان يستطيع فيه المرء أن يعرف عن الأحداث اليومية الجارية في السودان ، وذلك ليس من أفواه الأوروپيين الذين هم قليلو الإطلاع في الواقع بل من شهود عيان أنفسهم ، وحتى من الممكن معرفة الأخبار من شخصيات المقامات العليا التي عملت جهودهم في السودان أعمالها . ولقد تنبأ

---

(١) أ . ڤ . ييليسييڤ ، جولة في الدنيا ، المجلد ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٥ ، ص ٩٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٥ ـ ٣٥٩ .

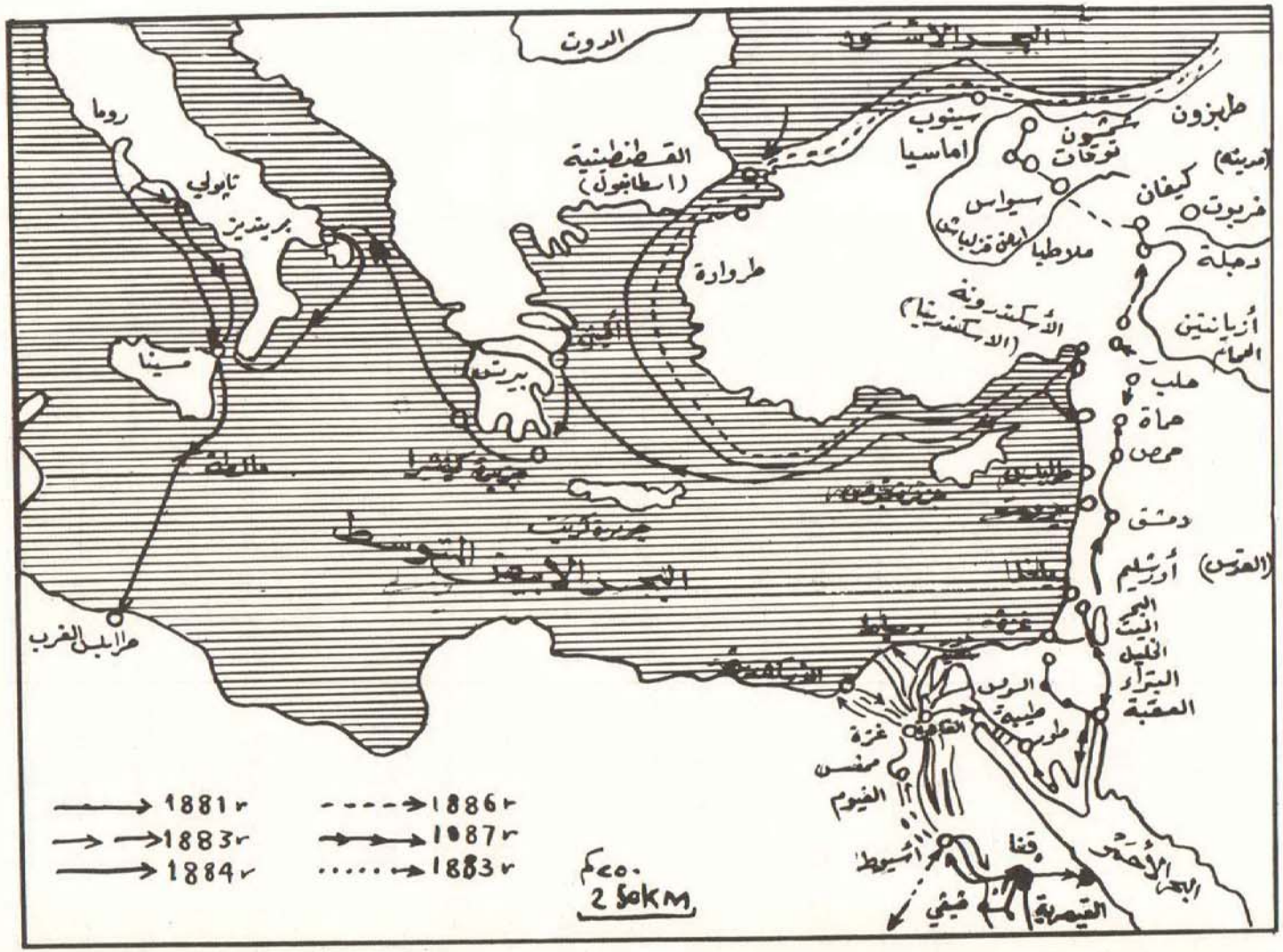


خارطة رحلة أ . ف ييليسييف في الشرق الأوسط

خط ورسم خالد الخالدي

أ . ف . ييليسييف بضخامة الأحداث في ذلك الحين .

أما في سنة ١٨٨٦ فسلك أ . ف . ييليسييف الطريق القديم من روسيا إلى فلسطين . وبذلك تمكن أن يقطع عرضاً جميع أنحاء آسيا الصغرى من الاسكندرونة حتى سامسون[١] .وقد قام بهذه الرحلة باقتراح وتكليف من الجمعية الأرثوذوكسية الفلسطينية لدراسة الطريق القديم الذي سلكه الحجيج الروس في الأزمنة الغابرة . غير أن السلطات القفقاسية نصحته بالتوجه إلى طريق آخر فبدأ ييليسييف رحلته ليس من حدود روسيا وإنما من الاسكندرونة حيث قصدها من باطوم بمحاذاة سواحل البحر الأسود .

وأما السفرة التي كان يحلم بها أ . ف . ييليسييف منذ زمان إلى السودان للالتقاء بالمهديين ، فقد استطاع أن يحققها فقط في سنة ١٨٩٣ . ففي أيلول من هذه السنة ارتدى الملابس العربية ، وصحبه أدلاء ومرشدون أربعة وبطريقة سرية خشية من السلطة الانكليزية خرج من أسيوط عن طريق الصحراء الليبية إلى أم درمان .

وكان أ . ف . ييليسييف مهتماً بحركة المهدي الجبارة ، وهو يقول بأن : « مهدي السودان هو ابن نجار بسيط اسمه محمد أحمد ، دخل في حلبة النشاط السياسي الضخم في آب من سنة ١٨٨١ ، في الفترة التي كانت فيها السودان تعاني الظلم والاضطهاد المصري »[٢] . وبعد وفاة محمد أحمد كتب أ . ف . ييليسييف : « إن مسألة ظهور ومن ثم تطور سلطة المهديين مهم لنا ليس فقط من وجهة النظر السياسية ، بل أهم بكثير وأفضل لدراستها من وجهة نظر الثقافة والحضارة الانسانيتين ، وعملية تطور الدولة الإسلامية الجديدة المرتكزة على أسس جديدة »[٣] .

وفي طريقه كان أ . ف . ييليسييف قد تعرض إلى غارات ونهب من قافلة صغيرة . ويقول المسافر بهذا الصدد : « بالرغم من هذه النهاية المحزنة للمشروع الذي عزمنا على القيام به ، إلاّ أنني لا أرى خلوه من الفائدة نهائياً ، خصوصاً لأهدافي

---

(١) المصدر السابق ؛ المجلد ٣ ، ١٨٩٦ ، ص ٢٦٢ ـ ٣٩٢ .

(٢) « جولة في الدنيا » ، المجلد ٤ ، ١٨٩٨ ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .

التي كنت قد خططت لها . . . ولقد استطعت أن أتجول في صحراء ليبيا . . . وأن أصل إلى المناطق التي يحتلها المهديون ، وأن أعود ليس بسبب نقص في العزم أو المبادرة ، وإنما بسبب عدم إمكانية الاستمرار في التحرك أكثر من ذلك . ورغم ذلك كله استطعت أن أشاهد الجنود المخيفين لخليفة أم درمان ، وأن أرى في الطريق البدو وسكان الواحات وبعض السكان الأصليين الذي يعيشون في السودان ، كما وتهيأت الظروف لي أن أجمع معلومات غزيرة لم ينشرها لحد الآن حتى الانكليز »[1] .

وعندما يلخص نتائج رحلته إلى الشرق الأوسط ، يأتي أ . ف . ييليسييف بملاحظة سارة وممتعة :

« لاحظت في جميع مدن الشرق عن طريق الصدف ابتداءً من القسطنطينية وانتهاء بالرمال الصحراوية المقفرة في شبه الجزيرة العربية ، التغير والتطور نحو الأحسن والأفضل في علاقة المسلمين باسم « الروس » . فالاسم الروسي أو موسكو ( موسقوف ) الذي يسموننا به في الشرق أصبح يعني الإخلاص والرعب للمسلم . فهو في الوقت الحاضر لم يعد يقارن الروسي مع الألماني ، ولا مع الفرنسي ، وكذلك بشكل خاص لا يقارنه مع الانكليزي . عندما كانوا يلتقون بي في أي مكان كان وأنا بملابسي القومية ، كنت أشعر بودهم وصداقتهم ، وكنت أسمع كلمات الترحيب ، وجملاً كاملة بلغة روسية ركيكة ، وكنت لا أحس بوجود أي أثر للعداء . . . والملاحظ أنه حتى في الأيام الأخيرة عند قصف الاسكندرية حينما كان البدو والمصريون يخنقون الأوروبيين ،كانت كلمة واحدة« إنني موسقوف » تنقذ الروسي من الخطر . . .

كانت الحرب ومئات الألوف من الأسرى الذي احتضنتهم موسكو المضيافة ، قد أثرت بدون شك على جميع شرائح السكان في الأمبراطورية العثمانية »[2] .

وأخيراً كان أ . ف . ييليسييف في عمله هذا بخلاف القسم الأكبر من المؤلفين المعاصرين له ، قدّم تثميناً صحيحاً وموضوعياً للأحداث التاريخية . وبالإضافة إلى ذلك وصف عدداً كبيراً من المدن ، وجمع مجموعة عظيمة من المواد والمصادر الأساسية

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

(٢) أ . ف . ييليسييف ، الطريق إلى سيناء في ١٨٨١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٣ ، ص ٢ ـ ٣

عن طبيعة المناطق ، ودرس الحيوانات والنباتات الخاصة بالمنطقة ، وجمع معلومات غزيرة ذات طابع أنتروبولوجي .

وكتب العالم الروسي الكبير د . ن . أنوچين عن ييليسييف في كلمة تأبين له : « خلال سبع عشرة سنة من نشاطه كرحال وكاتب استطاع أ . ف . ييليسييف أن يثري الأدبيات الروسية بعدد كبير من الدراسات الجغرافية والاتنوغرافية ، ويجمع ملاحظات وانطباعات غزيرة في مناطق مختلفة من روسيا والشرق ، وينشر مقالات وملاحظات كثيرة متعلقة بخصائص وواقع الشعوب التي قام بزيارتها ، وقضايا مختلفة ومتنوعة في الجغرافيا ، والطب ، والانتروبولوجيا ، والآثار وما إلى ذلك . . . »[1] .

## رحلة تساگاريلي

سافر الى الشرق في سنة ١٨٨٣ پروفيسور جامعة پيترسبورغ اليكساندر تساگاريلي وذلك لدراسة الآثار الجورجية القديمة . وكان قد زار قبله في سنة ١٨٤٨ لنفس الغرض الآثاري الجورجي پ . إ . يوسيلياني منطقة أيون . ومما لا ريب فيه أن لدراسة الآثار الجورجية القديمة في فلسطين وسيناء أهمية خاصة ، خصوصاً وان علاقة جورجيا بالشرق لها تاريخ طويل يرجع إلى القرون الخالية .

وكانت حصيلة الرحلة التي استمرت من كانون الثاني حتى أيلول سنة ١٨٨٣ أن نشرت الجمعية الارثوذوكسية الفلسطينية كتاباً[2] عرض فيه المؤلف بجانب سرد أحداث السفر المعلومات التاريخية عن علاقة جورجيا بالأرض المقدسة وسيناء ، وورد وصف للآثار الجورجية . ودونت في الملاحق فهارس المخطوطات الجورجية المحفوظة في أديرة فلسطين ، وسيناء ، والمدونات باللغة الجورجية المنقوشة والمثبتة على جدران بعض الأديرة والكنائس .

ووجه تساگاريلي اهتمامه أيضاً الى حياة وواقع السكان المحليين : « إن مساكن

---

(١) د . ن . أنوچين ، عن رجال العلوم والثقافة الروس ، موسكو ، ١٩٥٠ ، ص ١٢٧ .

(٢) أ . ج . تساگاريلي ، الآثار الجورجية القديمة في الأرض المقدسة وسيناء ، مجموعة فلسطين الارثوذوكسية ، المجلد ٤ ، النشرة ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٨ .

الفلاحين الفقراء مبنية من اللبن ، وهي تعاني الأمرين والمصير المؤلم ، أبوابها مفتوحةو على مصاريعها وهي في حالة انحلال، وبدون أية عناية ، ولا يمكن الحصول فيها على أي شيء يمكن أن يُسرق . هذا وينبغي أن نغض النظر في أن المحاصيل المزعومة في مصر تظهر ثلاث مرات ، فأن الفقر بين الفلاحين لا يمكن تصوره »[1] .

## رحلة ماركوف

كان الكاتب ي. ل. ماركوف[2] المختص بالتربية وفيما بعد رئيس الوحدة الزراعية ، والشخصية المصرفية قد قام بعدة رحلات الى ايطاليا ، واليونان ، وتركيا ، والارخبيل ، ومصر ، وفلسطين .

وفي مقالته « أبحاث فلسطينية »[3] قدّم ماركوف لأول مرة بعد ڤاسيلي گريگوروڤيچ- بارسكي وصفاً لمسجد عمر في دمشق الذي لم يزره قبل ذلك أي أحد من غير المسلمين .

ويشير في كتابه « رحلة إلى الشرق » الى : « ان كره المصريين للانكليز حولهم الى أصدقاء حميمين لروسيا ، حيث انني لاحظت أكثر من مرة هذه الظاهرة في أثناء رحلتي الى مصر »[4] .

ويتطرق بأسف شديد الى المصير التعس للفلاحين المصريين الفقراء : « إن القرى المشؤومة للفلاحين تظهر بشكل واطىء إلى حد لا تستطيع أن تشاهدها إلاّ حينما تسير بجوارها . . . وفي الواقع إن مأوى الوحوش أتعس منها بقليل من حيث الملائمة وأسباب الراحة . نعم وهل هي أقل من هذه الصرائف المبنية من الطين والمساكن المحفورة في الأرض ؟ ومع هذا تعيش فيها تلك الأيدي التي لا تكل ولا

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٢) عمل ي. ل. ماركوف في المجلات « البشير الروسي » ، « النشرات الوطنية » ، « بشير أوروبا » ومجلات أخرى . وهو معروف أيضاً بكونه ناقداً ( وهو واحد من الأوائل الذي قيّموا بحق الانتاج الكبير لتولستوي « القازاق » ) .

(٣) « البشير الروسي » ، ١٨٨٨ ، آب ـ أيلول .

(٤) ي. ماركوف ، رحلة الى الشرق ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٠ ، ص ١٧٥ .

تتعب ، والتي شقت جميع هذه القنوات التي لا تعد ولا تحصى ، وحفرت جميع هذه الآبار ، وحرثت وبذرت جميع هذه الحقول ؛ هكذا يعيش الذين يروون مصر بالماء ويحصدون الخير منها ، وهم الذين يقدمون الطعام والشراب الى جميع هؤلاء الباشوات والبكوات الذين تمتلىء الاسكندرية والقاهرة بقصورهم المزخرفة الفاخرة . . .

ولا يمكن للمرء أن يعثر في أي مكان آخر على مثل هذا الترف الجنوني ، والمظاهر التي لا معنى لها كما هي في الوسط الثري المصري الذي وضع تحت يده السلطة والأرض ، ولا يوجد كذلك في أي مكان آخر هذا الذل الحيواني للعمال التعساء ، ومثل هذا التحويل التام الى حيوانات عجماء لنقل الأثقال »[1] .

وبالإضافة الى ذلك ان المؤلف يتكلم عن القسطنطينية بأسلوب سلس بهيج ، عن شوارعها ، ومساجدها ، وقلعتها ذات الأبراج السبعة ، ومقابرها المخصصة للترك . ويصف شوارع ، ومساجد القاهرة ، وملابس الرجال والنساء ، ووادي النيل ، والقصور ، والمراقد ، وسفرته في قناة السويس .

ويخبرنا ماركوف في كتابه الآخر[2] عن رحلته الى فلسطين والمناطق المتاخمة لشواطىء آسيا الصغرى .

## رحلة كوبتيف

يشير الكاتب أ . كوبتيف أيضاً إلى خشونة سيطرة الانكليز المكشوفة في مصر بسخط واستياء :

« منذ اللحظة الأولى من وصولك الى الأراضي المصرية تحس هنا بوجود الانكليز حيث يتجول جنودهم المتغطرسون بملابسهم الرسمية الحمراء ، وقبعاتهم البيضاء الشبيهة بالخوذ الحربية البيروسية ، وفي أيديهم خيزرانة رفيعة وهي من ضرورات ومتطلبات الميزة العسكرية[3] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(٢) ي. ماركوف ، رحلة الى الأرض المقدسة ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٩١ .

(٣) أ. كوبتيف ، مذكرات عن الرحلة الى القسطنطينية والقاهرة والقدس في سنة ١٨٨٧ ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٨٨ ، ص ٤٧ .

## رحلة كيـپـيوس وگيديونوف

قام كل من أ. إ. كيـپيوس ، ود. د. گـيديونوف في سنـة ١٨٨٩ بسفـرة الى أرمينيا التركية ، وكردستان ، وسوريا . وكان الغرض من الرحلة هو تحديد وتعيين المواقع الجغرافية لبعض المراكز في أرمينيا التركية وكردستان . وخـلال ثلاثـة أشهـر ونصف سلكا ثلاثة طرق وزارا فيها المناطق الواقعة بين آق دريا على طريق وان ، وبتليس ، وديار بكر ، وخربوط ، وموش ، وأرضروم ، وأرزنجـان ، وتـوكات ، وسيواس ، وإيـگـين ، وملاطية ، وحلب ، وبين الاسكندرونة ، والمسافة العامة التي قطعاها كانت ٣٠٠٠ فرسخ . وقد تم فيها تحديد خمسين موقعـاً من حيث الوضـع الجغرافي والفلكي في أرمينيا التركية ، وكردستان ، والمناطق الشمالية من سوريا[١] .

وكانت حصيلة هذه الأعمال رسم خمس خرائط للمسافات ، وكانت المعلومات سابقاً عن هذه المنطقة الواسعة ضئيلة جداً ، وبالأخص من حيث وجهة النظر الفلكية الدقيقة الصحيحة[٢] . كما وأنجز وصف لاثني عشرة طريقاً في تقرير كتب عن الرحلة فيما بعد .

## رحلة كوليو باكين

كانت للسفرة التي قام بها أ. كوليوباكين في شمال شرقي تركيا في سنة ١٨٨٥ أهمية كبيرة . فقد ظهـر بعـد الرحلـة كتـاب بعنـوان « نشـاط البعثـات التبشـيرية البروتستـانتية في الأقسـام الشمالية الشرقية من تركيا الآسيوية »[٣] . وردت في هذا العمل معلومات توضح النشاط الكبير الذي كان يمارسه المبشرون الأميريكان في تركيا الآسيوية ، وهو يعرى جذور التوسع الاميريكي في الشرق الاوسط الذي بدأ منذ

---

(١) أ. إ. كيـپيوس ، تقرير عن رحلة سنة ١٨٨٩ ، مجموع الطرق التي سلكها في الرحلة الفلكية المشتركة كل من د. د. گـيديونوف ، وأ. إ. كيـپيوس في ارمينيا التركية ، وكردستان ، وسوريا ، تفليس ، ١٨٩٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١ .

(٣) « نشـاط البعثـات التبشـيرية الـپروتستـانتية في المنطقـة الشمالية الشرقية من تركيا الآسيوية أ. م. كوليوباكين »، تفليس، ١٨٨٨ .

بداية القرن التاسع عشر ، ومن المعلوم أن هذا التوسع قد تطور بشكل أقوى بعد الحرب العالمية الثانية .

ولقد تعرف كوليوباكين شخصياً على نشاط المبشرين الاميريكان ، وأشار الى أن جميع البعثات التبشيرية الأميريكية المؤسسة في تركيا وفارس تعود إلى الجمعية الاميريكية « المجلس الاميريكي لمبشري البعثات الخارجية » التي تأسست في سنة ١٨١٠ في مدينة بوسطن ، وهي ترتكز وتستند على رعاية السفراء الاميريكيين لها في الشرق . وكانت الإدارة العامة للجمعية في القسطنطينية .

وفي ضوء ما جاء في إحصائيات كوليوباكين كانت للبعثة التبشيرية ٣٧٦ مؤسسة للتعليم ، وكان مجموع تلاميذها ١٣ ٤٥٠ تلميذاً ، وتمتلك ٩٨ كنيسة پروتستانتية ، ولها ٤٦ من المبشرين الاميريكان من الرجال ، و٨٣ من المبشرات من النساء ، وأما عدد المبشرين من السكان المحليين فكان ١٩٨ شخصاً .

وبهذه الصورة « استطاع اتحاد البعثات التبشيرية الأميريكية ان يجذب اليه الشخصيات في مجال التربية والدعاية ما يربو على ٩٠٠ شخصاً من الجنسين ، من الأميريكيين والسكان الأصليين »[١] . وكان التعليم في المدارس باللغات الأميريكية ( يقصد الانكليزية ـ م.خ. ) ، والتركية ، والعربية . وكان نوع اللغة المستعملة متوقفاً على اللغة الأكثر انتشاراً في المنطقة . وكان يرأس جميع الحلقات والمدارس الأميريكيون أنفسهم . وكان الهدف الرئيسي للبعثات التبشيرية الأميريكية هو الدعامة للپروتستانتية ، وهذا الهدف هو « ليس الشيء الأساسي فقط وإنما هو الشيء الوحيد تقريباً للمبشرين ، وأما الأعمال التعليمية الأخرى وقيام المدارس فهي عبارة عن وسائل وسبل لتحقيق تلك الغاية » .

وكان أ.م. كوليوباكين أحد مؤلفي الكتاب ذي المجلدات الثمانية الذي يحمل عنوان « مواد للإستعراض الحربي الإحصائي لتركيا الآسيوية » ، وهو عبارة عن بحوث اقتصادية ، وجغرافية للمناطق الممتدة من الحدود الروسية ـ التركية في الشمال

---

(١) المصدر السابق، ص ٥.

عند تقييم الوضع الإقتصادي لعدد من الأقضية يورد كوليوباكين معلومات عن توزيع ملكية الأرض . فعلى سبيل المثال هناك في قضاء خربوط ١ , ٧٤٪ من الأسر من السكان القرويين المسيحيين هم بدون أراضي . وهو يشير في نفس الوقت الى أن المسلمين ( الكرد والترك ) يملكون بنسبة ستة أضعاف ونصف أكثر من الأراضي الصالحة للحرث من الأرمن . في الوقت الذي فيه عدد دور المسلمين أكثر بمرة ونصف مرة فقط من دور الأرمن . وهناك أيضاً مساحات واسعة جداً من الأراضي تعود الى الأغنياء الترك .

وينتهي المؤلف من هذه الاحصائيات الى الإعتقاد بأن : « مجموعة كبيرة من السكان القرويين في قضاء خربوط ما يقارب ٤٠,٠٠٠ شخص من الجنسين لا يملكون أراضيهم الخاصة بهم ، ويجب أن يحسبوا على ما يسمون بالرعية وهم في وضع شبيه بالعبودية الإقطاعية بل أسوأ من ذلك في الواقع » .

ففي هذه الحالة المزرية من الجدير بالإشارة الى أنه عند جمع المحصول ينبغي على الفلاح أن يدفع الاعشار بنسبة ١١,٧٥٪ من المحصول ، وعن ريع ايجار الارض مع ضريبة الارض بنسبة ٥٥ الى ٦٥ ، وعن البذور بنسبة ٩ - ١٠٪ من المحصول ، وهكذا يبقى للفلاح من ١٣,٢٥ الى ٢٤,٢٥٪ من المحصول فقط »[1] .

فالأمثلة المعروضة تشهد بشكل مقنع الى أي حد كان عمل أ.م. كوليوباكين مهماً لتقييم الوضع الإقتصادي في تركيا الآسيوية في نهاية القرن الماضي .

## رحلة پوتياتا

يتطرق د.ف. پوتياتا في عمله الذي كتبه في ضوء المواد المجتمعة لديه وهي حصيلة رحلته الى تركيا[2] إلى نفس القضايا التي وردت في العمل السابق المشار إليه

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٨٥ .

(٢) د.ف. پوتياتا ، مذكرات عن آسيا الصغرى ، « مجموعة المواد والمصادر عن الوضع الجغرافي والتوپوغرافي والإحصائي لآسيا » ، النشرة (٦٦) ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٦ .

حتى طوروس ( الجنوبية ) الكردستانية(*) في الجنوب ، ومن تخوم ايران في الشرق ، والى الخط التقليدي سامسون ـ سيواس ـ ملاطية في الغرب .

وهناك في الكتاب بجانب الوصف الجغرافي المفصل لمناطق متعددة معلومات وملاحظات كثيرة عن التركيب السياسي ، والإداري ، والاتنوغرافي لها . وبهذه المناسبة نورد هنا وصفه لقضاء بالو في ولاية أرضروم : « في الأقسام الجنوبية من القضاء يؤلف الكرد ٨٨٪ من السكان ، وهم في حالة ثقافية وحضارية ضعيفة ، وبسبب صعوبة الوصول الى هذه البلاد الجبلية بقي الكرد هناك متمتعين بقسط وافر من الاستقلال ، وقد حافظوا الى حد بعيد على مستوى تركيبهم العائلي والقبلي ، وفي الواقع لا تدار المنطقة من قبل الموظفين الترك ، وإنما يديرها الشيوخ المتنفذون ورؤ وساء القبائل الكردية الذين أسسوا عدداً كبيراً من الأسر والأفخاذ غير الكبيرة . والطبقة ذات الامتيازات قليلة العدد ، غير أنها قوية بغناها وثرائها ، وبأصلها ومنبتها وتأثيرها على الجماهير . وتستفيد هذه الطبقة بدون أي تكلف من القسم الأعظم من الإيرادات وتستغل بقية السكان الى أقصى حد ، ولا شك بأن هذه الظواهر تعرقل إلى حد كبير ارتفاع مستوى الحياة الإقتصادية في هذه البلاد الغنية . أما إيرادات الخزينة من السكان الكرد في النواحي الست الجنوبية فهي ضئيلة الى حد بعيد . فضريبة الارض وضريبة العشر وهي تدخل في الخزينة لا تزيد عن ٢٠ ـ ٢٥٪ من حيث الحجم ؛ والضرائب عن الأغنام التي تعتبر هناك المصدر الأساسي للإيرادات لا تستقطع كلها وإنما يمكن استحصال نصفها فقط . وهنا في هذا الوضع تبرز مسألة أخرى لها أهميتها هي التجنيد الإجباري ، فالمفروض من الناحية الرسمية على جميع السكان المسلمين في القضاء القيام بالخدمة العسكرية وهي من واجبات الفرد تجاه الدولة ، إلاَّ ان الإدارة المحلية عند تحقيق هذا الأمر المهم تواجه صعوبات كبيرة واعتراضاً شديداً من الجماهير جميعها ، وهي في الواقع القبائل الكردية التي يساندها بصورة طبيعية الأغنياء وأصحاب المال الكبار . »[1] .

---

(*) طوروس الجنوبية الكردستانية : يقصد بها سلسلة « جبال كردستان » الشهيرة المعروفة بالاسم الاغريقي « زاكروس » ( المترجم ) .

(١) أ . م . كوليوباكين ، مواد للإستعراض الحربي الإحصائي لتركيا الآسيوية ، المجلد ٣ ، القسم ١ ، الفصل ٢ ، تفليس ، ١٨٩١ ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

تقريباً . وقد وردت في هذا الكتاب أيضاً معلومات عن نشاط المبشرين الأميريكيين ، وهناك فصل خاص مكرس لشرح أوضاع الأرمن في تركيا الآسيوية .

بدأ پوتياتا رحلته في سنة ١٨٩٥ . توجه من قارص بصحبة عسكري خيال ( جندرمة خيال ) ومترجم الى مدينة وان ، ثم إلى بتليس ، وأرضروم ، وأرزنجان ، فاستمر في سفره عن طريق مرعش وأدنه فوصل إلى مرسين . وبالنظر إلى أن الطريق الذي قطعه كان قد بحث سابقاً ، وسلكه الرحالة الروسي أكثر من مرة لذلك قدّم پوتياتا وصفاً لبعض القطاعات والمجالات المعينة فقط ، وأشار بصورة خاصة إلى الطريق من أرزنجان حتى خربوط خلال هوزات . وعند وصفه لمنطقة أدنه يقدم المؤلف معلومات وأخباراً قيمة عن الوضع الزراعي والصناعي فيها :

« ان الأكثرية الساحقة من سكان الولاية تنتمي إلى طبقة المزارعين ؛ وهناك قسم من المزارعين لا يملكون أي شيء ، فهم يستأجرون الأرض من الملاكين الكبار ، وكذلك يتسلمون منهم البذور ، وأدوات الحراثة ، والحيوانات العاملة ، أما المحصول وبعد القيام بطرح جميع المصاريف يكون بالمناصفة بين المالك والمستأجر . ويمنح الصيف الحار بشكل عام وقتاً قليلاً جداً لحصد الحقول وقطف الثمار ، ونتيجة لذلك ، ووفق العادة المتبعة منذ القديم ، يجذب موسم الحصاد الى هنا جماهير غفيرة من العمال من الولايات الأخرى الذين يكسبون عن كدهم مبالغ كبيرة من النقود . يقولون بأنه يتقاطر من مثل هؤلاء العمال في كل سنة أكثر من عشرة آلاف رجل »[١] . وأن هذه المعلومات تشهد على وجود العلاقات الرأسمالية في نهاية القرن المنصرم في قرى ولاية أدنة .

« ان الصناعة المحلية تنحصر على الأغلب في نسج الأقمشة الخشنة ، واللباد ، والجنفاص ، والسجاد ، والمصنوعات الجلدية ، والسراجة بكميات بحيث تفي بحاجة السكان المحليين فقط . وفي أدنه تم في الوقت الحاضر تأسيس معمل بخاري لحلج الأقطان . كانت تصنع هنا سابقاً منتوجات كتانية ، والجوخ من النوع الجيد جداً ، غير انها كانت غالية الثمن لذلك لم تستطع أن تنافس الإنتاج الأوروبي المستورد »[٢] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣١ .

ثم سافر بوتياتا من مرسين الى سميرنا ( إزمير ) ، وقد وصف بصورة مفصلة جداً الوضع الإقتصادي لولاية أدنه . وهو يشير الى أن في الولاية يطبق نظام المحاصّة بجانب الطاقة العمالية المستأجرة في زراعة الحقول .

## رحلة سميرنوف

لا بد في هذا المجال ذكر الرحلة التي قام بها ك. ن. سميرنوف الى كردستان الشمالية في سنة ١٩٠٤ .

فالسائح يصف بصورة مفصلة الطريق التي قطعها ، وبحيرتي وان ، وأرين ( خيرين ) ، والمدن بايزيد ، وبتليس ، وموش . ويصف المناطق التي تكون الأوضاع الطبيعية فيها ملائمة لتطور الزراعة فيشير الى وادي موش : « التربة طيبة ، والمياه وفيرة ، وهي تخلق الإمكانية لتكون المزروعات في سهل موش أفضل بكثير من المزروعات في المناطق المحيطة بها . فالحقول أحسن بشكل ظاهر ، وقطعان الماشية في وضع أكثر نعمة . . . والفلاحون يزرعون الأرز في سهل موش ، ويبذرون القمح والشعير »[1] . وفي مشارف نفس المدينة تغطى الكروم وبساتين الفواكه سفوح الجبال .

وفي مقالة ك. ن. سميرنوف وردت نبذة عن الكرد من العشيرة المسماة ( زيل ) الرحل منهم والحضر .

## رحلة ايشاييف

نتطرق هنا بأيجاز الى الرحلات المشهورة عندنا إلى مكة والمدينة ، وأهميتها تنحصر في أنه ليست لدينا شواهد مكتوبة عن الزيارات الكثيرة التي قام بها مسلمو روسيا لهاتين المدينتين .

---

(١) ك. ن. سميرنوف ، رحلة في كردستان الشمالية في سنة ١٩٠٤ ، « أخبار الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية ـ قسم القفقاس » ، المجلد ١٧ ، العدد ٤ ، ١٩٠٤ ، ص ٢٩٧ .

كان الموظف المسلم في القنصلية الروسية في جدة ش. ايشاييف قد قام برحلة من جدة الى مكة في نيسان سنة ١٨٩٥[١] .

يصف ايشاييف الكعبة ( بيت الله ) بشكل مطول وهو أقدس مكان في مكة .

« لقد ثبت الحجر الأسود المشهور في الزاوية الشرقية من الجدار ، وهو أقدس شيء في بيت الله . وموقعه في الجدار في علو بحيث يكون باستطاعة المرء تقبيله . . . ويستقر الحجر من الأعلى والجوانب في طوق من الفضة ، ويظهر جزء منه فقط وذلك لتقبيله من قبل الحجاج ، وأما تحديد حجمه فليس بالإمكان . . . وتُغطى جدران بناء بيت الله من جميع أطرافها عادة بقماش حريري سميك في اللون الأسود . وكتبت في الغطاء كلمات باللغة العربية تتعلق بالعقائد الأساسية الإسلامية بطريقة التطريز . . . لا اله الاّ الله ، محمد رسول الله . . ويهيأ في كل سنة غطاء جديد بأمر من السلطان العثماني »[٢] .

أما المنظر الداخلي لبيت الله فهو شيء فريد من نوعه :

« تقف في الجانب الأيسر من المدخل وعند الباب تماماً منضدة خشبية متوسطة الحجم وبسيطة جداً ، وهي عارية وغير مغطاة بأي غطاء، يستقر عليها مفتاح فضي كبير . والحاج حر في اسلوب استعماله والتبرك به ، يستطيع أن يضعه على صدره أو يقبله . أما أجرة هذه المراسيم فتحددها رغبة وكرم الحاج نفسه . . . أما الدخول الى حرم بيت الله فليس من الأمور السهلة، وهو ليس في متناول جميع الحجاج في كل الأحوال . ويفتح باب البيت في موسم الحج فقط ، وكذلك في أوقات معينة في النهار ، والدخول الى هناك يكلف مالاً ونقوداً غير قليلة . ومع ذلك إذا وجدت الرغبة للدخول فمن الممكن في أي وقت يشاء الحاج وبتوصية خاصة مسبقة أن يشبع رغبته غير أن الدخول في متناول الشخصيات الغنية جداً فقط ، وهو يحتاج الى كثير من الجهد والعناء ومصاريف غير اعتيادية »[٣] .

---

(١) ش. إيشاييڤ ، مكة ـ المدينة المقدسة عند المسلمين . حكاية حاج ، « بشير آسيا الوسطى » ، ١٨٩٦ ، طاشقند ، تشرين الثاني ـ كانون الأول .

(٢) المصدر السابق ، كانون الأول ، ص ٥٥ ـ ٥٦ .

(٣) المصدر السابق، ص ٥٧ ـ ٥٨ .

ويعتبر ماء بئر زمزم من الأشياء المقدسة و« يجلب الى منازل الحجاج الأغنياء . . . ، فالشيوخ الذين يديرون البئر ويقبضون النقود يرضون بكل ما يدفع لهم ، ولا توجد هناك أية تسعيرة »[1] .

وزار إيشاييف السوق أيضاً : « هناك سوق خاص بتجارة الرقيق في وسط السوق المركزي بالقرب من بيت الله، وهو يتألف من قسمين غير كبيرين . تجلس الجاريات وأولادهن بشكل اعتيادي على الكراسي ، أما العبيد فهم يجلسون على الأرض مباشرة . وينتمي هؤلاء الناس التعساء الى العرق الأسود والأصفر ؛ أما من أين يؤتى بهم الى هنا ، فأنني لا أعرف عنه بالضبط أي شيء ، وأما ثمن العبيد بصورة عامة فليس غالياً »[2] .

## رحلة إدوارد نولدي

زار نجد الموظف لدى روسيا في سنة ١٨٩٢ إدوارد نولدي وهو الماني من ساحل البلطيق . وقد توجه عن طريق بيروت ودمشق الى حائل ، وزار مخيم مشيخة ابن رشيد في شمالي الرياض ، ثم توجه الى طرابزون عن طريق العراق ( كربلاء ـ بغداد ـ الموصل ) ، والأناضول الشرقية ( بتليس ، وأرضروم ، وبايبورت ) . ولمذكراته أهمية كبيرة جداً ، يشير فيها إلى الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية ، وزيارته لمخيم مشيخه ابن رشيد ( صاحب احدى المناطق في جبل شمر وكان يعادي السعوديين )[3] .

## رحلة داڤليتشين

زار الحجاز النقيب الركن داڤليتشين في سنة ١٨٩٨ . ونشر فيما بعد تقريراً عن سفرته ، وفيه أورد معلومات وأخباراً مهمة غير قليلة .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٣) Reise nach Innerarabien, Kurdistan und Armenien von baron Eduard Nolde, 1892, Braunschweig, 1895.

فهو يشير على سبيل المثال الى أن : « سلطة الحكومة التركية كانت ولا تزال حتى في الوقت الحاضر تعتمد على القوى المسلحة فقط ، فالسلطة هذه موجودة فقط في المواقع التي تتعسكر فيها القوات . وبتعبير آخر أن الترك يملكون المدن فقط ، ويسيطرون على الطريق بين مكة وجدة بشكل أو بآخر، وهي تدار بوظاتف خاصة . . . ولم ينظم الترك خلال الأربعة قرون التي تملكوا فيها الحجاز أية علاقة بينهم وبين السكان الأصليين، ولم يستطيعوا تهدئتهم أو التأثير فيهم من الناحية الثقافية . والعلاقة بقيت بين الجانبين بدون ثقة وفي عداء مستمر . . . وتتميز السلطة الإدارية في أكثر الأحوال بالرياء ، والتعسف ، والجور ، أما عمليات القوات المسلحة فكانت على الدوام غير حاسمة وغير متواصلة ، ولهذا السبب كان البدو لا يخشون السلطة ولا يكنون لها الاحترام الواجب »[1] .

أما عن أعمال ومشاغل سكان مكه فيمكن إيجازها بكلمتين « يعيشون على الحجاج »[2] .

وعن تجارة الرقيق يقول : « ان العبيد الذين يباعون في الحجاز ينتمون إلى قوميتين لا غيرهما وهما : الزنوج السود للغاية وهم من السودان ، ويعتبرون أفضل العمال ويسعى الناس لامتلاكهم رجالاً ونساءً على السواء لاغراض العمل فقط ، وأما العبيد الأكثر بياضاً من الأحباش فيتم شراء النساء لاستخدامهن كعشيقات . . . سمعتُ بأن عدد العبيد الذين قاموا ببيعهم وصل الى ٢٠٠٠ شخص . . وفي مكة والمدينة لا يوجد بيت لا يضم عبداً أو جارية من الذين يقومون بجميع الأعمال المنزلية . . . وتعتمد القبائل الرحالة في الواقع على جهود العبيد في أعمالها الشاقة . . . وعند زيارتي لهذا المكان رأيت فيه ثمانين شخصاً كان أكثرهم من النساء الحبشيات الشابات »[3] .

ودرس داقليتشين الحج وأثره في مسلمي روسيا بصورة دقيقة وعميقة ، وقد

---

(١) « تقرير النقيب الركن داقليتشين عن بعثته الى الحجاز » ، سانت بيترسبورغ ، ١٨٩٩ ، ص ١١ - ١٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٥ - ٤٧ .

توصل الى استنتاج يتلخص في أنه ليس للحج أية أهمية سياسية للتقريب بين المسلمين الذين ينتمون الى شعوب مختلفة .

## رحلة نيكولسكي

هناك معلومات غزيرة في تقرير القائم بالأعمال في القنصلية في جدة م. نيكولسكي تشير الى أنه يزور مكة في السنة الواحدة عدد يتراوح بين ثمانين ألف ومأتى الف حاج ؛ و« الاندونيسيون هم أغنى هؤلاء الحجاج ، ويليهم الحجاج القادمون من روسيا ومصر . وأما أفقر الحجاج فهم الهنود. . . » وفي مذكراته نجد معلومات أخرى :

« وصل ما مجموعه سبعة وستين الف شخص في موسم الحج لسنة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ عن طريق ميناء جدة وينبع ؛ أما المجموع العام للحجاج الذين زاروا مكة في هذه السنة فيقدر بين مائة وخمسين الفاً ومأتي الف شخص . وتعتبر هذه العناصر الوافدة جميعها مستهلكاً كبيراً للبضائع والسلع وذلك على الرغم من أن الكثير من الحجاج يجلبون معهم الى مكة أيضاً بضائعهم الخاصة لبيعها هناك . ويبيعون أيضاً عند انتهاء موسم الحج أو في حالة الشحة والنقص في نقودهم قسماً لا يستهان به من الممتلكات الشخصية التي يحملونها »[1] .

## محاضرة بيركينهايم

وردت معلومات قيمة عن الشرق الأوسط في المحاضرة التي ألقاها أ.م. بيركينهايم في كانون الأول سنة ١٨٩٤ في قسم الجغرافيا من جمعية محبي العلوم الطبيعية .

كان اهتمام المحاضر كبيراً بشكل خاص بنظام زراعة الأرض ، والعلاقات العقارية السائدة عند البدو ، والوضع الزراعي عندهم .

ويشير بيركينهايم الى أن البدو الرعاة لا يعرفون الملكية الخاصة للأرض .

(١) « مجموعة التقارير القنصلية ، النشرة ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٦ ، ص ٤ ـ ٥ .

ويؤكد أن : « مجال تنقل البدو في كل قبيلة يكون منطقة معينة فقط ، وعملهم هذا معترف به وهو شيء طبيعي ، وهم لا ينتقلون الى البقاع المخصصة لرحلات القبائل الأخرى »[١] ، وهذا يؤدي بدون شك وبصورة تدريجية الى التحول الى شكل من أشكال الحياة الحضرية . ففي سوريا على سبيل المثال غالباً ما يشاهد المرء المزارعين الذين يعيشون حياة شبه رحالة : « ويمكن الالتقاء في كافة انحاء الجولان وبالقرب منها بقرى كاملة من خيام البدو ، وهم يبذرون الغلال حول هذه المحطات والمراكز الموقتة ، ثم يتركونها بعد الحصاد مباشرة ، ويتحركون مع قطعانهم الى مكان آخر »[٢] .

ولا شك أن العمل غير الكبير الذي كتبه أ.م. بيركينهايم لم يفقد أهميته لحد الآن . ومن شأنه أن يكون مصدراً مفيداً لدراسة نشوء وتطور ملكية الأرض في سوريا .

## رحلة كلينگين

خرجت بعثة روسية الى الشرق برئاسة المفتش في العقارات الإقطاعية في القفقاس إ.ن. كلينگين في ٢٠ شباط سنة ١٨٩٥ لغرض دراسة الشؤون المتعلقة بزراعة الشاي . وكان ضمن البعثة موظفو ديوان العقارات الإقطاعية وبروفيسور جامعة خاركوف أ.ن. كراسنوف .

كان إيڤان نيكولاييڤيچ كلينگين (١٨٥١ - ١٩٢٢) أحد المهندسين الزراعيين الروس البارزين في نهاية القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ، وهو مختص في نباتات المنطقة الاستوائية . يرتبط باسمه تطور دراسة وزراعة الشاي في ما وراء القفقاس .

وكانت حصيلة رحلته الى الشرق أن ظهر للمؤلف إ.ن كلينگين كتاب يقع في ثلاثة مجلدات[٣] ، وقد كتبه في ضوء الإنطباعات والملاحظات الشخصية ، واستند

---

(١) أ.م. بيركينهايم ، الوضع الزراعي في سوريا وفلسطين في الوقت الحاضر ، موسكو ، ١٨٩٧ ، ص ٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦ .

(٣) إ.ن. كلينگين ، عند النظام الزراعي القديم ، شعوب الشرقين الأدنى والأقصى ، القسم ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٨ .

كذلك على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع والأدبيات المدونة .

ففي المجلد الأول المخصص لمصر ، يقدم المؤلف عرضاً موجزاً عن تكوين الأرض ، والمناخ ، والتربة ، والنباتات ، والزراعة . وفي الكتاب فصل خاص مكرس لنشاط الانسان في إصلاح وتحويل الطبيعة في حوض نهر النيل . أما الفصل الذي يتطرق الى مصر في أيامه في الكتاب فله أهمية كبيرة جداً ، حيث يتم فيه توضيح عن ممتلكات الفلاحين ، ودور الملكية الكبيرة للأرض[1] .

ويقول كلينكين عن القسم البائس التعس من الفلاح المصري : « من الممكن أن نقول بشجاعة متناهية بأنه في الوقت الحاضر ، وبعد مرور ثلاثة آلاف سنة على عهود الفراعنة الكسالى لم يتحول الشعب إلى حياة أفضل . فالوضع لم يتغير ولا زال كما كان سابقاً ، فهو يكدح كالسمكة في الماء المتجمد ، تنتهك قواه في سبيل الحصول على قطعة من الخبز له ولاولاده من الوحوش المفترسة التي لا رحمة في قلوبها »[2] .

ويقول كلينكين : « ان المستعمرين الإنكليز المسيطرين على الموقف يشددون في الحكم ، ويعمقون الوضع السيء الشاق الذي يعيش فيه الشعب . فالأساطيل الإنكليزية والبواخر لا تعد ولا تحصى ، والجندرمة الإنكليزية في المرافىء ، والقوات الانكليزية في القلاع والحصون ، والمدراء الانكليز للمدارس ، والوزراء الذين نصبهم الانكليز . . . والأهم في هذه كلها الرأسماليون الانكليز الكبار والمرابون الذين أغرقوا مصر بعددهم الهائل الكبير بمساعدة الجيش المسلح الذي يعيش حياة غريبة على حساب العملاء الموالين لهم ، إن هؤلاء وأولئك يساندون بثبات كل شيء يتعلق بـ « المصالح الانكليزية » ، وهم يوسعون « اجراءات الضمان » و« مناطق النفوذ » ، ونتيجة لهذه الظاهرة نجد الفقراء من الفلاحين الذين يلبسون الصنادل وهم نصف عراة ونصف جياع ينتظرون من السماء أن تريهم الفواجع والكوارث قريباً . . . »[3]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٦٤ ـ ٤٣٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤١٠ .

إن ضيق الأفق الطبقي الذي يمتاز به كلينگين جعله أن لا يرى إمكانية استثمار الثروات الطبيعية الضخمة في أعالي النيل إلاّ تحت إشراف الأوروبيين . وهو يعتقد أيضاً بأن الشعوب ذات البشرة السوداء في بلاد أعالي النيل يمكنها أن تنهض وتنتعش بمساعدة العبقرية الأوروبية .

وهو يكتب بسذاجة متناهية عن مستقبل السودان : « ان العلماء الأورپيين ، والمهندسين الأوروبيين ، والمهندسين الزراعيين يفتحون لها الآن باباً كبيراً ، ويجلبون مكائنهم بطريق السكك الحديدية الهادئة ، وتتحرر السودان من السبات الطويل الذي لا نهاية له »[1] .

ومع ذلك يعتقد كلينگين بأنه : « سيأتي اليوم الذي تكون فيه جميع هذه الأشياء للشعب ، يقف الشعب هنا ولا يطأطىء رأسه أمام وحشية الأجانب ؛ وهم يتعلمون شيئاً فشيئاً أساليب الدفاع عن حقوقهم ، وهم سيكونون أحراراً ، وانهم يبنون بجهودهم المشتركة وطناً عظيماً ورائعاً »[2] .

## رحلة كراسنوف

كان يصاحب إ. كلينگين في البعثة بروفيسور جامعة خاركوف أ.ن. كراسنوف (١٨٦٢ ـ ١٩١٤)، وكان مستخدماً في مجلة « علم زراعة الأرض » التي كان يصدرها د.ن. أنوچين . عين كراسنوف فيما بعد مديراً لحقول النباتات التجريبية في مدينة باطوم .

كان أ.ن. كراسنوف عالم النبات والجغرافي الشهير ، تلميذ العالم المختص الروسي الأشهر في النبات د.ن. بيكيتوف . دافع عن رسالته في سنة ١٨٩٤ فأصبح أول من يحمل لقب الدكتور في العلوم الجغرافية في روسيا . كما أن أ.ن. كراسنوف هو مؤلف أول كتاب جامعي روسي في موضوع علم النبات والزراعة . ففي مخلفاته العلمية الضخمة أكثر من ثلاثمائة عمل مطبوع . وكان كراسنوف رحالاً وسائحاً لا

(١) المصدر السابق، ص ٤٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٤١١.

يعتريه التعب . فقد زار وأقام في مناطق كثيرة جداً في روسيا ، ومجموعة من البلدان الأوروبية ، والقسم الشرقي والجنوبي من آسيا ، وأفريقيا ، وأميريكا الوسطى والشمالية .

وبعد انتهاء أعمال البعثة مباشرة نشر أ. ن. كراسنوف كتاباً يعرض فيه الرسائل التي هيأها المؤلف عن رحلته حول العالم[1] والتي نشرها سابقاً في مجلة « الاسبوع » .

هناك أربع رسائل مخصصة للشرق الأوسط .

ففي رسالة له من القسطنطينية فيها كثير من الإنطباعات الجديدة ، والأفكار الحديثة ، يصف بشكل رائع القسم الآسيوي من المدينة ، حيث الشارع ليس فقط وسيلة للحركة ، وإنما هو الحياة نفسها : « هنا يأكلون ، وهنا يناقشون الأمور ويتعرف بعضهم على بعض . . .

هنا في القسطنطينية بجانب الطربوش الأحمر التركي يظهر غطاء الرأس القفقاسي المصنوع من الفرو ، والزي المدني التركي الى جانب الاردية السوداء للارمن ، والرؤوس المحلوقة التي ترتدي الطاقية ، والقبعة الأوروبية »[2] .

وفي رسالة أخرى له يصف صحراء مصر : « مصر بلد التناقضات ، هناك صور للخفة والنشاط المتناهيين ومقاليد الحياة النشطة بجانب مناظر الأموات في مملكة الفناء ؛ هنا توجد مناطق تسود فيها الرياح السمومية وأشعة الشمس المحرقة ، وغالباً ما تتحول هذه المظاهر بصورة فجائية إلى نشاط مياه نهر النيل الذي يمنح الحياة .

والمنطقة التي تطورت فيها ولا تزال توجد فيها حتى الآن تلك الحياة التي يمكن القول بأنها خلقت الأسس الرئيسية لحضارتنا هي في الواقع عبارة عن شريط ضيق تحصره الصحراء الميتة ، وان مصر بثقافتها الحية بكل ما في هذه الكلمة من المعاني هي عطاء نهر النيل. . . »[3] .

---

(١) أ. ن. كراسنوف، من مهد الحضارة، رسائل من رحلة حول العالم، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢١ ـ ٢٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

وفي الرسالة التي تحمل عنوان « في ضيافة الفلاحين » يقول أ. ن. كراسنوف :

« . . . غير أنه مهما كانت هناك الراحة والسعادة في الطبيعة التي تحيط بالفلاح ، انني لا أسمي وجوده الواقعي سعيداً . فغياب الحاجيات والأمتعة ، والأدوات المنزلية ، والزينة والكماليات الأولية والراحة ، ليست من أسباب الإنتفاع بالنسبة له . تكلموا ولو بشكل مختصر جداً مع الفلاحين الذين يعيشون هنا ، فأنكم تعرفون حينئذ بأنه ضحية للضرائب القاسية ، في حين أن ثقل هذه الضرائب لا ينحصر فقط في المبلغ الواجب دفعه ، وإنما في عدم صحة الطريقة التي يتم بها الجمع ، والجشاعة التي تستخدم في الجباية . وليس من قبيل الصدف إذا كان هنا حكام يريدون تشبيه الشعب بالخلية التي كلما يقوم المرء بعصرها بصورة أقوى كلما يسيل منها رحيق أكثر . وأن نظام الضغط على الشعب وسرقة كل ما يملكه ، هو النظام السائد في الإدارة هنا تماماً »[1] .

وكان أ. ن. كراسنوف كديموقراطي في آرائه وأفكاره ينظر الى الرجل المظلوم بشعور ملؤه العطف والحنان : « انك تحزن عندما تشاهد بأن هذه الأمة التي أعطت هذا القدر الكبير الى الحضارة الإنسانية ، وخلقت هذا القدر من الإنتاج الفني ، واكتشفت هذا القدر من الحقائق العلمية ، وقعت الى هذا الدرك بحيث يكون بعثها في الوقت الحاضر ليس بالإمكان بأي شكل من الأشكال ومستحيلاً . إن هذه الأمة ستنهض ، لأن الأمة التي بنت الأهرام للفراعنة ، والمساجد والمنائر للحكام المسلمين ، تستطيع بنفس الطريقة أن تصنع المكائن ، وأن تعمل في المعامل ، وأن تسفك دمائها في سبيل ردع مطامع ابناء أوروبا التي يخيم الضباب على سمائها »[2]

## رحلة الأميرة شيرباتوڤا

ذكرنا سابقاً عن رحلة قام بها إلى الشرق الأوسط دوختوروڤ بصدد الخيول العربية الأصيلة . ولنفس الغرض قامت الأميرة أو. أ. شيرباتوڤا بصحبة عدد من

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٧ .

الأصحاب والمرافقين برحلتين الى الشرق في سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩٠٠ . ففي سنة ١٨٨٨ زارت القاهرة ، وبيروت ، ودمشق . ثم توجهت من هنا بصحبة القوافل الى دير الزور على الفرات خلال جبال لبنان ، ووادي البقاع . ولم تستمر الرحلة فيما بعد لأن السلطات التركية منعت البعثة من السفر ، فاضطرت ان تعود الى دمشق . وفي الرحلة الثانية في سنة ١٩٠٠ زارت شيرباتوفا دمشق، وبلاد ما بين النهرين الشمالية بصحبة زوجها مالك الخيول الأمير شيرباتوف .

وزارت أو. أ. شيرباتوفا وأصحابها أثناء الرحلة جماعات من القبائل الرحالة من البدو . وهي تشير الى أن كرمهم في الضيافة كان بلا حدود . وقد قطع الرحالة مسافة ٢٦٠٠ فرسخاً ركوباً بصحبة القافلة . ولا شك بأن لمذكرات شيرباتوفا أهمية كبيرة لما تضمنته من جوانب الحياة البيتية والإجتماعية الدقيقة في حياة البدو[١] .

## رحلة شيلكوڤنيكوف

كان ضابط الأركان العامة ب . إ. شيلكوڤنيكوف قد أرسل في سنة ١٩٠٢ ببعثة الى ولايات ما بين النهرين التركية . وبعد انتهاء الرحلة وضع كتاباً مهماً جداً يتضمن أخباراً ومعلومات مفيدة غير قليلة عن الوضع السياسي في ذلك الوقت في بلاد ما بين النهرين وفي منطقة الخليج الفارسي[٢] ( يقصد الخليج العربي - م.خ. )

يؤكد ب. إ. شيلكو ڤنيكوف بصدق بأن انكلترة استطاعت عن طريق « الإدارة الطويلة والعلاقات القوية في البلاد ، وهي قضية لها أهميتها الكبيرة للغاية بالنسبة لها أن تكون قيماً عليها ، وتسيطر من الناحية الإقتصادية على الأسواق ، وتقوى هيبة سياستها بين القبائل التي تسكنها . . . وأن الوضع الذي تحتله انكلترة في بلاد ما بين النهرين له علاقة قوية ومباشرة بالسيطرة الحقيقية على خليج فارس ( يقصد

---

(١) أو. أ. شيرباتوڤا ، رحلة الى مناطق البدو ركوبا (على ظهور الدواب) بحثاً عن الخيول العربية الأصيلة (٢٦٠٠ فرسخ في الصحارى العربية في سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩٠٠)، سانت پيترسبورغ، ١٩٠٣ .

(٢) ب. شيلكوڤنيكوڤ ، القوات ومنطقة الفيلق العسكري السادس ( ولايات بغداد ، والموصل ، والبصرة ) ، تقرير عن البعثة الى بلاد ما بين النهرين في سنتي ١٩٠٢ - ١٩٠٣ ، المجلد ١ ، القسم ١ و٣، تفليس، ١٩٠٤ .

الخليج العربي - م.خ. ) وبلاد فارس الجنوبية. . .[1] » .

وفي ضوء المصادر والأدبيات المدونة ، والملاحظات ، والإنطباعات الشخصية وضع شيلكو ڤنيكوف وصفاً للقبائل ، وأوضاع استغلال الأرض ، وملكية العقارات ، ونظام الري في أيامه .

ويتطرق شيلكو ڤنيكوف الى التركيب القومي في الولايات الثلاث في بلاد ما بين النهرين ، ويقول بأن الترك يشكلون « الأقلية،ويكاد المرء أن لا يشعر بوجودهم بين شرائح السكان » . وهو يشير في كتابه الى أن عدد سكان الولايات الثلاث يبلغ ٣٤٠٠ شخص ، منها حوالي ١١٠٠ من القبائل الرحالة . أما عن القبائل العربية والكردية الرحالة المستقلة فهناك فصل خاص في الكتاب مكرس لهذا الموضوع .

والفصل الختامي من الكتاب مخصص لتاريخ قضية سكة حديد بغداد .

## رحلة سميونوڤ
## و
## سكة حديد بغداد

كان ڤ.پ . سيميونوڤ قد قام برحلة خاصة الى تركيا في نهاية سنة ١٩٠١ لدراسة خط سكة حديد بغداد . وكانت حصيلة رحلته الكتاب الذي قدّم فيه تشخيصاً مضبوطاً ودقيقاً لتاريخ بناء الطرق الحديدية في آسيا الصغرى ، ويصف فيه الوضع الذي كانت عليه شبكة خطوط السكك الحديدية التركية في ذلك الحين .

## رحلة مار وجاڤاخوڤ
## وڤاسيلييڤ

من الضروري أن نقف بايجاز عند رحلات مجموعة من العلماء المستشرقين الروس الى الشرق الأوسط في بداية القرن العشرين ، ولا شك بأن اسماء هؤلاء قد

(١) المصدر السابق، القسم ٣، ص ٤.

دخلت فيما بعد في تاريخ العلم الروسي والسوفياتي .

ففي سنة ١٩٠٢ توجهت بعثة الى سيناء كان في ضمنها كل من ن.ي. مار ، وإ.أ. جافاخوف ، والمختص في الدراسات البيزنطية أ.أ. فاسيلييف . وكانت البعثة من تنظيم وإشراف كل من جامعة پيترسبورغ ، والقسم الشرقي في الجمعية الآثارية ، والجمعية الفلسطينية[١] .

وكان ن.ي. مار قد ألقى تقريراً عن نتائج البعثة في ٢٧ شباط سنة ١٩٠٣ في القسم الشرقي من الجمعية الآثارية ، ونشر التقرير فيما بعد بعنوان « تقرير تمهيدي عن الأعمال التي أنجزت في سيناء بمعونة إ.أ. جافاخوف ، وفي مدينة القدس في رحلة سنة ١٩٠٢ ( نيسان ـ تشرين الثاني )[٢] » .

## رحلة بارتولد

توجه ڤ.ف. بارتولد الى القاهرة والقسطنطينية في سنة ١٩٠٦ ، وكان في ذلك الوقت استاذاً في جامعة پيترسبورغ ، وفي سنة ١٩١٢ تقرر تعينه عضواً في الأكاديمية . وكان سفره في الأساس لغرض دراسة بعض المخطوطات المحلية التي تم العثور عليها . وحصيلة الرحلة تركزت في نشر مقالة « عن بعض المخطوطات الشرقية في مكتبات القسطنطينية والقاهرة »[٣] .

## رحلة گوردليڤسكي

كان الإختصاصي البارز في الدراسات التركية ، والعضو الأصيل منذ سنة ١٩٤٦ في أكاديمية العلوم السوفياتية ڤلاديمير اليكساندروڤيچ گوردليڤسكي (١٨٧٦ ـ ١٩٥٦) قد عاش في تركيا في سنوات ١٩٠٤ ـ ١٩٠٨ . وكتب أثناء إقامته في البلاد

(١) ڤ.ف. بارتولد، تاريخ دراسة الشرق في أوروبا وروسيا ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٢٥ ، ص ٢٩٠ .

(٢) نشرة الجمعية الفلسطينية ، المجلد ١٤ ، القسم ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٣ ، ص ١ ـ ٥١ .

(٣) «مجلة الجمعية الآثارية للامبراوطورية الروسية ـ القسم الشرقي»، المجلد ١٨ ، النشرة ٤ ، سانت پيترسبورغ، ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ ، ص ١١٥ ـ ١٥٤ .

مجموعة من الكتب ، والمقالات ، والملاحظات . غير أننا في هذا المجال نشير إلى بعض من أعماله المدونة في ضوء انطباعاته الجديدة فقط . ومن أعماله هذه يظهر « ڤ.أ. گوردليڤسكي كرحال ، وباحث مستطلع ، استطاع أن يوضح ببساطة وبأسلوب بديع ومفهوم طائفة من الآراء والمفاهيم المختلفة عن تركيا في مقالات صغيرة ، جمع فيها جانباً من المواد والمعلومات المهمة الطريفة جداً المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية في البلاد ، والنظام الحكومي وبالقضايا المتعلقة بالاتنوغرافيا ، والدراسات الأدبية ، والدينية ، والفلسفية ، والتاريخية ، والثقافية ، والقضايا المختلفة الأخرى في تركيا القديمة والحديثة »[1] .

تلقى ڤ . أ . گوردليڤسكي تعليمه العالي في الصفوف الخاصة في معهد لازاريڤ للغات الشرقية . وبعد إنهاء دراسته في المعهد عاد إلى الدراسة في كلية التاريخ والدراسات اللغوية في جامعة موسكو . وفي أثناء بعثته إلى الشرق في سنة ١٩٠٤ زار القسطنطينية ، وقونية ، ودمشق .وكان ينشر في هذه الفترة أخباره ومراسلاته في جريدة « المصالح الروسية » باسم مستعار هو « توركوڤيل » .

عاد گوردليڤسكي في سنوات الحروب البلقانية في سنوات ١٩١٢ - ١٩١٤ إلى تركيا مرة أخرى . وفي أيام الحرب العالمية الأولى قضى بعض الوقت في الجبهة القفقاسية في مناطق كانت قد احتلتها القوات الروسية بشكل موقت في طرابزون ، وسيپان داغ . وكان ڤ .أ . گوردليڤسكي قد نشر في هذه الفترة مجموعة من المقالات في الدوريات والمجلات .

ومن الضروري الإشارة إلى أن بعض الأعمال التي تعود إلى فترة إقامة ڤ . أ . گوردليڤسكي في تركيا كانت قد نشرت لأول مرة بعد وفاته .

وفي مختارات من مؤلفات . ڤ .أ . گوردليڤسكي هناك بين الموضوعات المخصصة لتركيا ( فصل « خيال تركيا » ) ، إننا نجد في هذا الفصل وصفاً رائعاً لجوانب مختلفة ومتعددة لواقع تركيا في المرحلة التي سبقت ثورة الاتحاديين ؛ وهناك

---

(١) مقدمة ي. لودشوڤيت للمجلد ٣ من منتخب مؤلفات ڤ.أ. گوردليڤسكي، موسكو، ١٩٦٢، ص ٣.

أيضاً معلومات عن وضع المرأة التركية ، وواقع المدرسة الابتدائية القديمة ، والألعاب الشعبية ، والمذاهب والفرق الإسلامية . وفي مواقع كثيرة من ملاحظاته يشير إلى الأحداث الثورية في تركيا ، بالإضافة إلى اهتمامه العظيم بالأرمن والكرد .

أما موقف گوردليڤسكي بازاء الكرد في تركيا فهو موقف ود إخلاص . وإنه يحاول الرد بحزم على الآراء السائدة في أوساط طائفة من المؤ رخين البورجوازيين في ذلك الوقت ، التي مفادها أن الكرد قطاع طرق ، ويرتكبون أعمالاً وحشية ، وفضائع مرعبة .

## رحلة كريمسكي

أكمل المستشرق السوڤياتي الشهير والمختص في الدراسات السلافية أگاڤانگيل يفيموڤيچ كريمسكي ( ١٨٧١ - ١٩٤١ ) معهد لازاريف في سنة ١٨٩٢ ، ثم أنهى دراسته في كلية التاريخ والدراسات اللغوية في جامعة موسكو سنة ١٨٩٦ . وأشغل منصب البروفيسور في معهد لازاريف في قسم الآداب العربية وتاريخ الشرق الإسلامي خلال عشرين سنة ( ١٨٩٨ - ١٩١٨ ) وبعد إنهاء تحصيله العلمي في الجامعة أقام في سوريا في سنوات ١٨٩٦ - ١٨٩٨ ! حيث درس اللغة العربية والأدب العربي فيها .

ولقد ألف عدداً ضخماً من الأعمال العلمية عن الإسلام ، وتاريخ العرب والترك ، والآداب العربية ، والتركية ، والفارسية . وكان أ .ى . كريمسكي : « رجلاً له اهتمامات علمية واسعة وكبيرة ، فهو مختص في الدراسات السلافية ، ومستشرق ( مختص في الدراسات العربية ، والإيرانية ، والتركية ) ، وكان يتمتع بموهبة أدبية عالية جداً . . . وكان القسم الأعظم من أعماله الاستشراقية حصيلة محاولاته العلمية التي كان يحقق بها مطاليب تلامذته . . . أما دوره في تبسيط العلم عندنا فهو يفوق بدون شك دور جميع المستعربين المعاصرين له »[1] .

---

(١) إ .ى . كراچكوڤسكي ، منتخب المؤلفات ، المجلد ٥ ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٥٨ ، ص ١١٨ - ١٢٠ .

ولقد اشترك أ .ى . كريمسكي خلال سنوات طويلة في تهيئة المعجم الانسيكلوپيدي لـ « بروكهاوز ويفرون » ، والمعجم الانسيكلوپيدي لـ « گرانات » . ويجد المرء في هذين المعجمين مجموعة من المواد والمقالات عن الشرق الأوسط كتبها كريمسكي .

وخلال إقامته في سوريا نشر مقالتين « الجامع الأزهر في القاهرة » و« رسائل من سوريا »[1] .

وهناك طائفة كبيرة من رسائل أ .ى . كريمسكي لم تنشر لحد الآن ، وهي محفوظة في مؤسسات الأرشيف المختلفة في مدينة كييڤ .

ويحتل كريمسكي في دراسة الشرق الأوسط مكاناً لائقاً وبارزاً .

## رحلة كراچكوڤسكي

أنهى العالم السوڤياتي الشهير ، والمستعرب المعروف على النطاق العالمي ، عضو أكاديمية العلوم السوڤياتية إ . ى . كراچكوڤسكي ( ١٨٨٣ ـ ١٩٥١ ) الكلية الشرقية في جامعة پيترسبورغ ، وكان قد تقرر إبقاؤه للعمل في الجامعة بعد انتهاء دراسته .

أقام في سنوات ١٩٠٨ ـ ١٩١٠ في سوريا ومصر مبعوثاً من جامعة پيترسبورغ . وكان عالمنا هذا قد كلف أن يقوم بإنجاز واجبات كثيرة ومتشعبة : كان عليه أن يتعلم اللغة العربية ، وأن يتعرف على الأدب العربي المعاصر له ، والثقافة العربية ، وان يفهم نظام تدريس الآداب العربية في الكلية الشرقية في جامعة القديس يوسف في بيروت ، وأن يستوعب النشاط العلمي في الكلية[2] .

---

(١) يراجع : قائمة بأعماله : الصفوف الخاصة في معهد لازاريڤ للغات الشرقية في عامها الثلاثين ، موسكو ، ١٩٠٣ ، ص ١٣٣ ـ ١٣٦ ؛ إ .ى . كراچكوڤسكي ، عضو أكاديمية العلوم في جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوڤياتية أ .ى . كريمسكي ( الذكرى السبعون لميلاده ) ، « أخبار أكاديمية العلوم السوڤياتية » ، قسم الأدب واللغة ، العدد ٣ ، ١٩٤١ ، ص ١٢٧ ـ ١٢٩ .

(٢) إ .ى . كراچكوڤسكي ، مواد ومصادر لسير حياة العلماء في الاتحاد السوڤياتي ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٩ .

فتوصل إ . ى . كراچكوڤسكي في ضوء انطباعاته ، وملاحظاته ، وتأملاته الخاصة ، وتعرفه على الأدب العربي إلى نتيجة تتلخص في أن الكتّاب العرب كانوا يتعاطفون مع روسيا بشكل واضح : « كان الوضع الملائم بصورة خاصة لاختبار موقف ممثلي الأمة العربية من روسيا هو الحرب الروسية ـ اليابانية ، فى هذا الوقت بالذات كانت أميريكا بأجمعها ( وذلك بالكلام فقط على ما نظن ) إلى جانب أهل الجزر . ومع ذلك يكفي أن نتصفح بعض أعداد الصحف العربية التي كانت تصدر في تلك الأيام ، إذا ما أردنا أن نتأكد من وجود تلك المشاعر ، التي كانت بدون شك مبعث عز وشرف لروسيا نفسها في تلك الفترة »[1] . وهو يشير إلى أسماء الشعراء أسعد رستم ، وسليمان ، وداود سلام الذين يفيض شعرهم بالإخلاص والود الحقيقيين لروسيا .

وبعد عودة إ . ى . كراچكوڤسكي إلى روسيا قدم تقريراً كان قد نشر جزء منه في « مجلة وزارة المعارف الوطنية » بعنوان « الكلية الشرقية في جامعة القديس يوسف في بيروت »[2] . بعد مرور سنين كثيرة ، وفي كتابه المشهور جداً « مع المخطوطات العربية »[*] الذي صدرت منه بضع طبعات تحدث عن زيارته وإقامته في الشرق .

ويشير في التقرير إلى تاريخ تطور الكلية الشرقية في جامعة القديس يوسف المركز الوحيد في ذلك الوقت للدراسات الشرقية العلمية في آسيا القريبة ، وعن نظام التدريس في الكلية ، ودور اليسوعيين في تأسيسها . وفي ذلك الوقت كانت في مناهج الكلية دورات لمدة ثلاث سنوات في تاريخ وجغرافيا الشرق ، ودورة أخرى لمدة سنتين في الآثار الشرقية .

ويذكر إ . ى . كراچكوڤسكي بهذا الشأن إلى أن منهج الجغرافيا في سنة ١٩٠٨ كان يتضمن الجغرافيا الطبيعية والسياسية للبنان . وكانت تدرس في الجغرافيا

---

(١) « كشوف سانت پيترسبورغ » ، العدد ١٤٦ ، ١٩٠٩ ، ٣ تموز .

(٢) الكلية الشرقية في جامعة القديس يوسف في بيروت ، « مجلة وزارة المعارف الوطنية » . ١٩١٠ ، شباط ، ص ٤٩ ـ ٥٨ . فصل : المدونات الحديثة .

(*) صدر الكتاب باللغة العربية عن « دار التقدم » في موسكو ، وقد كتبت المقدمة أرملته ڤيراكراچكوڤسكايا وهي مؤرخة في ١٩٦٣ ( المترجم ) .

موضوعات معينة بصورة مفصلة كالحدود ، والتضاريس الأرضية ( القديمة والحديثة ) ، والمناخ ، والتربة ، والهيدروغرافيا ، والسكان ، والنقل ، والتجارة ، والتقسيمات السياسية ـ الإدارية في البلاد .

وإننا نستطيع أن نعرف في عمل آخر له ، في فصل « جولات في الشرق » بأن إ . ى . كراچكوفسكي لم يزر بيروت فقط ، وإنما زار مكتبة الخديوي ، ومكتبة الأزهر في القاهرة ؛ وأما في مدينة القدس فقد عمل في المكتبة المهملة التي تحمل اسم الخالدة . وزار دمشق ، وطرابلس ، وحلب ، وحمص ، وحماة ، وبعلبك ، ومدينة القدس ، والناصرة ، وأريحا . وزار مصر مرتين . وكان في الاسكندرية ، وفي القاهرة ، وفي أي مكان آخر يصل إليه يقوم بالبحث والدراسة لمجموعة المخطوطات ، ويتعرف على ممثلي العلم ، والأدب ، وعلى ممثلي المجتمع في جميع القطاعات والشرائح ، وعن لقاءاته هذه يقول :

« التقيت بأناس لهم أهميتهم الخاصة في الصيف حين تركت بيروت وتجولت في لبنان حيناً ، وفي الجبال اليهودية ( جبال فلسطين ـ م .خ . ) العابسة المقبضة ، وسهول الجليل المستوية السهلة حيناً آخر .

كان معلمو القرى ، والصحفيون المحليون ، ومراسلو الجرائد ، والأطباء الريفيون يستقبلونني جميعاً بود ، وصداقة ، أما عن صعوبة اللغة فإنني قد نسيتها منذ أمد بعيد ، ويبدأ التحدث معهم لساعات طويلة بعد اللقاء الأول . إنهم جميعاً يفورون ، ويثورون ، ويضطربون ، ويحلمون بالانبعاث القومي ، وكان الأدب القومي في الوقت نفسه يستقطب جميع ميولهم ، وكانوا ينظرون بحب وإجلال إلى آثاره القديمة التي كانت ولا زالت مستمرة في منح الحياة لهم . . . »[1] . وكان العالم يهتم بالأدب بحيوية ونشاط ، وكان يبحث في الصحف والمطبوعات العربية ، دارساً علاقات روسيا بالشرق ، وفي نفس الوقت كان يتعرف على أوضاع التعليم في المدارس :

(١) إ . ى . كراچكوفسكي ، مع المخطوطات العربية ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٥ ، ص ١٤ ـ ١٥ ( إننا قمنا بترجمة أقوال المستشرق كراچكوفسكي من اللغة الروسية كما وردت في هذا الكتاب ، ولم نلتزم بنصوص كتاب « مع المخطوطات العربية » المترجم إلى اللغة العربية ـ المترجم ) .

« كانت نتائج زيارة وإقامة إ .ى . [ كراچكوڤسكي ] في الشرق العربي عظيمة للغاية . فإنه استطاع أن يتقن اللغة العربية الفصحى ، واللغة العامية إتقاناً تاماً ، وأن يتعرف على حياة وثقافة البلدان العربية وسكانها ، ويدرس بشكل جذري الأدب العربي الحديث الذي كان يمر في تلك السنوات بمرحلة الانبعاث والنمو السريع »[1] .

وتكلمت عن إقامة إ .ى . كراچكوڤسكي في لبنان وفلسطين بصورة مفصلة بعد وفاته ڤ .أ . كراچكوڤسكايا . وقد استندت على يوميات ورسائل هذا العالم كمصدر : « الطبيعة والناس في سوريا ، ولبنان ، وفلسطين ؛ والعادات والتقاليد ، وآلام وآمال الشعب العربي أصبحت من القضايا المفهومة والقريبة من إ .ى . كراچكوڤسكي . وكان يتطلع بصورة خاصة وهو بعيد عن الوطن إلى الذين يعرفون روسيا والروس ، والذين لهم علاقة بها إلى حد ما . وقد اقتنع بأن هيبة روسيا أصبحت عالية جداً .

وكان بإمكان المرء وهو يعرف اللغة الروسية فقط أن يقوم بالرحلة والسفر في جميع أنحاء فلسطين في بداية القرن العشرين . . . »[2] .

ولقد أغنت بدون شك رحلة إ.ي. كراچكوڤسكي الى الشرق العربي العلم الجغرافي بمعلومات جديدة عن الأدبيات الجغرافية العربية . فاهتم هذا العالم بتلك الأدبيات اهتماماً كبيراً ابتداءً من الخطوات الأولى من نشاطه العلمي . وفي أيام رحلاته كان قد استمع في جامعة القاهرة الى محاضرات عن تاريخ الفلك العربي للإختصاصي الكبير في حقل تاريخ الفلك ، والجغرافيا الرياضية عند العرب العالم الإيطالي الشهير ك. أ. نالليو .

وألقى فيما بعد عند عودته الى پيترسبورغ محاضرات في الموضوع المسمى

---

(١) ڤ .إ . بيلياييڤ وإ .ن . ڤينيكوڤ ، ذكرى الأكاديمي إ .ى . كراچكوڤسكي ، المجموعة الفلسطينية ، النشرة ١ ( ٦٣ ) ، ١٩٥٤ ، ص ٩٣ .

(٢) ڤ .أ . كراچكوڤسكايا ، إ .ى . كراچكوڤسكي في لبنان وفلسطين ، المجموعة الفلسطينية ، النشرة ١ (٦٣) ، ١٩٥٤ ص ١٢٣ - ١٢٤ .

« عرض الأدبيات عن الجغرافيا العربية » في سنوات ١٩١٠ ـ ١٩١٧ ، بالإضافة الى الموضوعات الإعتيادية الأخرى . وأما في سنة ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ الدراسية فقد حاضر في موضوع « الأدبيات الايستوريوغرافية العربية » .

وهكذا تجمع من مجموعة المحاضرات عن الأدبيات الجغرافية عند العرب البحث المتكامل « لمصادر الجغرافية العربية »[١] . ويشمل هذا البحث الفترة من أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر ( وقد نشر البحث بكامله بعد وفاة مؤلفه ) ويقدم فيه صورة واضحة وكاملة لتطور هذا الحقل من العلم عند العرب . . .

وبالرغم من أن إيگناتى يوليانوڤيچ كراچكوڤسكي لا يتطرق في مقدمته لهذا البحث الى رحلته في الشرق العربي ، إلا أنه لا يوجد هناك أي شك بأن الإهتمام بتاريخ الجغرافيا العربية قد ولد عند العالم في تلك السنوات .

## رحلة ساموبلوڤيچ

زار الإختصاصي السوڤياتي الشهير في الدراسات التركية الأكاديمي أ . ن . ساموبلوڤيچ (١٨٨٠ ـ ١٩٣٨) لأول مرة تركيا في سنة ١٩٠٠ . وفي صيف سنة ١٩١١ توجه أ . ن . ساموبلوڤيچ للمرة الثانية الى تركيا ، فدرس اللغة الفصحى والعامية ، واقتنى مجموعة كبيرة من الجرائد ، والمجلات ، والكتب . ونشر ساموبلوڤيچ في سنة ١٩١٢ في مجلة « العالم الإسلامي » التي أسسها ڤ . ڤ . بارتولد عرضاً رائعاً للمطبوعات الدورية الإسلامية في روسيا وتركيا[٢] .

## رحلة أوربيلي

كانت لرحلات العالم الروسي والسوڤياتي الكبير الأكاديمي يوسف

---

(١) إ . ي . كراچسكوڤسكي ، منتخب المؤلفات ، المجلد ٤ ، المقدمة بقلم كَ . تسيريتيلي ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٥٧ ، ص ٤ .

(٢) ڤ . د . آشنين ، أليكساندر نيكولاييڤيچ ساموبلوڤيچ ، «شعوب آسيا وأفريقيا » ، العدد ٢ ، ١٩٦٣ ، ص ٢٤٣ ـ ٢٦٤ .

ابـگـاروڤيـچ أوربيلي (١٨٨٧ ـ ١٩٦١) الى الشرق الأوسط أهمية كبيرة جداً .

أنهى ي. أ. أوربيلي في سنة ١٩١١ كليتين في آن واحد ، وهما كلية التاريخ والدراسات اللغوية ، وكلية اللغات الشرقية في جامعة پيترسبورغ .

وفي نفس السنة ، وباقتراح ومبادرة من ن. ي. مار كان قسم التاريخ والدراسات اللغوية التابع لأكاديمية العلوم قد كلّف ي. أ. أوربيلي للقيام ببعثة علمية الى تركيا . وكان عليه أن يقوم بدراسة آثار الثقافة القديمة ، والتعرف على لهجات اللغة الكردية واللغة الارمنية في منطقة وان .

سافر ي. أ. أوربيلي في ١ تموز سنة ١٩١١ من باطوم الى القسطنطينية ومن هناك عن طريق طرابزون ، وبايبورت ، وأرضروم وصل الى مدينة وان . فأقام في مدينة موكس وهي غير بعيدة عن مدينة وان . وقد شرع هنا بدراسة التباين والإختلافات الموجودة في لهجات السكان من الارمن . ويبلغ عدد السكان المقيمين في موكس من الارمن ٦٧٢ بيتاً ، أما عدد الكرد ، وهم من المسلمين السنة ، فيبلغ ٦٤٠ بيتاً ، والغجر ( الجينگنه ) كانوا في أربعة أو خمسة بيوت . وبالإضافة الى ذلك كانت هناك ثلاث أو أربع من عائلات الترك وهم من الموظفين . وكان يحكم المنطقة مدير ، وهو من أكابر البگوات الكرد واسمه مُرْتُ الله بك(*) .

وبعد أن أقام ي. أ. أوربيلي خمسة أسابيع في موكس ، عاد إلى وان عند حلول الشتاء ، وأما في ربيع سنة ١٩١٢ فأنه رجع الى موكس مرة أخرى . وفي مدينتي موكس و وان درس لغة كرد المنطقة أيضاً . ثم وضع معجماً خاصاً يُعنى باللهجات السائدة بين أرمن منطقة موكس(١) .

---

(*) مُرْتُ الله : من المحتمل أن يكون أصل الكلمة (مرد الله) ،وهي اضافة كلمة «مرد» وتعني (الرجل، الانسان، العبد) على «الله» وقد حورها الكرد الى «مرت الله» على طريقتهم الخاصة. وهناك احتمال آخر وهو أن تكون الكلمة من «مرتضى» الاّ انه احتمال ضعيف. (المترجم).

(١) ي. أ. أوربيلي، تقرير تمهيدي عن البعثة في تركيا الآسيوية في ١٩١١ ـ ١٩١٢ ، «أخبار أكاديمية العلوم الامبراطورية»، السلسلة ٦، العدد ١٥ ، سانت پيترسبورغ، ١٩١٢ ، ١ تشرين الثاني، ص ٩١٧ ـ ٩٢٦ ؛ ك. ن. يوزباشيان، الأكاديمي يوسف أبگاروڤيچ أوربيلي، موسكو، ١٩٦٤ ، ص ٣١ .

كان تأثير الرحلة الى موكس بالغاً في اتجاه ي. أ. أوربيلي وعقيدته : « ان مأساة الارمن ، والمذابح التي حدثت في ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ رن صداها في جميع أنحاء العالم ؛ ففي روسيا بشكل خاص كانت الأخبار تتناقل الحدث بتفصيل عن المصير المحزن للشعب الارمني ، وكذلك انعكست أخبار الحدث في الأعمال الخاصة وفي المطبوعات الدورية »[١] . من الواضح ان الحكومة السلطانية قامت برشوة الجهات الإقطاعية الكردية العليا في سبيل تحقيق نجاحات معينة في سياستها الشوڤينية ، فأثارت الكرد على الفلاحين الارمن الكادحين . وكان ي. أ. أوربيلي يعلم بطبيعة الحال كل هذه الأشياء ليس عن طريق المصادر والأدبيات المدونة فحسب . وإنما كان يسمعها من أفواه الناس ، لأنه كان يقيم في المنطقة الجبلية حيث الجيرة بين الارمن والكرد ، يعيشون في سلام ووئام ، ويشتركون في واقع متشابه ، ويلتئم بصورة وثيقة اسلوب حياتهم الإجتماعية وواقع معيشتهم ، ويتحد عندهم الأدب الشعبي والفولكلور . أثار مرت الله بك انطباعات جيدة في نفس العالم الشاب ، فيقول في رسالة كتبها من موكس إلى والديه في بداية أيلول سنة ١٩١١ : « إنني أعيش في بيت المدير ( رئيس الدرك في المنطقة ) وهو بك كردي كان أحد المدافعين بحماس عن الأرمن في أيام المذبحة ومن الذين يكنون الحب والإحترام للروس إلى درجة كبيرة . إنني قلما شاهدت في حياتي مثل هذا الشيخ اللطيف الجميل . والأهم من كل هذا هو أنه مثقف بارع ومدهش بالرغم من أنه لم يخرج من وان ، ولم يسافر إلى أي مكان آخر »[٢] .

ويقول ي. أ. أوربيلي في المقدمة التي كتبها لكتابه « النصوص الارمنية الموكسية » كانت قرية وعزيم في أيام المذبحة في سنة ١٨٩٥ محاطة بحشود هائلة من المتعصبين الحانقين غير أن تدخل مرت الله بك بتفان أنقذ سكان القرية من الهلاك[٣] .

وحفظ يوسف أبكاروڤيچ أوربيلي أروع وأجمل ذكريات عن أكراد موكس ،

---

(١) ك. ن. يوزباشيان ، الأكاديمي يوسف أبكاروڤيچ أوربيلي ، ص ٣٣ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٣ ، الهامش ٥٦ .

ومزاياهم الروحية وخصائصهم النفسية . وهنا في موكس تأكد العالم وتيقن مرة أخرى بأن الشعب الكردي ليس هو العدو الظالم للارمن ، وانما الادارة التركية التي تثيره ، وفي مثل هذه المناطق المنعزلة كموكس ، يعيش الارمن والكرد في وفاق ووئام . وبعد مرور سنين كثيرة وفي مقدمة كتاب « النصوص الارمنية الموكسية » كتب ي. أ. أوربيلي ، والحزن يملأ قلبه ، بأنه تم انقاذ بضع أسر من الارمن فقط في مذبحة سنة ١٩١٥ ، ولم ينج السكان الكرد أيضاً المصير الذي آل اليه الارمن ، ولم يكونوا معزولين عنه ، وقد تم تدمير قسم منهم ، وهرب القسم الآخر . وهكذا أصبحت موكس خالية من السكان : « أما في سنة ١٩١١ ـ ١٩١٢ عندما زرت موكس ، فقد كان يعيش فيها خلق كثير ، وكان الاضطهاد ، ومخالفة القوانين ، والشقاء تسود في كل مكان ، غير أنها لم تكن بمعزل نهائياً عن سعادة ضئيلة في الحياة . ولهذا السبب من المحزن بصورة خاصة أن اعترف بأن القليل الذي استطعت ان اكتبه في موكس ؛ وهو عبارة عن مجموعة غير كبيرة من النصوص ، ومعجمين أحدهما معجم اللغة الارمنية ، والآخر معجم اللغة الكردية ، تكاد أن تكون آخر شاهد ومصدر عن اللغة ، وواقع الحياة ، والعادات والتقاليد ، والكدح اليومي ، ومباهج الحياة لبضعة آلاف من أبناء الشعبين الارمني والكردي »[١]

وقد تهيأت الظروف للأكاديمي ي. أ. أوربيلي أن يزور مدينة وان بصحبة الأكاديمي ن. ي. مار للمرة الثانية في فترة الحرب العالمية الأولى ، ؛ وكانت القوات الروسية قد احتلت مدينة وان في ذلك الوقت . وقد قام ن. ي. مار بتنقيبات آثارية في تل توپراق قلعة ( تل القلعة الترابية ـ م. خ. ) ، وقام ي. أ. أوربيلي بتنقيبات آثارية في سفوح جبال وان . وكان هجوم الترك ، وخروج القوات الروسية قد أدت الى ايقاف التنقيبات الآثارية فترك العلماء الروس المكان[٢] .

## رحلة مينورسكي

كان ڤلاديمير فيودور وڤيچ مينورسكي ( المولود في سنة ١٨٧٧ ) تلميذاً للعالم

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣ ـ ٣٤ .

(٢) ن. مار ، و ي. أوربيلي ، البعثة الآثارية لسنة ١٩١٦ في وان ، پيتروغراد، ١٩٢٢ .

أ.ي. كريمسكي . أنهى دراسته في معهد لازاريف في موسكو في سنة ١٩٠٣ . وعمل خلال بضع من السنين في مؤسسات مختلفة في السلك الديبلوماسي في تركيا وايران . درس ڤ.ف. مينورسكي هناك وضع الكرد ، ونشر عملاً خاصاً بهذا الصدد[١] .

كانت تركيا قد خرقت الحدود الايرانية في سنة ١٩٠٥ واحتلت لمدة موقتة جانباً من الاراضي الايرانية ، وتنفيذاً لأصرار الدول في ٤ تموز سنة ١٩١٣ تم التوقيع على البروتوكول التركي ـ الايراني في القسطنطينية عن الحدود ، وفيه تغلبت وجهة نظر الدولتين الروسية والانكليزية ، أي أن الحدود أصبحت قائمة في الواقع كما كانت قبل سنة ١٩٠٥ . ولغرض تحديد الحدود تألفت لجنة خاصة دخل فيها القوميسار الروسي ڤ.ف. مينورسكي عضواً .

وفي صيف سنة ١٩١٣ جاب القنصل الروسي العام في بغداد أ.أ. أورلوف الحدود التركية الايرانية . ففي مذكرات سفره[٢] يصف المناطق بين مندلي ، والوند ، وهورامان . فالمعلومات التي يوردها أورلوف مهمة وطريفة ، خصوصاً الملاحظات الاتنوغرافية المتعلقة بقبائل زنگنه ، وسنجابي ، وكلاولوس ، والجاف ، والكلهر ، وقبائل أخرى .

أما تقارير مينورسكي عن تعيين الحدود التركية والفارسية فقد نشرت في سنة ١٩١٥[٣] .

وهي تتضمن خمساً وعشرين وثيقة مستقلة ، ورد فيها وصف لعدد من المواقع في الحدود التركية وكذلك في الجهة الإيرانية . وفي التقارير معلومات غزيرة ذات طابع جغرافي وأتنوغرافي ، وفيها أخبار ووقائع عن تاريخ المنطقة واقتصادها، والوضع السياسي فيها .

---

(١) ڤ.ف. مينورسكي ، الاكراد . ملاحظات وانطباعات ، پيتروغراد ، ١٩١٥ ( قام مترجم هذا الكتاب بترجمة كتاب مينورسكي هذا الى اللغة العربية ، ونشره في سنة ١٩٦٨ في بغداد ) .

(٢) أ.أ. أورلوف ، يوميات مسافر في الحدود التركية ـ الايرانية في سنة ١٩١٣ ، « مواد ومصادر دراسة الشرق » ، پيتروغراد ، ١٩١٥ ، ص ١٣٣ ـ ٢١٨ .

(٣) ڤ.ف. مينورسكي ، الحدود التركية ـ الايرانية ، « مواد ومصادر لدراسة الشرق » ، پيتروغراد ، ١٩١٥ ، ص ٢١٩ ـ ٤٣٢ .

وهناك عمل غير كبير آخر كتبه ڤ. ف. مينورسكي خصصه للقضية نفسها المتعلقة بالحدود التركية ـ الإيرانية ، ويتضمن النتائج العامة لأعمال لجنة الحدود المشتركة في سنة ١٩١٤ [١] .

وقد تم نتيجة لنشاط اللجنة تصحيح ما تسمى بالخريطة المطابقة التي كانت قد خططتها في حينه لجنة الحدود في سنوات ١٨٤٩ ـ ١٨٥٢ باشراف ي. إ. چيريكوف .

وفي سنوات ثورة أوكتوبر العظمى في روسيا بقى ڤ. ف. مينورسكي في فارس ، وبعد مرور مدة من الزمن سافر الى انكلترة ، فنشر فيها فيما بعد قسماً كبيراً من أعماله . وفي سنة ١٩٦٠ استضافه الاتحاد السوڤياتي كعضو في المؤتمر العالمي الخامس والعشرين للمستشرقين . ويقول إ. ي. كراچكوڤسكي عنه : « ان ڤ. ف. مينورسكي الذي أصبح فيما بعد أعظم مختص في الدراسات الإيرانية ومؤرخ باعتراف الجميع لم يدرس ويبحث بشكل كامل المصادر العربية المتعلقة بأحد آثار القرن العاشر الجغرافية « حدود العالم » (١٩٣٧) الذي ترجمه بعمق وأصالة ڤ. ڤ. بارتولد فقط ، وانما عرّف العالم لأول مرة بالكاتب العربي في القرن الثاني عشر وهو المروزي (١٩٤٢) الذي لم يكن يتمتع بشهرة كبيرة قبل ذلك » [٢] .

ونشر كتاب ڤ. ف. مينورسكي « تاريخ شيروان ودربند » في موسكو في سنة ١٩٦٣ ( وهو مترجم من اللغة الانكليزية الى اللغة الروسية ) . يقول البروفيسور أ. أ. علي زاده المحرر المسؤول عن الترجمة الروسية في هذا الصدد : « كانت حصيلة النشاط المثمر للبروفيسور ڤ. ف. مينورسكي لسنين كثيرة اضافة قيمة في تحقيق المسائل التي لم تبحث بما فيه الكفاية ، وقضايا التطور الإجتماعي ـ الإقتصادي لبلدان الشرقين الادنى والاوسط. . . » [٣] .

---

(١) «أخبار الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية » ، المجلد ٢ ، النشرة ٥ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩١٦ ، ص ٣٥١ ـ ٣٩٢ .

(٢) مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٥٠ ، ص ١٧١ .

(٣) ڤ. ف. مينورسكي ، تاريخ شيروان ودربند في القرنين العاشر ـ الحادي عشر الميلاديين ، موسكو ، ١٩٦٣ ، ص ٥ .

## الجمعية الجغرافية
## الروسية
## (٢)

وأخيراً من المفيد الوقوف عند دور الجمعية الجغرافية الروسية في دراسة الشرق الأوسط . ولقد نوهنا سابقاً الى أن الجمعية ومنذ اللحظة التي تم فيها تأسيسها في سنة ١٨٤٥ ، وضعت دراسة البلدان المجاورة لروسيا من واجباتها الرئيسية . وأشرنا أيضاً الى أنه كان لنشاط كل من ف. ف. بيرگ ، وم. پ . ڤرونچينكو ، وپ. أ. چيخاچيڤ ، وهم يشتهرون بدراساتهم عن تركيا الدور الأساسي في تأسيس الجمعية . وكانت الجمعية الجغرافية من المؤسسات التي تُعنى بتنظيم البعثات والفرق العلمية ، فهي التي أشرفت على البعثات التي قام بها كل من ي. پ . كوڤاليڤسكي ( فيما بعد مساعد رئيس الجمعية ) ول . س. تسينكوڤسكي الى مصر وبلاد النوبة . أما بعض الرحالة الآخرين من أمثال أ. أ. رافالوڤيچ ، وإ. إ. ايخڤالد ، وأ. س. نوروڤ ، وأ. ڤ. ييليسييف ، وگ . إ. راددە ، وگ . ابيخ ، وإ. خودزكو ، وإ. إ. ستيبنيتسكي ، وڤ . ف. مينورسكي فكانوا أعضاء في الجمعية . وبالإضافة الى ذلك كانت تطبع المواد المتعلقة بالشرق الأوسط وشمالي أفريقيا بشكل منتظم ضمن النشاط العلمي للجمعية الجغرافية .

وفي سنة ١٨٥١ تأسيس فرع القفقاس في الجمعية الجغرافية الروسية ، وقد أسهم هو الآخر بنشاط كبير ليس فقط في دراسة القفقاس ، وإنما البلدان المتاخمة لها أيضاً . وقد نشرت من « أخبار قسم القفقاس » منذ سنة ١٨٧٢ طائفة من الأعمال العلمية ومذكرات الرحالة الروس .

كما ونشرت في الأقسام المختلفة المتنوعة في الجمعية أعمال علمية كبيرة ،

وبحوث ومقالات تخص الشرق الأوسط[1] .

(١) أ ـ پ . پ . سيميونوف ، تاريخ نشاط الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية خلال نصف قرن ١٨٤٥ ـ ١٨٩٥ ، المجلد ١ ، ٢ ، ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٦ .

ب ـ ل . س . بيرگ ، الجمعية الجغرافية لعموم الاتحاد السوفياتي في قرن ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٦ .

حـ ـ ب . أ . بالسكايا ، إسهام الجمعية الجغرافية الروسية في دراسة بلدان الشرق ، موسكو ، ١٩٦٠ .

د ـ الفهارس الملحقة بمنشورات الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية وأقسامها :

من ١٨٤٦ حتى ١٨٧٥ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٦ .

من ١٨٧٦ حتى ١٨٨٥ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٧ .

من ١٨٨٦ حتى ١٨٩٥ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٦ .

من ١٨٩٦ حتى ١٩٠٥ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩١٠ .

# كلمة الختام

زار الشرق الأوسط ، كا نوهنا سابقاً عدد كبير من الناس والمواطنين الروس من الحجيج ، ورجال الدين ، والرحالة ، والعلماء ، والفنانين ، والادباء ، والديبلوماسيين ، والضباط . وكانت زياراتهم وإقامتهم في بلدان الشرق الأوسط في الواقع لغرض التعرف على طبيعة وحياة الشعب ، وقد تركوا أثراً كبيراً في تاريخ الثقافة ، والجغرافيا ، والتاريخ الروسى .

وتُقرأ اعمال الرحالة الروس باهتمام ، ولذة ، ومتعة كبيرة ، وانها لم تفقد أهميتها حتى يومنا هذا . وهي تعتبر أضافة كبيرة في العلم الروسي وتشغل مكاناً لائقاً في خزائن العلم والثقافة العالميين .

وإذا ما حاولنا أن نحدد بكلمة واحدة الشيء الذي يفصل اعمال القسم الأعظم من الرحالة الروس في الشرق الأوسط عن أعمال الرحالة البورجوازيين ، لا شك أن هذا الشيء هو الروح الإنسانية بأجمل وأفضل ما في الكلمة من المعاني ، والروح الإنسانية هي الصفة التي يتحلى بها الجانب الكبير من مؤلفاتهم .

وأضاف الرحالة الروس في تاريخ الإستشراق الروسي أشياء كثيرة ، وجديدة ، وقيمة .

ثم ورثت الدراسات الشرقية السوفياتية من استشراق ما قبل الثورة ميراثاً كبيراً . وكان الجيل السابق من العلماء الروس والرحالة يتميزون دائماً بمعرفة اللغات واتقانها الى حد كبير ، والإهتمام التام بالمصادر والمراجع ، والإحترام والود الدائمين لشعوب وبلدان الشرق وثقافاتها الغنية .

لا شك ان المستشرقين السوفيات قد أخذوا هذه التقاليد بكاملها ، كما وأضافوا مجموعة من المزايا والخصائص الجديدة في دراسة الشرق الأوسط .

وأما القيام بالدراسات الخاصة فينبغي أن تنحصر في بلدان وشعوب الشرق الأوسط للفترة المعاصرة لنا . فالعلماء ، والرحالة ، والصحفيون ، والكتاب السوفيات هم الذين ينجزون بدون شك مثل هذه الدراسات .

# المراجع والمصادر (البيبليوغرافيا)

## المراجع والمصادر الروسية

### كتب الرحلات


- أبيخ كَ .

جيولوجية السلاسل الأرمنية ، القسم الغربي ، وصف أوروغرافي وجيولوجي ، ترجمة من الألمانية ب . ز . كولينكو ، پياتيگورسك ، ١٨٨٦ .

- أوليربيركَن . ف .

من روما إلى مدينة القدس ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٣ .

- أگريڤيني

رحلة الارشمندريت ( رئيس الأساقفة ) أگريڤيني حوالي سنة ١٣٧٠ الميلادية ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد رئيس الأساقفة ليونيد ، المجلد ١٦ ، النشرة ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٦ .

- أنتوني

كتاب الحجيج ـ ذكر الأماكن المقدسة في تساريگراد من قبل أنتوني ، رئيس أساقفة نوڤگورود في سنة ١٢٠٠ الميلادية ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد خ . م . لوپاريڤ ، المجلد ١٧ ، النشرة ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٨ .

- أوسپينسكي پ .

الرحلة الأولى إلى دير سيناء في سنة ١٨٤٥ للأسقف پروڤيري أوسپينسكي ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٦ .

- أوسپينسكي پ .

رحلة الأسقف پورفيري أوسپيتسكي إلى مصر ودير أنتوني الكبير المقدس ودير پاڤل فيڤييسكي في سنة ١٨٥٠ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٦ .

- أوسپينسكي پ .
كتاب عن حياتي ، اليوميات والسيرة الذاتية والمذكرات التي كتبها الأسقف پروفيري أوسپينسكي ، المجلد ١ - ٤ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ .

- أوشاكوف ن . ن .
تاريخ العمليات الحربية في تركيا الآسيوية في سنتي ١٨٢٨ و١٨٢٩ ، في قسمين ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٣٦ ، القسم الأول .

- أومانيتس
سفرة إلى سيناء ، مع ملحقات تتضمن نبذاً عن مصر ، والأرض المقدسة لأومانيتس ، القسم ١ و٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٠ .

- إيشاييف ت .
مكة - المدينة المقدسة عند المسلمين . حكاية حاج ، « بشير آسيا الوسطى » ، ١٨٩٦ ، طاشقند ، تشرين الثاني - كانون الأول .

- بارانشيكوف .ف .
المغامرات التعسة لڤاسيلي بارانشيكوف التاجر الصَغير من مدينة نيژنى - نوڤگورود في الأقاليم الثلاثة في العالم : في أميريكا ، وآسيا ، وأوروپا ، في سنة ١٧٨٠ وحتى سنة ١٧٨٧ ، سانت پيترسبورغ ، ١٧٨٧ .

- بارسكي ڤ . گ .
مسيرة ڤاسيلي گريگوروڤيچ - بارسكي بلاكا ألبوڤ المولود في كييف راهب انطاكيا السائر على قدميه في الأماكن المقدسة في أوروپا ، وآسيا ، وأفريقيا ، بدأها في سنة ١٧٢٣ وانتهى منها في سنة ١٧٤٧ وقد كتب عن الرحلة بنفسه ، سانت پيترسبورغ ، ١٧٧٨ .

- بارسكي ڤ . گ .
جولات ڤاسيلي گريگوروڤيچ - بارسكي في الأماكن المقدسة في الشرق في سنة ١٧٢٣ حتى

سنة ١٧٤٧ ، نشرة جمعية فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد ، نيكولاي بارسوكوف ، القسم ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٦ .

- بازيلي ك .
الأرخبيل واليونان في سنتي ١٨٣٠ و١٨٣١ ، القسم ١ و٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٣٤ .

- بازيلي ك .
مقالات عن القسطنطينية ، القسم ١ و٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٣٥ .

- بازيلي ك .
البوسفور ومقالات جديدة عن القسطنطينية ، القسم ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٣٦ .

- بازيلي ك .
سوريا وفلسطين تحت الحكم التركي ، القسم ١ و٢ ، أوديسا ، ١٨٦٢ .

- برونيكوف ك .
رحلة إلى الأماكن المقدسة الواقعة في أوروپا ، وآسيا ، وأفريقيا ، قام بها في سنتي ١٨٢٠ و١٨٢١ برونيكوف وهو من ساكني قرية پاڤلوف ، موسكو ، ١٨٢٤ .

- برونيڤسكوي
مذكرات الضابط البحري المشارك في حملات البحر الابيض المتوسط بقيادة نائب الاميرال ديميتري نيكولاييڤيچ سينياڤين ، القسم ١ - ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨١٨ - ١٨١٩ .

- بلتيمور
رحلة اللورد الانكليزي بلتيمور من القسطنطينية خلال روميلي ، وبولغاريا ، ومولداڤيا ، وپولونيا ، والمانيا ، وفرنسا الى لندن ، ترجمها من الانكليزية س.إ. پليشييڤ ، الطبعة الثانية ، سانت پيترسبورغ، ١٧٧٨ .

- بيركينگيم أ.م.
الوضع الزراعي في سوريا وفلسطين في الوقت الحاضر ، موسكو ، ١٨٩٧ .

- پوزيناكوف ڤ.
مسيرة التاجر ڤاسيلي پوزيناكوف الى الأماكن المقدسة في الشرق ، مجموعة فلسطين الارثوذوكسية ، إعداد : خ.م. لوباريڤ ، المجلد ٦ ، النشرة ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٧ .

- تسيكولين د. إ.
مسيرة ورحلة غير اعتيادية للفلاح الروسي ديمينتي إيڤانوڤ تسيكولين الى آسيا ، ومصر ، والأقسام الشرقية من الهند من سنة ١٨٠٨ حتى سنة ١٨٢١ وقد كتبت من قبله ، « الارشيف الشمالي » ، العدد ٨ ، نيسان ، العدد ٩ ، مايس ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٢٥ .

- تيپلوڤ ڤ.
أدريانوپول وفراكيا في سنة ١٨٧٤ ( من مذكرات مسافر ) ، « بشير روسيا » ، العدد ٥ - ٦ ، ١٨٨٠ ، مايس . ونشر في كتاب في سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٧ .

- خورشيد أفندي
سياحت نامهء حدود ، وصف الرحلة في الحدود التركية - الايرانية ، تأليف خورشيد أفندي ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٧ .

- داڤليتشين
تقرير النقيب الركن داڤليتشين عن بعثته الى الحجاز ، سانت پيتبرسبورغ ، ١٨٩٩ .

- داڤيدوڤ ڤ.
مذكرات الرحلة المدونة في فترة زيارة الجزر الأيونية واليونان وآسيا الصغرى وتركيا في سنة ١٨٣٥ من قبل ڤلاديمير داڤيدوڤ ، القسم ١ و٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٣٩ ، ١٨٤٠ .

- دانييل
حياة وسيرة دانييل رئيس دير الارض الروسية ، مجموعة فلسطين الارثوذوكسية ، اعداد: م. ڤ. ڤينيڤيتينوڤ ، النشرة ٣ و٩ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٣ ، ١٨٨٥ .

- دوختوروڤ م. ن.
رحلة الى الشرق ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٣ .

- ديوگاميل أ. أو
سيرة اليكساندر اوسيپوڤيچ ديوگاميل بقلمه ، موسكو ، ١٨٨٥ .

- راددهگ . إ.
عرض موجز لرحلة گ . إ. راددهالى أرمينيا التركية في ١٨٦٧ « أخبار الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية »، المجلد ٤ ، العدد ٣ ، ١٨٦٨ .

- راددهگ . إ.

- راددهكَ . إ .
تقرير تمهيدي عن رحلة الدكتور كَ . راددهالى القفقاس في سنة ١٨٦٧ ، « نشرات الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية ـ قسم القفقاس » ، الكتاب ٨ ، تفليس ، ١٨٧٣ .
- رافالوڤيج أ .
رحلة أ . رافالوڤيج في مصر السفلى والمناطق الداخلية من الدلتا ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٠ .
- زاخاروڤ إ .
مذكرات سفر الفنان الروسي إ . زاخاروڤ التي تجمعت أثناء رحلته في روسيا ، وتركيا ، واليونان ، وايطاليا ، والمانيا ، القسم ١ ـ ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٤ .
- زوسيما
مسيرة الراهب زوسيما ، مجموعة فلسطين الارثوذوكسية ، اعداد : خ . م . لوپاريڤ ، المجلد ٨ ، النشرة ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٩ .
- سڤينين پ .
مذكرات في الاسطول ، القسم ١ ـ ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨١٨ ـ ١٨١٩ .
- سكالكوڤسكي ك .
انطباعات مسافر الى اسپانيا ، ومصر ، وشبه الجزيرة العربية . والهند ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٣ .
- سكالكوڤسكي ك .
في بلاد الاضطهاد والحرية ، انطباعات مسافر ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٨ .
- سميشلياييڤ د .
في الطريق الى سيناء ، پيرم ، ١٨٧٦ .
- سميشلياييڤ د .
سيناء وفلسطين ، پيرم ، ١٨٧٧ .
- سوخانوڤ . آ .
رحلة آرسين سوخانوڤ ، مجموعة فلسطين الارثوذوكسية ، إعداد : ن . إ . إڤانوڤسكي ، النشرة ٢١ ( المجلد ٧ ، النشرة ٣ ) ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٩ .
- سولوگوب ڤ . أ .
مصر الجديدة ـ تقرير عام وانطباعات سفر ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧١ .

ـ سيراپيون
سفرة أو رحلة راهب دير ماترونين سيراپيون إلى الأرض المقدسة سنة ١٧٤٩ . قراءات في الجمعية الأمبراطورية للتاريخ والتاريخ القديم الروسي ، الكتاب ٣ ، القسم ٥ ، ١٨٧٣

ـ سيلڤيستر ونيكوديم
وصف رحلة راهبي دير ريخلوڤسكي ـ نيكولا ييڤسكي سيلڤيستر ونيكوديم إلى تساريگراد وأورشليم في سنة ١٧٢٢ ، أعمال أكاديمية كييڤ الدينية ، كييف ، ١٨٨٣ ، مايس .

ـ شيرباتوڤا أو . أ .
رحلة إلى مناطق البدو ركوباً ( على ظهور الدواب ) بحثاً عن الخيول العربية الأصيلة ( ٢٦٠٠ فرسخ في الصحارى العربية من سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩٠٠ ) ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٣ .

ـ شيلكوڤينكوف ب .
القوات ومنطقة الفيلق العسكري السادس ( ولايات بغداد والموصل والبصرة ) ، تقرير عن البعثة إلى بلاد ما بين النهرين في سنتي ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ ، المجلد ١ ، القسم ١ و٣ ، تفليس ، ١٩٠٤ .

ـ فسيڤولوژسكي ن . س .
رحلة عن طريق روسيا الجنوبية والقرم وأوديسا إلى القسطنطينية ، وآسيا الصغرى ، وأفريقيا الشمالية ، ومالطا ، وتساليا ، وإيطاليا ، وفرنسا الجنوبية ، وپاريس ، المجلد ١ و٢ ، موسكو ، ١٨٣٩ .

ـ ڤارسونوڤي
مسيرة الراهب ڤارسونوڤي إلى المدينة المقدسة أورشليم في ١٤٥٦ و١٤٦١ ـ ١٤٦٢ ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد : س . و . دولگوف ، المجلد ١٥ ، النشرة ٣ ، موسكو ، ١٨٩٦ .

ـ ڤاسيلي
مسيرة الزائر ڤاسيلي ١٤٦٥ ـ ١٤٦٦ ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد : رئيس الأساقفة ليونيد ، المجلد ٢ ، النشرة ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٤

ـ ڤيازيمسكي پ . أ .
رحلة الأمير پ . أ . ڤيازيمسكي ١٨٤٩ ـ ١٨٥٠ إلى الشرق ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٣ .

ـ ڤيشيناكوف
مذكرات الرحلة إلى المدينة المقدسة القدس وضواحيها للنبيلين [ الأخوين ] ـ ڤيشنياكوف من محافظة كالوگا والتاجر نوڤيكوف وهو من ميدين في سنتي ١٨٠٤ و١٨٠٥ ، موسكو ، ١٨١٣ .

ـ ڤينيوكوف م . إ .
من المذكرات ، الكتاب ٢ ، أمستردام ، ١٨٩٦ .

ـ كارتسوف ى .
سبع سنوات في الشرق الأوسط ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٦ .

ـ كازبيك گ . ن .
ثلاثة أشهر في جورجيا التركية « منشورات الجمعية الجغرافية الروسية ـ قسم القفقاس » ، الكتاب ١ ، النشرة ١ ، تفليس ١٨٧٦ .

ـ كراسنوف أ . ن .
في مهد الحضارة. ورسائل من الرحلة حول العالم ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٨ .

ـ كلينگين إ . ن .
عند النظام الزراعي القديم ، « شعوب الشرقين الأدنى والأوسط » ، القسم ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٨ .

ـ كوپتيف أ .
مذكرات عن الرحلة إلى القسطنطينية والقاهرة والقدس في سنة ١٨٨٧ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٨ .

ـ كوروبيينيكوف ت .
مسيرة تريفون كوروبيينيكوف ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، النشرة ٢٧ ( المجلد ٩ ، النشرة ٣ ) ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٣ .

ـ كوڤاليڤسكي إ . پ .
رحلة في أعماق أفريقيا ، القسم ١ و٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٩ .

ـ كونداكوف ن . پ .
رحلة إلى سيناء في سنة ١٨٨١ ، من انطباعات الرحال ن . كونداكوف ، أوديسا ، ١٨٨٢ .

ـ كونداكوف ن . پ .
رحلة آثارية في سوريا وفلسطين ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٨ .

ـ كيپيوس أ . إ .
تقرير عن رحلة سنة ١٨٨٩ ، مجموع الطرق التي سلكها في الرحلة الفلكية المشتركة كل من د . د . كيديونوف ، وأ . إ كيپيوس في أرمينيا التركية وكردستان وسوريا ، تفليس ، ١٨٩٢ .

ـ گاگارا
حياة وسيرة ڤاسيلي پاكوڤليڤيچ گاگارا القازاني ( ١٦٣٤ ـ ١٦٣٧ ) في أورشليم ( القدس ) ومصر ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد : س . أو . دولگوف ، النشرة ٣٣ ( المجلد ١١ ، النشرة ٣ ) ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩١ .

ـ ليونيد ( الأسقف )
الحجيج الكتاب في عهد بطرس وما قبله ، أو الرحالة في المدينة المقدسة أورشليم ، « قراءات في الجمعية الأمبراطورية للتاريخ والتاريخ القديم الروسي في جامعة موسكو » ، الكتاب ٣ ، القسم ٥ ، ١٨٧٣ .

ـ ليونيد ( الأسقف )
آثار الكتابات القديمة والفن « قصة عن تساريگراد ( قصة تأسيسها واستيلاء الترك عليها في سنة ١٤٥٣ ) نيستور اسكندر في القرن الخامس عشر » ، من أخبار رئيس الأساقفة ليونيد ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٦ .

ـ ليخوتين م .
الروس في تركيا الآسيوية في سنتي ١٨٥٤ و١٨٥٥ . من مذكرات اللواء م . ليخوتين عن العمليات الحربية لفرقة أريڤان » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٣ .

ـ لوكيانوف ى .
رحلة إلى الأرض المقدسة للراهب الموسكوبي يوآن لوكيانوف ١٧١٠ ـ ١٧١١ ، موسكو ، ١٨٦٢ .

ـ ـ ليوبارسكايا أ .م .
السائح والبحار الروسي في بناء قناة السويس ، « بلدان وشعوب الشرق » ، النشرة ١ ، موسكو ، ١٩٥٩ .

ـ ماركوف ى .
رحلة إلى الشرق ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٠ .

ـ ماركوف ى .
رحلة إلى الأرض المقدسة ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩١ .

ـ مالاما ى .د .
وصف ولاية أرضروم كتبه ى .د . مالاما ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٤ .

ـ مالينكي ى .
قصص وحكايات عن الرحلة إلى أورشليم ( مدينة القدس ) وتساريگراد ( القسطنطينية ) للشماس الانجيلي يونا الملقب والمعروف بمالينكي ( ١٦٤٩ ـ ١٦٥٢ ) ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، إعداد : س . أو . دولگوف ، المجلد ١٤ ، النشرة ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٥ .

ـ موراڤييف أ .ن .
رسائل من الشرق في سنوات ١٨٤٩ ـ ١٨٥٠ ، القسم ١ و٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥١ .

ـ موراڤييف ن .ن .
الروس في البوسفور ، موسكو ، ١٨٦٩ .

ـ موراڤييڤ ن . ن .
تركيا ومصر في مذكرات ن . ن . موراڤييڤ ( كارسكي ) ١٨٣٢ ـ ١٨٣٣ ، المجلد ١ ـ ٤ ، موسكو ، ١٨٦٩ .

ـ موراڤييڤ ن . ن .
الحرب في القفقاس في سنة ١٨٥٥ ، المجلد ١ ـ ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٧ .

ـ ميتاكسا إ .
مذكرات الضابط البحري إيگور ميتاكسا وهي تتضمن قصص المآثر الحربية للأسطول الروسي الذي سيطر بمساعدة الموانىء العثمانية على الجزر الأيونية بقيادة الأميرال فيودور فيودوروڤيچ أوشاكوڤ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩١٥ .

ـ ميليتي
رحلة راهب الدير في ساروڤسكي ميليتي في سنتي ١٧٩٣ و١٧٩٤ إلى أورشليم ( القدس ) ، الطبعة الثانية ، موسكو ، ١٨٠٠ .

ـ ميليوكوڤ أ .
آثينا والقسطنطينية ، مذكرات سفر أ . ميليوكوڤ في سنة ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٩ .

ـ نوروڤ أ . س .
رحلة في مصر وبلاد النوبة في سنتي ١٨٣٤ ـ ١٨٣٥ الأفرآم نوروڤ ، القسم ١ و٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٠ .

ـ نوروڤ أ . س .
رحلة إلى الأرض المقدسة في سنة ١٨٣٥ ، القسم ١ ـ ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٤ .

ـ نوروڤ أ . س .
رحلة إلى الكنائس السبع المذكورة في سفر الرؤيا ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٧ .

ـ نوروڤ أ . س .
مدينة القدس وسيناء ، مذكرات الرحلة الثانية التي قام بها إلى الشرق أ . س . ـ نوروڤ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٨ .

نيپلوييڤ إ . إ .
ملاحظات إيڤان إيڤانوڤيچ نيپلوييڤ ١٦٩٣ ـ ١٧٧٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٣ .

ـ نيچاييڤ م . كَ .
رحلة رجل التجارة والصناعة ماڤي كافريلوڤ نيچاييڤ إلى مدينة القدس ( ١٧١٩ ـ ١٧٢٠ ) ، إعداد :

ن . پ . بارسوڤ ، وارسو ، ١٨٧٥ .

ـ يونكر ڤ . ڤ .
رحلة إلى أفريقيا ، موسكو ، ١٩٤٩ .

ـ ييپانچين ن .
مقالات عن حملة سنة ١٨٢٩ في تركيا الأوروبية ، القسم ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٥ .

ـ ييليسييڤ أ . ڤ .
الطريق إلى سيناء في ١٨٨١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٣ .

ـ ييليسييڤ أ . ڤ .
جولة في الدنيا ، أبحاث وخرائط من الرحلات إلى الأقسام الثلاثة للعالم القديم للدكتور أ . ڤ . ييليسييڤ ، المجلد ١ ـ ٤ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٣ ـ ١٨٩٦ .

## المراجع والمصادر الأخرى

ـ آشنين ف . د .
اليكساندر نيكولاييڤيچ ساموپلوڤيچ « شعوب آسيا وأفريقيا » ، موسكو ، ١٩٦٣ .

ـ ( . . . . . )
أخبار موثوقة عن الجزائر ، وعن العادات والتقاليد لشعب ذلك المكان ، وعن حالة الحكومة ومدخولات المناطق ، وعن وضع الشواطىء البربرية ، وعن النباتات وما شابهها ، مع رسوم حقيقية دقيقة ، سانت پيترسبورغ ، ١٧٨٧ .

ـ أمڤروسي ( الراهب )
تاريخ المقامات ( الدرجات ) الكهنوتية في روسيا ، القسم ١ ، موسكو ، ١٨٠٧ .

ـ أنوچين د . ن .
عن رجال العلوم والثقافة الروس ، موسكو ، ١٩٥٠ .

ـ أوربيلي ى . أ .
تقرير تمهيدي عن البعثة في تركيا الآسيوية في ١٩١١ ـ ١٩١٢ « أخبار أكاديمية العلوم الأمبراطورية » ، السلسلة ٦ ، العدد ١٥ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩١٢ تشرين الثاني .

ـ أورلوڤ أ . أ .
يوميات مسافر في الحدود التركية ـ الإيرانية في سنة ١٩١٣ ، « مواد ومصادر لدراسة الشرق » ، پيتروغراد ، ١٩١٥ .

ـ أوستريالوف ن .
تاريخ سلطنة بطرس الأكبر ، المجلد ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٨ .

ـ ( . . . . . )
قواد الأسطول الروسي ، الأميرال أوشاكوف ، المجلد ٢ ، موسكو ، ١٩٥٢ .

ـ أوليانوفسكي ف . أ .
الدردنيل والبوسفور والبحر الأسود في القرن الثامن عشر ، موسكو ، ١٨٨٣ .

ـ آيڤازوفسكي إ . ك .
إيڤان كونستنتينوفيـح آيڤازوفسكي ونشاطه الفني خلال اثنتين وأربعين سنة ، « عهود الروس القديمة » ، ١٨٧٨ أيلول ، تشرين الأول .

ـ بابكوف إ . إ .
رحلة إلى أفريقيا ، موسكو ، ١٩٤٩ .

ـ بارتولد ف . ف .
عرض لنشاط كلية اللغات الشرقية ١٨٥٥ ـ ١٩٠٥ ، المجلد ٤ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٩ .

ـ بارتولد ف . ف .
تاريخ دراسة الشرق في أوروبا وروسيا ، الطبعة ٢ ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٢٥ .

ـ بارتينيف پ .
پوشكين في جنوب روسيا ، « الأرشيف الروسي » ، النشرة ٨ ـ ٩ ، ١٨٦٦ .

ـ ڤالسكايا ب . أ .
رحلة إيگـور پيتروفيـح كوڤاليڤسكي ، موسكو ، ١٩٥٦ .

ـ ڤالسكايا ب . أ .
الأكاديمي ك . م . بير عن رحلات إ . پ . كوڤاليڤسكي إلى مصر والصين في الأربعينيات من القرن التاسع عشر ، « بلدان وشعوب الشرق » ، النشرة ١ ، موسكو ، ١٩٥٩ .

ـ ڤالسكايا ب . أ .
إسهام الجمعية الجغرافية الروسية في دراسة بلدان الشرق ، موسكو ، ١٩٦٠ .

ـ بروكهاوزن ـ ييفرون
المعجم الانسيكلوپيدي ، المجلد ٣٨ ( ٧٦ ) .

- بودنارسكي م . س .
دراسات في تاريخ الزراعة الروسية ، موسكو ، ١٩٤٧ .

- بيركَ ن . ف .
رحلة إلى مصر « المذكرات الوطنية » ، ١٨٦٢ تشرين الثاني .

- بيركَ ن . ف .
جولاتي في الدنيا « المعاصر » ، العدد ١ ، ١٠ ، ٦٢ ، ١٨٦٣ ؛ العدد ٧ ، ١٨٦٤ .

- بيركَ ل . س .
الجمعية الجغرافية لعموم الاتحاد السوفياتي في مائة سنة ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٦ .

- بيركَ ل . س .
مقالات في تاريخ الاكتشافات الجغرافية الروسية ، الطبعة ٢ ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٦ .

- بيريزين إ . ن .
مقتطفات من التقرير السنوي للماجستير بيريزين الذي قام برحلة إلى الشرق ، مجلة وزارة المعارف العمومية ، القسم ٤٦ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٥ .

- بيريزين إ . ن .
عرض للرحلة التي استغرقت ثلاث سنوات التي قام بها إلى الشرق الماجستير في جامعة قازان إ . بيريزين « مجلة وزارة المعارف الوطنية » ، القسم ٥٥ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٧

- بيريزين إ . ن .
مقالات عن الشرق ، مشاهد على الفرات ، « المعاصر » ، المجلد ١١ ، ١٨٤٨ أيلول .

- بيريزين إ . ن .
إستعراض الرحلات والاكتشافات المهمة جداً في العشر سنوات من ١٨٣٨ حتى ١٨٤٨ ، بشير الجمعية الجغرافية الروسية لسنة ١٨٥١ ، القسم ١ ، الكتاب ١ ، الفصل ٣ .

- بيريزين إ . ن .
اليزيديون ، مجلة دراسة الأرض والرحلات ، المجلد ٣ ، موسكو ، ١٨٥٤ .

- بيريزين إ . ن .
الدين الإسلامي وعلاقته بالثقافة ، « المذكرات الوطنية » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٥ كانون الثاني ، شباط .

- بيريزين إ . ن .
الكنيسة الأرثوذوكسية والكنائس المسيحية الأخرى في تركيا ، « مكتبة للمطالعة » ، المجلد ٨٣ ، سانت

بيترسبورغ ، ١٨٥٥ .

- بيريزين إ . ن .
الموصل ، « مكتبة للمطالعة » ، المجلد ١٣٣ ، ١٨٥٥ تشرين الأول .

- بيريزين إ . ن .
تركيا المعاصرة ، « المذكرات الوطنية » ، ١٨٥٦ كانون الثاني ، شباط .

- بيريزين إ . ن .
المصلحون الشرقيون ، « المعاصر » ، العدد ١٠ ، ١٨٥٧ .

- بيريزين إ . ن .
كربلاء « مجلة دراسة الأرض والرحلات » ، المجموعة الجغرافية التي أصدرها ن . ڤرولوڤ ، المجلد ٥ ، موسكو ، ١٨٥٨ .

- بيريزين إ . ن .
مشاهد في الصحراء بين البصرة وبغداد « البشير الروسي » ، المجلد ١٣ ، الكتاب ٢ ، ١٨٥٨ كانون الثاني .

- بيريزين إ . ن .
المسيحيون في الموصل « مجلة الموسكوبيين » ، المجلد ٤ و٥ ، ١٨٥٩ .

- بيريزين إ . ن .
مشاهد في الصحراء « البشير الروسي » ، المجلد ٢٥ ، الكتاب ٢ شباط ، آذار ، ١٨٦٠ .

- بيكر ج .
تاريخ الاكتشافات الجغرافية ودراستها ، ترجمة من الانكليزية بإشراف وتعليق إ . پ . ماجدوڤيچ ، موسكو ، ١٩٥٠ .

- بيلوزيرسكايا ن .
پ . أ . چيخاچيڤ « بشير أوروبا » ، ١٨٩٣ ، تشرين الأول ، تشرين الثاني .

- بيلياييڤ إ . د .
حول المعلومات والأخبار الجغرافية في روسيا القديمة « نشرة الجمعية الجغرافية الروسية » . الكتاب ٦ ، ١٨٥٢ .

- بيلياييڤ ڤ . إ . - ڤيننيكوڤ إ . ن .
ذكرى الأكاديمي إ . ى . كراچكوڤسكي ، المجموعة الفلسطينية ، النشرة ١ ( ٦٣ ) ، ١٩٥٤ .

- بيلينسكي ف . گ .
المؤلفات ، المجلد ٢ ، دار نشر سولداتنيكوف ، موسكو ، ١٨٥٩ .

- بيلينسكي ف . گ .
مجموعة المؤلفات الكاملة ، نشرها س . أ . ڤينگيروف ، المجلد ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٠ .

- بيلياييڤسكي م . ب .
لومونوسوف وتأسيس جامعة موسكو ، موسكو ، ١٩٥٥ .

- پروسكوریاكوف
ملاحظات عن تركيا ، منشورات الجمعية الجغرافية الروسية - قسم القفقاس ، الكتاب ٢٥ ، النشرة ١ ، تفليس ، ١٩٠٥ .

- پوتو ف .
الحرب القفقاسية في بعض من الأحداث والأساطير والسير ، المجلد ٤ ، النشرة ٤ ، تفليس ، ١٨٨٨ .

- پوتياتا د . ف .
مذكرات عن آسيا الصغرى « مجموعة المواد والمصادر عن الوضع الجغرافي والتوبوغرافي والإحصائي لآسيا » ، النشرة (٦٦) ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٦ .

- پوشكين أ . س .
مجموعة الأعمال الكاملة ، المجلد ٧ ، موسكو ، لينينغراد ، ١٩٤٩ .

- پوشكين أ . س .
رحلة إلى أرضروم في فترة حملة سنة ١٨٢٩ ، المؤلفات ، المجلد ٦ ، موسكو ، لينينغراد ، ١٩٤٩ .

- پوگودين پ .
عن حملة أبناء الروس على سوروژ « نشرة جمعية التاريخ والتاريخ القديم في أوديسا » ، المجلد ١ ، أوديسا ، ١٨٤٤ .

- پونوماريوف س .
مدينة القدس وفلسطين في الآداب والعلوم وفنون الرسم والترجمات الروسية ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٧ ، ملحق المجلد الثالث « مجلة أكاديمية العلوم الأمبراطورية » ، العدد (١) .

- پيتروف ف . أ .
الدليل الجغرافي للقرن السابع عشر .

- پيتكوفيچ ك .
لبنان واللبنانيون « مجموعة المواد الجغرافية والتوپوغرافية والإحصائية عن آسيا » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٥ .

- پيرشيتس أ . إ .
معلومات أتنوغرافية عن العرب في « المسيرات » الروسية في القرن الثاني عشر ـ السابع عشر ، مجلة « الاتنوغرافيا السوفياتية » ، العدد ٤ ، ١٩٥١ .

- پيكارسكي پ .
تاريخ أكاديمية العلوم الأمبراطورية في پيترسبورغ ، المجلد ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٠ .

- ( . . . . . )
تاريخ الأدب الروسي ، المجلد ١ ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤١ .

- ( . . . . . )
تاريخ الأدب الروسي ، المجلد ٢ ، القسم ٢ ، موسكو ـ لينيغراد ، طبعة أكاديمية العلوم السوفياتية ، ١٩٤٨ .

- تساگاريلي أ . أ .
الآثار الجورجية القديمة في الأرض المقدسة وسيناء ، مجموعة فلسطين الأرثوذوكسية ، المجلد ٤ ، النشرة ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٨ .

- تسيبولسكي ف . ف .
پ . أ . چيخاچيف ـ الباحث النابغ لألتاي ، كيميروڤو ، ١٩٥٩ .

- تسيبولسكي ف . ف .
پ . أ . چيخاچيف ـ الباحث والسائح ، موسكو ، ١٩٦١ .
كتاب التصميم الأعظم ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٥٠ من منشورات أكاديمية العلوم السوفياتية .

- تڤيريتينوف أ . س .

في تاريخ العلاقات الروسية ـ التركية في عهد اليزابت « الاستشراق السوفياتي » ، المجلد ٦ ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٩

ـ تولستوي پ . أ .
أوضاع الشعب التركي في سنة ١٧٠٣ ، سيمفيروپول ، ١٩١٣ .

ـ تيخوميروف م . ن .
بيزنطية وروسيا الموسكوبية « المجلة التاريخية » ، العدد ١ ، ٢ ، ١٩٤٥ .

ـ چيخاچيف پ . أ .
دفتر مذكرات پ . چيخاچيف في آسيا الصغرى ، أخبار قسم القفقاس من الجمعية الجغرافية الروسية ، تفليس ، ١٨٧٦

ـ چيخاچيف پ . أ .
قائمة أعمال پ . أ . چيخاچيف ، وضعتها ن . أ . بيلوزيرسكايا ، « أخبار الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية » ، المجلد ٢٧ ، النشرة ٦ ، ١٨٩١ .

ـ چيخاچيف پ . أ .
رسائل عن تركيا ، قدم له وعلق عليه ف . ق . تسيبولسكي ، موسكو ، ١٩٦٠ .

ـ چيرنيشيڤسكي ن . گ .
مجموعة المؤلفات الكاملة ، المجلد ١ ، ٢ ، ٣ ، موسكو ، ١٩٤٩ .

ـ چيريكوف ى . إ .
مطالعات ى . إ . چيريكوف عن أعمال اللجنة الروسية المكلفة لتخطيط الحدود الإيرانية ـ التركية « بشير الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية » ، القسم ٢٦ ، العدد ٦ ، الجزء ٥ ، ١٨٥٩ .

ـ چيريكوف ى . إ .
دفتر مذكرات سفر ى . إ . چيريكوف « تقارير الجمعية الجغرافية الروسية ـ قسم القفقاس » ، الكتاب ٩ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٥ .

ـ خميستيڤسكي س . پ .
يوميات ستيپان پيتروف ابن خميتيڤسكي عن العمليات الحربية للأسطور الروسي في الأرخبيل وشواطىء آسيا الصغرى في سنوات ١٧٧٠ ـ ١٧٧٤ ، « المعاصر » ، المجلد ٤٩ ، ١٨٥٥ .

- خيتروفو ف .
فلسطين وسيناء ، القسم ١ ، النشرة ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٧ .

- ديميتريفسكي أ . أ .
الجمعية الأرثوذوكسية الفلسطينية الأمبراطورية ونشاطها خلال الربع قرن المنصرم ( ١٨٨٢ - ١٩٠٧ ) ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٧ .

- ( . . . . . ) .
رحلة إلى الأماكن المقدسة في سنة ١٨٣٠ ، القسم ١ و٢ ، الطبعة ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٣٥ .

- ( . . . . . )
عن الرحلة إلى شاهنشاهية إيران ، ومن إيران إلى أرض تركيا ، وإلى الهند ، وإلى هرمز حيث تحل فيه السفن ، مجلة جمعية التاريخ والتاريخ القديم الروسي في موسكو ، الكتاب (١٥ ) ، موسكو ، ١٨٥٢ ، إعداد النصوص والمقدمة : إ . د . بيلياييف .

- ( . . . . . )
رسائل تساريگراد عن الترك القدامى والمعاصرين ، ووضع قواتهم ، وعن تساريگراد وجميع ضواحيها ، سانت پيترسبورغ ، ١٧٨٩ .

- روزين ف . ر .
الأمبراطور فاسيلي بولگاروبويتسا ، مقتطفات من مؤلفات يحيى الانطاكي ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٣ .

- زابيلين
رحلة السفراء إلى تركيا في القرن السابع عشر ، نشرة « عهود الروس القديمة » ، ١٨٧٧ أيلول .

- زابرود سكايا م . پ .
الرحالة الروس في أفريقيا ، موسكو ، ١٩٥٥ .

- ساخاروف إ .
قصص وأساطير الشعب الروسي « رحلة ستيفان النوفگورودى». الكتاب ٨ ، المجلد ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٩ .

- ساخاروف إ .

قصص وأساطير الشعب الروسي « رحلة الشماس الإنجيلي إ يگناتى إلى تساريگراد ومدينة القدس » الكتاب ٨ ، المجلد ٦ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٩ .

- ساڤيلييڤ ن . س .
تقديرات عن تأسيس الأكاديمية الشرقية في سانت پيترسبورغ في سنتي ١٧٣٣ و١٨١٠ ، مجلة وزارة المعارف الوطنية ، القسم ٣٩ ، سنة ١٨٥٦ شباط .

- ستروڤي ف . ى .
التحديد الفلكي في تركيا الأوروپية ، وآسيا الصغرى ، والقفقاس والملاحظات الفلكية التي توصل إليها ضابط الأركان العامة من سنة ١٨٢٨ حتى سنة ١٨٣٢ « ونشرة المقر الحربي - التوپوغرافي » ، القسم ٢١ ، الفصل ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٠ .

- ستيبنيتسكي إ . إ .
پيتر اليكساندروڤيچ چيخاچيف ، أخبار الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية ، المجلد ٢٧ ، النشرة ١ ، ١٨٩١ .

- ( . . . . . )
السجن والآلام التي عاناها الروس لدى الترك ، أو وصف مفصل للمخاطرات التي تعرض لها الروس في تساريگراد على أثر إعلان الحرب ، فكانت حياتهم تعسة ، مع سرد المذكرات اليومية عن القوات المسلحة وعملياتها في الحرب الماضية ، وكثير من الأحداث الأخرى الغريبة النادرة العجيبة ، سانت پيترسبورغ ، ١٧٩٠ .

- سريوزنيڤسكي إ . إ .
معالم معرفة أنباء الشعب الروسي القديمة بآسيا الوسطى ، ترجمة أ . ك . كاظم بك عن العربية « بشير الجمعية الجغرافية الروسية » ، القسم ١٠ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٤ ( مقتطفات مترجمة من المسالك والممالك لابن خرداذبه ) .

- سريوزنيڤسكي إ . إ .
رواية عن تساريگراد « مطالعات الأكاديمي سريوزنيڤسكي » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٥ .

- سڤينكسي ك .
عرض للرحلات الكبرى والاكتشافات الجغرافية خلال السنوات العشر من ١٨٣٨ حتى

١٨٤٨ ، بشير الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية لسنة ١٨٥١ ، القسم ١ ، الكتاب ١ ، الفرع ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥١ .

- سڤينكسي ك .

عرض لأهم الرحلات والاكتشافات الجغرافية في الخمس سنوات من ١٨٤٨ حتى ١٨٥٣ ، المجلد ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٥ .

- سميرنوف ك . ن .

رحلة في كردستان الشمالية في سنة ١٩٠٤ ، أخبار الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية - قسم القفقاس ، المجلد ١٧ ، العدد ٤ ، ١٩٠٤ .

- سميرنوف ن . أ .

روسيا وتركيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، المجلد ١ ، موسكو ، ١٩٤٦ .

- سميشلياييف د .

من مذكرات سفر المختص بمنطقة پيرمسكي ، « نشرات للمطالعة » ، الملحق الشهري لـ ( إدارات البورصة » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٧ ، شباط ، آذار .

- سيميونوف پ . پ .

تاريخ نشاط الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية خلال نصف قرن ١٨٤٥ - ١٨٩٥ ، المجلد ١ ، ٢ ، ٣ ، سانت پيترسبورغ ١٨٩٦ .

- سينكوڤسكي

مجموعة مؤلفات سينكوڤسكي ( البارون برامبيوس ) ، المجلد ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٨ . شتيلمارك ر . أ .

رواية عن الروسي المتجول ، كلمة الختام بقلم الأكاديمي ن . إ . كونراد ، موسكو ، ١٩٦٢ .

- شوڤالوف م . پ .

مقالة نقدية عن سيرة ونشاط المستشرق كير ، مجموعة الأرشيف العام في موسكو التابع لوزارة الشؤون الخارجية ، النشرة ٥ ، موسكو ، ١٨٩٣ .

- ( . . . . . )

الصفوف الخاصة في معهد لازاريف للغات الشرقية في عمرها الثلاثين ، موسكو ، ١٩٠٣ .

- ( . . . . . )

عرض تاريخي لنشاط الشعبة الحربية ـ التوبوغرافية ( ١٨٢٢ ـ ١٨٧٢ ) ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٢ ، القائمة رقم ١ .

ـ ( . . . . . )
عرض للرحلة التي استغرقت ثلاث سنوات إلى الشرق قام بها الماجستير ويليام ديتيل ، مجلة وزارة المعارف الوطنية ، القسم ٥٦ ، الفصل ٤ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٧ .

ـ ڤاسيلييڤسكي ڤ . ڴ .
دراسات روسية ـ بيزنطية ، المجلد ١ ، ٢ ، ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩١٥ .

ـ ڤورونتسوڤ .
أرشيف الأمير ڤورونتسوڤ ، الكتاب ٨ ، ١٨٧٦ ، الكتاب ٩ ، ١٨٧٩ ، الكتاب ١٨ ، ١٨٧٩ ، موسكو .

ـ ڤيتيڤسكي ڤ . ڤ .
إ . إ . نيپلوييڤ مؤسس أورينبورڴ وباني منطقة أورنبورڴ ، قازان ، ١٨٩١ .

ـ ڤيسيلوڤسكي ن . إ .
معلومات عن تدريس اللغات الشرقية في روسيا بصورة رسمية ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٩ .

ـ ڤينگيروڤ س . أ .
مصادر معجم الكتاب الروسي ، المجلد ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٠ .

ـ ڤينگيروڤ س . أ .
المعجم الانتقادي لسيرة الأدباء والعلماء الروس ، المجلد ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩١ ، المجلد ٣ ، ١٨٩٢ .

ـ ڤينيوكوڤ م . إ .
بعض القضايا عن الجغرافيا الطبيعية لتركيا « أخبار الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية » ، المجلد ١٠ ، العدد ٦ ، ١٨٧٤ .

ـ ڤينيوكوڤ م . إ .
من الطريق إلى تركيا « المجموعة الحربية » ، العدد ٨ ، ١٨٧٤ .

- كارامزين ن .م .
تاريخ الدولة الروسية ، سانت پيترسبورغ ، المجلد ١ ، ١٨١٧ ؛ المجلد ٦ ، ١٨١٧ ؛ المجلد ٩ ، ١٨٢١ .
- كراچكوڤسكاياڤ . أ ( قرينة كراچكوڤسكي )
- إ.ى. كراچكوفسكي في لبنان وفلسطين ، المجموعة الفلسطينية ، النشرة ١ (٦٣)، ١٩٥٤ .

- كراچكوڤسكي إ .ى .
ڤ .ف . گيرگاس - بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته « مذكرات لجنة المستشرقين » ، المجلد ٣ ، النشرة ١ ، لينينغراد ، ١٩٢٨ .
- كراچكوڤسكي إ .ى .
عضو أكاديمية العلوم في جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوڤياتية أ .ى . كريمسكي (الذكرى السبعون لميلاده ) ، « أخبار أكاديمية العلوم السوڤياتية » ، قسم اللغة والأدب ، العدد ٣ ، ١٩٤١ .

- كراچكوڤسكي إ .ى .
مواد ومصادر لسير العلماء في الاتحاد السوڤياتي ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٤٩ .

- كراچكوڤسكي إ .ى .
مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٥٠

- كراچكوڤسكي إ .ى .
منتخب المؤلفات ، المجلد ٤ ، المقدمة بقلم م .ل . تسيريتيلي ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٥٧ ؛ المجلد ٥ ، ١٩٥٨ .

- كراچكوڤسكي إ .ى .
مع المخطوطات العربية ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٤٥ ( نشرت الترجمة العربية للكتاب بمقدمة كتبتها أرملته ڤيرا كراچكوڤسكايا في موسكو وهي مؤرخة في ١٩٦٣ ) .

- كراسنوكوتسكي أ .كَ .
المذكرات اليومية لاليكساندر گريگورييڤيچ كراسنوكوتسكي في رحلته إلى القسطنطينية في سنة ١٨٠٨ كتبت من قبله ، موسكو ، ١٨١٥ .

- كريلوڤ ت .ك .
العلاقات الروسية - التركية في أيام الحرب الشمالية ، « المدونات التاريخية » ، الرقم ١٠ ،

- كوتلياريفسكي إ . پ .

مذكرات إ . پ . كوتلياريفسكي عن العمليات الأولى للقوات الروسية في الحرب التركية سنة ١٨٠٦ ، « آثار كييف » ، المجلد ٧١ ، كييف ، ١٩٠٠ .

- كوتوزوف م . إ .

وثائق م . إ . كوتوزوف ، إعداد : ل . ڤ . بيسكروفني ، المجلد ١ ، موسكو ، ١٩٥٠ .

- كوسفين م . أو .

من تاريخ الاتنوغرافيا الروسية القديمة « الاتنوغرافيا السوفياتية » ، العدد ٤ ، ١٩٥٢ .

- كوسفين م . أو .

أول روسي مختص في الدراسات الإفريقية م . ڤ . كوكوفتسوف « الاستشراق السوفياتي » ، العدد ٢ ، ١٩٥٦ ، موسكو .

- كوڤاليفسكي

صحراء النوبة الكبرى ، « المعاصر » ، العدد ١٢ ، ١٨٤٨ .

- كوليوباكين أ . م .

نشاط البعثات التبشيرية البروتستانتية في المنطقة الشمالية الشرقية في تركيا الآسيوية ، تفليس ، ١٨٨٨ .

- كوكيوباكين أ . م .

مواد للاستعراض الحربي الإحصائي لتركيا الآسيوية ، المجلد ٣ ، القسم ١ ، الفصل ٢ ، تفليس ، ١٨٩١ .

- گريكوف ب . د .

ثقافة روسيا الكييڤية ، موسكو ، ١٩٤٤ .

- گريگورييف ف . ف .

جامعة سانت پيترسبورغ الأمبراطورية خلال الخمسين سنة الأولى من عمرها ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٠

- گلينوتيسكي ن . پ .

تاريخ الأركان العامة الروسية ، القسم ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٣ .

- گوگول ن . ڤ .
مؤلفات ورسائل ن . ڤ . گوگول ، المجلد ٦ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٧
لازاريف ڤ.
ن . پ . كونداكوف ، موسكو ، ١٩٢٥ .

- ( . . . . . )
مقالات في تاريخ الاتحاد السوفياتي في المرحلة الاقطاعية . روسيا في الربع الأول من القرن التاسع عشر . إصلاحات بطرس الأول ، موسكو ، ١٩٥٤ .

- ( . . . . . )
مقالات في التاريخ الروسي في القرنين الثامن عشر - التاسع عشر ، سانت پيترسبورغ ، ١٩١٠ .

- ( . . . . . )
مقالات في تاريخ الاستشراق الروسي ، موسكو ، المجموعة ٢ ، ١٩٥٦ ، المجموعة ٤ ، ١٩٥٩ .

- ( . . . . . )
مقالة تاريخية عن نشاط الفرقة الحربية التوپوغرافية في فترة السنوات العشرين الأولى ١٨٥٥ - ١٨٨٠ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٠

- لودشوفيت ى .
مقدمة منتخب مؤلفات ڤ . أ . گوردليفسكي ، المجلد ٣ ، موسكو ، ١٩٦٢

لياسكوفسكي أو .
ك . پ . بريولوف ، موسكو ، ١٩٤٠ .

- ليبيديف د . م .
الجغرافيا في روسيا في القرن السابع عشر ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٤٩ .

- ليبيديف د . م .
الجغرافيا في روسيا في عهد بطرس ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٥٠ .

- لينين ڤ . إ .
مجموعة الأعمال الكاملة ، المجلد ١ .

- مار ن . - أوربيلي ى .
البعثة الآثارية لسنة ١٩١٦ في وان ، پيتروغراد ، ١٩٢٢ .

- ماركس ك .
التاريخ السري للديبلوماسية في القرن الثامن عشر ، لندن ، ١٨٩٩ .

- ماشكوڤتسيڤ ن . كَ .
ك . پ . بريولوڤ ، موسكو ، ١٩٥٢ .

- ماكاري
تاريخ الكنيسة الروسية لرئيس أساقفة خاركوڤ ماكاري ، المجلد ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٨ .

- ماكاروڤ س . أو .
الأعمال الأوكيانوغرافية ، موسكو ، ١٩٥٠ .

- مايكوڤ ل .
مصادر ومراجعات في الأدب الروسي القديم ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٠ .

- مايير م . س .
إنتفاضة ( قيام ) سواد الناس المدنيين في استانبول ، مجلة « شعوب آسيا وأفريقيا » ، العدد ٤ ، ١٩٦٣ .

- ( . . . . . )
مذكرات يومية لبعض الأحداث التي وقعت خلال الحرب مع تركيا منذ يوم إعلانها وحتى سنة ١٧٧٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٧٩٠ .

- ( . . . . . )
مذكرات يومية لرحلة في الأرخبيل الروسي التابع لجزيرة پاروس إلى سوريا والأماكن التي تستحق الاحترام الواقعة في حدود أورشليم ( القدس ) مع تاريخ موجز لمعارك أليبييڤ ، سانت پيترسبورغ ، ١٧٧٣ .

- موچانوڤ أ . ى .
قيام پاترون خليل في استانبول في سنة ١٧٣٠ ( رسالة الدراسات العليا ) .

- مينورسكي ڤ . ف .
الأكراد - ملاحظات وانطباعات ، پيتروغراد ، ١٩١٥ ( قام مترجم هذا الكتاب بترجمة كتاب مينورسكي هذا إلى اللغة العربية ونشره في سنة ١٩٦٨ في بغداد ) .

- مينورسكي ڤ . ف .
الحدود التركية - الإيرانية « مواد ومصادر لدراسة الشرق » ، پيتروغراد ، ١٩١٥ .

- مينورسكي ڤ . ف .
تاريخ شيروان ودربند في القرنين العاشر ، الحادي عشر الميلاديين ، موسكو ، ١٩٦٣ .

- نوروڤ أ . س .
دراسة عن أتلانتيد « التقارير العلمية للقسم الثاني في أكاديمية العلوم الأمبراطورية » ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٥٤ ، الكتاب ١ .

- نيكيتين أ .
مسيرة في ما وراء البحار الثلاثة ، موسكو ، لينينغراد ، ١٩٤٨ .

- نيكيتين ن . پ .
الاقتصاد الجغرافي الوطني في القرن الثامن عشر - القرن التاسع عشر ، موسكو ، ١٩٥٧ .

- نيكيتينو أ . ڤ .
ميخائيل پاڤلوڤيچ ڤرونچينكو - سيرة حياته ، مجلة وزارة المعارف الوطنية ، تشرين الأول ، ١٨٦٧ .

- نيكليودوڤ أ .
بداية العلاقات بين روسيا وتركيا . سفير يوآن الثالث پليشييڤ ، مجموعة الأرشيف الرئيسي لوزارة الشؤ ون الخارجية ، النشرة ٣ ، موسكو ، ١٨٨٣ .

- ( . . . . . )
وصف موجز للأوضاع القديمة والجديدة للموانىء العثمانية ، موسكو ، ١٨٢٨ .

- ( . . . . . )
وصف الأرخبيل والشاطىء البربري : وضع الجزر ، والمدن ، والقلاع ، والموانىء ، والمرافىء ، والملاجىء ، والصخور التي تحت الماء ، وعدد السكان ، والأديان والعقائد ، والعادات والتقاليد ، والتاريخ القديم ، وملحق يضم ثلاثة تصاميم ، سانت پيترسبورغ ،

. ١٧٨٦

- ( . . . . . )

وصف حربي - توپوغرافي للطرق من شوملا حتى پرافودا ، ومن پرافودا خلال آيدوس حتى بورگاس ، ومن پوگاس حتى فاكا ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٢٧ .

- يوزباشيان ك . ن

الأكاديمي يوسف أبگاروڤيچ أوربيلي ، موسكو ، ١٩٦٤ .

## المراجع والمصادر العامة


- تقويم السنة الكبيسة ١٨٣٦ ، سانت پيترسبورغ .
- دائرة المعارف التاريخي السوفياتية ، المجلد ٤ ، موسكو ، ١٩٦٣ .
- دليل جميع المطبوعات الدورية لجمعية التاريخ والتاريخ القديم للأمبراطورية الروسية التابعة لجامعة موسكو ( عن ٦٨ سنة : ١٨١٥ - ١٨٨٣ ) ، موسكو ، ١٨٨٣ .
- القاموس الديبلوماسي ، المجلد ٢ ، موسكو ، ١٩٥٠ .
- مجموعة التقارير القنصلية ، النشرة ١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٦ .
- المحاضر السنوية في جامعة سانت پيترسبورغ الأمبراطورية لما قبل ٨ شباط سنة ١٨٤٧ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٧ .
- مذكرات جماعة المستشرقين التابعة للمتحف الآسيوي في أكاديمية العلوم الروسية ، المجلد ١ ، لينينغراد ، ١٩٢٥ .
- المعجم التاريخي للكتاب الذين كانوا يحملون الألقاب الدينية في روسيا قديماً ، سانت پيترسبورغ ، ١٨١٨ .
- المعجم الجغرافي الروسي ، سانت پيترسبورغ .
- المعجم الجغرافي الكامل ، وهو على حروف الهجاء ، ويتضمن وصفاً مفصلاً شاملاً لجميع أنحاء العالم ، وضعه كارل هينريك لانگير ، موسكو ، ١٧٩١ .
- المعجم الروسي لسير الأشخاص ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٨ .

- المعجم الروسي للسير ( المجلد چادايف - شفيتكوف ) ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٥ .
- المعجم الانسيكلوپيدي للاستعلام ، إعداد أ . ف . ستارچيفسكي ، المجلد ١٢ ، طبعة ك . كراي ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٧ .
- الموسوعة التاريخية السوفياتية ، المذاهب الإسلامية ، المجلد ٥ ، موسكو ، ١٩٥٧ .

## الدوريات ( الصحف ، والمجلات ، والنشرات . . . )

١ - منشورات جمعية فلسطين الأرثوذوكسية الأمبراطورية .
(أ) وصف الأمبراطورية التركية ألفه الروسي الذي وقع في أسر الترك في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، إعداد : پ . أ . سيركو ، المجلد ١٠ ، النشرة ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٠
(ب) النشرة ٣٦ ، المجلد ١٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩١ .
(حـ) النشرة ١٤ ، القسم ٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٣ .

٢ - المجموعة الكاملة للمدونات الروسية .
(أ) حكايات السنين المنقضية ، المجلد ١ ، موسكو - لينينغراد ، ١٩٥٠ .
(ب) البعث والنشر ، المجلد ٨ .
(حـ) المدونة النوفگورودية الرابعة ، المجلد ٤ .
(د) مدونة صوفيا الثانية ، المجلد ٦ .
(هـ) المدونة النوفگورودية الثالثة ، المجلد ٣ .
(و) المدونة النوفگورودية الثانية ، المجلد ٣ .

٣ - مجلة وزارة المعارف الوطنية .
(أ) القسم ١٣٨ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٦٨ نيسان .
(ب) القسم ٢٧٢ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٠ كانون الأول .
(حـ) الكلية الشرقية في جامعة القديس يوسف في بيروت ، ١٩١٠ شباط .

٤ - منشورات الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية .
(أ) « الأخبار الجغرافية » ، النشرة ٤ ، ١٨٤٨ ؛ النشرة ١ ، ١٨٤٩ ؛ النشرة ٢ ، ١٨٥٠ .
(ب) « بشير الجمعية الجغرافية » ، القسم ٣ ، الفصل ٧ ، ١٨٥١ ؛ القسم ١ ، الكتاب ١ ، الفصل ٣ ، ١٨٥١ .

(حـ) تقرير الجمعية لسنة ١٨٧١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٢ .

(د) نشرة الجمعية ـ قسم القفقاس ، المجلد ١ ، تفليس ١٨٧٢ و١٨٧٣ .

(هـ) أخبار الجمعية ـ قسم القفقاس ، المجلد ١٠ ، العدد ٦ ، ١٨٧٤ ؛ المجلد ٥ ، النشرة ٣ ، تفليس ، ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ ؛ المجلد ٩ ، موسكو ، ١٨٨٥ .

(و) الجمعية الجغرافية للأمبراطورية الروسية في عمرها الخامس والعشرين ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٢ .

٥ ـ « كشوف موسكو » ، العدد ٨ ، ١٨٤٦ ؛ ١٩ آب ١٨٦٩ ؛ النشرة ١ ـ ٢ ، موسكو ، ١٩٠٣ ـ ١٩٠٦ .

٦ ـ « كشوف سانت پيترسبورغ » ، العدد ١٤٦ ، ١٩٠٩ ، ٣ تموز .

٧ ـ « البشير الروسي » الكتاب ٢ شباط ، الكتاب ١ آذار ، ١٨٦٠ ؛ العدد ٥ ، ١٨٦٧ ؛ العدد ٧ ، ١٨٦٧ ؛ المجلد ٧١ ، العدد ٩ ، ١٨٦٧ .

٨ ـ « المكتبة الروسية القديمة » ، المجلد ١٢ ، الطبعة ٢ ، موسكو ، ١٧٩١ .

٩ ـ « مكتبة للمطالعة » ، المجلد ٩٥ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٩ مايس وحزيران ؛ المجلد ١٠٢ ، ١٨٥٠ تموز .

١٠ ـ « المكتبة الروسية للصور » ، المجلد ٥ ، العدد ١٥ ، ١٨٥٩ .

١١ ـ منشورات الجمعية التاريخية ، الكتاب ٣ ، موسكو ، ١٨٧٧ ؛ الكتاب ١ ، ١٨٨٤ كانون الثاني وآذار ، القسم ٢ ؛ الكتاب ١ ، ١٨٩١ ؛ الكتاب ٢ ، ١٨٩٤ ؛ المجلد ٩٥ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٩٥ ؛ المجلد ٤١ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٨٤ .

١٢ ـ مجلة وزارة الشؤون الداخلية ، سانت پيترسبورغ ، القسم ١٨ ، ١٨٤٧ ؛ القسم ١٩ ، ١٨٤٧ ؛ القسم ٢٠ ، ١٨٤٧ ؛ القسم ٢٤ ، ١٨٤٨ .

١٣ ـ مجلة الجمعية الآثارية للأمبراطورية الروسية ـ القسم الشرقي ، المجلد ١٨ ، النشرة ٤ ، سانت پيترسبورغ ، ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ .

١٤ ـ « المجلة العسكرية » ، العدد ١ ، ١٨٥٠ .

١٥ ـ نشرات المركز الحربي ـ التوپوغرافي ، القسم ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٣٨ ، القسم ٥ ، ١٨٤٠ ؛ النشرة ٢ ، ١٨٦٨ .

١٦ ـ « أخبار اللجنة الجيولوجية » ، المجلد ٥ ، العدد ٩ ـ ١٠ ، ١٨٨٦ ( قائمة بأسماء أعمال كَ . ڤ . أبيخ .

١٧ ـ « منار المعارف والثقافة الحديثة » ، القسم ٥ ، الفصل ٣ ، سانت پيترسبورغ ، ١٨٤٠ .

١٨ ـ « المذكرات الوطنية » ، المجلد ٦٢ ، العدد ، ١٨٤٩ .

١٩ ـ « المجموعة الطبية » ، تصدرها الجمعية الطبية الأمبراطورية في القفقاس ، العدد ٢٨ ، تفليس ١٨٧٨ .
٢٠ ـ الملحق العلمي والأدبي لـ « إدارات البورصة » ، سانت پيترسبورغ . ١٨٦٦ نيسان .
٢١ ـ « عهود روسيا القديمة » سانت پيترسبورغ ، ١٨٧٨ .
٢٢ ـ « المشوه الروسي »، العدد ١٨ ، ١٨٧٤ .
٢٣ ـ « الأزاهير الشمالية » لسنة ١٨٢٦ ، طبعة جديدة ، ملحق « الأرشيف الروسي » ١٨٨١ ، موسكو .
٢٤ ـ « المعاصر » ، المجلد ٣٩ ، القسم ٤ ، ١٨٥٣ .
٢٥ ـ مجلة « السنابل » ، العدد ٥ ، ١٨٨٥ .
٢٦ ـ « الأرشيف الروسي » ، النشرة ٢ ، ١٨٨٨ ؛ النشرة ١ ـ ٥ ، ١٨٦٣ .
٢٧ ـ « الأرشيف المركزي للوثائق القديمة الحكومي ، الدليل ، القسم ١ ، موسكو ، ١٩٤٦ .
٢٨ ـ « أرشيف السياسة الخارجية الروسية » ، القسم « علاقات روسيا بتركيا » ، ١٧٤٠ .
٢٩ ـ « الأرشيف التاريخي » ، المجلد ٥ ، موسكو ـ لينينغراد ، من منشورات أكاديمية العلوم السوفياتية ، ١٩٥٠ .

## المراجع و المصادر باللغات الأوروبية الأخرى

(1) Annuaire Diplomatique de l'Empire de Russie pour l'année 1864, St. Petersbourg, 1864.
(2) Asie Mineure, description physique, statistique et archéologique de cette contrée par P. de Tchichatchef - Première partie: Géographie physique comparée, Paris, 1953.
Asie Mineure. Climatologie et zoologie Deuxième partie, Paris, 1856.
Asie Mineure, Botanique I, Paris, 1866.
Asie Mineure, Botanique II, Paris, 1866.
Asie Mineure, Description physique de cette contrée par P. de Tchichatchef, Paléonthologie. Par A. d'Archiac, P Fischer et E. de Verneuil. Ouvrage accompagthé d'un Atlas grand en 4°. Paris, 1866
Asie Mineure, Description physique de cette contrée par P. Tchichatchef, Quatrième partie, Geologie I. Paris 1867; Géologie II. Paris 1869; Géologie III. Paris, 1869.
(3) Le Bosphore et Constantinople avec perspectives des pays limitrophes, Paris, 1864 (1866) par P. de Tchichatchef.

(4) Comptes vendus, Paris, 1844, t. XIX.
(5) Geognostische Schilderung des Monte Cargano in den, Jahren 1839 und 1840. Leanhard's N. Jahrbuch für Mineralogie 1841. Coup d'œil sur la constitution géologique des provinces méridionales du Royaume de Naples. Suivi de quelques notions sur Nice et ses environs, Berlin, 1842.
(6) En Orient Impressions et reminiscences, vol. 1-2, St. Petersbourg, 1867.
(7) Espagne. Algérie et Tunisie. Lettres à Michel Chevalier, par P. de Tchichatchef. Paris, 1880.
(8) Lettres sur la Turquie par M.P. de Tchichatchef. Bruxelles-Paris, 1859.
(9) Noroff, Pelerinage en terre Sainte de l'igaumene russe Daniel, 1864.
(10) Recueil des actes de la Séance Publique de l'Académie Imperiale des Sciences de St. Petersbourg tenue le 29 decembre 1834, St. Petersbourg, 1835.
(11) Reise nach Innerarabien Kurdistan und Armenien von baron Eduard Nolde, 1892. Braunschweig, 1895.
(12) Reize zum Ararat von Dr. Freidrich Parrot, Berlin, 1834.
(13) Revue des deux Mondes, 1850, tome sixième, 15 mai, 15 juin.
(14) Toblet, Bibliographia geographica Palestinae, 1867.
(15) P.V. Tschihatschefs Reisen in Kleinen Asien und Armenien 1847-1863. Itinerare redigint und mit einer neuen construction der Karte von Klein Asien begleitet von H. Kiepert Gotha, 1867.
(16) La Turquie Mirés, Paris, 1861.
(17) Une page sur l'orient, Paris, 1868, par. P. de Tchichatchef.
(18) Voyage scientifique dans l'Altai Oriental et les parties adjacentes de la frontière de Chine, Paris, 1845, par Pierre de Tchichatchef.

# فهرس الاعلام

«أ»


أبيخ‌ك . ف : ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٧٩، ٣٦١
أدريانوف بيرينتس ف. پ : ٤١
أدلير سكرون : ٢٠٧
أدلير بيرگ‌ن . ف : ٢٤٩، ٢٥٠
إدوارد / نولدي : ٣٣٨
أراپوف : ٩٩
آرسيني سوخانوف : ٥٧ ، ٥٩
أرسنييف إ.أ : ١٨٥
الاسكندر المكدوني : ٥٣، ٩٢
اسعد رستم : ٣٥٢
أفاناسي نيكيتين : ٤٠، ٤١
أكيرمان : ٣٠، ٣٤، ١٥٩
أليزابث پيتروڤنا ( الامبراطورة ) : ١١٥
اليكسي ( القيصر ) : ٧٢
اليكس (المطران): ٣٠
أگريثيني : ٢٩، ٣٠
أمفروسي : ٢٤
إمين ف.أ. : ١٢٩
أنتوني : ٢٧
أندريه : ٤٥
أنوچين د.ن. : ٣٢٨، ٣٤٣
أوبروچيف ن.ن : ٣٠٢
أوبريسكوف أ.م. : ١٢، ١٢١، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١
أوچاكوف : ٧٧، ١٠٨، ١٣٠
أوزون حسن : ٤٠
أوربيلي ى.أ. : ١٢، ٣٥٥ ـ ٣٥٨

أورتينبيرگ : ١٧٣، ١٧٤
أورلوف أ.أ. : ٣٥٩
اوسـپـينسكي او : ٢٤٧، ٢٤٩.
اوستافييف : ٢٦١
أوستريانوف ن : ٧١، ٧٥، ٧٦
اوشاكوف ف.ف. : ١١٩، ١٤٦، ١٤٧
اوشاكوف ن.ن. : ١٧٤
اوكرا ينتسبيف ي.إ. : ١٢، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٨٥.
اولدينبورغ س.ف: ٢٤٢
أولـگـا : ٢٧
اوليـگ : ٣٠٤
أومانيتس أ. : ٢٣٦ ـ ٢٣٨
ابـپـوليت ڤيشينسكي : ٨١
إيثيل : ١٨
إيخـڤالد إ.إ. : ٣٦١
ايسيدور : ٢٩
إيسين : ١٧٣، ١٧٤
إيشاييف ش. : ٣٣٦ ـ ٣٣٨
آيڤازوڤسكي إ.ك. : ٢٥٩، ٢٦٠
إيڤان الرابع : ٤٥، ٤٧، ٤٨
إيڤانوف / سيديسلاف : ٢٦
إيڤان كادمين : ٨٧
إيڤانوڤسكى ن.إ. : ٥٧
إيلين: ٣٠٠
إيـگـناتييف أ. : ٨١، ٨٢
إيـگـنازتى سموليانى: ٣١، ٣٣، ١٣٠
إيـگـناتييف ن.پ. : ٣٠٤
إيـگـور : ٢١

«ب»

بابكوف إ.إ. : ٣٢٠
بارانشيكوف : ١٣٣ ـ ١٣٥
بارتولد ڤ.ڤ. : ١٤٩، ١٥٠، ٢٠٨، ٢٥١، ٣٤٨، ٣٥٥، ٣٦٠
بارتينيف پ : ١٨٥

بارسكى ف. گ : ١٨، ١٠١ ـ ١٠٦
بارسوف ن. پ . : ٨٨، ١٠٢
بازيلى ك. م. : ١٩٩ ـ ٢٠٤، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١
بايير / هوتليد زيگفريد : ٩٨
بدرخان : ٢٤٠
براتيشيف : ٩٩
برانوف : ف. ر. : ٢٦٢
برايلوف : ٧١
بروتنيكوف ك . : ١٦٣ ـ ١٦٦ ، ٢٣٧
برونيفسكوى ف : ١٥٥، ١٥٦
بريولوف ك. پ . : ١٨٨، ١٩٠
بليڤكوراكى (بيلينكى) : ٢٨٦
بطرس الأول (الأكبر) : ١١ ـ ١٣، ١٧، ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٧٠ ـ ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٩١ ـ ٩٤
بودنارسكي م. : ٩٢
بوريسوف إ. أ. : ١٢٩
بوكسباوم ى. خ. : ٩٢، ٩٣.
بورلگاروبويتسا / ڤاسيلى : ١٩
بولگاكوف ى. إ. : ١٢، ١٣٨، ١٤٢
بويدى ن. : ١٣٨
بيرك. م. : ٢٦٢
بيريزين إ. ن. : ٢٣٨، ٢٤١ ـ ٢٤٥، ٢٧٩
بيركينهايم أ. م. : ٣٤٠، ٣٤١
بيرگ ڤ. ڤ. : ١٦٢، ٢٤٦، ٣٦١
بيرگ ل. س. : ١٩٤ ـ ٢٢٩
بيرگ ن. ف. : ٢٨٥
بيساروڤيچ ى. م. : ١٦٥
بيكر ج. : ٢٢٢
بيكيتوف د. ن. : ٣٤٣
بيلوزيرسكايا ن. أ. : ٢١١، ٢١٣
بيلوگوروف س. : ٥٧
بيلياييف إ. د. : ٢٤، ٣٦، ٥١
بيلينسكي ف. گ : ١٩٢، ١٩٩

« پ »

پاترون خليل : ١١١، ١١٢

پاپتوشكوف ك.ن. : ١٦٨
پاسكيفيتش إ.ف. : ١٧٥
پاروت ف. : ٢٠٧
پافلوف سيلفانسكي ن.پ. : ٧٣
پالي : ٢٠، ٨٣
پالين : ١٢٩
پروسكور ياكوف ي.س. : ٢٣٣ - ٢٣٦
بليشييف. س. إ. : ١٢٧ - ١٢٩
پليشييف م.أ. : ٤٢، ٤٣
پوپوف ن: ٧٦، ٧٧
پوتوف.أ. : ١٨٣
پوتياتا د.ف. : ٣٣٤، ٣٣٦
پوتيمتس ف.ن. : ٨٥
پودنارسكي م.س. : ٢٠
پورگوس : ٧٧
پرزيناكوف ف. : ٤٥ - ٤٧
پوشكين أ.س. : ١٦٨، ١٧٩، ١٨١ - ١٨٣، ١٨٥، ٢٦١
پوگودين ب. : ١٨
پولوزووف ف. : ٦٦
پولوسوخين : ٢٣٧
پوليتانسكي ك. : ١٠١
پونتوس افكسينوس : ٧٦
پونوماريوف س. : ١٤، ١٥، ٣٣، ٨١
پونيتسكي : ٢١
پيپيفاني : ٣٣
پيتروف ف.أ. : ٦٧
پيترسون خ.إ. : ١٤١
پيتر اندرييفيتش : ٧٥
پيرشيتس أ.إ. : ٢٣
پيتكوفيتش ك. : ٣٢١
پيكارسكي پ. : ٩٣
پيجين : ٣٠، ٣١
پوتيمكن تافريجسكي ( الأمير ) : ١٢١

«ت»

تامارا ف.س. : ١٤٦
تريفون كورو بيينيكوف : ٤٧، ٤٩، ٥٤، ٣١٦
ترويتسه : ٣٤
تساگاريلى أ. : ٣٢٨
تسيكولين د.إ. : ١٦٠، ١٦١
تسيبولسكى ف.ف. : ٢٢٢
تسينكوفسكى ل.س. : ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٦١
تورموسوف: ٥٠
تورنيفور : ٩٣
تولستوى پ .أ. : ١٢، ٧٢ـ ٧٧، ٨٠، ٨١
تيپلوف ف. : ٣٠٩، ٣١٠
تيخوميروف م.ن. : ٣٢
تيمور أكساك : ٣٤

«ج»

جافاخوف إ.أ. : ٣٤٧، ٣٤٨
جورج أمارتول : ٢٠
جوستنيان : ٢٩، ٣٥، ٢٣١
جوهان مالالا : ٢٠

«چ»

چيخاچيف پ .أ. : ١٢، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠ـ٢٢٢، ٢٤٦، ٣٠٩، ٣٦١
چيخاچيف ف.پ : ٢١٢
چيخاچيفا آ . ف. : ٢١١
چيرنيشيفسكى ن.گ. : ١٠٣، ١٣٨، ١٦٩، ١٧٩، ١٩٣، ٢٠٦، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٦٧
چيرنيگوف : ٦٦، ٨١، ٩٤
چيريكوف ى.إ. : ٢٦٩ ـ ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٥
چيكاليفسكى : ٩٩
چيگيرين : ١٠٨

«ح»

حسن بك : ٤٠، ٤١
حسن پاشا كوچوك : ١٤٤

«خ»

خاركوف ماكارى : ٢٨
ابن خرداذبه : ١٨
خودزكو إ. : ٢٠٧، ٢٧٦، ٢٧٧، ٣٦١
خورشيد أفندى : ٢٧٢
خيتروڤوف. : ٨١، ١٧٧
خميتيڤسكى س.پ. : ١٢٣ ـ ١٢٥.

«د»

داشكوف د.ڤ. : ١٦٧ ـ ١٦٩
داڤليتشين : ٣٣٨، ٣٣٩
داڤيدوف ڤ.پ. : ١٨٨
دانييل : ١٧، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٣٣.
داود سلام : ٣٥٢
ديتمارس : ١٧٣، ١٧٤
ديتيل و.ف. : ٢٣٨ ـ ٢٤١
ديمترى إيڤانوڤيچ : ٣٣
ديميدوڤسكى : ٢٦٧
ديوگا اميل أ. أو. : ١٧٥ ـ ١٧٧، ١٨٧، ١٨٨
دوبروڤولسكى أ.د. : ٣١٥
دوبرينيا يادرييكوڤيچ : ٢٦، ٢٧.
دوختوروڤ م.ن. : ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٤٥
دوروخين ف. : ٦٣
دوسيڤى : ٢٨
دولگوڤ س.و. : ٣٩، ٥١، ٦٢

«ر»

راددە ك.إ. : ٢٩٥ ـ ٢٩٨، ٣٦١
رازوڤسكى أ.إ. : ٩٢

رافالوفيـح أ.أ. : ١٢، ٢٥١ ـ ٢٥٧، ٣٦١
روبـريخت ف.إ. : ٩٣
رودريك م. : ٢١٩
رودیون اوسلیبیاتیا : ٣٣
روزين ف.ر. : ١٩، ٢٤٧
روميانتسيف أ.إ. : ٩١، ٩٣، ١١٠، ١٣٩، ١٤١
ريـبنين ن. : ١٢٨، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١
ريتيرك. : ٢٨١
ريكورد : ١٩٩

«ز»

زابيلين إ. : ٤٧، ٦٦.
زابرود سكايا م.پ. : ٣٢٠
زاخاروف إ.د. : ٢٧٥، ٢٧٦
زادونايسكى ب.أ. : ١٤١
زوبوف ن.ن. : ٣١٥
زوسيما : ٣٤ ـ ٣٦
زولوتونوشا : ١٨.

«ژ»

زوكوفسكى ف.أ. : ٢٦٠

«س»

ساخاروف إ. : ٢٩، ٣١
ساڤيليف ن.س. : ٩٨
سامسونوف : ٤٨
ساموبلوفيـح أ.ن. : ٣٥٥
سـپـاسكى : ٢٠٧
ستارچـيڤسكى أ.ف. : ٢١١
ستاخييف أ. : ١٤١، ١٤٢
ستروڤ ف.ى. : ١٧٤، ١٩٠، ٢٠٧
ستيبنيتسكى إ.إ. : ٢١٠، ٢٧١، ٣١٠، ٣١٣، ٣٦١.
ستيڤان: ٢٨، ٢٩

سريوزنيڤسكى إ.إ. : ١٨، ٢٠
سليم (السلطان): ٤٧، ١٤٣
سليمان (الشاعر): ٣٥٢
سليمان پاشا : ٢٢٧
سڤياتوپولك إ. : ٢٤
سيڤينين پ . پ . : ١٥٧
سڤينسكى ك.ف. : ١٥٠، ٢٤١
سميرنوڤ ك.ن. : ٣٣٦، ٣٤٧
سميشليايڤ د.د. : ٢٩١، ٢٩٣
سكالكوڤسكي ك. : ٣٠٥، ٣٠٨
سوخانوڤ و.خ : ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠ ـ ٦٢
سولوڤييڤ پروتاسييڤ : ٥٠
سولوگوب ڤ.أ. : ٣٠٤
سويمونوڤ ف.إ. : ٩٦
سيراپيون : ١٠٨
سيركوپ . إ. : ٦٣
سيرگييڤ أ. : ٧٣
سيڤيرس : ٢٩٧
سيمور : ٢٠٧
سيميرنوڤ ن.أ. : ٤٧
سيميونوڤ بارزنوڤ : ٤٧
سيميونوڤ تياشانسكي پ . پ .. : ١٦٣، ٢٥٧، ٣١٢، ٣٢٠.
سينكوڤسكى و.إ. : ١٢، ١٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ٢٧٩
سينياڤين د.ن. : ١٥٥

«ش»

شافيروڤ : ٨٣
شافشتين : ٣٠٢
شوڤالوڤ م.پ . : ٩٨
شيتلمارك ر.أ. : ١٣٥
شيرباتوڤ (الأمير): ٣٤٦
شيرباتوڤا (الأميرة): ٣٤٥، ٣٤٦
شيريميتيڤ پ . پ . : ٨٢، ٨٣، ١٦٣
شيڤيرين : ٢٦٠

شيلكوڤنيكوف ب.إ. : ٣٤٦، ٣٤٧
شيمان : ٢٠٧

«ع»

عبد الكريم رزاق (شيخ قبيلة) : ٢٩٠
عبد المجيد (السلطان) : ٢٨٥
عثمان الثاني : ٥٠
عثمان پاشا (سرعسكر) : ١٧٦
عرابي پاشا : ٣٢٤
علي زاده أ.أ. : ٣٦٠
علي سلطان : ٤١

«ف»

فاستوف : ٧٨ ، ٨٣
فرانگيل ف.پ . : ٢٦٢
فرين خ.ب. : ٢٧٩
فيودور اليكسييڤيچ : ٦٦
فيودوروڤ : ٢٠٧
فيودوسي (الامبراطور ) : ٢٨٢

«ڤ»

ڤارسونوڤ : ٣٩، ٤٠
ڤارلام : ٨٣
ڤاسيلي : ٣٦ ـ ٣٩، ٤٣، ٤٤، ٥٤
ڤاسيلي بوسلاييڤ : ٢٣
ڤاسيلي ديميتريييڤيچ : ٣٤
ڤاسيلكوڤ : ٩٤
ڤاسيلييڤ أ.أ. : ٣٤٧، ٣٤٨
ڤاسيليڤسكي ڤ.گ. : ١٨
ڤالسكايا ب.أ. : ٢٦٧
ڤراچكو : ٢٣٧
ڤرونچينكوم.پ. : ١٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢ ـ ١٩٤، ١٩٦، ١٩٩، ٢٤٦، ٣٦١

ڤسيڤولوژسكى ن.س. : ٢٠٥، ٢٠٦
ڤلاديمير اين باروسلاڤ : ٢١، ٢٣
ڤورونتسوڤ أ.ر. : ١٤٦
ڤورونتسوڤ س.ر. : ١٤٦
ڤورونتسوڤ م.س. : ٢٣٦
ڤوزنيتسين ب.ب. : ٦٦
ڤوروبييڤ م.ن. : ١٦٩
ڤيازيمسكى پ.أ. : ١٦٨، ٢٦١
ڤينيڤسكى ڤ.ڤ. : ٩١
ڤيسيلوڤسكى ن.إ. : ٩٩
ڤيشاتا : ٢١
ڤيشيتاكوڤ أ.أ. : ١٠٢، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١٣٩
ڤيشنياكوڤ إ.إ. : ١٥١، ١٥٣، ١٥٥.
ڤيشنياكوڤ ڤ.إ. : ١٥١، ١٥٣، ١٥٥.
ڤيشينسكى : ٨١
ڤيلينسكى : ١٦٩
ڤينيڤيتينوڤ م.ف. : ٢٤
ڤينيوكوڤ م.إ. : ٣٠٦ـ٣٠٨

«ك»

كاترين الثانية : ١٤٢، ١٤٥
كاپـوديستري : ٢٠٠
كارامزين ن.م. : ١٩، ٣٤، ٤٢، ٤٧، ٤٨، ١٢٠،
كارتسوڤ ي.س. : ٣٢١
كارفاغين : ١٢٦
كارل بيرينس : ٢٠٧
كازبيك كَ.ن. : ٣٠٠، ٣٠٢
كاظم بك أ.ك. : ١٨، ٢٧٩
كاليحاكي : ١٢٣
كانـگـرين ف : ٢١٣
كراچـكوڤسكى إ.ى. : ١٢، ٤١، ٤٧، ٦٥، ٦٦، ٩٨، ٩٩، ١٢٧، ١٦٩ـ١٥١، ٢٦٧، ٣٥١ـ٣٥٥، ٣٦٠
كراسنوڤ أ.ن. : ٣٤١، ٣٤٣ـ٣٤٥
كراسنوكوتسكي أ.كَ. : ١٥٧، ١٥٨

كريلوڤ إ.أ. : ١٢
كريلوڤا ن.ك. : ٧٣
كريمسكى أ.ي. : ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٩
كلينگين إ.ن. : ٣٤١ ـ ٣٤٣
كوپتيڤ أ. : ٣٣٠
كوتسيبو : ٣٠٤
كوتوزوڤ م.إ. : ١٣٥، ١٤٣ ـ ١٤٥، ١٥٩، ١٦٠
كوتوزوڤا ى.إ. : ١٤٤
كوتليار يڤسكى إ.پ . : ١٥٩
كوتوڤ : ٥١
كوچوبى ڤ.پ . : ١٤٥، ١٤٦
كورنيلوڤ : ٢٤٥
كوروبوڤ ڤ.أ. : ٤٤
كوروبيينيكوڤ : ٤٩
كوسڤين م.و. : ١٩، ١٢٧
كوڤاليڤسكى ى.پ . : ١٢، ٢٣٨، ٢٦٢ ـ ٢٦٨، ٣٦١ ـ ٣٠٣
كولو آن ابن أندرونيك : ٣٢
كوليوباكين أ. : ٣٣١، ٣٣، ٣٣٤
كولوڤتسوڤ م.گ. : ١٢، ١٢٥ ـ ١٢٧
كونداكوڤ ڤ.أ. : ١٥
كونداكوڤ ن.پ . : ٣١٥ ـ ٣١٩
كوندير ييڤ: ٥٠
كيپيرت : ٢١٨
كيپيوس أ.إ. : ٣٣١
كير : ٩٨، ٩٩
كيسيلييڤ : ٢٣٧

## گالاتس

گالاتس : ٧٨، ٨٤، ٣١١
گاليتسكي : ٢٨
گاگارا ڤ.ى. : ٥١، ٥٣ ـ ٥٦، ٢٣٧
گامازوڤ م.أ. : ٢٧٠ ـ ٢٧٢، ٢٧٥
گانگ : ٢٠٧
گريكوڤ ب. : ١٧

گـريـگـوري : ٢٨، ٧٩
گـريكوف ن.د. : ١٨، ٤١
گـريـگـوف ن.د. : ١٨، ٤١
گـريـگـوروڤيچ ـ بارسكى ڤ. : ١٢، ١٢١، ٢٣٧، ٣٢٩
گـريـگـورييڤ م. : ٤١
گـوردليڤسكى ڤ.أ. : ١٢، ٣٤٨ ـ ٣٥٠
گـورسكى أ.ڤ. : ١٨
گـولوخڤاستوف أ. : ٤٣، ٤٤
گـولوڤين ف. : ٧٣، ٧٥
گـولينيشيڤ ـ كوتوزوف م.إ. : ١٣٨
گـوگـول ن.ف. : ١٩٩، ٢٠٠، ٢٦٠، ٢٦١.
گـيديونوف د.د. : ٣٣١
گـيرگـاس ڤ.ف. : ٢٨٧
گـيناوى : ٤٥
گـيورگ ياكوف : ٩٨

«ل»

لازاريف ڤ. : ٣١٥، ٣١٩
لاڤرينتيڤسكى : ٢١
لامارتين : ٢٠٣
لوبـاريف خ.م. : ٢٧، ٣٤، ٤٥
لوتسكى ڤ.ب. : ١٥
لوكيانوف : ٨٣ ـ ٩٠
لومونوسوف م.ڤ. : ٩٨، ١٢٠، ١٢٨
ليبيديف د.م. : ٤٤، ٥٠، ٧٢، ٧٥، ٩٥
ليـپـراندى أ.پ. : ١٨٤، ١٨٥
ليتكى ڤ.پ. : ٢٤٦
ليخڤين : ٨٣.
ليخوتين م. : ٢٧٦ ـ ٢٧٨
ليرمونتوف م.ى. : ١٧٩
ليڤاشوف پ : ١٢١، ١٢٢، ١٣١
لينتس ى.خ. : ٢٦٢
لينين ڤ.إ. : ٥٠
ليوبارسكايا أ.م. : ٣٠٢

ليونارد : ٢١٥، ٢١٦
ليونيد : ٣٠، ٣٧، ٣٨، ٧٨.
ماترونى: ١٠٨
مار ن.ى. : ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٦، ٣٥٨.
مارسيلى : ٢٠١
منماركس ك. : ٤٣، ٦٩، ٧٠.
ماركوڤ ى.ل. : ٣٢٩، ٣٣٠
ماريا فيودوروڤنا : ٢١١
ماكاروڤ س.أو. : ٢٠١، ٣١٣ ـ ٣١٥
ماكارى: ٧٨ ـ ٨٠
مالاما ى.د. : ٢٩٨، ٢٩٩
ماسونوڤ: ٥٠
مانوئيل (الامبراطور): ٣١، ٣٢
مانوييلوڤيج إ. : ٣٤
مانوييل يأليولوك: ٣٤
مايكو ڤ.ل. : ٢٨
مرت الله يك : ٣٥٦، ٣٥٧
المروزي (الكاتب العربى): ٣٦٠
محمد پاشا (الصدر الأعظم): ١.٢٣
محمد دوحى (شيخ قبيلة): ٢٩١
محمد على: ١٧٢، ١٨٥، ٢١٣، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧١، ٣٠٤
محمود الأول (السلطان): ١١٢
محمود الثانى (السلطان): ١٧٥
مراد الرابع (السلطان): ٥٠
مصطفى (السلطان): ٥٠
مصطفى الثاني (السلطان): ٧٤
مصطفى پاشا: ٣١٢
المهدى: ٣٢٤، ٣٢٦
موراڤييڤ أ.ن. : ١٧٧ ـ ١٧٩، ١٨٠، ١٨١
موراڤييڤ ن.ن. : ١٨٥، ١٨٦، ٢٧٦، ٢٧٧
ميتاكسا إ.پ . : ١٤٦، ١٤٧
ميتياى : ٣٠
ميخائيل رومانوڤ : ٥٠
ميخائيل أوگاركوڤ : ٤٩

ميخائيل أليكساندروفيـچ : ٣٣
ميستيسلافوڤيـچ : ٢٨
ميشيل شيڤاليه : ٢٢٢
ميشينين : ٤٨
ميغودى : ٢٠
ميليتى : ١٣٥، ١٣٦
ميليوكوف أ.پ . : ٢٨٣
ميندورف : ١٥٩
مينورسكى ڤ.ف. : ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١

«ن»

ناپـوليون : ١٦٠
ناخيموف : ٣٠٥
ناشوكين : ٤٨
ناللينوك .أ. : ٣٥٤
نوتاكوف : ٣٠٤
نوروف أ.س. : ١٧، ١٠٣، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧ ـ ٢٣١، ٣٦١
نوڤوسيلتسوف : ٤٧.
نوڤيكوف ن.إ. : ١٢٠، ١٢٧
نوڤيكوف م.ل. : ١٥١
نوڤيكوف (١) : ١٥٣
نوڤيكوف (٢) : ٢٧٦
نيـپـلوييف إ.إ. : ١٢، ٩١، ١٠٩، ١١٠ ـ ١١٢
نيـپـلوييف أ.إ. : ٩١، ٩٥، ١٠٢، ١٠٨ ـ ١١٠، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٣٩
نيـچـاييف م.ك. : ٨٨ ـ ٩١
نيستور أسكندر : ٣٦، ٣٧
نيكوديم : ٩٤، ٩٥
نيكولاى الأول : ٢٥٥
نيكولسكى م. : ٣٤٠
نيكليودوف : ٤٢
نيكولاى كافڤريلوڤيـچ : ٢٢٩

«و»

وليد على (شيخ قبيلة) : ٢٨٥

«هـ»

هومبولدت أ. : ٢٦٤، ٢٨١

«ى»

ياكوڤ: ٤٥
يحيى الانطاكي: ١٩
يڤرييڤوف ي.م.: ١١٤
يوآن (الامبراطور): ٣٢
يوآن الثالث پليشييڤ: ٤٢
يوآن لوكيانوڤ: ٨٣
يورى گريك: ٤٧
يوسفوڤ (الأمير): ١١٥
يوسيليانى پ .أ. : ٣٢٨
يونا (مالينكى): ٦٢
يونكر ڤ.ڤ: ٣١٩، ٣٢٠
ييڤيموڤ د.ى. : ٢٣١ ـ ٢٣٣
ييڤيموڤ ن.ى. : ١٨٨
ييليسييڤ أ.ڤ. : ١٢، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦ ـ ٣٢٨، ٣٦١
ييتلينگر ل.ر. : ٣١٣

# فهرس الأسماء الجغرافية

«أ»


آثينا : ١٠٢، ١٧٩، ٢٤٩.
آرارات ( آگـرى داغ ) : ٥١، ٥٣، ٦٢، ٢٠٧، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٩٧، ٢٨٠.
آراس (آراكس): ٦٢، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨
آرت: ١٠٢.
آرتڤين: ٢٨٠.
آزوف: ٣١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٥، ٩٨.
آسيا الصغرى: ١١، ١٢، ١٧، ١٩، ٣١، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٥٣، ٦٣، ٦٧، ٧٦، ٩٣، ٩٥، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٧، ١٩٠، ١٩٢ ـ ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٣ ـ ٢١٥، ٢١٨ ـ ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٥٩، ٢٧٧، ٢٨١، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٤٧، ٣٤٨.
آش قلا : ٢٨٠
آق داغ: ١٨٢
آق دريا: ٣٣١
آق شهر: ٣٧
آق ـ كيسار: ١٧٩، ٢٢٨
آلا شهر: ٢٢٨
آلاگـز : ٢٩٧
آيدن: ٢١٨
أبوقير : ٦٠، ٦٣
أتاليا : ٢٢٨
الاتحاد السوڤياتى: ٤٢، ٢٠٨، ٣٦٠
أتڤين: ٢٣٤
أخالتسيخ: ١٧٤، ٢٩٥
أداليا: ٨٠
أدجاريا: ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٠.

أدريانوپول (أدرنه): ٥٦، ٦٣، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ١٢٢، ١٤٤، ١٥٧، ١٦٢، ١٧٧، ١٧٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٢.
أدنه: ٣٧، ١٩٢، ٢١٥، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٢، ٣٣٥.
أوبيل: ٢٤٤
أرباچاى: ٦٢
أرتقين: ٣٠١، ٣٠٢
أردانوچ: ٣٠٠، ٣٠١
أردبيل: ٥١، ٢٤١
أردوس: ١٨١
أردهان: ٥٣، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣١١
أرجيس: ٣١١.
الأرخبيل (اليونانى): ١٢، ٢٥، ٦٣، ٦٧، ٩٢، ١١٧، ١٢٤، ١٢٥ ـ ١٢٧، ١٢٩، ١٣٦، ١٥٥ ـ ١٥٧، ٢٠٠، ٢٥٩، ٣٢٩
أرزنجان: ٤١، ١٧٦، ٢٨٠، ٢٩٩، ٣٣١، ٣٣٥.
أرضروم: ٤١، ٥٣، ٦١، ٦٢، ٩١، ١١٦، ١٧٤، ١٧٦، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣١١، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٥٦.
أرمينيا: ١٧ ـ ١٩، ٩٢، ٩٣، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٨، ٢٧٩ ـ ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٣١.
أريحا: ٣١٧، ٣٥٣.
أريڤان (راڤان، پريڤان): ٥١، ٥٣، ١١٣، ١٧٨، ١٩٦
أرين (خيرين): ٣٣٦
أريول: ٨٣.
أزمد: ٢١٨.
إزمير (سميرنا): ٦٣، ٧٥، ١١٥ ـ ١١٧، ١٠٨، ١٤٧، ١٧٩، ١٨٩، ١٩٢، ٢٠٠، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٦١، ٢٩٤، ٣٠٧، ٣٣٦
إسپانيا: ٣٠٥
أستراخان: ٤٧، ٩٢، ٢٣٦، ٢٣٩
استراڤيا: ٣٢.
الاسكندونه: ١٠٦، ١١٦، ١١٨، ٢٥٦، ٢٨٩، ٣٠٧، ٣٢٦، ٣٣١
الاسكندريه: ٤٥، ٤٧، ٥٣، ٦٠، ٦٣، ٧٩، ٨٠، ٨٧، ١٠٤، ١٠٦، ١٤٧، ١٧٠، ١٧٨، ١٨٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٨٨، ٢٩٣، ٣٠٤، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٥٣.
أسكودار: ٣٥، ٦٦، ١٤٤، ١٧٦، ٢١٨، ٣٠٧.
الاسماعيلية: ٣٠٤

إسميد: ٣٠٧
اسوان: ١٨٨، ٢٦٣، ٣٢٤
أسيوط: ٣٢٢، ٣٢٦
اصفهان: ٢٧٠
اطلانتيس: ٢٢٨، ٢٢٩
إفيس: ٢٥
أگيرده: ١٩٨
ألبانيا: ١٤٧
ألتاى: ١٩٠، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٤٦
ألمانيا: ١٠٥، ١١٥، ١٢٩، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٨٠
ألويكا: ٢٤٤
ألوند: ٣٥٩
اليكساندروپول: ٢٧٧، ٢٨٠
أماسرا: ٦٦
أماستريد: ١٨
أماسيا: ٣٧، ٣٨، ٤١، ٦٣، ١٧٦، ٢١٨، ٢٦٩
أمپيلوس: ١٥٥
أمستردام: ٣٠٦
أم درمان: ٣٢٦، ٣٢٧
أميدونيا: ٥٣
الأناضول: ٥٧، ٦٦، ٩٢، ١٢٤، ٢٣٥، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٣٨
أنتاليا: ٢١٨
أنطاكيا: ٣٠، ٣٧، ٩٢، ١٠١، ٢٤٥، ٢٥٣، ٢٥٨
أنغورا: ١١٦ ـ ١١٨، ٣٠٩
أنقره: ٣٣، ٣٤، ٥٣، ٥٦، ٦٣، ٢١٨
انكلتره: ١٠٥، ١١٧، ١٤٣، ١٦٠، ١٦٢، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٦٩، ٣٠٧، ٣٤٣، ٣٦٠
أوئيل: ٣٢٠
أوديسا: ١٨، ١٥١، ١٦٤، ٢٣٧، ٢٥١، ٣٠٤، ٣٠٥
أورال: ١٦٣، ٢٦٢، ٢٩٣
أورفه: ٥٣، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١
أوزوگيت: ٢٩٧
أوغنده: ٣٢٠
أوكرانيا: ٨٣، ١٠٥، ١١٤، ١١٩، ١٢٢
أولتا: ٢٣٤، ٣١١
أولمپ: ٩٣، ٢٠٦، ٢٨٦

ايران (فـارس): ٥١، ٦٧، ٦٩، ٩١، ٩٢، ١١٥، ١١٦، ١٦٠، ١٧٥، ١٨٦، ٢١٨، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٩، ٣١٢، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٥٩، ٣٦٠.
إيريگلى: ٣٧، ٧٦
ايساكجه: ١٦٢، ١٦٣
إيسنيك: ١٧٦
إيفيس: ١٠٢
إيطاليا: ٧٢، ١٠١، ١٨٩، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٣١، ٣١٩، ٣٢٩
إيگين: ٣٣١
إينجه سو: ١٨١
ايون: ١٨، ٢٨، ٣٤، ٣٥، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٤٩، ٥٧، ٨١، ١٠١، ١٠٢، ١٣٠، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٩، ٣١٥، ٣٢٨

«ب»

باباداغ: ١٥٩، ١٦٢، ١٦٣
بابل: ١٩، ٢٠، ١١٦، ٢٤٣، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤
باردو: ١٢٦
باطوم: ٢٣٤، ٢٨٠، ٣٠٨، ٣١١، ٣٢٦، ٣٥٦
باليكيسير: ١٧٩
بايبورت: ١٧٦، ٢٣٥، ٢٨٠، ٣٣٨، ٣٥٦
بايزيد: ١٧٤، ٢٧٨، ٢٩٩، ٣١١، ٣٣٦
بتليس: ٦٣، ٣٢١، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨
البحر الأبيض المتوسط (البحر الرومى): ١٨، ١٩، ٢١، ٢٤، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٧١، ٨٩، ١١٥، ١٣٠، ١٤٠، ١٥٥، ١٥٦، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٦٤، ٣٠٧، ٣١٤
البحر الأحمر: ٤٦، ٢٣٠، ٣٠٦، ٣٢٤
البحر الأسود: ١٧ ـ ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٣١، ٣٦، ٤٦، ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٦٥، ٦٩ ـ ٧٢، ٧٥ ـ ٧٧، ٨٢، ٨٨، ٨٩، ٩٣، ١٠٥، ١١٣ ـ ١١٦، ١١٩، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٧، ١٥٦، ٢٠١، ٢١٨، ٣٠٠، ٣٠٦ ـ ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٦
بحر ايجه: ٥٩، ٧٦، ١٥٧، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٣٧
بحر البلطيق: ٢١، ١١٩، ٣٣٨.
بحر قزوين (بحر الجزر): ١٩، ٩١، ٩٣، ٩٦.
البحر العربى: ٤٦
بحر مرمره: ١٥٨، ٢٠١، ٢١٨، ٣١٤، ٣١٥

البحر الميت: ٢٥، ٢٢٥، ١٦٨
بحر يوسف: ٢٦٥
بحيرة طبرية: ٢٢٥
بردى: ٣٨
بروسه: ٣٧، ٤٣، ٦٣، ٨٠، ٩٣، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٩، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٣٧، ٢٨٦
برلين: ٢١١، ٢١٢، ٣٠٠
بريتسيڤا: ١٧٩
البصرة: ١١٦، ١٦٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٧٢
بعلبك: ١٠٦، ١٨٠، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٦١، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣١٧، ٣١٨، ٣٥٣
بغداد: ١٨، ٥١، ٦٣، ١٦٠، ١٦١، ١٧٦، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦٩، ٢٧٠ ـ ٢٧٢، ٢٧٤، ٣٠٧، ٣٣٨، ٣٤٧
بلاد النوبة: ١٦٩ ـ ١٧١، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٦١
بلغراد: ٢٦٣، ١١٠
البلقان: ١٩، ٨٨، ١٥٨، ١٦٢، ٣١٢
بنغازى: ٢٠٥، ٢٠٦
بنى سويف: ٢٦٥
بوجاك: ١٥٩
بوخارست: ٨١، ١٠٢، ١٥٧، ٣١١
بودابست: ٦٣
بوردور: ٢٢٨
بورگاس: ١٥٧، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٧
بوسطن: ٣٣٢
البوسفور: ٣٢، ٧٦، ٦٥، ٩٣، ١٢٩، ١٤٤، ١٨٥، ١٨٦، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٢٠
البوسنه: ٦٥، ١١٥
بوشير (بوشهر): ١٦٢، ٢٧٠
بولا: ٣٧، ١٧٦، ٢١٨
بولغاريا: ١٠٢، ١٠٥، ١٣٤، ١٦٢، ١٧٤، ١٩٢، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢
بومباى: ١٦٢
بوك: ٣٦، ٧٠
بون: ٦٣، ١٢٦
بويوك چكمجه: ٨٩
بويك دره: ٩٣، ١٥١
بيت لحم: ٦٣، ٢٩٣
بيره جك: ٥٣، ٢٩٠
بيرديوك سو: ٢٩٥

بيروت: ٤٠، ٦٣، ١٠٦، ١٤٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٧، ١٩٩، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٨٥، ٢٨٨ - ٢٩٠، ٣١٧، ٣٢١، ٣٣٨، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٣
بيزنطية: ١٧، ١٨، ٢٣، ٢٨، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ١٥٩.
بيسارابيا: ١٨٤، ٢٣٦.
بيشيك تاش: ٧٩
بيلگورود (دنيستروفسكي): ٣٩، ٤٠
بيلوروسيا: ١١٩
بينگول داغ: ٢٣٤، ٢٨٢، ٢٩٧، ٢٩٨.

« پ »

پاتموس: ٣٤، ١٠١، ٢٥٩
پاروس: ١٢٥، ١٢٨، ١٣٠
پاريس: ٢١١، ٢١٣
پاسين: ٢٨٠ - ٢٨٢
پافلاگونيا: ٢١
پافلوف (قرية): ١٦٤
پالاتان: ٤١
پالان تيكين: ٢٨٢
پالو: ٣٣٣
پامير: ٣٠٦
پانترويا: ٣١٢
پانتيلييموس: ٣٥
پراڤودا: ١٦٢
پروت: ٩٤، ١٨٤
پروپونتيد: ٩٣
پرينتسيف: ١٨٩
پريوبرازينسكي: ٢١١
پيسكوف: ٤١
پلاتانا: ٢٣٥
پورت سعيد: ٣٠٤، ٣٠٥
پولونيا: ٥٣، ٥٦، ٦٧، ٧٢، ٨٣، ٨٨، ١٠٢، ١٢٢، ١٢٩، ١٣٤
پيترسبورغ (سانت پيترسبورغ - پيتروغراد - لينينغراد): ١٥، ١٨ - ٢٠، ٢٤، ٢٧ - ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥١، ٥٧، ٦٢، ٦٣، ٧١، ٧٣، ٨١،

۹۱، ۹۲، ۹۳، ۹۷ ـ ۹۹، ۱۰۲، ۱۰۹، ۱۱۰، ۱۲۱، ۱۲۸، ۱۳۸، ۱۳۹،
۱٤۱، ۱٤۷، ۱٦۹، ۱۹۲، ۲۳۹، ۲٤۷، ۲۷۸، ۲۷۹، ۲۸۵، ۲۸۸، ۳۰۲،
۳۰٤، ۳۰۵، ۳۰۸، ۳۱۰، ۳۱۱، ۳۱۲، ۳۱۷، ۳۱۹، ۳۲۱، ۳۵۱، ۳۵٤،
۳۵٦
پیرم: ۲۹۳

«ت»

تاگانروگ : ۱۳۵
تامان : ۳۱۳
تبرنر : ٤۰، ۵۱، ۱۱۲، ۲۳٦
ترجان : ۱۷٦، ۲۸۱
تفلیس: ۵۳، ۱۸۱، ۲۳٤، ۲۹۵، ۳۱۳
تقیر: ۳۰، ۳۳، ٤۰
ترکیا (الدولة العثمانیة): ۳۷، ٤۲، ٤٤، ٤۷، ٤۸، ۵۰، ۵۱، ۵٦، ٦۳، ٦۵ ـ ٦۷، ٦۹،
۷۰، ۷۲، ۷۸، ۹۱، ۹۹، ۱۰۹، ۱۰۵، ۱۱۱، ۱۱۳ ـ ۱۱۷، ۱۲۱، ۱۲۲،
۱۲۹، ۱۳٦، ۱۳۹ ـ ۱٤۲، ۱٤۵، ۱٤٦، ۱٤۸، ۱٤۹، ۱۵۲، ۱۵۷، ۱٦۲،
۱٦۳، ۱۷۳، ۱۷٤، ۱۷۵، ۱۸٤، ۱۸۵، ۱۸۸، ۱۹۹، ۲۰۱، ۲۰۷، ۲۱۲،
۲۱٤، ۲۱۷، ۲۲۱ ـ ۲۲۳، ۲۲۸، ۲۳۱، ۲۳٤، ۲۳٦، ۲٤۱، ۲٤۲، ۲٤۵،
۲۵۱، ۲۵۷، ۲۵۹، ۲٦۹، ۲۷۱، ۲۷٦، ۲۷۷، ۲۸۳، ۲۸۵، ۲۹۳، ۳۰٦،
۳۰۷، ۳۱۱، ۳۱۲، ۳۲۹، ۳۳۱، ۳۳۲، ۳۳٤، ۳۳۵، ۳٤۷ ـ ۳۵۰، ۳۵۵،
۳۵۹، ۳٦۱.
توبراق قلعه: ۳۵۸
تورتوم: ۲۳٤، ۲۳٦
تورخال: ۳۷
توسیا: ۳۷، ۱۷٦
تورین: ۲۱۲
توزلا: ۱٦۳
تولچ ـ ایساکچه : ۱٦۳
توکات (توقات): ۳۷، ٤۱، ٦۳، ۱۷٦، ۱۹۲، ۲۱۸
تومات: ۱٦٤، ۱٦۹، ۳۰۸، ۳۳۱
تونس: ٦۳، ۱۲٦، ۱۲۷، ۲۲۲، ۲۵۱، ۲۵۷، ۳۱۹، ۳۲۲
تیان شان: ۲۸۱، ۳۰٦

## «ج»


جاوملی: ۱۸۱
جدة: ۳۲٤، ۳۳۷، ۳۳۹، ۳٤۰
جرجان: ۱۸
الجزائر: ۱۲٦ ـ ۱۲۸، ۲۲۲، ۲۵۱، ۲۵۷، ۲۵۹
الجزيرة العربية: ۱۹، ۲٤۸، ۲۸۷، ۲۸۹، ۳۱۸، ۳۲۲، ۳۲۷، ۳۳۸.
الجليل: ۳۰
جورجا: ۱۵۷
جورجيا (گورجستان): ۵۳، ۲۰۷، ۲۸۱، ۳۰۰، ۳۰۱، ۳۲۸
الجولان: ۳٤۱
جوما: ۱۵۷


## «چ»


چالدير: ۲۹۵، ۲۹۹
چورلو (چورلا): ۱۵۷، ۳۱۲
چوروخ: ۲۳٤، ۲۳٦، ۲۸۰، ۲۸۱، ۲۹۷، ۳۰۱، ۳۰۲
چيريخلی: ۱۸۱
چيسمين: ۱۲۵
چيگرنی: ۵٦


## «ح»


حائل: ۳۳۸
الحبشة: ۱۷۰
الحجاز: ۲۹۱، ۳۳۸، ۳۳۹
حسن قعه: ۱۸۱، ۱۸۲
الحلة: ۲٤۳
حلب: ۳۷، ۳۸، ٦۳، ۷۵، ۱۰٦، ۱۱٦ ـ ۱۱۸، ۱۷٦، ۲۳۹، ۲٤۰، ۲٤٤، ۲٤۵، ۲۵۳، ۲۸۹، ۲۹۰، ۳۳۱، ۳۵۳.
حماة: ۳۷، ۳۸، ۱۰٦، ۲۵۳، ۲۸۹، ۳۵۳.
حمص: ۳۷، ۳۸، ۱۰٦، ۲۵۳، ۲۸۹، ۲۹۰، ۳۵۳.
حوران: ۲۹۰، ۳۱۷.
حيفا: ۲۵۰، ۲۵۳، ۲۹۳.

## «خ»


خارج (جزيرة): ٢٤١
خربوط: ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٥.
الخرطوم: ٢٦٨، ٣٢٠
خرپسوپول: ٢٧
خلقدونيا (الخليج): ١٣٠
الخليج العربى: ١١٦، ١٧٥، ٢٤١، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨١، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٤٦، ٣٤٧
خليف ـ اوغلى: ١٨١
الخليل (حبرون): ٣٠، ٦٣، ٢٩٣
خنيس: ٢٩٨
خوتين: ١٢٣
خوزيابين: ٢٩٥
خوزستان: ١٧٥
خولو: ٣٠٠
خيرسونيس: ١٧
خيوس (جزيرة ستيخيا): ١٨، ٢٥، ٣٠، ٣٤، ٥٩، ٩٥، ١٤٧، ٢٥٩.


## «د»


دارماهان: ١٧٠
دالمانشيا: ١٠٥
الدانوب: ٦٧، ٧١، ٧٦ ـ ٧٨، ٨٨، ٩٤، ١١٣، ١٢٣، ١٤٨، ١٥٧، ١٦٢، ١٨٤، ١٨٥، ٣١١.
داينيزه: ٢٣٤
دجلة: ٢٠، ٢٧، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٨١
الدردنيل: ٥٦، ٥٩، ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢، ١٥١، ١٥٧، ١٨٦، ١٨٩، ٣٠٦، ٣٠٨
دمشق (الشام): ٣٠، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٥٣، ٥٤، ٦٣، ٨١، ١٤٧، ١٨٠، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٨٥، ٢٨٨ ـ ٢٩٠، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٩، ٣٣٨، ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٣
دمياط: ٤٠، ٦٢، ٦٣، ٨٠، ٨١، ٨٧، ٢٢٤، ٢٥٢،
الدنيستر: ١٧، ٣٦، ٧٠
دندر: ٢٣٣
دوگور (توگور): ٢٩٦
دوملو ـ داغ: ٢٣٦
دون: ٣١، ٤٢، ٧٠.

دونغلا: ٢٦٤
دیاربکر: ٥٣، ٦٣، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٦٩، ٢٨٩، ٣٠٨، ٣٣١
دیادین: ٢٧٨
دیر الزور: ٣٤٦
دیلفیگ: ١٨١
دینیزلی: ٢٢٨
دیوی - بوین: ٢٨٢

«ر»

الراین: ٥٩
رازگراد: ١٥٧
رشت: ٩٩، ٢٣٦
الرشید (راخیتی): ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٨٢، ٨٦، ١٠٦، ٢٥٢
الرملة: ٣٧، ٤٠، ٨١، ١٥٣، ١٦٥، ٢٥٥
رودوس: ٣٩، ٤٠، ٥٩، ٩٠، ٩٥، ١٤٧، ١٥٢، ٢٦٠، ٢٦١
روسیا: ١١، ١٢، ١٣، ١٧، ١٨ - ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٤، ٣٧، ٤١ - ٤٤، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٦٢، ٦٣، ٦٧ - ٧٢، ٧٨، ٩١ - ٩٣، ٩٥، ٩٧ - ٩٩، ١١٠، ١١٣ - ١٢٠، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥ - ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٩، ١٩٩، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٥، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣١٣، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٨ - ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٢ - ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٤.
روشوك: ١٤٣، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٢، ٣٠٧
روما: ٢١، ٢٥٩
رومانیا: ١٠٢
رومیلی: ١٢٩، ١٤٥، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٢، ٣١٢.
ریازان: ١٦٠
الریاض: ٣٣٨
ریغا: ١٢٨

«ز»

زاپوزی: ١٣٠
زیما: ٩٠

زيمنيتسا: ٣١١
زيوان: ١٨١

«س»

ساراتوف: ٢١٣
ساردا: ٢٢٨
سانكتو ـ توماس: ١٣٤
ساكيز: ١٠٢
ساگانلو: ١٨٢
سالونيك: ٣٥، ٦٥، ١٠١، ١٠٥، ١١٥، ١١٧، ١٧٩.
السامرة: ٥٣، ٢٢٥
سامسون: ١٧٦، ١٩٢، ٢١٦، ٢١٨، ٣٠٨، ٣٢٦، ٣٣٣.
ساموس: ٥٩، ١٤٧، ١٥٥، ٢٥٩
ساوق پوار: ٢٩٥
سعرت: ٣٢١
سقاريا: ٣٢
سيلفنا: ١٥٧، ١٥٨
سمولينسك: ٤٥
سواكن: ٣٢٤
السودان: ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٤٣.
سوروز: ١٧، ١٨
سوروكي: ٧٨، ٨٣، ٩٤
سورمينه: ٢٣٥
سوريا: ١١، ١٢، ١٧ ـ ١٩، ٢٤، ٥٣، ٥٧، ٤١، ٦٧، ١٠٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٥٣، ١٦٩، ١٧٩، ١٨٧، ١٨٠، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣ ـ ٢٠٥، ٢١١ ـ ٢١٣، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧ ـ ٢٥٩، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧ ـ ٢٨٩، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٩، ٣٣١، ٣٤١، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٤
سوسه: ١٢٦
سوفيريك: ٢٤٥
سولاف: ٢٩٢
سولوگوب: ٣٠٤
السويس: ٢٣، ٨٢، ١٠٥، ١٦٥، ١٦٦، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٠٤
سيبيريا: ٢١٧، ١٤٩، ٢٦٨

سيپيان داغ: ٣٤٩
سيپينكور: ٢٨٠
سيلوعام: ٢٥
سيليڤيرست: ٧٨، ٨٠
سيمفيروپول: ٧٣
سيناء: ١٢، ٣٩، ٤٠، ٤٥، ٤٦، ٥٣، ٦٧، ٨١، ٨٢، ١٠١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٨، ٢١٢، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٤٩، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٨
سينوپ: ٣١، ٣٢، ٢٦، ٥٣، ٧٦، ١٢٨
سيو: ١١٥
سيواس: ٣٧، ٣٨، ٤١، ٥٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢٦٩، ٣٣١، ٣٣٣
سيواستوپل: ٧٧

«ش»

شافشيت: ٣٠٠
شرق الاردن: ٣١٩، ٣١٧
شط الشرق: ٢٤٢، ٢٧٠
شماخي: ٥١، ٩١
شمر (جبل): ٣٣٨
شوملا: ١٤٣، ١٦٢
شيراز: ٢٧٠

«ص»

الصحراء الكبرى: ٣٢٢
صحراء ليبيا: ٢١٢، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٢٧
صحراء النوبة: ٢٦٣، ٢٦٤
صربيا: ١٠٥، ١٩٢، ٣١٢
صفاقس: ١٢٦
صقليا: ٢٢٣، ٢٢٩
صور: ٢٣٧، ٢٦٠
صوفيا: ٢٧، ٢٩، ٣٢، ٦٣، ١٤٤
صيدا: ٢٦، ٨١، ١٠٦، ١٤٧، ٢٣٧

«ط»

طرابزون: ٤١، ٧٦، ٩١، ١١٣، ١١٦، ١٢٨، ١٤٧، ١٧٦، ٢١٦، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٣٠٨، ٣٣٨، ٣٤٩، ٣٥٦
طرابلس: ٤٠، ٦٣، ١٠١، ١٠٦، ١١٧، ٢٤٥، ٢٥٥، ٣١٧، ٣٥٣
طرطوس: ٣٧
طرواده: ١٨٩، ٢٠٦، ٢٦٠
طور: ٢٣٠، ٢٩٢
طوروس: ٣١، ٢١٨، ٢٨١، ٣٣٣
طيسفون: ٢٤٣، ٢٧٠

«ع»

عباس ترمان: ٣٠٠
عثمان ـ بازار: ١٥٧، ١٥٨
عثمان جيق: ٣٧، ١٧٦
عدن: ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٢٤
العراق (بلاد ما بين النهرين): ١٢، ١٧، ١٩، ٦٧، ٧٥، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٧٠، ٢٨١، ٢٨٧، ٣٤٦، ٣٤٧
عكا: ٨٧، ١١٧، ١٣٠، ٢٦٠
عينتاب: ٣٧، ٣٨.
عيون موسى: ٢٩١

«غ»

غاليبولى (گاليبولى): ٢٧، ٤٠، ٥٣، ٥٦.
غرندل (وادى): ٢٩١، ٢٩٢
غزة: ٣٧، ١٦٥، ١٧٨، ٢٥٥

«ف»

الفرات: ١٩، ٣٨، ٦٢، ٢٣٦، ٢٧٠، ٢٧٧، ٢٨٠ ـ ٢٨٢، ٢٩٠، ٢٩٧، ٣٤٦
فراكيا: ١٢، ٢٨، ٢١٤، ٣٠٩
فرنسا: ١٠٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٩، ١٤٣، ٢٢٢، ٢٢٣، ٣٠٧
فريكيا: ١٩
فريبورغ: ٢١١

فلسطين: ١١، ١٢، ١٥، ١٨، ٢٣، ٢٤، ٣٠، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٦، ٦٢، ٦٣، ٦٧، ٨١، ٨٣، ٨٧، ١٠١، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٥٣، ١٦٠، ١٦٩، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩٣، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٨ - ٣٣٠، ٣٥٣، ٣٥٤
فلورنسا: ٢١٠
فيليبوبول: ٦٣، ١٥٨
فينيقيا: ١٩
الفيوم: ٢٣٣، ٢٥٤

«ڤ»

ڤارلام: ٨٢
ڤارنا: ٧٦، ٧٧، ١٦٢، ١٦٣، ٣٠٧
ڤارياگ: ٢١
ڤازوغا: ٢٣٨
ڤالاكيا: ٣٦، ٥٣، ٨٣، ١٠٢، ١٣٤، ١٦٢، ١٧٤، ١٩٢
ڤيينا: ٢٤٧
ڤاناد: ٤١
ڤلاديميرسك: ٣٠
ڤورونيژ: ١١٧
ڤولوشيا: ٤٨
الڤولغا (الفولگا): ١٨، ٢٢، ٨٣، ٢٩٣
ڤينيسيا: ١١٦، ١١٧

«ق»

قارص: ٥٣، ٩١، ١٧٤، ١٨١، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣١١، ٣٣٥
قازان: ١٥، ٩١، ١٢٠
قازانلق: ١٥٨
قاقزمان: ٢٨٠، ٢٨١
القاهرة: ٢٥، ٣٠، ٣٧ - ٤٠، ٤٥، ٥٣، ٥٥، ٦١، ٦٣، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٧، ١١٧، ١١٨، ١٣٠، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٢ - ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٨٤، ٢٨٨، ٢٩٣، ٣٠٤، ٣٢٢، ٣٣٠، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٣

قبرص: ١٢، ٣٠، ٣٥، ٤٠، ٨٠، ٩٠، ١٠١، ١١٥، ١٣٦، ١٤٧، ١٥٣، ٢٢٩
القدس (أورشليم): ١٥، ٢٣ ـ ٢٥، ٣٠، ٣١، ٣٣ ـ ٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٤٥ ـ ٤٧، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٦١ ـ ٦٣، ٦٥، ٧٨، ٨٠ ـ ٨٣، ٨٦ ـ ٨٨، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ١٠١، ١٠٦، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٥ ـ ١٣٧، ١٥١ ـ ١٥٣، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣ ـ ١٦٦، ١٨٠، ١٩٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٣، ٣١١، ٣١٧، ٣٤٨، ٣٥٣
القرم: ٤٢، ٤٣، ٦٣، ٩٩، ١١٩
قره حصار: ٣٧، ١٧٦
قره دربند: ٢٧٨
قره لوم: ٣١٢
قسطمونه (قسطموني): ٥٣، ١٩٨، ٢١٨
القسطنطينية (تساريگورود ـ تساريگراد ـ الاستانه ـ استانبول) ١١، ١٢، ٢٠ ـ ٢٢، ٢٤، ٢٧، ٣٠ ـ ٣٧، ٣٩، ٤٣ ـ ٤٥، ٤٧ ـ ٥٠، ٥٧، ٥٩، ٦١ ـ ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩ ـ ٨٥، ٨٧، ٨٩ ـ ٩٣ ـ ٩٥، ٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٨ ـ ١١١، ١١٤ ـ ١١٧، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨ ـ ١٣٦، ١٣٩ ـ ١٤٦، ١٥١، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٢ ـ ١٦٤، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٦ ـ ١٧٩، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١١ ـ ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٩ ـ ٢٦٢، ٢٦٩ ـ ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٤٤، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٥٩
القفقاس: ٤٣، ٥٣، ٥٧، ٦٧، ٧٦، ٩١، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٢٢، ١٧٤، ٢١٠، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠ ـ ٢٨٢، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٢، ٣١٩، ٣٤١
قوجه ـ كيساري: ١٩٨
قونيه: ٣٧، ٢١٥، ٢١٨، ٣٤٩
القيصرية: ٢١٦، ٢١٨

«ك»

كابوليتي: ٢٩٧
كاپوج: ٢٩٧
كاچكاييڤسكي: ٢٩٥
كاديكس: ١١٠
كارناباڤ: ٨٨

کاریا: ۱۹
کازبیك: ۳۰۱
کاستیللوریتسو: ۸۷
کاسابه: ۱۹۸، ۳۰۷
کاسان: ۲٦٤
کاشکیـچـاچـا: ۲٦
کافا: ۳۰، ٤۱ ـ ٤۳، ٦۷
کالوگـا: ۸۳
کامینیتس ـ پـادولسك: ٥٦
کاندی: ۱٤۷
کانی چـای: ۲۹٦
کربلاء: ۲٤۳، ۲٤٤، ۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷٤، ۳۳۸
کردستان: ۱٤۱، ۱۷٥، ۲۱٤، ۲۳٦، ۲٤۰، ۲۷۷، ۲۷۸، ۳۳۱، ۳۳۳، ۳۳٦، ۳۳۹
کرکوك: ٦۳، ۲٤٤
کرمنشاه: ۱۱۲، ۱٦۰
کندا: ۱۱۷
کریت: ۳۹، ٤۰
کوئین لونیا: ۲۸۱
کوبنهاگـن: ۱۳۳
کوتانلی: ۱۸۱
کوتاییسی: ۲۸۰
کوچـوك ـ چـکمجه: ۸۹
کورسك: ۱۳۰، ۲٦۳
کوره: ۲۸۱، ۲۹٥
کوشتامبه: ۱۷۱
الکوفه: ۲۷۰
کولبین: ۲۸۱
کولخیدا: ۷٦
کیرا سوند: ۳۰۸
کیـپـیریکیوف: ۱۸۱
کیرچـی (کیرچـین): ۷٥ ـ ۷۷
کیرکیلیس: ۳۱۲
کیشینیوف (کیشینیف): ۱۸٥، ۳۱۱
کیلیکیا: ۱۹، ۷۱
کییف: ۲۲، ۳٤، ۳٦، ۳۹، ٥۳، ٥٦، ۷۸، ۸۱، ۸۳، ۸۸، ۹٤، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۳۰

«ك»


گاتچينا: ٢١١
گالاتسيا: ٧١
گالاتس: ٨٨، ٩٤، ١٦٢
گنجه: ٥١، ٩١، ٩٩، ١١٣
گوتاهيا: ٢١٨
گوريا: ٢٣٤، ٢٩٧
گومرى: ١٨١
گونگيرسو: ١٨١
گيرگاس: ٢٨٨
گيلان: ٩٩
گيريسون: ٢١٨


«ل»


لازستان: ٣٠٠، ٣٠٢، ٣١١
لادوكيا: ٤٠
اللاذقية: ٢٤٥، ٢٥٦
لبنان: ١٢، ١٨٠، ١٨٧، ٢٠٣، ٢٤٠، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٨٥، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٤
اللد: ٤٠، ١٥٣، ٢٣٠
لقون: ١٠١
لندن: ١١٧، ١٢٩، ٢٩٤
ليبيا: ١٩
ليتوانيا: ٤٢، ٤٥
ليتوفسك ـ فيلينسك: ١٩٠
ليسبوس: ٣٦، ٢٢٩
ليكيا: ١٩


«م»


ماردين: ٦٣، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٦٩
ماسيس: ٦٢
مالقازيا: ١٥٥
ماكدونيا: ١١، ١٨، ١١٥

ماكفرو: ٣٠٣
ماكو: ٢٧٨
ماگـيليڤسكى: ١٩٠
مالطا: ٨٧، ٢٠٦
مانـچـستر: ٢٩٤
المحمودية (قناة): ١٧٨، ٢٣٨، ٢٥٢، ٢٦٥
المدينة المنورة: ٢٣٦، ٢٩١، ٣٣٩
مرادسو: ٦٤، ٢٨١
مرسين: ٣٣٥
مرعش: ٣٣٥
مسقط: ١٦٢
مصر: ١١، ١٢، ١٧، ١٩، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٤٦، ٥٣ ـ ٥٧، ٥٩ ـ ٦٢، ٦٧، ٨١، ٨٢، ٨٦، ٨٧، ٩٥، ١٠٤ ـ ١٠٦، ١٣٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٩ ـ ١٧١، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٠، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١١ ـ ٢١٣، ٢٢٢ ـ ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٧ ـ ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٨ ـ ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٨٤، ٢٨٧ ـ ٢٨٩، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣١٩، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٦١
مصوّع: ٣٢٤
مكه: ٨٢، ١٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠
ملاطيه: ٢٦٩، ٣٣١، ٣٣٣
محفس: ٣٢٢
المنزلة (بحيرة): ٣٢٢
مندلى: ٣٥٩
مودانيا: ٦٣
موسكو: ١٨، ٢٠، ٢٤، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٧، ٣٩، ٤٢ ـ ٤٥، ٤٧ ـ ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٦٧ ـ ٦٩، ٧٦ ـ ٧٨، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ٩٢، ٩٨، ٩٩، ١١٤، ١٢٠، ١٣٥، ١٦٤، ١٩٠، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٢٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٩، ٣٦٠
موش: ١٧٤، ٢٧٨، ٢٩٩، ٣٣١، ٣٣٦
الموصل: ٦٣، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٩، ٢٧٢، ٣٢١، ٣٣٨
موكس: ٣٥٦ ـ ٣٥٨
موگـلا: ٢١٨
مولداڤيا: ٤٨، ٥٣، ٦٧، ٨٨، ١٠٢، ١٠٥، ١٢٣، ١٢٩، ١٦٢، ١٧٤، ١٩٢
ميتيلينا: ٢٦
ميديا: ١٩، ٢٠، ٧٧، ١٦٢، ١٦٣

ميرم (جبل): ٢٨٠
ميرزوقان (ميرزيقون): ٣٧، ١٧٦
ميكينا: ٢٠٦
ميلان: ٤٠
ميندريس (وادى): ٢٢٨
ميونيخ: ٢١١

«ن»

نابلس: ٢٢٥
الناصرة (نازاريت): ٢٢٥، ٢٣٧، ٢٦٠، ٢٩٣، ٣٥٣
نجد: ٣٣٨
النجف: ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤
نصب (وادى): ٢٩٢
نصيبين: ٢٣٩، ٢٤٥
النمسا: ٧٢
نهر الاردن: ٢٣، ٢٦، ٢٩٣
نهر يوسف: ٢٣٣
نوفورسيسك: ٢٣٦
نيثرنى: ٨٠، ٨٣، ١١٤، ١٩٩
نوفگورود: ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٧٨
نيكسور: ١٧٦
نيكوپول: ٣١١
ليڤكوسيا (نيكوسيا ـ نيقوسيا): ٣٦
النيل (نهر گيون): ١٩، ٤٠، ٥٥، ٦٠ـ٦٢، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٦، ١٠٤، ١٠٥، ١٣١، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٨، ١٨٨، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٢ ـ ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٣ ـ ٢٦٥، ٢٦٨، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٤٢ ـ ٣٤٤
نيمروڤ: ٧٨، ٨٣، ٩٤
نيوفيلى: ٣٠٣

«هـ»

هرمز: ٥١
همدان: ١١٢
الهند: ٤٠، ٤٦، ٥١، ١٠٥، ١١٥، ١١٦، ١٦٠، ١٦٦، ٢٢٢، ٢٤٨، ٣٠٥
هورامان: ٣٥٩

هوزات: ٣٣٥
هولنده: ١١٧
هيليوپـوليس: ١٠٦

«و»

وان: ٢٧٨، ٢٩٩، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨.
وادي الاردن: ٣٠
وادي البقاع: ٣٤٦
وارشو: ٨٨

«ى»

ياروسلاڤل: ٨٥، ٨٨
ياسي: ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٧٨، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٩٤، ١٤٣، ٣١١
يافـا: ٢٥، ٣٥، ٦٢، ٨٠، ٨١، ٨٧، ٩٠، ١٠١، ١٠٦، ١٣٣، ١٣٦، ١٥١، ١٥٣، ١٦٤، ١٦٦، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٤٨ ـ ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٩٣، ٣٢٢، ٣٢٤.
يامبول: ١٥٧، ٣١٢
ينبع: ٣٤٠
اليمن: ٨٢
ينى شهر: ٣٧
يورگـاس: ٣١٢
اليونان: ٩٣، ١٧٩، ١٨٨، ٢٠٦، ٢١١، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٧، ٢٨٣، ٣٢٩

# المحتويات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| كلمة المترجم | ٥ |
| تعريف بالسيرة العملية للمؤلف | ٩ |
| مقدمة المؤلف | ١١ |
| **الفصل الأول :** | |
| روسيا ما قبل بطرس الأكبر | ١٧ |
| **الفصل الثاني :** | |
| الربع الأول من القرن الثامن عشر | ٦٩ |
| **الفصل الثالث :** | |
| الربع الثاني من القرن الثامن عشر | ٩٧ |
| **الفصل الرابع :** | |
| النصف الثاني من القرن الثامن عشر | ١١٩ |
| **الفصل الخامس :** | |
| القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين | ١٥٠ |
| المراجع والمصادر ( البيبليوغرافيا ) | ٣٦٥ |
| فهرس الاعلام | ٣٩٥ |
| فهرس الاسماء الجغرافية | ٤١٠ |

and the beginnings of the 20th century (until World War 1). It is the longest chapter and the most informative as well as covering more lands within the stated period.

Generally speaking, this book is a serious endeavour in revealing important and previously unknown information about Middle Eastern affairs. This piece of research is of great importance to European Orientlists as well as the nations discussed in the book.

**Morouf Khaznadar**

**Baghdad, March 21, 1980.**

## Summary

The Russian Travellers in the Middle East by the well-known Soviet researcher B.M. Dantsig was published by Misl Publishers in Moscow, 1965. Twelve thousand copies were printed, for it is not considered to be merely a book of orientalism that interest a limited number of readers, but of importance to various communities in the society.

The translated book is in fact a rarity of its kind. It is a whole library by itself, too difficult to classify and comment upon except by highly qualified scholars like Dantsig. It covers a large part of the Ottoman Empire possessions e.g. Asia Minor, East Thrace, Istanbul, Syria, Lebanon, Palestine, Jordan, Iraq, Sinai Peninsula, Egypt, North Africa, Greece, Cyprus and the Balkan Peninsula. These lands were visited by Russian Travellers as pilgrims, orientalists, diplomats, scientists and army personnel for a period of eight centuries, namely from the 12th century to the end of World War 1.

No doubt, the book is unique and of importance not only to Orentalists, but also to the Russian readers themselves and ǫthers. It includes a short introduction, five chapters and nine maps illustrating the routes taken by the travellers in their journeys. In the first chapter the author discusses the journeys of the Russian great travellers in the so called Pre-Peter the great period, that is, from the earliest centuries to the end of the 17th century. Though this is the shortest chapter of the book, it covers the Russians' travell to the Middle East for six centuries. The main factor for the shortness of this chapter is the difficulty in obtaining information and the scanty knowledge presently available of the Russian travellers during this period. The author's research and the significant data he accummulated present a mine of useful literature for future scholars interested in this subject.

In the second, third and fourth chapters, the author probes into the travels of the Russians during the 18th century. Here the author's information has increased considerably on the ground of the sufficient data at his disposal. The travels during this period has gone beyond the aim of pilgrimage to the holy land of Palestine and travellers became keenly interested in accuiring whatever information available about the various nations of the region.

The fifth and the final chapter covers the travels during the 19th century

**Republic of Iraq**
**Ministry of Culture and Information**
**Dar al-Rashid Publishers**

# Russian Travellers in the Middle East

**Written in Russian by**
**B.M. Dantsig**

**Translated into Arabic with Commentary**
**By: Prof. Dr. Marouf Khaznadar**
**College of Arts**
**University of Baghdad**

**Baghdad, 1981**